

غُيُورُ الْأَخْبَارِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَ بْنِ قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِيِّ

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ

الجزء الثاني

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة - كتاب العلم والبيان -

كتاب الزهد

شرحه وضبطه وعلّق عليه وقَدَّم له ورَتَّبَ فهرسه

الدكتور يوسف علي طویل

أستاذ الأدب الأندلسي في الجامعة اللبنانية

دكتوراه دولة في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص ب: ٩٤٢٤ / ١١ تلکس : Nasher 41245 Le

كتاب

الطبائع والأخلاق المذمومة

تشابه الناس في الطبائع وذوهم

حدَّثني محمد بن عُبَيْد قال: حدَّثنا يحيى بن هشام الغَسَّاني عن إسماعيل بن أبي خالد عن مُصْعَب بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الناسُ بأزمانهم أشبهُ منهم بآبائهم. قال: وحدَّثني حسين بن الحسن المروزي قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان قال: قال أبو الدَّرْداء: «وجدتُ الناسَ أخْبَرْتُقْلَهُ»^(١).

قال: حدَّثني محمد بن عُبَيْد قال: حدَّثنا شَرِيحُ بن النعمان عن المُعَافَى ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في ريةٍ فقال: لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا تُرى إلا في الشرِّ.

قال: وحدَّثني محمد بن داود قال: حدَّثنا الصَّلْتُ بن مسعود قال: حدَّثنا عِثَامُ بن عليٍّ عن الأغمش عن أبي إسحاق عن عبيدة أن الوليد السَّوائي قال: لَعَطَ قومٌ عند رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله، لو نهيتهم! فقال: لو نهيتهم أن يأتوا الحَجُونَ^(٢) لأتاه بعضهم ولو لم تكن له حاجةٌ..

(١) خَبْرُهُ يَخْبُرُهُ: بلاه. ومُلاه: أبغضه. وهذا مثل يضرب في ذم الناس وسوء معاشرتهم أي وجدتهم مقولاً فيهم هذا. أي ما من أحدٍ إلّا وهو مكروه الفعل عند الخبرة. والهاء في قوله «تَقْلَهُ» للسكت. وهو مجزومٌ في جواب الأمر ومعناه تبغض من فعل قَلَيْ يَقْلَى. يريد أنك إن خَبَرْتَهُمْ تبغضهم لسوء أفعالهم. وتحرير المعنى إني: وجدت الناس على هذه الحالة التي هي كراحتهم عند اختيارهم. فتكون جملة «أَخْبَرْتُقْلَهُ» في محل النصب مفعولاً ثانياً لوجدتُ.

(٢) الحَجُونَ: الكسلان وكل غزوة يُظْهر غيرها ثم يخالف إلى ذلك الموضع. وسرنا عقبه حَجُونًا أي بعيدة طويلة.

قال: وَحَدَّثَنَا عَنْ عَفَّانَ عَنْ مَهْدِيَّ بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ غَيْلَانَ بْنِ جَرِيرٍ قَالَ:
 قَالَ مَطْرَفٌ: هُمُ النَّاسُ وَهُمْ النَّسَنَاسُ^(١) وَنَاسٌ غُمِسُوا فِي مَاءِ النَّاسِ.
 قَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: لَوْ أَمِرْنَا بِالْجَزَعِ لَصَبَرْنَا.
 وَكَانَ يُقَالُ: لَوْ نُهِيَ النَّاسُ عَنْ فَتِّ الْبَعْرِ لَفُتُّوهُ، وَقَالُوا: مَا نُهَيْنَا عَنْهُ إِلَّا
 وَفِيهِ شَيْءٌ. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَلَمَّا أَنْ أَتَيْتُ بَنِي جُؤَيْنٍ جُلُوساً لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسُ
 يَشِيتُ مِنَ الَّتِي أَقْبَلْتُ أَبْغِي لَدِيهِمْ، إِنَّنِي رَجُلٌ يَوْوَسُ^(٢)
 إِذَا مَا قُلْتُ أَيُّهُمْ لَأَيٍّ تَشَابَهَتْ الْمَنَاقِبُ وَالرُّؤُوسُ

وَيُقَالُ: لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا فَإِذَا تَسَاوَوْا هَلَكُوا^(٣).

وَقَالَ آخَرُ:
 النَّاسُ أَسْوَاءُ وَشَتَّى فِي الشَّيْمِ وَكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُمْ بَيْتُ الْأَدَمِ^(٤)

وَقَالَ آخَرُ:
 سَوَاءٌ، كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تَرَى، لِذِي شَبِيَّةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ، فَضْلاً^(٥)

(١) النَّسَنَاسُ، بِكَسْرِ النُّونِ الْأُولَى وَفَتْحِهَا، جَنْسٌ مِنَ الْخَلْقِ يَشُبُّ أَحَدَهُمْ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدَةٍ. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ حَيًّا مِنْ عَادٍ عَصَا رَسُولَهُمْ فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ نَسَنَاساً لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَدُّ وَرَجُلٌ مِنْ شَقٍّ وَاحِدٍ يَنْقُزُونَ كَمَا يَنْقُزُ الطَّائِرُ وَيَرْعُونَ كَمَا تَرْعَى الْبَهَائِمُ. مُحِيطُ الْمُحِيطِ، مَادَّةُ (نَسَنَسَ).
 (٢) الْيَوْوَسُ: الصُّبُورُ الْقَنِطُ.

(٣) أَصْلُ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّ الْخَيْرَ فِي النَّادِرِ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا أَسْتَوَى النَّاسُ فِي الشَّرِّ وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ ذُو خَيْرٍ كَانُوا مِنَ الْهَلَكِيِّ؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَتَسَاوَوْنَ إِذَا رَضُوا بِالنَّقْصِ وَتَرَكَوا التَّنَافُسَ فِي طَلَبِ الْفَضَائِلِ وَتَرَكَ الْمَعَالِي، قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ خَاصّاً فِي الْجَهْلِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَتَسَاوَوْنَ فِي الْعِلْمِ وَإِنَّمَا يَتَسَاوَوْنَ إِذَا كَانُوا جُهَالاً. لِسَانُ الْعَرَبِ مَادَّةُ (سَوَا).

(٤) أَسْوَاءُ: ج. سَوَاءٌ وَهُوَ الْمَثَلُ وَالْمَسَاوِي؛ وَسَوَاءُ الشَّيْءُ: مِثْلُهُ. وَقَدْ وَرَدَ صَدْرُ هَذَا الْبَيْتِ دُونَ الْعَجْزِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ (سَوَا) دُونَ تَغْيِيرِ عَمَّا هُنَا.

(٥) هَذَا الْبَيْتُ لِكَثِيرٍ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ (سَوَا) وَوَرَدَ هَكَذَا:
 سَوَاسَ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَمَا تَرَى... الخ.

وقال آخر:

«سَوَاسِيَّةُ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ»^(١)

وكان يقال:

«المرءُ تَوَاقُّ إلى ما لم يَنَلْ»^(٢)

والعجم تقول: كُلُّ عَزٍّ دَخَلَ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فهو ذليل..
وقالوا: كُلُّ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ مَمْلُوءٌ مَحْقُورٌ.

وقال الشاعر:

وزاده كَلَفًا بِالْحُبِّ أَنْ مَنَعَتْ أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا^(٣)

وقال آخر [طويل]

تَرَى النَّاسَ أَسْوَاءَ إِذَا جَلَسُوا مَعًا فِي النَّاسِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ

ويقال: النَّاسُ سَيْلٌ وَأَسْرَابٌ طَيْرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وقال طَرَفَةُ:

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَتُهُ لَا تَرَكَ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةً
كُلُّهُمْ أَرَوْعُ مَنْ ثَعْلَبٍ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ

(١) هذا مَثَلٌ أوردته في لسان العرب مادة (سوا) فقال: هذا مثل قولهم: «لا يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساؤوا هَلَكُوا» مستشهداً بقول الفرزدق (وافر)

شِبَابُهُمْ وَشِبَابُهُمْ سَوَاءٌ سَوَاسِيَّةُ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ
اذلك أن أسنان الحمار مستوية، ورؤي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: «ما أشد ما هَجَا القائل وهو الفرزدق: سَوَاسِيَّةُ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ.

(٢) كذلك ورد هذا المثل في لسان العرب مادة (توق) والتَّوَاقُ هو الذي تَتَوَقَّ نفسه إلى كل دناءة. كذلك انظر هذا المثل والمثل الذي قبله في مجمع الأمثال للميداني.

(٣) ورد هذا البيت في لسان العرب (حب) وجاء فيه: «وَحَبٌّ شَيْئًا» بدل «أَحَبُّ شَيْءٍ». وموضع «ما» رفع، أراد حَبٌّ فَأَدْغَمَ.

وقال آخر

[وافر]

فإنك لا يضرُّكَ بعد حَوْلٍ أَظْيَى كان أُمَّكَ أم حمارُ
فقد لَحِقَ الأسافلُ بالأعالي وماج اللُّومُ واختلط النُّجارُ
وعاد العبدُ مثل أبي قُبَيْسٍ وَسِيقَ مع المَعْلَهَجَةِ العِشارُ^(١)

يقول: سِيقَتِ الإبلُ الحوامِلُ في مهرِ اللثيمة.

قال أبو محمد: بلغني عن إسماعيل بن محمد بن جُحَادَةَ عن أبيه قال:
كنت عند الحسن فقال: أَسْمَعُ حَسِيساً ولا أرى أنيساً، صبيانُ حَيَارَى ما لَهُمْ
تَفَاقَدُوا عُقُولَهُمْ وفَرَّاشُ نارٍ وذِبَانُ طَمَعٍ.

وقال أبو حاتم عن الأصمعي: لو قَسَمْتُ في الناس مائة ألف درهم كان
أكثرُ للثمى مِنْ لو أَخَذْتُها منهم.

ونحوه قولُ محمد بن الجهم: مَنَعُ الجميع أَرْضَى للجميع.

وقال ابن بشير^(٢)

(مجزوء المديد)

سَوءَةٌ للناسِ كُلِّهِمْ أَنَا في هذا مِنْ أَوْلِهِمْ
لَسْتُ تَذْري جِينَ تَنْسُبُهُمْ أَيْنَ أدْناهُمْ مِنْ أَفْضَلِهِمْ

وقال نهار^(٣) بن تَوْسِيعَةَ

(طويل)

عَتَبْتُ على سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْواماً بَكَيْتُ على سَلَمٍ

(١) أبو قيس جبل بمكة، والمراد به الرجل الشريف. والمعلهجة: المرأة اللثيمة الأصل الفاسدة النسب.

(٢) لم أخط بترجمة لابن بشير إلا في الأعلام (ج ٦ ص ١٣٨) حيث يقول الزركلي محمد بن سعيد بن بشير المعافري الأندلسي المتوفي سنة ١٩٨ هـ. ولا أظن أنه نفسه الذي يترجم له ابن قتيبة.

(٣) نهار بن تَوْسِيعَةَ من بني بكر وائل، توفي سنة ٨٣ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٤٩.

وهذا مثل قولهم: ما بَكَيْتُ من زمان إلا بَكَيْتُ عليه.

وقال الأحنف^(١) بن قيس (طويل)

وما مرَّ يومٌ أرتجِي فيه راحةً فَأَخْبِرُهُ إِلَّا بَكَيْتُ على أَمْسٍ

وقال آخر (طويل)

وَنَعْتَبُ أحياناً عليه ولو مضى لكننا على الباقي من الناس أَعْيَا

وقال آخر (وافر)

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجِيناً فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عن خَبَثِ الحديدِ

قال: وحدثني أبو حاتم قال: حدثني الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن

أبيه قال: لا يزال في الناس بَقِيَّةٌ ما تُعْجَبُ من الْعَجَبِ.

رجوع المتخلِّق إلى طبعه

بلغني أن أعرابياً رُبِّي جَرَوْ ذئبٍ حتى شَبَّ وظَنَّ أنه يكون أَغْنَى عنه مِنَ

الكلب وأقوى على الذبِّ عن الماشية فلما قَوِيَ وَثَبَ على شاةٍ فقتلها وأكل

منها فقال الأعرابي (وافر)

أَكَلْتُ شُوَيْهَتِي وَرَبَيْتَ فِينَا فَمَا أدراك أَنَّ أَباك ذَيْبٌ

وَيُرَوَّى^(٢):

وُلِدْتُ بِفَقْرَةٍ وَنَشَأْتُ عِنْدِي

إذا كان الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهَا الْأَدِيبُ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ١٠٢.

(٢) أي يُرَوَّى الشطر الأول من البيت الأول، وقد جعل محقق الكتاب نصف هذا البيت، في

فهرس القوافي ص ٢٩٧، على البسيط، وهو، كما نرى، على الوافر.

وقال الخُرَيْمِيُّ^(١) [متقارب]

يَلَامُ أَبُو الْفَضْلِ فِي وَجُودِهِ وَهَلْ يَمْلِكُ الْبَحْرُ أَلَّا يَفِيضَا؟

وقال أَبُو الْأَسَدِ^(٢) [طويل]

وَلَأْتِمَةٍ لَأَمْتِكَ يَا فَيْضُ فِي النَّدَى فَقُلْتُ لَهَا هَلْ يَقْدَحُ اللَّوْمُ فِي الْبَحْرِ؟
أَرَادَتْ لِتَنْثِي الْفَيْضِ عَنْ عَادَةِ النَّدَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْثِي السَّحَابَ عَنِ الْقَطْرِ
مَوَاقِعُ جُودِ الْفَيْضِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمَزْنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ

وقال كُثَيْرٌ [طويل]

وَمَنْ يَتَّبِعُ مَا لَيْسَ مِنْ سُوسٍ نَفْسِهِ يَدْعُهُ وَيَغْلِبُهُ عَلَى النَّفْسِ خِيَمَهَا^(٣)

وقال زهير [طويل]

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ

وَأُنْشَدَنِي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لَذِي الْإِصْبَعِ^(٤) الْعَدَوَانِي [بسيط]

كَلَّ أَمْرِي رَاجِعُ لِشِمَّتِهِ وَإِنْ تَخَلَّقَ أَحْلَاقًا إِلَى حِينِ

وقال آخر [بسيط]

ارْجِعْ إِلَى خُلُقِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدَنُهُ^(٥) إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْبَى دُونَهُ الْخُلُقُ

وقال كُثَيْرٌ فِي خِلَافِ هَذَا [طويل]

وَفِي الْجِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ وَفِي تَرْكِ أَهْوَاءِ الْفَوَادِ الْمَتِيمِ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٥ من ص ١٣١، كما ورد بيته

المذكور أعلاه في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤).

(٢) أَبُو الْأَسَدِ هُوَ بَنَاتُهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِي، مِنْ بَنِي حِمَّانَ مِنْ أَهْلِ الدِّينُورِ. تَوَفَّى نَحْوَ ٢٢٠ هـ.

الأعلام ج ٨ ص ٧.

(٣) الْخَيْمُ: الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ.

(٤) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٥ من ص ٢٤٧.

(٥) الدَّيْدَنُ: الدَّأْبُ وَالْعَادَةُ.

بصائرُ رُشدٍ للفتى مُستَبِينَةٌ وأخلاقُ صِدْقٍ علُمُها بالتعلّم

ونحوه للمتلّمس^(١) [طويل]

تَجَاوَزَ عَنِ الْأَذْنَيْنِ^(٢) وَأَسْتَبَقَ وَدَهُمَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْجِلْمَ حَتَّى تَحْلَمَا

وقال الطائي [كامل]

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ إِنَّمَا كَانَتْ لَهُ قَدَمًا نَشُوعًا فِي الصَّبَا وَلَدُودًا^(٣)

بَاسًا قَبِيلِيًّا وَبَاسًا تَكْرُمُ فِينَا وَبَاسَ قَرِيحَةٍ مَوْلُودًا

وقال أبو جعفر الشُّطْرَنْجِي مولى المهديّ في سَوْدَاءَ^(٤) [سريع]

أَشْبَهَكَ الْمَسْكُ وَأَشْبَهْتَهُ قَائِمَةٌ فِي لَوْنِهِ قَاعِدَةٌ

لَا شَكَّ إِذْ لَوْنُكُمَا وَاحِدٌ أَنْكُمَا مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ^(٥)

وقال أبو نُوَّاسٍ [كامل]

تَلَقَّى النَّدَى فِي غَيْرِهِ عَرَضًا وَتَرَاهُ فِيهِ طَبِيعَةً أَصْلًا

وَإِذَا قَرَنْتَ بِعَاقِلٍ أَمَلًا كَانَتْ نَتِيجَةُ قَوْلِهِ فِعْلًا

وأنشدنا الرِّيَاشِيّ [منسرح]

لَا تَصْحَبَنَّ امْرَأَةً عَلَى حَسَبِ إِنِّي رَأَيْتُ الْأَحْسَابَ قَدْ دَخَلَتْ

مَالِكَ مِنْ أَنْ يُقَالَ إِنَّ لَهُ أَبًا كَرِيمًا فِي أُمَّةٍ سَلَفَتْ

(١) تقدّمت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٩٢ ، الحاشية رقم ٢ .

(٢) الْأَذْنُونُ : أقرب العشيرة نسباً .

(٣) النَّشُوعُ : الوجور الذي يُوجَرُه الصَّبِيُّ أو المريض : والوجور هو الدواء الذي يُصَبُّ في الفم ، ويُوجَرُ : يُصَبُّ في الفم . واللُّدُود : الخصم الشديد الخصومة .

(٤) أي في جارية سوداء . والشطرنجي هو عمر بن عبد العزيز ، شُغِفَ بالشطرنج فنسب إليه .

توفي نحو ٢١٠ هـ . الأعلام ج ٥ ص ٥٠ .

(٥) هذان البيتان سيذكران في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٤٢ .

بل اصْحَبْنَهُ عَلَى طِبَائِعِهِ فكلُّ نَفْسٍ تَجْرِي كَمَا طُبِعَتْ

وقال العباس بن مرداس^(١) [مقارب]

إِنَّكَ لَمْ تَكْ كَابِنِ الشَّرِيدِ وَلَكِنْ أَبُوكَ أَبُو سَالِمٍ

حَمَلْتَ الْمَيِّينَ وَأَثْقَالَهَا عَلَى أُذُنِي قُنْفُذٍ رَازِمٍ^(٢)

وَأَشْبَهْتَ جَذَكَ شَرَّ الْجُدُو دِ الْعِرْقُ يُسْرِي إِلَى النَّائِمِ

وقال بعض العبديين [طويل]

وَمَا يَسْتَوِي الْمَرْءَانِ هَذَا ابْنُ حُرَّةٍ وَهَذَا ابْنُ أُخْرَى ظَهَرُهَا مُتَشَرِّكُ

وَأَدْرَكَهُ خَالَاتُهُ فَخَذَلَتْهُ أَلَا إِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا بُدَّ يُدْرِكُ

باب الشَّيْءِ يُفْرِطُ فَيَنْتَقِلُ إِلَى غَيْرِ طَبِيعِهِ

قرأت في كتاب للهند: لا ينبغي اللجاج في إسقاط الهمة والرأي وإذالته فإنه إما شرس الطبع كالحية إن وطئت فلم تلسع لم يغتر بها فيعاد لوطئها، وإما سجع^(٣) الطبع كالصندل^(٤) البارد إن أفرط في حكه عاد حاراً مؤذياً. وقال أبو نواس

[منسرح]

قُلْ لَزْهِيرٍ إِذَا حَدَا وَشَدَا أَقْلِلْ وَأَكْثِرْ فَأَنْتَ مِهْدَارُ

سَخُنْتُ مِنْ شِدَّةِ الْبُرُودَةِ حَتَّى صِرْتُ عِنْدِي كَأَنَّكَ النَّارُ

لَا يَعْجَبُ السَّامِعُونَ مِنْ صِفَتِي كَذَلِكَ الثَّلْجُ بَارِدٌ حَارُ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول ٢٩٢، الحاشية رقم ٥.

(٢) الميثون: ج مائة. والقنفذ بضم الفاء وفتحها هو دويبة ذو ريش حاد في أعلاه يقي به نفسه إذ يجتمع مستديراً تحته ويوجه رؤوسه لمن أراد إيذاؤه، والجمع منافذ.

(٣) سجع الطبع: اللين السهل.

(٤) الصندل: شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز ويحمل ثمرأ في عناقيد له حَبٌ أخضر.

ويقال: إنما مَلَحَ القِرْدُ عند الناس لإفراط قبحه. قال الطائي [بسيط]
 أخرجتموه بِكُرهٍ مِنْ سَجِيَّتِهِ والنار قد تَنْتَضِي من ناضر السَّلَمِ
 أَمِنْ عَمَى نَزَلَ النَّاسُ الرَّبَى فَنَجَوْا وأنتمو نُصْبُ سِيلِ الْفِتْنَةِ الْعَرَمِ^(١)
 أَمْ ذَاكَ مِنْ هِمَمٍ جَاشَتْ فَكَمْ ضِعَّةٍ حدا إليها غُلُوُّ الْقَوْمِ فِي الْهِمَمِ
 وكان يقال: مِنْ التَّوْقِي تَرُكُ الْإِفْرَاطِ فِي التَّوْقِي.

باب الحسد

قال: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ
 إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِيَّةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلُمُ مِنْهُمْ أَحَدُ الطَّيْرَةِ
 وَالظَّنِّ وَالْحَسَدِ قِيلَ: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلَا
 تَرْجِعْ. وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تَحْقُقْ وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ». وقال بكر بن عبد الله:
 جِصُّنُكَ مِنَ الْبَاغِي حَسْنُ الْمُكَاشَرَةِ، وَذَنْبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّعَمِ مِنَ اللَّهِ
 عَلَيْكَ. وَقَالَ رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ الْجُدَامِيُّ: كُنْتُ أَرَى قَوْمًا دُونِي فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ
 السُّلْطَانِ يَدْخُلُونَ مَدَاحِلَ لَا أَدْخُلُهَا فَلَمَّا أَذْهَبْتُ عَنِّي الْحَسَدَ دَخَلْتُ حَيْثُ
 دَخَلُوا. وقال ابن حُمام [طويل]

تَمْنَى لِي الْمَوْتَ الْمَعْجَلَ خَالِدٌ وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدَهُ^(٢)

وقال الطائي [كامل]

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ

(١) الْعَرَمُ: السِّلَاحُ الَّذِي لَا يُطَاقُ دَفْعُهُ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ سَيْلُ الْعَرَمِ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ
 لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.

(٢) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْمَوْثَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ لِلْأَمْدِيِّ ص ٩١ مِنْ جُمْلَةِ أَبْيَاتِ أَبِي بَنْ حَمَامٍ بْنِ
 قُرَادٍ بْنِ مَخْزُومٍ، الْعَبْسِيِّ الشَّاعِرِ الْفَارِسِيِّ.

لولا أَشْتَعَالَ النَّارِ فيما جَاوَرَتْ ما كان يُعْرِفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعُودِ
لولا التَّخَوُّفُ للعَوَاقِبِ لم تَزَلْ للحاسِدِ النَّعْمَى عَلَى المحسُودِ

وقال عبد الملك للحجاج: إنه ليس من أحد إلا وهو يعرف عيب نفسه
فَعِيبَ نَفْسِكَ قال: أَغْفِنِي يا أمير المؤمنين. قال: لَتَفْعَلَنَّ. قال: أنا لَجُورُ
حَقُودٍ حَسُودٍ، قال عبد الملك: ما في الشيطان شرًّا مما ذَكَرْتَ. قال بعض
الحكماء: الحسدُ من تَعَادِي الطباعِ واختلافِ التركيبِ وفسادِ مِزَاجِ الْبَنِيَّةِ
وَضَعْفِ عَقْدِ الْعَقْلِ والحاسدُ طويلُ الْحَسَرَاتِ.

قال ابن المقفع: أَقْلُ ما لِتَارِكِ الحسدِ في تركه أَنْ يَصْرِفَ عن نفسه
عَذَاباً ليس بِمُدْرِكٍ به حَقّاً ولا غائِظَ به عَدُوّاً، فإنما لم نَرَ ظالماً أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ
من الحاسدِ، طَوَّلَ أَصْفٍ ومُحَالَفَةً كَأَبَى وَشِدَّةً تَحْرِقُ، ولا يَبْرَحُ زَارِياً على نعمة
الله ولا يَجِدُ لها مَزَالاً وَيُكَدِّرُ على نفسه ما به من النعمة فلا يَجِدُ لها طَعْماً ولا
يَزَالُ سَاخِطاً على مَنْ لا يَرْضَاهُ وَمُتَسَخِّطاً لِمَا لَنْ يَنَالَ فوقه، فهو مُنْغَصِّصُ
المعيشة دائِمُ السَّخَطَةِ مُحَرُّومُ الطَّلِبَةِ، لا بما قَسِمَ له يَقْنَعُ ولا على ما لم
يُقَسِّمَ له يَغْلِبُ، والمحسود يتقلَّبُ في فضل الله مُبَاشِراً للسرور مُتَنَفِّعاً به مُمَهِّلاً
فيه إلى مَدَّةٍ ولا يَقْدِرُ الناسُ لها على قَطْعٍ وانتِقاصٍ.

قيل للحسن البصري: أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ؟ قال: لا أَبَا لَكَ^(١)، أَنَسِيَتْ
إِخْوَةَ يَوْسُفَ؟ وكان يَقالُ: إذا أَرَدْتَ أَنْ تَسْلَمَ مِنَ الحاسِدِ فَعَمَّ عَلَيْهِ أُمُورَكَ.
ويقال: إذا أَرَادَ الله أَنْ يُسَلِّطَ على عبده عَدُوّاً لا يَرْحَمُهُ سَلَّطَ عَلَيْهِ حاسِداً.
وقال العُتْبِيُّ^(٢) - وذكر ولده الذين ماتوا -

[مُتَقَارِب]

(١) لا أَبَا لَكَ: شَتْمٌ يُقالُ لِمَنْ له أَبٌ وَلَمَنْ لا أَبَ له.

(٢) العُتْبِيُّ هو محمد بن عبيد الله ابن عتبة، بصري راوية للأخبار والأدب. تتابعت عليه مصائب
بالذكور من ولده في الطاعون الكائن بالبصرة سنة ٢٢٩ هـ وقبل ذلك فمات منهم ستة فرثاهم =

وَحَتَّى بَكَى لِي حُسَادُهُمْ وَقَدْ أَقْرَحُوا بِالْدَّمْعِ الْعُيُونَا
وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بَامْرِيءٍ يَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاجِمِينَا
قِيلَ لِسَفِيَانِ بْنِ مَعَاوِيَةَ: مَا أَسْرَعَ حَسَدَ النَّاسِ إِلَى قَوْمِكَ! فَقَالَ:

[بسيط]

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةٌ وَلَا تَرَى لِلنَّامِ النَّاسِ حُسَادَا

[كامل]

وقال آخر:

وَتَرَى اللَّيْبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرَمْ شَتَمَ الرِّجَالَ وَعَرَضُهُ مَشْتُومٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ
كَضَرَاثِرِ الْحُسْنَاءِ قُلْنَ لَوَجْهَهَا حَسَدًا وَظُلْمًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ

وقال يحيى بن خالد: الحاسد عدو مهين لا يدرك وتره إلا بالتمني. قيل لبعضهم: أي الأعداء لا تحب أن يعود لك صديقاً؟ قال: من سبب عداوته النعمة. وقال الأحنف: لا صديق لملول^(١) ولا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل ولا سؤدد لسيء الخلق. وقال معاوية: كل الناس يستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها. وقال الشاعر:

[بسيط]

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسِدٍ^(٢)

وفي بعض الكتب يقول الله: «الحاسدُ عدوٌّ لِنِعْمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمِي بَيْنَ عِبَادِي». وكان يقال: قد طلبك من لا يقصّر دون الظفر

= بمراث كثيرة، منها قوله أعلاه. أنظر معجم الشعراء ص ٤٢٠.

(١) الملول: ذو الملل؛ يقال: رجل ملول وأمرأة ملول.

(٢) ذكر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٢١) هذا البيت ضمن ثلاثة أبيات نسبها لابن المبارك.

وحسدك من لا ينام دون الشفاء. وخطب الحجاج يوماً برُستُقْبَازَ بقول سُويد^(١)

ابن أبي كاهل

[رمل]

كيف يَرْجُونَ سَقَاطِي بعدما جَلَّلَ الرَّاسَ بِيَاضَ وَصَلَعٍ
رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظاً صَدْرَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتاً لَمْ يُطْعَ
وِيرَانِي كَالشَّجَا فِي خَلْقِهِ عِيسِراً مَخْرَجُهُ مَا يُتَرَعُ
مُزِيداً يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِي فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَ
لَمْ يَضْرِبْنِي غَيْرَ أَنَّ يَحْسُدْنِي فَهَوِيزُ قَوْمِ مِثْلَ مَا يَزُقُّ الضُّوْعُ^(٢)
وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَا قَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْيِي رَتَعُ
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْئاً لَمْ يُضْعُ

وقال آخر^(٣)

[بسيط]

إِنْ تَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُكُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فِدَامَ لِي وَلَكُمْ مَا بِي وَمَا بِكُمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظاً بِمَا يَجِدُ
أَمَّا الَّذِي تَجِدُونِي فِي حُلُوقِكُمْ لَا أَرْتَقِي صُعُداً فِيهَا وَلَا أَرِدُ

وقل بعضهم: الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء، يعني حسد إبليس آدم، وأول ذنب عصي الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتله. وأنشدني شيخ لنا عن أبي زيد الأعرابي

[سريع]

(١) سُويد بن أبي كاهل اليشكري شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام. توفي بعد ٦٠ هـ.

وأشهر شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية «التيمة» وهي من أطول القصائد، حفظ الرواة منها نيفاً ومئة بيت. ومنها هذه الأبيات التي بين أيدينا. ومطلع هذه العينية:

أَرْقَ الْعَيْنَ خَيْالاً لَمْ يَدْعُ مِنْ سَلِيمٍ فَفَزَادِي مُنْتَزَعُ

انظر الأعلام ج ٣ ص ١٤٦. وإذا كان الحجاج قد وقع خطبته بهذا الشعر، فإن عبد الملك بن مروان وقع كتاباً بالبيت الأول كما في العقد الفريد (ج ٤ ص ٢٠٨).

(٢) الضُّوْعُ: طائر ليلي.

(٣) ورد هذا الشعر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٢٤) باختلاف يسير عما هنا.

لَا تَقْبَلُ الرُّشْدَ وَلَا تَرَعَوِي ثَانِي رَأْسٍ كَابِنٍ عَوَاءٍ^(١)
 حَسَدْتَنِي حِينَ أَفْذْتُ الْغِنَى مَا كُنْتُ إِلَّا كَابِنَ حَوَاءٍ
 غَادِي^(٢) أَخَاهُ مُحْرِمًا مُسْلِمًا بَطْعَةً فِي الصَّلْبِ نَجْلَاءٍ
 وَأَنْتَ تَقْلِينِي^(٣) وَلَا ذَنْبَ لِي لَكِنَّنِي حَمَالُ أَعْبَاءٍ
 مَنْ يَأْخُذِ النَّارَ بِأَطْرَافِهِ يَنْضَحُ عَلَى النَّارِ مِنَ الْمَاءِ

مَرَّ قَيْسُ بْنُ زُهَيْرٍ بِبِلَادِ غَطَفَانَ^(٤) فَرَأَى ثُرُوءًا وَجَمَاعَاتٍ وَعَدَدًا فَكَّرَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ: إِنَّهُ يَسُوءُكَ مَا يَسُرُّ النَّاسَ! فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ لَا تَدْرِي، إِنَّ مَعَ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ التَّحَاسُدَ وَالتَّخَاذُلَ، وَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ التَّحَاشُدَ وَالتَّنَاصُرَ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا قَدْ أَتَتْ لَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَطَوَّلَ عَمْرُكَ! فَقَالَ: تَرَكْتُ الْحَسَدَ فَبَقِيتُ. وَقَالَ زَيْدٌ^(٥) بِنِ الْحَكَمِ

[طويل]

الثَّقَفِيُّ

تَمَلَّاتُ مِنْ غِيظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ بَكَ الْغِيظُ حَتَّى كَذَبَ بِالْغِيظِ تَنْشَوِي
 وَمَا بَرَحْتُ نَفْسُ حَسُودٍ حُشِيَّتِهَا تُذْيِلُكَ حَتَّى قِيلَ هَلْ أَنْتَ مُكْتَوِي
 وَقَالَ النَّطَاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشَعَّرٌ سُلَالًا إِلَّا بَلْ أَنْتَ مِنْ حَسَدٍ جَوِي^(٦)
 بَدَا مِنْكَ غِشٌّ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَوِي
 جَمَعْتَ وَفُحْشًا غِيْبَةً وَنَمِيمَةً جَلَالًا ثَلَاثًا لَسْتَ عَنْهَا بِمُرْعَوِي

(١) إِرْعَوَى الرَّجُلُ عَنِ الْقَبِيحِ وَالْجَهْلِ: كَفَّ عَنْهُ فَهُوَ مُرْعَوٍ. وَالْعَوَاءُ: الْكَلْبُ يَهْوِي كَثِيرًا.

(٢) غَادَاهُ مَغَادَاةً: بَاكَرَهُ.

(٣) تَقْلِينِي: تَبْغِضْنِي؛ مِنْ قَلَاهُ: أَبْغَضَهُ.

(٤) غَطَفَانَ: حَيٍّ مِنْ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ. جَمَهْرَةُ أَنْسَابِ الْعَرَبِ ص ٤٤٤ - ٤٤٦.

(٥) لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ.

(٦) جَوِي: مِنَ الْجَوَى وَهُوَ السُّلُّ وَدَاءُ فِي الصَّدْرِ.

وكان يقال: سَتَّةٌ لَا يَخْلُونَ مِنَ الْكَأَبَةِ: رَجُلٌ أَفْتَقَرَ بَعْدَ غِنًى، وَغِنًى يُخَافُ عَلَى مَالِهِ التَّوَى^(١)، وَحَقُودٌ، وَحَسُودٌ، وَطَالِبٌ مَرْتَبَةٍ لَا يَبْلُغُهَا قَدْرُهُ، وَمُخَالِطُ الْأَدْبَاءِ بِغَيْرِ أَدَبٍ.

باب الغيبة والعُيُوبِ

قال: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ خُثَيْمٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَكُمْ^(٢)» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: مِنْ شِرَارِكُمُ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمَفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْبِرَّاءَ الْعَنَتَ.

قال: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمُرُوزِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا الْأَجْلَحُ عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبِرِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَلَى أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ قَوْمًا رَكِبُوا الْبَحْرَ فِي سَفِينَةٍ، وَاقْتَسَمُوهَا فَأَصَابَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَكَانٌ، فَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْفَأْسَ فَنَقَرَ مَكَانَهُ، فَقَالُوا: مَا تَصْنَعُ؟ فَقَالَ: مَكَانِي أَصْنَعُ بِهِ مَا شِئْتُ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ نَجَا وَنَجَوْا، وَإِنْ تَرَكُوهُ غَرِقُوا وَغَرِقَ».

بلغني عن حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؛ لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ أَصْبَحُ فِيهِ لَا يَرِمِينِي النَّاسُ بِدَاهِيَةٍ إِلَّا كَانَ نِعْمَةً مِنْ اللَّهِ عَلَيَّ. وَقَالَ حَسَنٌ: قُلْتُ شِعْرًا لَمْ أَقُلْ مِثْلَهُ

وإنَّ امرأاً أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِماً
من الناس إلا ما جَنَى لَسَعِيدُ.

(١) الْمَالُ التَّوَى: الْمَالُ الَّذِي هَلَكَ؛ يُقَالُ: تَوَى الْمَالُ يَتَوَى: هَلَكَ فَهُوَ تَوٍ وَتَاوٍ.

(٢) الشَّرَارُ: مَا يَنْتَظِيرُ مِنَ النَّارِ.

وبلغني عن ابن عيينة قال: قال مسعر: ما نصحتُ أحداً قطُ إلاَّ وجدته يُفتشُ عن عيوبي. وقال بعضهم: مَنْ عَابَ سَفِلَةً^(١) فقد رفعه، وَمَنْ عَابَ شَرِيفاً فقد وَضَعَ نفسه. وقال عمر بن الخطاب: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي.

أحمد بن يونس عن الفضيل أنه سمعه يقول: إن الفاحشة لتشيّع في الذين آمنوا حتى إذا صارت إلى الصالحين صاروا لها خزاناً. قال وسمعتُه يقول أيضاً: حسناتك مِنْ عَدْوِكَ أَكْثَرُ مِنْهَا مِنْ صَدِيقِكَ، لأنَّ عَدْوَكَ إِذَا ذُكِرْتَ عنده يَغْتَابُكَ وَإِنَّمَا يَدْفَعُ إِلَيْكَ الْمِسْكِينَ حَسَنَاتِهِ.

محمد بن عبد الله الأنصاري قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَوْنٍ قَالَ: مرَّ أَبُو سِيرِينَ بِقَوْمٍ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّا قَدْ نَلْنَا مِنْكَ فَحَلَّلْنَا، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَجِلُّ لَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيَّ فَهُوَ لَكَ.

محمد بن مسلم الطائفي قال: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: بلغني أَنَّكَ نَلْتَ مِنِّي، فَقَالَ: نَفْسِي أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ.

الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن بلال بن سعد قال: أَخْ لَكَ كُلُّمَا لَقِيكَ أَخْبِرْكَ بَعِيْبٍ فِيكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَخْ لَكَ كُلُّمَا لَقِيكَ وَضَعَ فِي كَفِّكَ دِينَاراً.

شريك عن عقيل قال: قال الحسن: لَا غِيْبَةَ إِلَّا لثَلَاثَةٍ: فَاسِقٍ مُجَاهِرٍ بِالْفِسْقِ، وَذِي بَذْعَةٍ، وَإِمَامٍ جَائِرٍ. وَكَانَ يُقَالُ: مَنْ أَعْتَابَ خَرَقَ وَمَنْ أَسْتَغْفَرَ اللَّهَ رَفَاءً^(٢) وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَابَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ

(١) السَّفِلَةُ: السُّقَاطُ مِنَ النَّاسِ. قال الجوهري: يقال: هو من السَّفِلَةِ، ولا يقال هو سَفِلَةٌ لأنها جمع. ثم أورد ابن منظور حكاية وقال: فظاهر هذه الحكاية أنه يجوز أن يقال للواحد سَفِلَةٌ. لسان العرب مادة (سفل).

(٢) ورد هذا المثل في لسان العرب (رفأ) ومعناه: خَرَقَ دينه بالإغتياب ورفأه بالاستغفار أي أصلحه بالاستغفار.

فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ». كان يقال: إياك وما يُصِمُّ الأذن. العتبي قال: قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان: كنت أسايرُ أبي ورجلٌ يقع في رجل، فالتفت إليَّ أبي فقال: يا بُنيَّ نَزَّهَ سَمْعَكَ عن آسَماعِ الخنى^(١) كما تُنَزَّهُ لسانَكَ عن الكلام به، فإنَّ المستمعَ شريكُ القائل، ولقد نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو رُدَّتْ كلمةٌ جاهل في فيه لَسَعِدَ رَأْدُها كما شَقِيَ قَائِلُها.

فُضِيلُ بن عِياض قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن رجاء عن موسى بن عُبيدة عن محمد بن كعب قال: إذا أراد اللهُ بعبد خيراً زَهَدَه في الدنيا وفَقَّهه في الدين وبَصَّرَه عيوبَهُ. قال فضيل: وربما قال الرجل: لا إله إلا الله؛ أو سبحان الله فأخشى عليه النار، قيل: وكيف ذلك؟ قال: يُغْتَابُ بين يديه ويُعْجِبُه ذلك فيقول: لا إله إلا الله، وليس هذا موضعه، إنما موضعُ هذا أن يَنْصَحَ له في نفسه ويقول له: اتَّقِ اللَّهَ.

في الحديث المرفوع أنَّ امرأتين صامتا على عهد النبي عليه السلام وجعلتا تَغْتَابَانِ النَّاسَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بذلك فقال: «صَامَتَا عَمَّا أُحِلَّ لهما وَأَفْطَرَتَا على ما حَرَّمَ اللَّهُ عليهما»، وقال حمادُ بن سلمة: ما كنتَ تقولُ للرجل وهو حاضرٌ فقلته من خلفه فليس بغيبية.

عاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف فقال له: قد آستدللتُ على كثرة عُيوبِكَ بما تُكْثِرُ من عيبِ الناسِ، لأنَّ الطالبَ للعيوبِ إنما يطلبُها بقدر ما فيه منها. قال بعض الشعراء

[وافر]

وَأَجْرًا مَن رَأَيْتُ بَطْهَرِ غَيْبٍ على عَيْبِ للرجال ذَوو العُيُوبِ

[سريع]

وَأَنشَدَ ابن الأعرابيَّ

(١) الخنى: الفحش في الكلام.

اسْكُتْ وَلَا تَنْطِقْ فَأَنْتَ خَيَّابٌ^(١) كُلُّكَ ذُو عَيْبٍ وَأَنْتَ عَيَّابٌ

وَأَنْشُدْنِي أَيْضاً [سريع]

رُبُّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْجَيْبِ وَأَبْنِ أَبٍ مُتَّهِمِ الْغَيْبِ^(٢)
وَكُلُّ عَيَّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلُ الثَّوْبِ عَلَى الْعَيْبِ

وكان عتبة بن عبد الرحمن يفتاب الناس ولا يصبر، ثم ترك ذلك، ف قيل له: أتركتها؟ قال: نعم، على أنني والله أحب أن أسمعها.

أتى رجل عمرو بن مَرْثَدٍ فسأله أن يكلم له أمير المؤمنين، فوعده أن يفعل، فلما قام قال بعض من حضر: إنه ليس مُستَحِقًّا لِمَا وَعَدْتَهُ، فقال عمرو: إن كنت صدقت في وصفك إياه فقد كذبت في آدعائك مودتنا؛ لأنه إن كان مُستَحِقًّا كانت اليد موضعها، وإن لم يكن مُستَحِقًّا فما زدت على أن أعلمتنا أن لنا بمغيبنا عنك مثل الذي حضرت به من غاب من إخواننا.

وفي الحديث: «إِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزَّانَا». قيل: كيف ذلك؟ قال: لأن الرجل يزني فيتوب، فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة لا يُغْفَرُ له حَتَّى يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهَا.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إني اغتبت رجلاً وأريد أن أستحله، فقال له: لم يكفك أن اغتبتته حتى أرذت أن تبّهته. إغتاب رجل رجلاً عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة: أمسك أيها الرجل، فوالله لقد تلمّظت بمضغة طالما لفظها الكرام.

(١) الْخَيَّابُ: الْقَدَحُ الَّذِي لَا يُورِي، ويجوز أن يكون من الخيبة وقد يُعْنِي به أنه مثُل هذا القدح الذي لا يوري.

(٢) الْجَيْبُ: الْقَلْبُ وَالصَّدْرُ، وَنَاصِحُ الْجَيْبِ: الْأَمِينُ. وقد ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣١٤).

مرَّ رجلٌ بجاريْنِ له ومعه ربيّةٌ، فقال أحدهما لصاحبه: أَفَهِمْتَ ما معه من الرّبيّة؟ فقال الآخرُ: غلامي حُرٌّ لوجه الله شكراً له إذا لم يُعرّفني من الشرِّ ما عرّفك.

شعبةٌ عن يحيى بن الحصين عن طارق قال: دار بين سعد بن أبي وقاصٍ وبين خالد بن الوليد كلامٌ، فذهب رجلٌ ليقَعَ في خالد عند سعدٍ، فقال سعد: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. أي عداوةٌ وشرٌّ. وقال الشاعر^(١) [متقارب]

ولستُ بِذي نَيْرٍ في الكرامِ، وَمَناعَ خَيْرٍ، وَسَبابِها^(٢)
ولا مَنْ إذا كان في جانب^(٣) أَضاعَ العَشيْرَةَ وأَغتابِها
ولكنْ أَطاوِغُ ساداتِها ولا أَتَعْلَمُ^(٤) ألقابِها

وقال آخرُ [بسيط]

لا يَأْمُلُ الجارُ خيراً مِنْ جوارِهمُ ولا مَحالَةً مِنْ هُزْءٍ وأَلْقابِ

وقال الفرزدقُ [طويل]

تَصَرَّمَ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بِنِ وائِملِ وما جِلْتُ عَنِّي وَدَّهمُ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وقد يَمْلأُ القَطْرُ الإِناءَ فَيُقْعَمُ^(٥)

(١) هو عدي بن خزاعي بن عوف ابن ثقيف، إسلامي. معجم الشعراء ص ٢٥٣.

(٢) أورد ابن منظور هذا البيت في اللسان مادة (نرب) ونسبه أيضاً لعدي بن خزاعي، وأورد «في الصديق» بدلاً من «في الكرام». والهاء في «سبابها» عائدة للعشيرة. ثم قال: قال ابن بري: و صواب إنشاده:

ولستُ بِذي نَيْرٍ في الكلامِ وَمَناعَ قومي، وَسَبابِها
والنَّيْرُ: الشرُّ والنميمة؛ يقال: نَيْرُ الرجل: سَعَى ونَمَّ.

(٣) في لسان العرب: «في معشر».

(٤) في لسان العرب: «ولا أعلم».

(٥) ورد هذا البيت في لسان العرب مادة (قرص) وجاء فيه: «وتحتقرونها» بدل: «ويحتقرونها». والقوارص: ج قارصة وهي الكلمة المؤذية.

أَنشد أبو سعيد الضرير لبعض الضَّيِّين [طويل]
 أَلَا رَبَّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنْنِي أبوه الذي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
 عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمِّهِ أَوْ لَغِيَةٍ فَيَغْلِبُهَا فَحَلَّ عَلَى النِّسْلِ مُنْجِبُ
 فَبِالْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ فَاطْلُبْ مَوَدَّتِي وَأَيَّ أَمْرٍ يَغْتَالُ مِنْهُ التَّرْهُبُ

وقال آخر في نحوه: [طويل]
 وَلَمَّا عَصَيْتُ الْعَاذِلِينَ وَلَمْ أُبَلِّ مَلَأَتْهُمْ الْقَوَا عَلَى غَارِبِي حَبْلِي
 وَهَازِلَةٍ مِنِّي تَوَدُّ لَوْ ابْنُهَا عَلَى شِيَمَتِي أَوْ أَبْنَى قِيَمَهَا مِثْلِي

قيل لَبُرَّزَ جَمْهَرٍ: هل من أحدٍ ليس فيه عيبٌ؟ قال: لا، إن الذي لا
 عيب فيه لا ينبغي أن يموت. وقال في مثل هذا مُوسَى^(١) شَهَوَاتٍ [خفيف]
 لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنْكَ فَاِنِي
 أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبَقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

وقال أبو الأسود^(٢) الدُّوْلِيُّ: [كامل]
 وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ غَيْبُهُ يُرْمَى وَيُقَرَّفُ^(٣) بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ

(١) هو موسى بن يسار مولى بني تيم قريش، من أهل أذربيجان. نشأ وعاش المدينة ثم نزل الشام فكان من شعراء سليمان بن عبد الملك. اختلفوا في سبب تلقيبه «شهوآت» فقيل: سمي بذلك لقوله في يزيد بن معاوية (خفيف).

لَبِئْتَ مِنَّا وَلَيْسَ خَالِكَ مِنَّا يَا مُضْنِيعَ الصَّلَاةِ بِالشَّهَوَاتِ
 وقيل: سمي بذلك لتشبهه على عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب الطعام فلُقِبَ به. توفي نحو ١١٠ هـ. معجم الشعراء ص ٣٧٧ والأعلام ج ٧ ص ٣٣١. والشعر والشعراء ص ٤٨١ - ٤٨٢ وجاء فيه: «أَنْتَ نَعَمُ الْمَتَاعُ» بدل «أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ».

(٢) أبو الأسود الدُّوْلِيُّ هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني، وازع علم النحو. أدرك حياة الرسول ﷺ، وهاجر إلى البصرة على عهد عمر بن الخطاب وولي إمارتها في أيام علي عليه السلام. يقال: هو أول من نَقَطَ المصحف. مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ.

معجم الشعراء ص ٢٤٠ والأعلام ج ٣ ص ٢٣٦.

(٣) يُقَرَّفُ: يُعَابَ وَيُتَّهَمُ.

لَقِيَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَخَاهُ لَهُ فَقَالَ: إِذَا أُرِدْتَ أَنْ تَلْقَى مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْهَا عَلَيْهِ وَهُوَ أَشْكُرُ لِلنِّعْمَةِ لَقَيْتَهُ، وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى مَنْ أَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ جُزْماً وَهُوَ أَخَوْفُ لِلَّهِ مِنْكَ لَقَيْتَهُ. أَرَأَيْتَ لَوْ صَحَبَكَ رَجُلَانِ: أَحَدُهُمَا مَهْتَوُكَ لَكَ سِتْرُهُ وَلَا يُذْنِبُ ذَنْباً إِلَّا رَأَيْتَهُ وَلَا يَقُولُ هُجْراً إِلَّا سَمِعْتَهُ فَأَنْتَ تُحِبُّهُ عَلَى ذَلِكَ وَتُؤَافِقُهُ وَتَكْرَهُ أَنْ تُفَارِقَهُ، وَالْآخَرُ مَسْتُورٌ عَنْكَ أَمْرُهُ غَيْرَ أَنَّكَ تَنْظُرُ بِهِ السَّوَاءَ فَأَنْتَ تُبْغِضُهُ، أَعَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: لَا؛ قَالَ: فَهَلْ مَثَلِي وَمَثْلُكَ وَمَثَلُ مَنْ أَنْتَ رَأَى مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَذَلِكَ؟ إِنَّا نَعْرِفُ الْحَقَّ فِي الْغَيْبِ مِنْ أَنْفُسِنَا فَنَحِبُّهَا عَلَى ذَلِكَ، وَنَتَظَنُّ الْظُنُونَ عَلَى غَيْرِنَا فَنُبْغِضُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: أَنْزَلَ النَّاسَ مِنْكَ ثَلَاثَ مَنَازِلَ، فَأَجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ سِناً بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ، وَمَنْ هُوَ تَرْتُّبُكَ بِمَنْزِلَةِ أَخِيكَ، وَمَنْ هُوَ دُونَكَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِكَ، ثُمَّ أَنْظِرْ أَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَهْتِكَ لَهُ سِتْراً أَوْ تُبْدِيَ لَهُ عَوْرَةً!

سَعِيدُ بْنُ وَقْدِ الْمُرْزَنِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ الصَّقَرِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زُهَيْرٍ قَالَ: وَفَدَّ الْعَلَاءُ^(١) بَنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئاً؟ فَقَرَأَ عَبَسَ وَزَادَ فِيهَا مِنْ عِنْدِهِ؛ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَ مِنَ الْجُبَلِيِّ، نَسَمَةً تَسْمَعِي، مِنْ بَيْنِ شَرَّاسِيْفٍ^(٢) وَحَشَى؛ فَصَاحَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لَهُ: كُفَّ فَإِنَّ السُّورَةَ كَافِيَةٌ». ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَرَوِي مِنَ الشَّعْرِ شَيْئاً فَأَنْشُدْهُ: [طويل]

حَيَّ دَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبُهُمْ تَحِيَّتُكَ الْقُرْبَى فَقَدْ تُرْفَعُ النَّعْلُ
وَإِنْ دَحَسُوا^(٣) بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرُماً وَإِنْ خَسَسُوا^(٤) عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلُ

(١) الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ صَحَابِيُّ وَلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَحْرَيْنِ سَنَةَ ٨ هـ. وَيُقَالُ: هُوَ أَوَّلُ مُسْلِمٍ رَكِبَ الْبَحْرَ لِلْغَزْوِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٢١ هـ. مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ ص ٢٩٦ وَالْأَعْلَامُ ج ٤ ص ٢٤٥.

(٢) الشَّرَّاسِيْفُ: ج شُرُوسُوفٌ وَهُوَ غَضْرُوفٌ مُعَلَّقٌ بِكُلِّ ضَلْعٍ.

(٣) دَحَسَ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَفْسَدَ بَيْنَهُمْ.

فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَلِّ^(١)

فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمًا وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا».

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ: قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِبَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَنٍ عَلْقَمَةَ: بَلَّغْنِي أُنْكَ تَقَعُ فِيَّ؛ قَالَ: أَنْتَ إِذَا أَكْرَمْتُ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي! . وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

[بسيط]

لَا تَلْتَمِسْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَكْشِفَ اللَّهُ سِتْرًا عَنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: لَا يُخْرِزُ الْإِنْسَانَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ إِلَّا قَبْرُهُ.

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِمُزَاحِمٍ مَوْلَاهُ: إِنَّ الْوَلَاةَ جَعَلُوا الْعَيُونَ عَلَى
الْعَوَامِّ وَأَنَا أَجْعَلُكَ عَيْنِي عَلَى نَفْسِي، فَإِنَّ سَمِعْتَ مِنِّي كَلِمَةً تَرَبُّأُ بِي عَنْهَا أَوْ
فَعَالًا لَا تُحِبُّهُ فِعْظُنِي عِنْدَهُ وَانْهِنِي عَنْهُ:

الْعُتْبِيُّ قَالَ: تَنَقَّصَ ابْنُ لَعَامِرٍ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَا تَتَنَقَّصُهُ يَا بُنَيَّ، فَإِنَّ بَنِي مَرْوَانَ مَا زَالُوا يَشْتُمُونَهُ
سِتِّينَ سَنَةً فَلَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا رَفْعَةً، وَإِنَّ الدِّينَ لَمْ يَبْنِ شَيْئًا فَهَدَمْتَهُ الدُّنْيَا، وَإِنَّ
الدُّنْيَا لَمْ تَبْنِ شَيْئًا إِلَّا عَادَتْ عَلَى مَا بَنَتْ فَهَدَمْتَهُ. وَقَالَ بَعْضُ

[كامل]

الشُّعْرَاءِ^(٢):

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَإِنَّهَا عَنْهَا فَإِذَا آتَتْهُ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

(١) وردت هذه الأبيات في معجم الشعراء ص ٢٩٦ باختلاف بسيط عما هنا.

(٢) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي، من شعراء «الحماسة». شاعر مشهور، كان على عهد معاوية. المؤتلف والمختلف للأمدني ص ١٧٩ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٤٠٩ - ٤١٠ والأعلام ج ٥ ص ٢٧٥.

فَهَنَّاكَ تُعَذِّرُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيُقْبَلُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ، إِذَا فَعَلْتَ، عَظِيمٌ^(١)

وقال آخر: [طويل]

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبُ

وقال آخر: [طويل]

لَكَ الْخَيْرُ، لَمْ نَفْسًا عَلَيْكَ ذُنُوبُهَا وَدَعْ لَوْمْ نَفْسٍ مَا عَلَيْكَ تُلِيمٌ^(٢)
وَكَيْفَ تَرَى فِي عَيْنِ صَاحِبِكَ الْقَدَى وَيَخْفَى قَدَى عَيْنِكَ وَهُوَ عَظِيمٌ

كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَزَمِّتِينَ^(٣) لَا يَزَالُ يَعِيبُ النَّبِيذَ وَشَرَابَهُ فَإِذَا وَجَدَهُ سِرًّا
شَرِبَهُ؛ فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ جِيرَانِهِ: [طويل]

وَعَيَانِي لِلشُّرْبِ لَوْ أَنَّ أُمَّهُ تَبُولُ نَبِيذًا لَمْ يَزَلْ يَسْتَيْلُهَا

قَالَ رَجُلٌ لِعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ: إِنِّي لِأَرْحَمُكَ مِمَّا تَقُولُ النَّاسُ فِيكَ؛ قَالَ:
أَفْتَسْمَعُنِي أَقُولُ فِيهِمْ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا؛ قَالَ: إِيَّاهُمْ فَأَرْحَمُ.

قال أعرابي لامرأته: [متقارب]

وَأَمَّا هَلَكْتُ فَلَا تَنْكِحِي ظُلُومَ الْعَشِيرَةِ حَسَادَهَا

يَرَى مَجْدَهُ ثَلَبَ أَعْرَاضِهَا لَدَيْهِ وَيُبْغِضُ مَنْ سَادَهَا^(٤)

(١) ورد البيت الأول والثالث في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٣٥) وذكر الزركلي في الأعلام (ج ٥ ص ٢٧٥) أن بيته الأخير مشهور شعر المتوكل، كذلك ورد البيت الأخير في المؤلف والمختلف ص ١٧٩ ومعجم الشعراء ص ٤١٠.

(٢) تُلِيمٌ: من ألَمَ الرجلُ إذا أتى ذنبًا يلام عليه.

(٣) من تَزَمَّتْ إذا توقَّرت في مجلسه، ومنه الزَّمَيْتُ أي الوَقُور الساكن القليل الكلام، والزَّمَيْتُ: أو قر منه.

(٤) هذان البيتان لحسان بن ثابت كما في ديوانه من قصيدة مطلقها:

أَلَمْ تَذُرْ الْعَيْنَ تَسْهَادَهَا وَجَرِّيَ الدَّمْعُ وَإِنْفَادَهَا

وقد ورد البيتان المذكوران في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ١٥.

باب السَّعَاية

روى وكيع عن أبيه عن عطاء بن السائب قال: قَدِمْتُ مِنْ مَكَّةَ فَلَقَنِي
الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: يَا أَبَا زَيْدٍ أَطَرِفْنَا مِمَّا سَمِعْتَ؛ قُلْتُ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَابِطٍ يَقُولُ: لَا يَسْكُنُ مَكَّةَ سَافِكُ دَمٍ، وَلَا آكِلُ رَبَاءٍ، وَلَا مَشَاءٌ^(١)
بَنِمِيمٍ؛ فَعَجِبْتُ مِنْهُ حِينَ عَدَلَ النِّمِيمَةَ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ وَأَكَلَ الرَّبَّاءَ؛ فَقَالَ
الشَّعْبِيُّ: وَمَا يُعْجِبُكَ مِنْ هَذَا؟ وَهَلْ تُسْفِكُ الدِّمَاءَ وَتُرْكِبُ الْعِظَائِمُ إِلَّا بِالنِّمِيمَةِ؟

عَاتَبَ مُضْعَبُ بْنُ الْزُبَيْرِ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ، فَأَعْتَذَرَ
إِلَيْهِ الْأَحْنَفُ مِنْ ذَلِكَ وَدَفَعَهُ؛ فَقَالَ مُضْعَبُ: أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الثَّقَةُ؛ فَقَالَ
الْأَحْنَفُ: كَلَّا أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّ الثَّقَةَ لَا يُبْلَغُ. قَالَ الْأَعَشَى: [طويل]

وَمَنْ يُطْعِمِ الْوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

وَذَكَرَ السَّعَاةُ عِنْدَ الْمَأْمُونِ فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ؛ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ
لَمْ يَكُنْ مِنْ عِيَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ أَصْدَقُ مَا يَكُونُونَ، أَبْغَضُ مَا يَكُونُونَ إِلَى اللَّهِ
لَكَفَاهُمْ.

سَعَى رَجُلٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ بِرَجُلٍ؛ فَقَالَ لَهُ: وَإِنْ صَرَفْتُ حَتَّى
أَسْأَلَ عَمَّا ذَكَرْتَ، وَبَعَثْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ عَنِ السَّاعِي فَإِذَا هُوَ لَغَيْرِ أَبِيهِ الَّذِي يُدْعَى لَهُ،
فَقَالَ بِلَالٌ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«السَّاعِي بِالنَّاسِ لَغَيْرِ رِشْدَةٍ»^(٢). وَقَالَ الشَّاعِرُ: [وافر]

إِذَا الْوَاشِي نَعَى يَوْمًا صَدِيقًا فَلَا تَدْعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشِي^(٣)

(١) مَشَاءٌ بَنِمِيمٍ: الَّذِي يَمْشِي بِالنِّمِيمَةِ لِيُفْسِدَ مَا بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ مِنْ صَلَاتٍ. وَهَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ

تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ لِحَافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٌ بَنِمِيمٍ﴾ سورة القلم ٦٨، الْآيَاتَانِ ١٠ وَ ١١.

(٢) قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةَ (رَشَدٌ) مَا نَصَّه: فِي الْحَدِيثِ: مَنْ ادَّعَى وَلَدًا لَغَيْرِ رِشْدَةٍ

فَلَا يَرْتُ وَلَا يَوْرَثُ. يُقَالُ: هَذَا وَلَدٌ رِشْدَةٌ إِذَا كَانَ لِنِكَاحٍ صَحِيحٍ، أَيْ لَزَوَاجٍ صَحِيحٍ.

(٣) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٣٣٣) وَنَعَى: أَيْ نَعَى الصَّدَاقَةَ الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ.

أتى رجل الوليد بن عبد الملك وهو على دمشق لأبيه، فقال: للأمير عندي نصيحة؛ فقال: إن كانت لنا فأظهرها، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها؛ قال: جار لي عصى وفر من بعته؛ قال: أما أنت فتخبر أنك جار سوء، فإن شئت أرسلنا معك، فإن كنت صادقاً أقصيناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت تاركناك؛ قال: بل تاركني.

وقال عبدة بن الطبيب^(١): [كامل]

وَأَعَصُوا الَّذِي يُسَدِّي النِّمِةَ بَيْنَكُمْ	مُتَنَصِّحاً وَهُوَ السِّمَامُ ^(٢) الْمُنْقَعُ
يُزْجِي عَقَارِبَهُ لِيَبْعَثَ بَيْنَكُمْ	حَرْباً كَمَا بَعَثَ الْعُرُوقُ الْأَخْدَعُ ^(٣)
حَرَّانُ لَا يَشْفِي غَلِيلَ فُؤَادِهِ	عَسَلُ بَمَاءٍ فِي الْإِنَاءِ مُشْعَشَعُ ^(٤)
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشْبُ صَبِيهِمْ	بَيْنَ الْقَبَائِلِ بِالْعَدَاوَةِ يُنْسَعُ ^(٥)
إِنَّ الَّذِينَ تُرَوِّنُهُمْ خُلَّانَكُمْ	يَشْفِي صُدَاعَ رُؤُوسِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا
فَضَلَّتْ عَدَاوَتُهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ	وَأَبَتْ ضَبَابُ ^(٦) صَدُورِهِمْ لَا تُنَزِّعُ
قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلَامُ ^(٧) عَلَيْهِمْ	حَدَّجُوا قَنَافِدَ بِالنِّمِةِ تَمَزَّعُ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٢ من ص ٢٨٧.

(٢) السِّمَامُ: ج السَّم.

(٣) يُزْجِي عَقَارِبَهُ: يسوقها. والأخدع: عزف في العنق في موضع الحجامة.

(٤) حَرَّانُ: عطشان. ومُشْعَشَعُ: ممزوج.

(٥) يُنْسَعُ: يؤذي جيرانه.

(٦) الضَّبَابُ: ج ضَبَّ، والمراد به الغُلَّ الممغن في الصدر إمعان الضب في جحره والضب أيضاً: وَرَمٌ في صدر البعير، والغيط والحقد الخفي.

(٧) دَمَسَ الظَّلَامُ: اشتدت ظلمته. وحَدَّجُوا قَنَافِدَ: رحلوا، أراد أنهم يسهرون بالنميمة والإحتيال في الشر كما يسهرون القنفذ الذي يسير ولا ينام ليله أجمع. وتَمَزَّعُ: تُسْرَعُ.

وقال أبو ذَهَبٍ ^(١) الْجُمَحِيُّ :
 وقد قَطَعَ الواشُونَ ما كان بيننا
 رَأَوْا عَوْرَةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِالْبَهْمِ ^(٢)
 وكانوا أَناساً كُنْتُ آمِنٌ غَيْبَهُمْ
 ونحن إلى أَنْ يُوصَلَ الْحَبْلُ أَحْوَجُ
 فَرَأَوْا عَلَيَّ ما لَا نُحِبُّ وَأَذْلَجُوا
 فلم يَنْهَهُمْ حِلْمٌ ولم يَتَحَرَّجُوا

وقال بَشَّارٌ :
 تَشْتَهِي قُرْبَكَ الرَّبَابُ وَتَخْشَى
 أَنتِ مِنْ قَلْبِهَا مَحَلُّ شَرَابٍ
 عَيْنَ واشٍ وَتَتَّقِي أَسْمَاعَهُ
 تَشْتَهِي شُرْبَهُ وَتَخْشَى صُدَاعَهُ

وقال أبو نُؤَاسٍ :
 كُنْتُ مِنَ الْحَبِّ فِي ذُرَى نَيْقٍ
 حَتَّى ثَنَانِي عَنْهُ تَخَلَّقُوا
 جُبْتُ قَفَا ما نَمْتُهُ مُعْتَذِراً
 كَقَوْلِ كَسْرَى فِيمَا تَمَثَّلَهُ
 أَرُودُ مِنْهُ مَرَادٌ مَوْمُوقٍ ^(٣)
 شِ كَذْبَةٍ لَفَّهَا بِتَزْوِيْقٍ
 مِنْهُ وَقَدْ فُزْتُ بَعْدَ تَخْرِيقٍ
 مِنْ فُرْصِ اللَّصِّ ضَجَّةِ السُّوقِ

وقرأت في كتاب للهند: قَلَمًا يُمنَعُ القلبُ من القول إذا تَرَدَّدَ عليه، فإن
 الماء أَلْيَنُ من القول والحجر أَصْلَبُ من القلب، وإذا أَنحَدَرَ عليه وطال ذلك
 أثر فيه، وقد تُقَطَّعُ الشجرة بالفؤوس فَتَنْبُتُ وَيُقَطَّعُ اللَّحْمُ بالسيف فيندملُ
 وَاللِّسَانُ لا يندملُ جُرْحُهُ، والنُّصُولُ تَغِيْبُ في الجوف فتُنزَعُ والقول إذا وصل
 إلى القلب لم يُنزَعْ، ولكل حريقٍ مُطْفِئٌ: للنار الماء، وللسمِّ الدواءُ،
 وللحزن الصبرُ، وللعشق الفُرقةُ، ونارُ الْحَقْدِ لا تَحْبُو.

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٥ من ص ٢٧٨.

(٢) بِالْبَهْمِ: بجمعهم.

(٣) النَّيْقُ: المرتفع. وَأَرَدَهُ: أطلب؛ من راده يَرُودُهُ رُودًا.

وقال طَرْفَةُ بن العبد:

[كامل]

وَتَصُدُّ عَنْكَ مَخِيلَةُ الرَّجُلِ الْـ جَرِيضٌ^(١) مُوضِحَةٌ عَنِ الْعَظَمِ
بِحُسَامٍ سَيْفِكَ أَوْ لِسَانِكَ وَالـ كَلِمُ الْأَصِيلِ كَأَوْسَعِ الْكَلَمِ^(٢)

ونحوه قوله:

[بسيط]

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا يَنْفُذُ الْإِبْرُ

وقال عمرو القيس:

[متقارب]

وَجَرَحُ اللَّسَانِ كَجَرَحِ الْيَدِ

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوّة؛ فقال لأصحابه: إذا شئتم
تَنَحَّوْا؛ فلما تَهَيَّأَ الرَّجُلُ لِلْكَلامِ قال له: إياكَ وَأَنْ تَمْدَحَنِي فَإِنِّي أَعَرَفْتُ بِنَفْسِي
مَتَكَ، أَوْ تَكْذِيبِي فَإِنَّهُ لَا رَأْيَ لِكَذُوبٍ، أَوْ تَسْعَى بِأَحَدٍ إِلَيَّ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ
أُقِيلَكَ أَقْلُتَكَ؛ قال: أَقْلِنِي.

وقال ذو الرياستين: قبول السَّعَايَةِ شَرٌّ مِنَ السَّعَايَةِ، لأن السَّعَايَةَ دِلَالَةٌ
وَالْقَبُولُ إِجَازَةٌ، وليس مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ كَمَنْ قَبَلَ وَأَجَازَ، فَأَمَقَّتِ السَّاعِي
عَلَى سَعَايَتِهِ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لِلْوَمِّ فِي هَتِكِ الْعَوْرَةِ وَإِضَاعَةِ الْحَرَمَةِ، وَعَاقِبُهُ إِنْ
كَانَ كَاذِبًا لَجَمْعِهِ بَيْنَ هَتِكِ الْعَوْرَةِ وَإِضَاعَةِ الْحَرَمَةِ مُبَارَزَةً لِلَّهِ بِقَوْلِ الْبَهْتَانِ
وَالزُّورِ.

وقال بعضُ الْمُحَدِّثِينَ لعبد الصمد^(٣) بن المَعْدِل:

[طويل]

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمَبْلَغُ

(١) الْجَرِيضُ: الرَّجُلُ الَّذِي يَتَعَرَّضُ النَّاسُ بِالشَّرِّ.

(٢) هَذَانِ الْبَيْتَانِ وَرَدَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ١٧٩.

(٣) عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدِلِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ وَهَجَاءُ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَلِدَ وَنَشَأَ فِي
الْبَصْرَةِ وَتَوَفَّى نَحْوَ ٢٤٠ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٤ ص ١١.

وقال رجلٌ للوليد بن عبد الملك: إِنَّ فلاناً شَتَمَكَ؛ فأكَبَّ ثم قال: أَرَاهُ شَتَمَكَ. وأتى رجلٌ أبَنَ عمرَ فقال له: إِنَّ فلاناً شَتَمَكَ؛ فقال له: إِنِّي وأخي عاصِمًا لا نُسَابُ أحداً.

عَوَانَةُ قال: كان بين حاتم طيء وبين أَوْس^(١) بن حارثةَ الطُفْ ما يكون بين اثنين؛ فقال النعمانُ بنُ أَلْمَنْذَرِ لجلسائه: والله لأُفْسِدَنَّ ما بينهما؛ قالوا: لا تَقْدِرُ على ذلك؛ قال: بلى، فقلَّما جَرَتِ الرجالُ في شيء إلا بَلَّغْتُهُ؛ فدخل عليه أَوْسُ؛ فقال: يا أَوْسُ، ما الذي يقولُ حاتمٌ؟ قال: وما يقولُ؟ قال: يقولُ إنه أَفْضَلُ منك وأشرفُ؛ قال: أَيَبْتَ اللِّعَنَ، صَدَقَ! واللَّهِ لو كنتُ أنا وأهلي وولدي لحاتمٍ لَأَنْهَبْنَا في مجلسٍ واحدٍ، ثم خرج وهو يقولُ^(٢):

[طويل]

يقولُ لي النعمانُ لا مِنْ نصيحةٍ أرى حاتمًا في قوله مُتَطَاوِلًا
له فَوْقًا باعٌ كما قال حاتمٌ وما النُّصْحُ فيما بيننا كان حَاوِلًا
ثم دخل عليه حاتم فقال له مثلَ مقالته لأَوْسٍ؛ قال: صَدَقَ، أين عسى
أن أَقَعَ مِنْ أَوْسٍ! له عشرةٌ ذكورٍ أَحْسَهُمْ أَفْضَلُ مِنِّي، ثم خرج وهو
يقولُ:

[طويل]

يُسَائِلُنِي النعمانُ كَيْ يَسْتَرْلِنِي وَهِيَهَاتُ لِي أَنْ أُسْتَضَامَ فَأُضْرَعَا
كَفَانِي نَقْصًا أَنْ أَضِيْمَ عَشِيرَتِي بِقَوْلٍ أَرَى فِي غَيْرِهِ مُتَوَسَّعَا
فقال النعمانُ: ما سَمِعْتُ بأكرمَ من هَذَيْنِ الرجلين.

ذكر يعقوبُ بن داود أيامَ كان مع أَلْمَهْدِيِّ أَنه وافاه في يومٍ واحدٍ ثمانون

(١) أَوْسُ بن حارثة من الأزد وَجَدُ قَبيلة الأوس، جاهلي. الأعلام ج ٢ ص ٣١.

(٢) هو الشاعر أَوْسُ بن حارثة الذي مرَّ ذكره آنفًا ومرت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٢٣ من

هذا الجزء.

رُقْعَةً كُلُّهَا سَعَايَةً، مِنْهَا سِتُونَ لِأَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَعَشْرُونَ لِسَائِرِ الْبِلَادِ.

وَشَى وَاشٍ بِرَجُلٍ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ؛ فَقَالَ لَهُ: أَتَجِبُ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ مَا قُلْتَ فِيهِ عَلَى أَنْ نَقْبَلَ مِنْهُ مَا قَالَ فِيكَ؟ قَالَ: لَا؛ قَالَ: فَكُفَّ عَنِ الشَّرِّ يَكُفُّ عَنْكَ الشَّرُّ.

كُتِبَ بَعْضُ إِحْوَانِنَا مِنَ الْكُتَّابِ إِلَى عَامِلٍ وَكَانَ سُعْيِي بِهِ إِلَيْهِ: لَسْتُ أَنْفُكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ إِحْدَى أَرْبَعٍ: إِمَّا كُنْتُ مُحْسِنًا وَإِنَّكَ لَكَذَلِكَ فَارْبُبُ، أَوْ مُسِيئًا وَلَسْتُ بِهِ فَاتَّبِقْ، أَوْ أَكُونُ ذَا ذَنْبٍ وَلَمْ أَتَعَمَّدْ فَتَعَمَّدْ، أَوْ مَقْرُوفًا وَقَدْ تَلَحَّقَ بِهِ حِيلُ الْأَشْرَارِ فَتَثَبَّتْ ﴿وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مُهِنٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ﴾^(١).

باب الكذب والَقَحَّةُ^(٢)

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ عَنِ الزُّبَيْرِ قَانَ عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: الْحَرْبِ فَإِنَّهَا خِدْعَةٌ وَالرَّجُلِ يُصْلِحُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالرَّجُلِ يُرْضِي أَمْرَاتِهِ».

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا بَرَبْرُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سَفِيَانُ بْنُ حُسَيْنٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمْ يَكْذِبْ مَنْ قَالَ خَيْرًا وَأَصْلَحَ بَيْنَ اثْنَيْنِ».

(١) سورة القلم ٦٨، الأيتان ١٠ و ١١. والمعنى: لا تُطْعِ كَثِيرَ الْحَلْفِ بِلَا ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَشْعُرُ مِنْ أَعْمَاقِهِ بِاتِّهَامِ النَّاسِ لَهُ وَأَرْتِيَابِهِمْ بِأَقْوَالِهِ. وَالْهَمَّازُ: كَثِيرُ الطَّعْنِ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ. وَمَشَاءُ بَنِيمٍ: الَّذِي يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ لِيُفْسِدَ مَا بَيْنَ الْإِخْوَانِ وَالْجِيرَانِ مِنْ صَلَاتٍ. التفسير المبين.

(٢) الْقَحَّةُ: قَلَّةُ الْحَيَاءِ؛ مِنْ وَقَعَ يُوقِعُ وَقُوحَةً وَقِحَةً.

قال: حَدَّثَنِي عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ عِمْرَانَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ: إِذَا سَرَّكَ أَنْ تُكَذِّبَ صَاحِبَكَ فَلَقِّنْهُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «أَيُّكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَفَيَكُونُ بَخِيلًا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: أَفَيَكُونُ كَذَّابًا؟ قَالَ: لَا. قَالَ: حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: عَاتَبَ إِنْسَانٌ كَذَّابًا عَلَى الْكَذِبِ؛ فَقَالَ: يَا أَبْنَ أَخِي، لَوْ تَغَرَّعْتَ^(١) بِهِ مَا صَبَّرْتَ عَنْهُ. قَالَ: وَقِيلَ لِكَذُوبٍ: أَصَدَقْتَ قَطُّ؟ قَالَ: أَكْرَهَ أَنْ أَقُولَ لَا فَأَصْدُقُ. وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: الْحَدِيثُ حَدَّثَانِ: حَدَّثَ مِنْ فَيْكَ وَحَدَّثَ مِنْ فَرْجِكَ. وَقَالَ مَدِينِي: مَنْ ثَقُلَ عَلَى صَدِيقِهِ خَفَّ عَلَى عَدُوِّهِ، وَمَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [سريع]

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مَقَالَةُ السَّوِّءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنَحْدِرِ سَائِلِ

بلغني عن وكيع عن أبيه عن منصور قال: قال مجاهد: كل ما أصاب الصائم شؤي^(٢) ما خلا الغيبة والكذب. وقال سليمان بن سعد: لو صحبني رجل فقال: اشترط خصلة واحدة لا يزيد عليها، لقلت لا تكذبني. كان أبو عباس يقول: الكذب فُجور، والنميمة سحر، فمن كذب فقد فجر، ومن نم فقد سحر. وكان يقال: أَسْرَعُ الاستماع وأبطىء التحقيق. قال الأحنف: ما

(١) تَغَرَّعَتْ بِهِ: رَدَّدَتْهُ فِي حَلْقِكَ.

(٢) الشَّوَى: الشَّيْءُ الْيَسِيرُ الْهَيِّنُ. وَأَصْلُ الشَّوَى: الْأَطْرَافُ؛ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ أَصَابَهُ الصَّائِمَ هَيِّنٌ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَطْرَافِ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ بِمَقَاتِلٍ، مَا عدا الْغَيْبَةَ وَالْكَذِبَ فَإِنَّهُمَا فِي تَأْثِيرِهِمَا عَلَى الصَّوْمِ بِمَنْزِلَةِ الْمَقَاتِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ. وَفِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ ﴿تَزَاغَةُ لِلشَّوَى﴾ رَقْمُ ٧٠ آيَةُ ١٦. وَالْمَعْنَى: تَنْتَزِعُ الْأَعْضَاءُ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَتَشْوِيهَا، ثُمَّ إِلَى الْحَيَاةِ كَمَا كَانَتْ، وَهَكَذَا دَوَالِبُكَ، التفسير المبين.

خَانَ شَرِيفٌ وَلَا كَذَبَ عَاقِلٌ وَلَا أَغْتَابَ مُؤْمِنٌ. وَكَانُوا يَحْلِفُونَ فَيَحْتَشُونَ^(١)
 وَيَقُولُونَ فَلَا يَكْذِبُونَ. ذَمَّ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ: اجْتَمَعَ فِيهِ ثَلَاثَةٌ: طَبِيعَةُ الْعَقَقِ^(٢)
 يَعْنِي السَّرْقَ، وَرَوَّغَانُ الثَّعْلَبِ يَعْنِي الْخَبَّ، وَلَمَعَانُ الْبَرْقِ يَعْنِي الْكَذِبَ.
 وَيُقَالُ الْأَذْلَاءُ أَرْبَعَةٌ: النَّمَامُ وَالْكَذَّابُ وَالْمَدِينُ وَالْفَقِيرُ. قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَا
 تَهَاوَنَنَّ بِإِرْسَالِ الْكِذْبَةِ فِي الْهَزْلِ فَإِنَّهَا تُسْرِعُ فِي إِطَالِ الْحَقِّ. وَقَالَ الْأَحْنَفُ:
 اثْنَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا: الْكَذِبُ وَالْمَرْوَةُ. وَقَالُوا: مِنْ شَرَفِ الصَّدَقِ أَنَّ
 صَاحِبَهُ يُصَدِّقُ عَلَى عَدُوِّهِ. وَقَالَ الْأَحْنَفُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، اتَّخِذِ الْكَذِبَ كَنْزًا؛
 أَيَّ لَا تُخْرِجْهُ. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ كَانَ يُسَهِّبُ فِي حَدِيثِهِ: أَمَّا لِحَدِيثِكَ هَذَا آخِرُ؟
 فَقَالَ: إِذَا أَنْقَطَعَ وَصْلَتُهُ. وَقَالَ ابْنُ عَمْرٍو: زَعَمُوا زَامِلَةً^(٣) الْكَذِبِ. كَانَ يَقَالُ:
 عِلَّةُ الْكَذُوبِ أَقْبَحُ عِلَّةٍ، وَزَلَّةُ الْمَتَوَقَّيْ أَشَدُّ زَلَّةً. كَانَ الْمَهْلَبُ كَذَّابًا وَكَانَ يَقَالُ
 لَهُ: رَاحَ يَكْذِبُ. وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ^(٤)

[وَأَفْرَ]

تَبَدَّلَتِ الْمَنَابِرُ مِنْ قُرَيْشٍ مَزُونِيًّا بِفَقَحَتِهِ^(٥) الصَّلِيبُ
 فَاصْبَحَ قَافِلًا كَرَمٌ وَجُودٌ^(٦) وَأَصْبَحَ قَادِمًا كَذِبٌ وَحُوبٌ
 قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَنِيفَةَ: مَا كَذَبْتَ كِذْبَةً قَطُّ؟ قَالَ: أَمَّا هَذِهِ فَوَاحِدَةٌ يُشْهَدُ

(١) خَيَّنَ الرَّجُلُ: مَالَ مِنْ بَاطِلٍ إِلَى حَقٍّ، وَعَكْسَهُ.

(٢) الْعَقَقُ: طَائِرٌ عَلَى قَدَرِ الْحَمَامَةِ وَهُوَ عَلَى شَكْلِ الْغُرَابِ وَيُقَالُ لَهُ: الْقَعْقَعُ، وَالْعَرَبُ تَشَاءَمُ بِهِ وَتَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي السَّرْقَةِ وَالْخِيَانَةِ وَالْخَبْثِ.

(٣) الزَامِلَةُ: الدَّابَّةُ الَّتِي يُحْمَلُ عَلَيْهَا، يُرِيدُ أَنْ لَفْظَ «زَعَمُوا» مَطْبِئَةُ الْكَذِبِ وَمَرَكِبُهُ.

(٤) هُوَ الْبَعِيثُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةَ بْنِ وَدٍّ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُرَّةَ الشُّكْرِيِّ؛ قَالَ هَذَا الشَّعْرُ يَهْجُو الْمَهْلَبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ لَمَّا قَدَّمَ خُرَاسَانَ كَمَا مَرَّ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ (مَزْن) مُورَدًا بَيْتًا ثَلَاثًا هُوَ:

فَلَا تَعْجَبْ! لِكُلِّ زَمَانٍ سَوْءٌ رِجَالٌ، وَالنِّبَوَائِبُ قَدْ تَنُوبُ

(٥) الْمَزُونِيُّ هُوَ الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ نَسَبُهُ إِلَى الْمَزُونِ، وَهِيَ أَرْضُ عُمانَ. وَالْفَقْحَةُ: حَلَقَةٌ الدُّبُرِ أَوْ الْوَاسِعَةُ مِنْهَا لِانْفِتَاحِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ.

(٦) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «وَمَجْدٌ» بَدَلُ «وَجُودٌ».

بها عليك. قال ميمون بن ميمون: مَنْ عُرِفَ بالصدق جاز كذبه، وَمَنْ عُرِفَ بالكذب لم يَجْزِ صدقه. قال أبو حَيَّةَ التَّمِيرِي - وكان كَذَاباً -: عَنْ لِي ظَبْيٍ فَرَمَيْتُهُ فَرَاغَ عَنْ سَهْمِي فَعَارِضُهُ وَاللَّهِ السَّهْمُ، فَرَاغَ فَرَاوَعَهُ السَّهْمُ حَتَّى صَرَعَهُ بِيَعُضِ الْخَبَارَاتِ^(١). وقال أيضاً: رَمِيتُ ظَبِيَةً فَلَمَّا نَفَذَ السَّهْمُ ذَكَرْتُ بِالظَّبِيَةِ حَبِيَّةً لِي فَشَدَدْتُ وَرَاءَ السَّهْمِ حَتَّى قَبِضْتُ عَلَى قُدْذِهِ^(٢). وَصَفَ أَعْرَابِيَّ امْرَأَةً فَقِيلَ: مَا بَلَغَ مِنْ شِدَّةِ حُبِّكَ لَهَا؟ قَالَ: إِنِّي لَا ذُكْرَهَا وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا عَقَبَةُ الطَّائِفِ فَأَجِدُ مِنْ ذِكْرِهَا رِيحَ الْمَسْكِ.

أنشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك: [وافر]

ثَلَاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهِنَّ خَمْسٌ وَسَادَسَةٌ تَمِيلُ إِلَى شِمَامٍ^(٣)
فَبَيْنَ بَجَانِبِي مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُ أَفْضُ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ
كَأَنَّ مَقَالِقَ الرِّمَانِ فِيهَا^(٤) وَجَمْرُ غَضَا قَعْدَنَ عَلَيْهِ حَامِي^(٥)

فقال له سليمان: ويحك يا فرزدق، أحللتَ بنفسك العقوبة، أقررتَ عندي بالزنا وأنا إمامٌ ولا بدَّ لي من أن أحذَكَ؛ فقال الفرزدق: بأيَّ شيء أوجبتَ عليَّ ذلك؟ قال: بكتاب الله؛ قال: فإن كتاب الله هو الذي يذُرُّ عني الحدَّ؛ قال: وأين؟ قال: في قوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾^(٦) فأنا قلتُ: يا أمير المؤمنين،

(١) الْخَبَارَاتُ: جَ خَبَارَةٌ وَهِيَ مَا لَانَ وَاسْتَرَخِيَ مِنَ الْأَرْضِ وَسَاخَتْ فِيهَا الْقَوَائِمُ، وَفِي الْمَثَلِ: «مَنْ تَجَنَّبَ الْخَبَارَ أَمِنَ الْعَثَارَ».

(٢) الْقُدْذُ: جَ قُدَّةٌ وَهِيَ رِيشُ السَّهْمِ.

(٣) الشِّمَامُ: الْقَبْلُ وَالرُّشْفُ.

(٤) فِي الْأَصْلِ: «فِيهَا».

(٥) سَتَذَكَّرُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ص ١٠٧.

(٦) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ ٢٦، الْآيَاتُ ٢٢٥ وَ ٢٢٥ وَ ٢٢٦. وَمَعْنَى الْآيَةِ الْأُولَى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمْ =

ما لم أفعل؛ وقول الشاعر:

[رجز]

وإنما الشاعرُ مجنونٌ كَلِبٌ أكثرُ ما يأتي على فيه الكذبُ

وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

حَسْبُ الكذوبِ مِنَ البَلِيِّ حِيَّةٌ بعضُ ما يُحْكِي عليه
مهما سَمِعْتَ بِكَذْبَةٍ مِنْ غيرِهِ نُسِبَتْ إليه

وقال بشار:

[كامل]

وَرَضِيتُ مِنْ طُولِ العَنَاءِ بِيَأْسِهِ واليَأْسُ أَيْسَرُ مِنْ عِدَاتِ^(١) الكاذِبِ

والعرب تقول: «أَكْذَبُ مِنْ سَالَتِهِ^(٢)» وهي تكذب مخافة العين على سَمْنِهَا. و«أَكْذَبُ مِنْ مُجَرَّبٍ» لأنه يخاف أن يُطَلَّبَ مِنْ هِنَائِهِ^(٣). و«أَكْذَبُ مِنْ يَلْمَعٍ» وهو السراب. منصور ابن سَلَمَةَ الحَزْزَاعِيّ قال: حَدَّثَنَا شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ أَبُو مَعْمَرٍ الخطيب قال: سمعت ابن سيرين يقول: الكلامُ أَوْسَعُ مِنْ أن يكذبَ ظريفٌ. وقال في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾^(٤) لم يَنْسَ ولكنها من

= الغاؤون: قال المشركون عن محمد ﷺ من جملة ما قالوا: إنه شاعرٌ، فردَّ عليهم سبحانه أن الشعراء يتبعهم أهل الجهل والضلال، والذين آمنوا بمحمد وأتبعوه إنما اتبعوه عن علم بصدقه ودليل على نبوته. ومعنى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ أن الشعراء يتخيلون وينظمون كلاماً لا أساس له إلا ما يدور في رؤوسهم. ومعنى الآية الأخيرة: إذا كان الشعراء يقولون ما لا يفعلون فإن محمدًا يقول ما يفعل ولا يقول ما لا يفعل. التفسير المبين.

- (١) العِدَاتُ: ج عِدَّة وهي الوعد؛ مِنْ وَعَدَهُ يَعِدُهُ عِدَّةً.
- (٢) السَالَتَةُ: هي التي تَسْلُو السَّمْنَ أو تطبخه وتعالجه فيذوب رُبْدُهُ. قال الميداني في مجمع الأمثال: وكذبها أنها تقول: قد أرتجن، قد أحترق، والإرتجان إلا يخلص سَمْنُهَا.
- (٣) الهِنَاءُ: القطران.
- (٤) سورة الكهف ١٨، آية ٧٣. والقول في الآية هو لموسى يردُّ فيه على الخضر الذي خرق السفينة بلا مبرر. وتدل هذه الآية بظاهرها أن النسيان في غير التبليغ عن الله جائز على الأنبياء، أما فيه فمحال؛ لأن النبي ﷺ في هذه الحال بالخصوص هو لسان الله وبيانه.

معاريض الكلام. وقال القيني: أَصْدُقُ فِي صِغَارٍ مَا يَضُرُّنِي لِأَصْدَقَ فِي كِبَارٍ مَا يَنْفَعُنِي. وكان يقول: أنا رجل لا أبالي ما آستقبلتُ به الأحرار. نافَرَ رجل من جَرَمٍ رجلاً من الأنصار إلى رجل من قريش، فقال للجَرَمِيِّ: أبا الجاهليّة تُفَاخِرُهُ أَمْ بِالْإِسْلَامِ؟ فقال: بالإسلام؛ فقال: كيف تُفَاخِرُهُ وَهُمْ آوَأَرْسُولَ اللَّهِ وَنَصَرُوهُ حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ؟ قال الجرمي: فكيف تكون قِلَّةُ الْحَيَاءِ. وقال آخر: إِنَّمَا قَوِيْتُ عَلَى خُصُومِي بِأَنِّي لَمْ أَسْتِرْ قَطُّ شَيْءٍ مِنَ الْقَبِيحِ. وذكر أعرابي رجلاً فقال: لَوَدُّكَ وَجْهَهُ بِالْحَجَارَةِ لَرْضَاهَا، وَلَوْ خَلَا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ لَسَرَقَهَا. قيل لرجل من بني أسد: بأي شيء غلبت الناس؟ قال: أَبْهَتْ الْأَحْيَاءَ وَأَسْتَشْهَدُ الْمَوْتَى. وقال طُربِيعُ^(١) الثَّقَفِيُّ يَذِمُّ قَوْمًا: [بسيط]

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفُوهُ وَإِنْ عِلِمُوا شَرًّا أُذِنِعَ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا

وكان يقال: اثنان لا يَتَّفِقَانِ أَبَدًا: القناعة والحسد، واثنان لا يفترقان

أبدًا: الحرص والحيقة، وقال الشاعر: [مجزوء الكامل]

إِنْ يَبْخُلُوا أَوْ يَغْدِرُوا أَوْ يَفْخَرُوا لَا يَحْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرْجَلِينَ^(٢) مَنْ كَانَهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
كَأَبِي بَرَأَقَشَ^(٣) كُلُّ لَوْ نِ لَوْنُهُ يَتَخَيَّلُ

هَجَا أَبُو الْهَوَلِ الْحَمِيرِيُّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ثُمَّ أَتَاهُ رَاغِبًا إِلَيْهِ؛ فَقَالَ لَهُ

(١) طُربِيعُ الثَّقَفِيِّ شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليفه. توفي سنة ١٦٥ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٢٢٦.

(٢) جَزَمَ الشَّاعِرُ: «يغدوا» لأنه بدل من «لا يحفلوا» غدوهم مُرْجَلِينَ هو في معنى أنهم لم يحفلوا. والرجل هو إرسال الشعر.

(٣) أَبُو بَرَأَقَشَ: طائر يتلون ألواناً شبيهة بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألواناً شتى.

الفضل: ويليكَ بأيَّ وجه تلقاني! قال: بالوجه الذي ألقى به ربِّي وذنوبي إليه أكثر؛ فضحك ووصله.

ومن أمثال العرب في الوقاح «رَمَتْنِي بدائِهَا وَأَنَسَلْتُ». وقال الشاعر:

[طويل]

أَكُولُ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا شَتَا صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الشَّاءِ ^(١) وَقَاحٌ

قال رجلٌ لقومٍ يَغْتَابُونَ وَيَكْذِبُونَ: تَوَضَّأُوا فَإِنَّ مَا تَقُولُونَ شَرٌّ مِنَ الْحَدِّثِ. وبلغني عن حمَّاد بن زيد عن هشام عن محمد قال: قُلْتُ لَعَبِيدَةَ: مَا يَوْجِبُ الْوُضُوءَ؟ قال: الْحَدِّثُ وَأَذَى الْمُسْلِمِ. روى الصَّلْتُ بْنُ دِينَارٍ عَنْ عُقْبَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: بعثني أبو موسى الأشعريُّ من البصرة إلى عمر؛ فسألني عن أحوال الناس ثم قال: كَيْفَ يَصْلُحُ أَهْلُ بَلَدٍ جُلُّ أَهْلِهِ هَذَانِ الْحَيَّانِ: بَكْرُ بْنُ وائِلٍ وَبَنُو تَمِيمٍ، كَذَبَ بَكْرٌ وَبَخَلَ تَمِيمٌ. ذكر بعضُ الحكماء أَعَاجِيبَ الْبَحْرِ وَتَزْيِيدَ الْبَحْرِيِّينَ فقال: الْبَحْرُ كَثِيرُ الْعَجَائِبِ، وَأَهْلُهُ أَصْحَابُ تَزْيِيدٍ، فَأَفْسَدُوا بِقَلِيلِ الْكَذِبِ كَثِيرَ الصَّدْقِ، وَأَدْخَلُوا مَا يَكُونُ فِيمَا يَكَادُ لَا يَكُونُ، وجعلوا تصديقَ الناسِ لهم في غريبِ الأحاديثِ سُلْماً إلى ادِّعَاءِ الْمُحَالِ.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيِّ قال: كان يقال: الصَّدْقُ أحياناً مُحَرَّمٌ.

حدَّثني شيخٌ لنا عن أبي معاوية قال: حدَّثنا أبو حنيفة عن معن بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال عبدُ اللهِ بن مسعود: ما كَذَبْتُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَذْبَةً وَاحِدَةً، كُنْتُ أَرْحَلُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الطَّائِفِ فَقُلْتُ: هَذَا يَغْلِبُنِي عَلَى الرَّحَالِ؛ أَيُّ الرَّحَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ؟ فَقُلْتُ: الطَّائِفِيَّةُ

(١) يستعمل الشاء في ذكر المرء بالخير أو ذكره بالشر.

المكيّة، فرَحَّلَ بها؛ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَحَّلَ لَنَا هَذَا» فقالوا: الطائفي؛ فقال: «مُرُوا عَبْدَ اللَّهِ فَلْيُرَحِّلْ لَنَا» فعُدْتُ إِلَى الرَّحَالِ.

باب سوء الخُلُقِ وسوء الجوار والسِّبَابِ والشرِّ

حدَّثني زياد بن يحيى قال: حدَّثنا أبو داود عن صدقة بن موسى عن مالك بن دينار عن عبد الله بن غالب عن أبي سعيد الخُدْرِي قال: قال رسول الله ﷺ: «خَصْلَتَانِ لَا تَجْمَعَانِ فِي مُؤْمِنٍ سُوءُ الْخُلُقِ وَالْبُخْلُ».

قال: وحدَّثني أحمد بن الخليل عن أزهري عن جميل بن إسماعيل بن حكيم عن الفضل بن عيسى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قيل: يا رسول الله ما الشُّؤْمُ؟ قال: «سُوءُ الْخُلُقِ».

قال: وحدَّثني أبو الخطاب قال: حدَّثنا بشر بن المفضل قال: حدَّثنا يونس عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِيءِ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ».

قال: وحدَّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال: حدَّثني شيخ بمى قال: صَحِبَ أَيُّوبَ رَجُلٌ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَأَذَاهُ الرَّجُلُ بِسُوءِ خُلُقِهِ؛ فَقَالَ أَيُّوبُ: إِنِّي لِأَرْحَمُهُ لِسُوءِ خُلُقِهِ.

قال: وحدَّثني عبد الرحمن عن الأصمعيّ قال: قال أبو الأسود: لَوْ أَطْعَمْنَا الْمَسَاكِينَ فِي أَمْوَالِنَا كُنَّا أَسْوَأَ حَالاً مِنْهُمْ. وَأَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ: لَا تُجَاوِدُوا اللَّهَ فَإِنَّهُ أَمَجْدُ وَأَجْوَدُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُوسِّعَ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مُحْتَاجٌ لَفَعَلَ، فَلَا تَجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ فِي التَّوَسُّعِ فَتَهْلِكُوا هُزْلاً. قال: وسمع رجلاً يقول: مَنْ يُعْشَى الْجَائِعَ؟ فقال: عَلِيٌّ بِهِ، فَعِشَاهُ ثُمَّ ذَهَبَ لِيُخْرِجَ؛ فقال: أَيْنَ تَرِيدُ؟ قال: أُرِيدُ أَهْلِي؛ قال: هِيَهَاتَ، عَلِيٌّ أَلَّا تُؤْذِيَ الْمُسْلِمِينَ

الليلة، ووضع في رجله الأدهم حتى أصبح. قال: وأكل أعرابي معه تمرأ فسقطت من يد الأعرابي تمرأ فأخذها وقال: لا أدعها للشيطان؛ فقال أبو الأسود: لا والله ولا لجبريل. نظر ابن^(١) الزبير يوماً إلى رجل وقد ذق في صدور أهل الشام ثلاثة أرماح فقال: اعتزل حربنا فإن بيت المال لا يقوم لهذا، وذكر أبو عبيدة^(٢) أنه كان يأكل في كل سبعة أيام أكله ويقول في خطبته: إنما بطني شبر في شبر وما عسى أن يكفيني. وقال أبو وجزة^(٣) مولى آل

الزبير:

[بسيط]

لو كان بطنك شبراً قد شِيعَتْ وقد أفضلت فضلاً^(٤) كثيراً للمساكين
فإن تُصَبِّكَ من الأيام جائحة^(٥) لا تُبَكِّ^(٦) منك على دُنْيَا ولا دين

وفيه يقول:

[بسيط]

ما زِلْتُ في سورة الأعراف تَدْرُسُهَا حتى فَوَّادُكَ مِثْلُ الحُرِّ في اللَّيْنِ
وفيه يقول:

إنَّ أَمْرًا كُنْتُ مَوْلَاهُ فَضَيَّعَنِي يَرْجُو الفلاحَ لِعِنْدِي حَقٌّ مَغْبُونِ

وفيه يقول آخر:

[طويل]

رَأَيْتُ أبا بَكْرٍ - وَرَبُّكَ غَالِبٌ - على أمره - يَبْغِي الخِلافةَ بِالتَّمَرِ

(١) هو عبد الله بن الزبير، الذي عدّه ابن عبد ربه في العقد (ج ٦ ص ١٧٦) من البخلاء وقال: كانت تكفيه أكلة لأيام.

(٢) أبو عبيدة هو نفسه ابن الزبير.

(٣) أبو وجزة هو يزيد بن عبيد السلمي السعدي، شاعر محدث مقي. سكن المدينة، فأنقطع إلى آل الزبير. توفي سنة ١٣٠ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٨٥.

(٤) في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٧٦): «أُبْقِيَتْ خبراً كثيراً».

(٥) الجائحة: الشدة والمصيبة العظيمة التي تحتاج المال أي تستأصله كله.

(٦) في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٧٦): «لم تُبَكِّ».

هذا حين قال: أكلتُم تمرِي وعصيتُم أمري. وقال بعضُ

الشعراء:

[كامل]
مِنْ دُونِ سَيِّكَ لَوْنٌ لَيْلٍ مُظْلَمٍ وَخَفِيفٌ نَافِجَةٌ وَكَلْبٌ مُوسَدٌ^(١)
وَأَخْوَكٌ مُحْتَمِلٌ عَلَيْكَ ضَغِينَةٌ وَمُسِيفٌ^(٢) قَوْمِكَ لَائِمٌ لَا يَحْمَدُ
وَالضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أَسْوَدَ سَالِخٍ^(٣) لَا بَلَّ أَحْبَهُمَا إِلَيْكَ الْأَسْوَدُ

وَمَذْحُ أَعْرَابِيٍّ سَعِيدٍ^(٤) بَنَ سَلَمٍ فَقَالَ: [طويل]
أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ لَا تَخْشَ ضِلَّةً سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلَادٍ
لَنَا سَيِّدٌ أَرْبَى عَلَى كُلِّ سَيِّدٍ جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِهِ كُلِّ جَوَادٍ^(٥)

فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا، فَقَالَ يَهْجُوهُ: [طويل]
لِكُلِّ أَخِي مَدْحٍ ثَوَابٌ يُعَدُّهُ وَلَيْسَ لِمَذْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ
مَذْحَتْ أَبْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ^(٦)

وَقَالَ فِيهِمُ الْمَمْزُقُ الْحَضْرَمِيُّ^(٧): [وافر]
إِذَا وَلَدَتْ حَلِيلَةٌ بَاهِلِيٍّ غَلَامًا زَيْدٌ فِي عَدَدِ اللَّثَامِ

(١) السَّيِّبُ: العطاء. والنافجة: الريح الشديدة. ومُوسَدٌ: من أوسَدَ الكلب بالصيد: أغراه به.

(٢) المُسِيفُ: مَنْ هَلَكَ مَالُهُ فَافْتَقَرَ.

(٣) الأسود السالخ: الأفعى، وُصِفَ بالسالخ لأنَّ جلده ينسلخ كل عام.

(٤) هو سعيد بن سلم بن قتيبة.

(٥) يريد القول: حتَّى التراب في وجوه الأجواد وذلك كناية عن تقصيرهم عن الممدوح في العطاء، فهو جوادٌ سابقٌ يثير الغبار في وجوه الخيل اللاحقة به.

(٦) يقتبس الشاعر عجز هذا البيت من قوله تعالى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾ سورة البقرة ٢، آية ٢٦٤. والمعنى: مثله مثلُ صخر أملس أو حجر أملس.

(٧) المَمْزُقُ الحضرمي، بكسر الزاي، متأخِّرٌ عن مَمْزُقِ العبدِي، بفتح الزاي وقد وردت هذه الأبيات في المُوْتَلَف والمُخْتَلَف ص ١٨٦ وجاء في البيت الثالث: «مساولة الكرام» بدلاً من «مُسَامَاة الكرام».

وَعَرَضُ الْبَاهِلِيِّ وَإِنْ تَوَقَّى عَلَيْهِ مِثْلُ مَبْدِلِ الطَّعَامِ
 وَلَوْ كَانَ الْخَلِيفَةُ بَاهِلِيًّا لَقَصَرَ عَنْ مُسَامَاةِ الْكِرَامِ
 ودخل قدامة بن جعدة على قتيبة بن مسلم فقال: أصلح الله الأمير،
 بالباب الأمام العرب؛ قال: ومن ذاك؟ قال: سلولي رسول محاريبي إلى باهلي؛
 فضحك قتيبة. وقال آخر [بسيط]

قَوْمٌ إِذَا أَكَلُوا أَخْفَوْا كَلَامَهُمْ وَأَسْتَوْنَقُوا مِنْ رِتَاجٍ^(١) الْبَابِ وَالذَّارِ
 لَا يَقْسُ الْجَارُ مِنْهُمْ فَضْلَ نَارِهِمْ وَلَا تُكْفُ يَدٌ عَنْ حُرْمَةِ الْجَارِ
 وقال عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص: [بسيط]

سُمْتُ الْمَدِيحَ رَجُلًا دُونَ قَدْرِهِمْ صَدُّ قَبِيحٍ وَلَفْظٌ لَيْسَ بِالْحَسَنِ
 فَلَمْ أَفْزَ مِنْهُمْ إِلَّا بِمَا حَمَلْتُ رَجُلُ الْبَعُوضَةِ مِنْ فَخَّارَةِ اللَّبَنِ .
 وقال آخر: [طويل]

الْأَمُّ وَأَعْطَى وَالْبَخِيلُ مُجَاوِرِي إِلَى جَنْبِ بَيْتِي لَا يُلَامُ وَلَا يُعْطَى
 ونحو هذا قولهم: مَنَعَ الْجَمِيعَ أَرْضِي لِلْجَمِيعِ . وقال بشار: [كامل]
 أَعْطَى الْبَخِيلُ فَمَا آتَنَفَعْتُ بِهِ وَكَذَاكَ مَنْ يُعْطِيكَ مِنْ كَدْرِهِ^(٢)

قيل لخالد بن صفوان: مالك لا تُنفق فإنَّ مالكَ عريض؟ قال: الدهرُ
 أعرضُ منه: قيل له: كأنك تأملُ أن تعيش الدهرَ كله؟ قال: ولا أخافُ^(٣) أن
 أموتَ في أوله .

(١) رِتَاجُ الْبَابِ: غَلَقُهُ .

(٢) كَدْرُهُ: مَنْ كَدَّرَ الشَّيْءَ يَكْدُرُ كَدْرًا: نَقِضَ صَفَا .

(٣) جاء خبر خالد بن صفوان في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٩٧) هكذا: «قيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق... كله؟ قال: لا، ولكن أخاف ألا أموت في أوله» .

قال الجاحظ: قلت مرةً للحزامي: قد رُضيتَ بقول الناس: عبدُ الله بخيل؛ قال: لا أعدَمَني الله هذا الاسم؛ قلت: كيف؟ قال: لأنه لا يقال فلانُ بخيلاً إلا وهو ذو مال، فسَلَّم لي المالَ وأدعني بأيَّ اسمٍ شئتُ؛ قلت: ولا يقال سخيٌّ إلا وهو ذو مال، فقد جمعَ هذا الاسمُ المالَ والحمدَ وجمعَ هذا الاسمُ المالَ والذمَّ؛ قال: بينهما فرقٌ؛ قلتُ: هاته: قال: في قولهم بخيلٌ تثبيتٌ لإقامة المال في مِلْكِهِ، وفي قولهم: سخيٌّ إخبارٌ عن خروج المال عن ملكه، وأسمُ البخلِ اسمٌ فيه حزم وذمٌ، وأسمُ السخاءِ اسمٌ فيه تضييعٌ وحمدٌ، والمالِ راهنٌ^(١) نافعٌ ومُكْرِمٌ لأهله مُعَزٌّ، والحمدُ رِيحٌ وسُخْرِيَّةٌ وأستماعُهُ صَعْفٌ وفُسُولَةٌ^(٢)، وما أَقْلٌ، واللَّهُ، غَناءُ الحمدِ عنه إذا جاعَ بطنُهُ وعَرِيَ جِلْدُهُ وضاعَ عِيالُهُ وشِمِتَ عَدُوُّهُ!

وكان محمد بن الجهم يقول: مِنْ شَأْن مَنْ آسَتْغْنَى عَنْكَ أَلَّا يُقِيمَ عَلَيْكَ، وَمَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ أَلَّا يَذْهَبَ عَنْكَ، فَمَنْ ضَنَّ بِصَدِيقِهِ وَأَحَبَّ الْاِسْتِكْثَارَ مِنْهُ وَأَحَبَّ التَّمَتُّعَ بِهِ أَحْتَالَ فِي دَوَامِ رَغْبَتِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَا يَقُوْتُهُ وَيَمْنَعُهُ مَا يُغْنِيهِ عَنْهُ، فَإِنَّ مِنَ الزَّهْدِ فِيهِ أَنْ تُغْنِيَهُ عَنْكَ وَمِنَ الرَّغْبَةِ فِيهِ أَنْ تُحَوِّجَهُ إِلَيْكَ؛ وَإِبْقَاؤُكَ مَعَ الضَّنِّ بِهِ أَكْرَمُ مِنْ إِغْنَائِكَ لَهُ مَعَ الزَّهْدِ فِيهِ؛ وَقِيلَ فِي مِثْلِ: «أَجْعِرْ كَلْبَكَ يَتْبَعَكَ». فَمَنْ أَغْنَى صَدِيقَهُ فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى الْغَدْرِ وَقَطَعَ أَسْبَابَهُ مِنَ الْهَشَكْرِ؛ وَالْمَعِينُ عَلَى الْغَدْرِ شَرِيكُ الْغَادِرِ، كَمَا أَنَّ مُزَيَّنَ الْفُجُورِ شَرِيكُ الْفَاجِرِ. قَالَ: وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ وَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ: يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الثَلَاثُ، وَالثَلَاثُ كَثِيرٌ»؛ وَأَنَا أَزْعُمُ أَنَّ ثَلَاثَ الثَلَاثِ كَثِيرٌ، وَالْمَسَاكِينُ حَقُّهُمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ، إِنْ طَلَبُوا طَلَبَ الرِّجَالِ أَخَذُوهُ، وَإِنْ جَلَسُوا جَلَسَ النِّسَاءُ

(١) راهنٌ نافعٌ: دائمٌ باقٍ.

(٢) الفُسُولَةُ: النَّدَالَةُ وقلة المروءة.

مُنْعُوهُ، فَلَا يُرْغِمُ اللَّهُ إِلَّا أَنْفَهُمْ وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ يَرْحَمُهُمْ.

تقدّم رجلان من قريش إلى سوارٍ أحدهما يُنازعُ مولى له في حدّ أرضٍ أقطعها أبوه مولاه؛ فقال سوار: أتنازع مولاك في حدّ أرضٍ أقطعها أبوك إياه؛ فقال: الشحيحُ أعذرُ من الظالم؛ فرفع سوار يده ثم قال: اللَّهُمَّ ارْدُدْ عَلَى قريش أخطارَها^(١).

وقال الخزرجي^(٢): [خفيف]

إِنَّ جُودَ الْمَكِّيِّ جُودٌ حِجَازِيٌّ سِيٌّ وَجُودُ الْحِجَازِ فِيهِ اقْتِصَادُ
كَيْفَ تَرْجُو النِّوَالَ مِنْ كَفِّ مُعْطٍ قَدْ غَذَّتْهُ الْأَقْرَاصُ وَالْأُمْدَادُ

نظر سليمان بن مراحم إلى درهم فقال: في شِقِّ « لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله » وفي وجه آخر « اللَّهُ لا إله إلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ »، ما ينبغي أن يكون هذا إلا مَعَاذَةً وَقَذْفَةً فِي الصُّنْدُوقِ. أنشدنا عبد الرحمن بن هانئ صاحب الأَخْفَشِ عن الأَخْفَشِ لِلْخَلِيلِ^(٣): [متقارب]

كَفَاهُ لَمْ تُخْلَقَا لِلنَّدَى وَلَمْ يَكْ بُخْلُهُمَا بِذَعَةٍ
فَكَفَّ عَنِ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةً كَمَا نَقَصَتْ مِائَةً^(٤) تِسْعَةً

(١) الأخطار: ج خطر وهو الشرف.

(٢) الخزرجي: هو عمرو بن امرئ القيس، من بني الحارث بن الخزرج، شاعر جاهلي. توفي نحو ٥٠ ق هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٣.

(٣) في لسان العرب مادة (شروع): وأنشد الخليل يذم رجلاً:

كَفَّاكَ لَمْ تُخْلَقَا لِلنَّدَى وَلَمْ يَكْ لَوْثُهُمَا بِذَعَةٍ
فَكَفَّ عَنِ الْخَيْرِ مَقْبُوضَةً كَمَا حُطَّ عَنْ مِائَةٍ سَبْعَةٌ
وَأُخْرَى ثَلَاثَةٌ آلاُفُهَا وَتَسْعُمْنِيهَا لَهَا شِرْعَةٌ
يقال: وهذا شِرْعَةٌ ذَلِكَ أَي مِثَالُهُ.

(٤) قيل: إن لعرب الجاهلية حساباً خاصاً غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع وقد وضعوا كلاً منها بإزاء عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحاداً وعشرات ومئات والوفاً، فيشار

وَكَفُّ ثَلَاثَةِ آلِفِهَا وَتَسْعُمِيَّهَا لَهَا شِرْعَةٌ^(١)

قل أبو عليّ الضرير^(٢): [وافر]

لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا أَقْشَعَرَتْ وَصَوَّحَ نَبْهَهَا رُعي الْهَشِيمُ

وقال آخر: [مقارب]

أَمِنْ خَوْفٍ فَقِرٍ، تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِنْفَاقَ مَا تَجْمَعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ وَهَلْ كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ؟^(٣)

خَوْفٌ رَجُلٌ رَجُلًا جَوَادًا الْفَقْرَ وَأَمْرُهُ بِالْإِبْقَاءِ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ: إِنِّي
أَكْرَهُ أَنْ أَتْرَكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ، لِأَمْرِ لَعْلَهُ لَا يَقَعُ. وقال أبو الشَّمَقْمَقِ^(٤): [وافر]
رَأَيْتُ الْخَبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخَبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ

= عن الواحد مثلاً بقبض الخنصر وعن الاثنين بقبض البصير (الإصبع بين الوسطى والخنصر، والخنصر الإصبع الصغرى) وهكذا، فالعدد الذي أراده الشاعر وهو ثلاثة وتسعون تقضي قواعدهم في هذا الحساب بأن تقبض الخنصر والبصير والوسطى من اليد اليمنى لتدل على عدد ثلاثة وتجعل السبابة (الإصبع التي تلي الإبهام) حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعين، وهذا يوافق ما ذكره ابن منظور في روايته فترجَّح روايته على رواية ابن قتيبة. انظر بلوغ الأدب في أحوال العرب (ج ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٨).

(١) تقضي قواعدهم العرب في عدِّ الآلاف بأن تقبض من اليد اليسرى الخنصر والبصير والوسطى دلالة على عدد ثلاثة آلاف وتجعل سبابة اليسرى حلقة غير مجوفة لتدل على عدد تسعمائة. المرجع السابق ص ٣٩٩.

(٢) أبو علي الضرير هو الفضل بن جعفر بن يونس، ورغم كونه ضريباً فقد لُقِّبَ بالبصير لذكائه، كان يتشيع. توفي سنة ٢٥١ هـ. قال هذين البيتين في المَعَلَّى بن أيوب انظر معجم الشعراء ص ٣١٤.

(٣) ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٢٧).

(٤) ورد في كتاب البخلاء للجاحظ (ص ٧٢ - ٧٣) ما نصه: قال الشَّمَقْمَقُ هذين البيتين يعيب بهما طعام جعفر بن أبي زهير، وكان له ضيفان في ضيافة جعفر. كما تقدمت ترجمة الشَّمَقْمَق في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ٢٤٥.

وما رَوْحَتَنَا لِتَدْبُ عَنَا ولكن خِفَتْ مَزْرِيَّةَ الذُّبَابِ^(١)

وقال دِغِيلُ:

[بسيط]

صَدَّقَ أَلَيْتَهُ إِذْ قَالَ مُجْتَهِداً لا والرغيف، فذاك البرُّ مِنْ قَسَمِهِ!
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ على جَرَادِيهِ^(٢) كَانَتْ عَلَى حَرَمِهِ
فَإِنْ هَمَمْتُ بِهِ فَأَفْتِكَ بِخُبْرَتِهِ فَإِنَّ مَوْقِعَهُمَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ^(٣)

وقال الشاعر:

[مجزوء الكامل]

أَرْفُقْ بِحَفْصٍ حِينَ تَأُ كُلُّ يَا مُعَاوِيَ مِنْ طَعَامِهِ
الْمَوْتُ أَيْسَرُ عِنْدَهُ مِنْ مَضْغٍ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزِيدِ لِرِّ بِهِ يُرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
سَيِّئَانَ كَسْرُ رَغِيفِهِ أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
لَا تَكْسِرَنَّ رَغِيفَهُ إِنْ كُنْتَ تَرَعُبُ فِي كَلَامِهِ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ فَاحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غُلَامِهِ

وقال أبو نُوَاسٍ^(٤):

[مجزوء الرمل]

خُبِرْتُ إِسْمَاعِيلَ كَالْوَشْدِ حِي إِذَا مَا أَنْشَقَّ يُرْفَا^(٥)

(١) هذان البيتان سيذكران في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٧.

(٢) الجرادق: ج جَرَذَقْ أو جَرَذَقْ، وهو الرغيف، فارسي معرَّب «كرده».

(٣) ستذكر هذه الأبيات في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٦. كما وردت في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٩٠) دون أن يذكر اسم قائلها. ولكنها وردت لأبي تمام في ديوانه (ج ٤ ص ٤٢٤) تحت عنوان: «وقال يهجو عيَّاشاً» اختلاف يسير في بعض الكلمات.

(٤) قال أبو نواس هذا الشعر في إسماعيل بن لوبخت بعد أن نصب إسماعيل في صحن داره طارمةً (بيت كالقبة من خشب، فارسي معرَّب) وأصطحب فيها أربعين يوماً ومعه جماعة منهم أبو نواس. وكانت بلغت نفقة إسماعيل آنذاك أربعين ألف درهم. وسوف ترد هذه الأبيات في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤٨.

(٥) يُرْفَا: أصلها «يرفأ» وقد حذفت الهمزة الأصلية للضرورة الشعرية.

عجباً من أثر الصنع عة فيه! كيف يخفى؟
 إن رفاءك هذا أحذق الأمة كفاً
 فإذا قابل بالنص ف من الجردق^(١) نصفاً
 أحكم الصنعة حتى لا ترى موضع^(٢) إشفى
 مثل ما جاء من التدد نور ما غادر حرفاً
 وله في المباء أيضاً عمل أبعد ظرفاً
 مزجه العذب بماء آل بئر كي يزداد ضعفاً
 فهو لا يشرب^(٣) منه مثل ما يشرب صرفاً

باب الحمق

قال الشعبي لرجل أستجهله: ما أحوجك إلى مُحَدَّرَجٍ شديدِ القتلِ جيِّدِ الجِلَازِ عظيمِ الثمرةِ لَدُنِ المَهْزَةِ يأخذُ منك فيما بين عَجَبِ الذَّنْبِ^(٤) ومَغْرِزِ العُنُقِ فتكثر له رَقَصَاتُكَ مِنْ غيرِ جَدَلٍ؛ فقال: وما هذا؟ فقال: بعضُ الأمرِ.

قال: حدَّثني القُومِسيُّ عن محمد بن الصَّلْتِ الأَسَدِيِّ عن أحمد بن بَشِيرٍ عن الأعمش عن سَلَمَةَ بن كَهَيْلٍ عن عَطَاءٍ عن جابر قال: كان في بني إسرائيل رجل له حمارٌ، فقال يا ربِّ، لو كان لك حمارٌ لَعَلَّفْتُهُ مع حماري هذا؛ فهم به نبيٌّ، فأوحى الله إليه: إنما أُثِيبُ كُلَّ إنسانٍ على قَدْرِ عقله.

(١) الجَرْدَقُ: الرغيف، معرَّب.

(٢) الإِشْفَى: المثقب. وفي ديوان أبي نواس (ص ٥١٦): «مَغْرَزٌ إشفى».

(٣) في ديوان أبي نواس: (ص ٥١٦): «لا يسقيك».

(٤) المُحَدَّرَجُ: السُّوط. والجِلَازُ: جودة القتل. وثمرة السُّوط: عقد أطرافه. وَلَدُنِ المَهْزَةِ: لَدُنِ المَهْزَةِ. وَعَجَبُ الذَّنْبِ: العظم الذي في أسفلِ الطَّب عند المعجز.

حدَّثني محمد بن خالد بن خِداش عن أبيه عن حماد بن زيد عن هشام ابن حسان عن محمد بن سيرين أن رجلاً رأى في المنام أن له غنماً وكأنه يُعطى بها ثمانية ثمانية، ففتح عينه فلم ير شيئاً، فغمض عينه ومد يده وقال: هاتوا أربعة أربعة.

مرَّ رجل من العباد وعلى عنقه عصا في طرفيها زَبِيلَان^(١) قد كادا يُحطِمَانِه، في أحدهما بُرٌّ وفي الآخر ترابٌ، فقيل له: ما هذا؟ قال: عدلتُ البرَّ بهذا التراب، لأنه كان قد أَمَأَلَنِي في أحد جانبي فأخذ رجلُ زَبِيلِ التراب قَلْبَه وجعل البرَّ نصفين في الزبيلين وقال له: احمِلِ الآن؛ فحملة، فلما رآه خفيفاً قال: ما أعقلَكَ مِن شيخ! حَفَرَ أعرابيُّ لقوم قَبْراً في أيامِ الطاعون بدرهمين، فلما أَعْطَوْه الدرهمين قال: بِأبي دَعَوْهُمَا عندكم حتى يجتمع لي ثمنُ ثوب. كانت أُمُّ عمرو بنت جُنْدَب بن عمرو بن جُمعة السَّدُوسِيَّ عند عثمان بن عفان، وكانت حمقاء تجعلُ الخُنْفَسَاءَ في فيها ثم تقول: حَاجَتُكَ ما في فيمي؟ وهي أُمُّ عمرو وأبان أبني عثمان.

إبراهيم بن المنذر قال: حدَّثنا زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جدّه قال: رأيتُ طارقاً وهو والٍ لبعض الخلفاء من بني أمية على المدينة يدعو بالغداء فيتغذى على منبر رسول الله ﷺ، ويكون فيه العظم المُمِخُّ فينكته على رُمَانَةِ المنبر فيأكله.

قال أم غَزَوَانُ الرَّقَاشِيَّ لابنها - ورأته يقرأ في المصحف -: يا غَزَوَانُ،

(١) الزبيلان: مثني زبيل وهو القُفَّة.

أما تجد فيه بعيراً لنا ضلّ في الجاهليّة؟ فما كهرها^(١) وقال: يا أمّة، أجد والله فيه وعداً حسناً ووعيداً شديداً.

سفيان بن عُيينة عن أيوب بن موسى قال: قال ابن أبي عتيق لرجل: ما أسمك؟ قال: وثأب؛ قال: فما كان أسمك كلبك؟ قال: عمرو؛ قال: واخلافاه!

قال أبو الدرداء: علامة الجاهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه. أغمى على رجل من الأزد فصاح النساء وأجتمع الجيران وبعث أخوه إلى غاسل الموتى فجاء فوجده حياً بعد؛ فقال أخوه: اغسله فإنك لا تفرغ من غسله حتى يقضي. وقال أزدشير: بحسبكم دلالة على عيب الجاهل أن كل إنسان ينتفي منه ويغضب إذا نسب إليه. وكان يقال: لا يغرنك من الجاهل قرابة ولا أخوة ولا ألف فإن أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها.

قال عمر بن عبد العزيز: خصلتان لا تعدمانك من الجاهل: كثرة الالتفات وسرعة الجواب. وقال عمر بن الخطاب: إياك ومؤاخاة الأحق فإنه يريد أن ينفك فيضرك. وقال بعضهم: لأن أزاول أحق أحب إلي من أن أزاول نصف أحق، يعني الأحق المتعاقل. وقال هشام بن عبد الملك: يعرف حمق الرجل بأربعة: بطول لحيته، وبشناعة كنيته، ونقش خاتمه، وإفراط شهوته؛ فدخل عليه ذات يوم شيخ طويل العُشُون^(٢)، فقال هشام: أما هذا فقد جاء بواحدة، فأنظروا أين هو من الثلاث؛ فقبل له: ما كنيته؟ فقال:

(١) كهرها: انتهرها.

(٢) العُشُون: اللحية، والجمع عشانين.

أبو الياقوت؛ وقالوا: ما نَقَشُ خَاتِمَكَ؟ قال: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾^(١). وفي حكاية أخرى ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾^(٢)؛ ف قيل له: أَيَّ الطعام تَشْتَهِي؟ فقال: جَلَنْجَبِينَ^(٣)، وفي حكاية أخرى مَصَاصَةٌ^(٤).

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً ينادي رجلاً: يا أبا العَمَرين، فقال: لو كان له عقلُ كفاه أحدهما. وقال أبو العَاج يوماً لجلسائه - وكان يلي واسِطَ - : إِنَّ الطويلَ لا يخلو من أن يكونَ فيه إحدى ثلاث: أن يَفَرِّقَ الكلابَ، أو يكونَ في رجله قُرْحَةً، أو يكونَ أحمقَ، وما زِلْتُ وأنا صغيرٌ في رجلي قُرْحَةً، وما فَرَّقَ الكلابَ أحدٌ فَرَّقِي، وأما الحمقُ فأنتم أعلمُ بواليكُم. ويقال: الأحمقُ أعلمُ بشأنه من العاقلِ بشأن غيره. وقال بشار: [طويل]

خَلِيلِي إِنْ التُّسْسَرُ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنْ يَسَاراً فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أُمُوقُ^(٥)
دَرِينِي أَشْبَ هَمِّي بِرَاحٍ فَلِأَنِّي أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ كُرْبَةٌ وَمَضِيقُ

وقال رجل: فلانٌ إلى مَنْ يُداوي عقلَه أحوَجُ منه إلى مَنْ يُداوي بدنَه.
قيل لبعض الحكماء: متى يكون الأدبُ شراً من عدمه؟ قال: إذا كثر الأدبُ ونقص العقلُ.

(١) سورة يوسف ١٢، آية ١٨. والهاء في «قميصه» تعود إلى يوسف.

(٢) سورة النمل ٢٧، آية ٢٠. والمعنى: هل أخطأ بصري؟

(٣) الجَلَنْجَبِينَ: الورد المرَبَّى بالعسل أو السكر أو معجون يعمل من الورد والعسل، فارسي معرَّب عن «كل» ومعناه ورد «وانكنين» ومعناه عسل.

(٤) لعلها محرَّفة عن مَصُوص بفتح الميم وضم الصاد وهو طعام من لحم يطبخ وينقع في الخل أو يكون من لحم الطير خاصة.

(٥) سيرد هذا الشعر في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٤.

وقرأت في كتاب للهند: مِنَ الْحُمُقِ آتَمَسُ الرجلَ الإخوانَ بغيرِ وفاءٍ،
والأجرَ بالرياءِ، ومودةَ النساءِ بالغِلظةِ، ونفعَ نفسه بضرِّ غيره، والعلمَ والفضلَ
بالدَّعةِ والخَفْضِ. وفيه: ثلاثةٌ يَهْزَأُ بهم: مُدَّعي الحربِ ولقاءِ الزُّحُوفِ وشِدَّةِ
النِّكايةِ في الأعداءِ وَبَدْنُهُ سليمٌ لا أثرَ به، ومُنْتَحِلُ عِلْمِ الدِّينِ والاجتهادِ في
العبادة وهو غليظُ الرقبةِ أَسْمَنُ من الأثمةِ، والمرأةُ الخَلِيَّةُ تَعِيبُ ذاتَ الزوجِ.
وفيه: مَنْ يَعْمَلُ بجهلٍ خمسةٌ: مُسْتَعْمِلُ الرَّمَادِ في جَنَّتِهِ بدلاً من الزُّبُلِ،
ومُظْهِرُ مُسْتَوْرِ عورتهِ، والرجلُ يَتَزَيَّا بِزِيِّ المرأةِ والمرأةُ تَتَزَيَّا بِزِيِّ الرجلِ،
والمتملِّكُ في بيتٍ مُضَيِّفِهِ، والمتكلِّمُ بما لا يَعْنِيهِ ولا يُسألُ عنه. وفيه: الأدبُ
يُذْهِبُ عن العاقلِ السُّكْرَ وَيَزِيدُ الأحمقَ سُكْراً، كما أن النِّهارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي
بَصَرٍ بَصْراً وَيَزِيدُ الخفافيشَ سُوءَ بصرٍ. وكانوا يكرهون أن يَزِيدَ منطقُ الرجلِ
على عقله.

[منسرح]

قال الشاعر في جاهل:

ما لي أرى الناسَ يأخذونَ ويُعِدُّونَ طُوبَى وَيَسْتَمْتِعُونَ بِالنَّشَبِ^(١)
ولأنَّ مثلَ الحمارِ أبهمُ لا تَشْكُو جِراحاتِ السِّنِّ العَرَبِ

سمع الأحنف رجلاً يقول: ما أبالي أُمِدِّحْتُ أم هُجِّيتُ، فقال الأحنف:
إِسْتَرَحْتُ مِنْ حَيْثُ تَعِبَ الكَرَامُ.

كان عامرُ بنُ كُرَيْزٍ أبو عبد الله بن عامرٍ من حَمَقَى قريشٍ، نظرَ إلى ابنه
عبد الله وهو يخطبُ فأقبلَ على رجلٍ إلى جانبهِ وقال: إنه والله خرجَ مِنْ هذا
وأشارَ إلى ذَكَرِهِ^(٢).

(١) النَّشَبُ: المال والعقار.

(٢) الذَّكَرُ: العضو الذي تبول منه الذكور، والجمع ذكور ومذاكير.

ومن حمقى قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل وكان أبو لهب قامره فقمره ماله ثم داره ثم قليله وكثيره وأهله ونفسه فاتخذته عبداً وأسلمه قيئاً، فلما كان يومٌ بَدَرَ بعث به عن نفسه فقتلَ بيدر كافراً، قتله عمر بن الخطاب، وكان خالَ عمر. ومن حمقى قريش الأحوص بن جعفر بن عمرو بن حُرَيْث، قال له يوماً مُجَالِسُوهُ: ما بال وجهك أصفر! أتشتكي شيئاً؟ وأعادوا عليه ذلك، فَرَجَعَ إلى أهله يلومهم ويقول لهم: أنا شاكٍ ولا تُعَلِّمُونِي! أَلْقُوا عَلَيَّ الثيابَ وأبعثوا إليَّ الطبيب. وتَمَارَضَ مرةً فعاده أصحابه وجعل لا يتكلم، فدخل شُرَاعَةٌ بن عبيد الله بن الزُّنْدُبُودَ وكان أُمْلَحَ أهل الكوفة، فعرف أنه مَتمَارَضٌ فقال: يا فلانُ، كنا أمسَ بِالْحِجِرَةِ فأخذنا الخمرَ ثلاثينَ قَيْنَةً بدرهم، والخمرُ يومئذ ثلاثُ قَتَانِي بدرهم، فرفع الأحوصُ رأسه وقال: كذا مني في كذا من أم الكاذب، وأستوى جالساً، فنثر أهله على شُرَاعَةِ السُّكْرِ؛ فقال له شُرَاعَةُ: اجلس لا جَلَسْتَ وهاتِ شَرَابَكَ، فشربا يومَهما.

ومن حمقى قريش بَكَّارُ بن عبد الملك بن مروان، وكان أبوه ينهيه أن يجالسَ خالدَ بن يزيدَ بن معاويةَ لِمَا يَعْرِفُ مِنْ حُمَقِي آبَنِهِ، فجلس يوماً إلى خالد، فقبالَ بَكَّار: أنا والله كما قال الأول:

[بسيط]

مُرَدَّدٌ فِي بَنِي اللَّخْنَاءِ تَرْدِيدًا

وكان له بَازٍ فقال لصاحب الشُّرْطَةِ: أَغْلُقْ أَبْوَابَ الْمَدِينَةِ لئلا يخرج البَازِي.

ومن حمقى قريش معاوية بن مروان أخو عبد الملك بن مروان. بينا هو واقف بباب دمشق ينتظر عبد الملك على باب طَحَّانٍ نظر إلى حمار الطَّحَّانِ بُدَوْرَ الرِّحَا وفي عنقه جُلْجُلٌ، فقال للطحَّان: لِمَ جعلت في عنق الحمار

جُلجلاً؟ فقال: ربما أدركتني سامةٌ أو نَعْسَةٌ فإذا لم أسمع صوتَ الجُلجلِ علمتُ أنه قام فصَحَّتْ به؛ فقال معاويةُ: أرايتَ إن قام وحرَّك رأسه ما عِلْمَكَ أَنَّهُ قائم؟ قال الطحان: وَمَنْ لحماري بمثل عقل الأمير! . وقال معاوية هذا لأبي أمراته؛ مَلَأْنَا أَبْنَتَكَ البارحةَ بالدم؛ فقال: إنها مِن نَسوةِ يَخْبَانُ ذلك لأزواجهن. وقال له أيضاً يوماً آخر: لقد نكحْتُ أَبْنَتَكَ بِعَصَبَةِ ما رَأَتْ مثْلَها قط؛ قال: لو كنت عَيْنِيَّاً ما زَوَّجْنَاكَ.

ومن حمقى قريش سليمانُ بن يزيد بن عبد الملك، قال يوماً لعن الله الوليدَ أخِي فإنه كان فاجراً، والله لقد أَرادني على أن يفعلَ بي؛ فقال له قائل: أَسَكُتَ فوالله لئن كان همُّ لقد فعلَ.

خطبَ سعيدُ بن العاص عائشة بنت عثمان على أخيه، فقالت: هو أحقُّ لا أتزوَّجه أبداً، له بِرَذَوْنانٍ^(١) أشهبانٍ فهو يحتمل مؤونة اثنين وهما عند الناس واحداً. وأخبرني رجل أنه كان له صديق له بِرَذَوْنان في شِيَةِ^(٢) واحدة فكنا لا نظنَّ إلا أنَّ له بِرَذَوْناً واحداً، وغلّمان يُسمَّيانِ جميعاً بفتح، وكان إذا دعا واحداً قال: يا فَتَحَ الكبيرُ، وإذا دعا الآخر قال: يا فَتَحَ الصغيرُ.

قال أبو عبيدة: أرسل ابنُ لِعِجَلٍ^(٣) بن لُجَيْمِ فرساً له في حَلَبَةِ فجاء سابقاً، فقال لأبيه: يا أبتِ، بأي شيء أُسمِّيهِ؟ فقال: إِفْقاً إحدى عينيه وسمَّه الأَعورَ. وقال الشاعر:

رَمَتْنِي بنو عَجَلٍ بداءِ أبيهم وأيُّ عبادِ الله أنوكَ مِنْ عَجَلٍ!

(١) البرَذَوْنُ: الدابة.

(٢) في شِيَةِ واحدة. في لون واحد، والشِيَةُ: بياض في سواد أو سواد في بياض والجمع شِيات.

(٣) في العقد الفريد (ج ٦ ص ١٥٦) جعل ابن عبد ربه عَجَل بن لُجَيْمِ مِنَ التَّوَكِّي، والتَّوَكِّي ج أنوك وهو ذو التَّوَكِّي أي الأحمق.

اليسَ أبوهُم عارَ عَيْنَ جَوادِهِ فَأَضَحَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ فِي الْجَهْلِ^(١)

وَمِنْ عَجَلٍ دُعَاةٌ^(٢) الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْجَهْلِ، فَيَقَالُ: هِيَ دُعَاةُ بِنْتِ مَغْنَجٍ؛ وَيَقَالُ: دُعَاةُ لَقَبُ، وَأَسْمَاهَا مَارِيَّةُ بِنْتُ زَمْعَةَ. قَالَ أَبُو الْيَقْطَانِ: وَمِنْ عَجَلٍ حَيَّانُ بْنُ غَضْبَانَ وَرِثَ نَصْفَ دَارِ أَبِيهِ فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُبِيعَ حِصَّتِي مِنَ الدَّارِ وَأَشْتَرِيَ النِّصْفَ الْبَاقِيَ فَتَصِيرَ كُلُّهَا لِي.

وَمِنَ الْقِبَائِلِ الْمَشْهُورِ فِيهَا الْحُمُقُ الْأَزْدُ. قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي الْمَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ:

[رَجَز]

نَعَمْ أَمِيرُ الرُّفْقَةِ الْمَهْلَبُ أَبْيَضُ وَضَّاحٌ كَتَيْسٍ الْحُلْبُ^(٣)

يَنْقُضُ بِالْقَوْمِ أَنْقَضَاضَ الْكَوْكَبِ

فَلَمَّا أَتَشَدَّ الْمَهْلَبُ قَالَ: حَسْبُكَ رَحِمَكَ اللَّهُ!

[بَسِيط]

وَمِنْ أَشْعَارِهِمْ:

(١). وَرَدَ هَذَا الْبَيْتَانِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٦ ص ١٥٧).

(٢) دُعَاةُ: اسْمُ أَمْرَأَةٍ مِنْ عَجَلٍ تُحَمِّقُ، قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ: هِيَ مَارِيَّةُ بِنْتُ مَغْنَجٍ؛ يُقَالُ: فَلَانُ أَحْمَقُ مِنْ دُعَاةٍ. وَلَهَا قِصَّةٌ تُلَخِّصُ فِي أَنَّهَا وَلَدَتْ فِي «بَلْعُنْبَرٍ» وَذَلِكَ أَنَّهَا خَرَجَتْ وَقَدْ ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ فَظَنَّتْ غَائِطًا، فَلَمَّا جَلَسَتْ لِلْحَدَثِ وَلَدَتْ فَأَتَتْ أُمُّهَا فَقَالَتْ: يَا أُمَّتُ، هَلْ يَفْتَحُ الْجَعْرُ فَاهُ؟ فَفَهِمَتْ عَنْهَا فَقَالَتْ: نَعَمْ وَيَدْعُو أَبَاهُ. وَتَمِيمٌ تَسْمِي بِلَعْنَبِرِ الْجَعْرَاءِ لِذَلِكَ. وَالْجَعْرَاءُ: الْأَسْتُ. وَلِذَلِكَ ضَرَبَ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْجَهْلِ فَيَقَالُ: «أَحْمَقُ مِنْ دُعَاةٍ» أَنْظِرْ لِسَانَ الْعَرَبِ، مَا دَاثَ (دَغَا) وَ (جَعَر) كَذَلِكَ وَرَدَ هَذَا الْمَثَلُ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ (ج ٢ ص ٢١٩ رَقْم ١١٧٨) وَقَالَ: زُوِّجَتْ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي بَنِي الْعَنْبَرِ بْنِ تَمِيمٍ، فَحَمَلَتْ... الخ.

(٣) يُقَالُ: تَيْسٌ حُلْبٌ وَتَيْسٌ ذُو حُلْبٍ. وَالْحُلْبُ بَقْلَةٌ جَعْدَةٌ غَبْرَاءُ فِي خَضِرَةِ تَنْسِبُ عَلَى الْأَرْضِ، يَسِيلُ مِنْهَا اللَّبَنُ إِذَا قُطِعَ مِنْهَا شَيْءٌ؛ وَهِيَ تَنْبِتُ فِي الْقَيْظِ بِالْقَيْعَانِ وَشُطْطَانِ الْأَوْدِيَةِ.

يَا رَبُّ جَارِيَةٍ فِي الْحَيِّ حَالِيَةٍ كَأَنَّهَا عُومَةٌ^(١) فِي جَوْفِ رَاقُودٍ
وقال آخر منهم: [طويل]

زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو عَيْنُهُ تَحْتَ حَاجِبَةٍ وَأَسْنَانُهُ بَيَضٌ وَقَدْ طَرَّ^(٢) شَارِبُهُ
وقال عمر بن لَجَا يصف إبلا:

تَضَطَّكَ أَلْحِيهَا عَلَى دِلَائِهَا^(٣) ثَلَاظِمُ الْأَزْدِ عَلَى عَطَائِهَا
وقال أَبُو حَيَّةِ النُّمَيْرِي:

وَكَأَنَّ غَلَى دِنَانِهِمْ فِي دُورِهِمْ لَغَطُ الْعَتِيكَ^(٤) عَلَى خِوَانِ زِيَادٍ
كتب مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ: وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِصَاحِبِ
هَذَا الْأَمْرِ، صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ مَغْمُورٌ مَوْتُورٌ وَأَنْتَ مَشْهُورٌ غَيْرُ مَوْتُورٍ؛ فقام إليه
رجل من الْأَزْدِ فقال: قَدَّمَ ابْنُكَ مَخْلُداً حَتَّى يُقْتَلَ فَتَصِيرَ مَوْتُوراً.

قام رجل من الْأَزْدِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فقال: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، إِنَّ
امْرَأَتِي هَلَكَتْ وَأَرَدْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ أُمَّهَا وَأَزْوَاجَ أَبْنِي أَبْتَنَاهَا وَهَذَا عَرِيفِي^(٥)، فَأَعِنِّي
فِي الصَّدَاقِ؛ فقال: فِي كَمْ أَنْتَ مِنَ الْعَطَاءِ؟ قال: فِي سَبْعِمِائَةٍ؛ قال: حُطَّا
عَنْهُ أَرْبَعِمِائَةٍ، يَكْفِيكَ ثَلَاثُمِائَةٍ.

وَمِنْ حَمْقَى الْأَزْدِ قَبِيصَةُ بْنُ الْمُهَلَّبِ، رَأَى جَرَاداً يَطِيرُ فَقَالَ: لَا يَهْوُلَنَّكُمْ

(١) الْعُومَةُ: دُوَيْبَّةٌ تَسْحَبُ فِي الْمَاءِ.

(٢) طَرَّ شَارِبُهُ: طَلَعَ.

(٣) عمر بن لَجَا التيمي من شعراء العصر الأموي، كان بينه وبين جرير مفاخرات ومعارضات.
مات بالأهواز نحو ١٠٥ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٥٩. وفي لسان العرب، مادة (لجأ) قال ابن
منظور: عمر بن لجأ التيمي وليس «التيمي». وقال في العقد الفريد (ج ٥ ص ٣٧١) ما
نصه: اجتمع جرير بن الخطفي وعمر بن لجأ التيمي عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة،
فأنشده عمر أرجوزته التي يقول فيها البيت المذكور أعلاه، مع فارق يسير عما هنا. وانظر هذا
البيت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٢٤).

(٤) الْأَلْحِي: ج لَحْيٍ وَهُوَ مَنِيتُ اللَّحْيَةِ. وَالْذَّلَاءُ ج ذَلَوُوهِي الَّتِي يُسْتَقَى بِهَا، مَوْثُوقٌ يَذْكُرُ.

(٥) الْعَتِيكَ: فَخْذٌ مِنَ الْأَزْدِ وَالنِّسْبَةُ إِلَيْهِ عَتَكِيٌّ.

(٦) الْعَرِيفُ: الْقِيَمُ بِأُمُورِ الْقَبِيلَةِ أَوْ الْجَمَاعَةِ مِنَ النَّاسِ يَلِي أُمُورَهُمْ.

مَا تَرَوْنَ فَإِنَّ عَامَتَهَا مَوْتَى . وقال يوماً: رَأَيْتُ غُرْفَةً فَوْقَ بَيْتٍ . وقال لِفُلاَمِهِ:
اذهب إلى بَيْتِائِصِ الْمَلَأِ .

وَمِنْ حَمَقَى الْعَرَبِ كِلَابُ بْنُ صَعْصَعَةَ، خَرَجَ إِخْوَتُهُ يَشْتَرُونَ خَيْلاً
وَخَرَجَ مَعَهُمْ كِلَابُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ يَقُودُهُ؛ فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَرَسٌ
أَشْتَرَيْتُهُ؛ قَالُوا: يَا مَاتُحْ، هَذِهِ بَقْرَةٌ أَمَا تَرَى قَرْنَيْهَا! فَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَقَطَعَ
قَرْنَيْهَا، فَأَوْلَاهُ يُدْعَوْنَ «بَنِي فَارَسِ الْبَقْرَةِ» . قَالَ الْكُمَيْتُ^(١): [طويل]

وَلَوْ لَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَذُبُّهُ بِخَيْلٍ عَنِ الْعَجَلِ الْمُبْرَقِ^(٢) مَا صَهَلَ
وَكَانَ شَذْرَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَانَ مِنَ الْحَمَقَى، دَخَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْمَسْجِدَ فَأَخَذَ
بِعِضَادَتِي^(٣) الْبَابَ ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَيْلُجُ شَذْرَةَ؟ فَقَالُوا لَهُ: هَذَا يَوْمٌ لَا
يُسْتَأْذَنُ فِيهِ؛ قَالَ: أَفَيْلُجُ مِثْلِي عَلَى جَمَاعَةٍ مِثْلِ هَؤُلَاءِ وَلَا يُعْرَفُ مَكَانُهُ؟
عَوَانَةُ قَالَ: اسْتَعْمَلْ مُعَاوِيَةَ رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ؛ فَذَكَرَ الْمَجُوسَ يَوْمًا فَقَالَ: لَعَنَ
اللَّهُ الْمَجُوسَ يَنْكِحُونَ أُمَهَاتِهِمْ، وَاللَّهُ لَوْ أُعْطِيتُ عَشْرَةَ آلَافٍ مَا نَكَحْتُ أُمِّي؛
فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: قَبِّحَهُ اللَّهُ! أَتَرَوْنَهُ لَوْ رَأَدُّوهُ فَعَلَ! وَعَزَلَهُ .

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: سَأَلَ الْقَوْمَ الْحَارِثُ بْنُ جِرَانَ أَنْ
يُعِينَهُمْ فِي تَأْسِيسِ مَسْجِدٍ؛ فَقَالَ: قَيِّرُوهُ وَعَلَيَّ الْوَدْعُ .

خَطَبَ وَالِي الْيَمَامَةِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَارُّ عَلَى الْمَعَاصِي عِبَادَهُ، وَقَدْ
أَهْلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً فِي نَاقَةٍ مَا كَانَتْ تُسَاوِي مِائَتِي دِرْهَمٍ؛ فَسُمِّيَ مُقَوِّمَ النَّاقَةِ .

شَرَدَ بَعِيرٌ لَهْبَنَقَةَ، وَأَسَمَهُ يَزِيدُ بْنُ ثُرَوَانَ، فَقَالَ: مَنْ وَجَدَ بَعِيرِي فَهُوَ

(١) هُوَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ، وَقَدْ مُرَّتْ تَرْجَمَتُهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ، الْحَاشِيَةُ رَقْمُ ١ مِنْ ص ٣٥ .

(٢) الْمُبْرَقُ: الَّذِي أَخَذَتْ غُرَّتُهُ جَمِيعَ وَجْهِهِ .

(٣) عِضَادَتَا الْبَابِ: الْخَشَبَتَانِ الْمَنْصُوبَتَانِ عَنْ يَمِينِ الْدَاخِلِ مِنْهُ وَشِمَالِهِ .

له؛ فقيل له: وما يَنْفَعُكَ مِنْ هذا؟ قال: إنكم لا تَدْرُونَ ما حَلَاوَةُ الْوِجْدَانِ.

وقال المنصور للرَّبِيع: كيف تَعْرِفُ الرِّيحَ؟ قال: أَنْظُرْ إِلَى خَاتَمِي فَإِنْ كَانَ سَلِسًا فَهِيَ شَمَالٌ وَإِلَّا فَهِيَ جَنُوبٌ؛ فَسَأَلَ الْقَاسِمَ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّلْحِيَّ عَنْ ذَلِكَ؛ فَقَالَ: أَضْرِبْ بِيَدِي إِلَى خُصْيَتِي فَإِنْ كَانَتْ قَدْ قَلَصَتْ فَهِيَ شَمَالٌ وَإِنْ كَانَتْ مُتَدَلَّتَيْنِ فَهِيَ جَنُوبٌ.

قال أبو كعب القاصُّ في قَصَصِهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي كَيْدِ حَمْزَةَ: مَا قَدْ عَلِمْتُمْ فَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُطْعِمَنَا مِنْ كَيْدِ حَمْزَةَ. وَكَانَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: لَيْسَ فِيَّ خَيْرٌ وَلَا فِيكُمْ، فَتَبَلَّغُوا بِي حَتَّى تَجِدُوا خَيْرًا مِنِّي. وَقَالَ هُوَ أَوْ غَيْرُهُ فِي قَصَصِهِ: كَانَ أَسْمُ الذُّبِّ الَّذِي أَكَلَ يُوسُفَ كَذَا وَكَذَا؛ قَالُوا: فَإِنَّ يُوسُفَ لَمْ يَأْكُلِ الذُّبَّ؛ قَالَ: فَهَذَا أَسْمُ الذُّبِّ الَّذِي لَمْ يَأْكُلِ يُوسُفَ.

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كَانَ قَاصٌّ يَقُصُّ فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُولُ: مَثَلُ الْكَافِرِ مَثَلُ قَصْرِ الْإِسْكَافِ خَارِجُهُ حَسَنٌ وَدَاخِلُهُ مَخْرَأَةٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ قَصْرِ زَرْبِي^(١) جِدَارُهُ كَالْحِجَابِ وَدَاخِلُهُ زَهْرَةٌ. وَيَقُولُ: وَمَا الدُّنْيَا! أَخْزَى اللَّهُ الدُّنْيَا! إِنَّمَا مَثَلُهَا مَثَلُ أُيْرٍ حَمَارٍ، بَيْنَا هُوَ قَدْ أَنْعَطَ^(٢) إِذْ طَفِيَءَ. وَقَالَ: الْمُؤْمِنُ غِذَاوُهُ فَلَقَةٌ وَسَمَكَتُهُ شِلْقَةٌ وَدَوَاوُهُ عُلقَةٌ وَمَرْقَتُهُ سِلْقَةٌ^(٣).

أَصَابَتْ دَاوُدَ الْمَصَابَ مُصِيبَةٌ فَأَغْتَمَّ؛ فَقَالَ لَهُ صَاحِبٌ لَهُ: لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ

(١) هُوَ قَصْرُ الْبَصْرَةِ فِي سَكَةِ الْمَرْبِدِ لِمُسْلِمٍ بَنِ عَمْرٍو بَنِ الْحُصَيْنِ بَنِ قَتِيْبَةَ بَنِ مُسْلِمٍ، وَكَانَ بَلِيْهِ غَلَامٌ يُقَالُ لَهُ: زَرْبِي.

(٢) أَنْعَطَ: قَامَ وَأَنْتَشَرَ شَبَقًا.

(٣) الْفِلْقَةُ: الْكُسْرَةُ. وَالشَّلْقُ: شَيْءٌ عَلَى خِلْقَةِ السَّمَكَةِ صَغِيرٌ لَهُ رَجُلَانِ عِنْدَ ذَنْبِهِ كَرَجُلِ الصَّقْدَعِ، بَدُونِ يَدَيْنِ، وَيَكُونُ فِي أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ وَلَيْسَتْ بِعَرَبِيَّةٍ. انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ. وَالْعُلْقَةُ: شَجَرٌ يَبْقَى فِي الشِّتَاءِ تَبْلُغُ بِهِ الْإِبِلُ حَتَّى تَذُرِكَ الرَّبِيعَ. وَالسِّلْقَةُ: الْجَرَادَةُ، لَعَلَّه يَرِيدُ أَنْ يَجْتَزِيَءَ مِنَ الْمَرْقِ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ حَتَّى أَنْهُ لِيَكْفِيَهُ مَرْقُ جَرَادَةٍ وَاحِدَةٍ.

في قضائه؛ فقال داود: أَقُولُ لَكَ شَيْئاً وَتَكْتُمُهُ؟ قال: نعم: قال: والله ما صَاحِبِي غَيْرُهُ. واستشاره رجل في حمل أُمِّهِ إِلَى البصرة، وقال: إِنَّ حَمَلْتُهَا فِي الْبَرِّ خِفْتُ عَلَيْهَا اللَّصُوصَ، وَإِنْ حَمَلْتُهَا فِي الْمَاءِ خِفْتُ عَلَيْهَا الْغَرَقَ؛ فقال: خُذْ بِهَا سُفْتَجَةً^(١).

دعا بعض السلاطين مَجْنُونَيْنِ لِيَضْحَكَ مِنْهُمَا، فَاسْمَعَاهُ فَعَضِبَ فَدَعَا بِالسَّيْفِ؛ فقال أحدهما للآخر: كُنَّا أَتْنَيْنِ وَقَدْ صِرْنَا ثَلَاثَةً. قال رجل لابن سَيَابَةَ مَوْلَى بَنِي أَسَدٍ: مَا أَرَاكَ تَعْرِفُ اللَّهَ؛ قال: أَتُرَانِي لَا أَعْرِفُ مَنْ أَجَاعَنِي وَأَعْرَانِي وَأَخْرَانِي.

قيل لأعرابي: كَيْفَ بَرُّكَ بِأَمَلِكَ؟ قال: مَا قَرَعْتُهَا سَوْطاً قَطً. وقيل لآخر وهو يَضْرِبُ أُمَّهُ: وَيَحَكَ! تَضْرِبُ أَمَك! فقال: أَجِبْ أَنْ تَنْشَأَ عَلَيَّ أَدْبِي. وقال بعض الشعراء:

[طويل]

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

[طويل]

وقال آخر:

وَكَيْفَ يُفِيقُ الذَّهْرَ كَعْبُ بْنُ نَاشِظٍ وَشَيْطَانُهُ بَيْنَ الْأَهْلَةِ يَصْرَعُ

[كامل]

وقال أعرابيٌّ وَذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

خَلَقَ السَّمَاءَ وَأَهْلَهَا فِي جُمُعَةٍ وَأَبُوكَ يَمْدُرُ حَوْضَهُ^(٢) فِي عَامٍ

كَانَ أَبُو الْعَاجِ وَالْيَ وَاسِطاً، وَأَتَاهُ صَاحِبُ شَرْطَتِهِ بِقَوَادَةٍ فَقَالَ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، هَذِهِ قَوَادَةٌ؛ قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ تَصْنَعُ؟ قَالَ: تَجْمَعُ بَيْنَ الرِّجَالِ

(١) السُّفْتَجَةُ: أَنْ تَعْطِيَ مَالاً لِرَجُلٍ لَهُ فِي بَلَدٍ تَرِيدُ أَنْ تَسَافِرَ إِلَيْهِ فَتَأْخُذَ مِنْهُ خَطَأً لَمَنْ عِنْدَهُ الْمَالُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ أَنْ يَعْطِيكَ مِثْلَ مَالِكَ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ قَبْلَ سَفَرِكَ، وَهُوَ مَعْرَبُ سَفْتِهِ بِالْفَارْسِيَةِ وَمَعْنَاهَا الشَّيْءُ الْمَحْكَمُ. سَمِيَ بِهِ هَذَا الْقَرْضُ لِإِحْكَامِ أَمْرِهِ.

(٢) مَدَّرَ الْحَوْضَ يَمْدُرُهُ: أَصْلَحَهُ بِالْمَدَرِ وَهُوَ قَطْعُ الطِّينِ الْيَابِسِ.

والنساء؛ قال: لماذا؟ قال: للزنا؛ قال: وإنما أتيتني بها لتُعرِّفها منزلي! خلَّ عنها لعنك الله. وأتاه يوماً بمُخَنَّث؛ فقال له: ما هذا؟ قال: مُخَنَّث؛ قال: وما يصنع؟ قال: يُنكحُ كما تُنكحُ المرأة؛ قال: يَبْذُلُ هذا آستَه وأحْظُرُ أنا عليه! اذْهَبْ يا ابنَ أخِي فَارْتَدَّ لَهَا.

خَطَبَ وَكِيعُ بْنُ أَبِي سُودٍ بَخْرَاسَانَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا سِتَّةُ أَيَّامٍ؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ قُلْتُهَا وَأَنَا أَسْتَقِيلُهَا.

تَغْدَى رَجُلٌ عِنْدَ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ وَلِيُّ عَهْدٍ وَقُدَّامَةُ جَدِّي، فَقَالَ لَهُ سَلِيمَانُ: كُلْ مِنْ كُلِّيْتِهِ فَإِنَّهَا تَزِيدُ فِي الدِّمَاغِ؛ فَقَالَ: لَوْ كَانَ هَذَا هَكَذَا كَانَ الرَّأْسُ الْأَمِيرُ مِثْلَ رَأْسِ الْبَغْلِ.

أَبُو عُبَيْدَةَ: أُجْرِيَتِ الْخَيْلُ فَطُلِعَ مِنْهَا فَرَسٌ سَابِقٌ فَجَعَلَ رَجُلٌ مِنَ النَّظَّارَةِ يُكَبِّرُ وَيَشُبُّ مِنَ الْفَرَحِ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ إِلَى جَانِبِهِ: يَا فَتَى، هَذَا الْفَرَسُ فَرَسُكَ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّ اللَّجَامَ لِي. دَخَلَ أَبُو عَتَّابٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ هَدَّابٍ وَقَدْ كُفَّتْ بَصَرُهُ وَالنَّاسُ يُعْزُونَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا زَيْدٍ، لَا يَسُوءَنَّكَ دَهَابُهُمَا، فَإِنَّكَ لَوْرَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَنَّيْتَ أَنَّ اللَّهَ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَدَقَّ ظَهْرَكَ. كَانَ رَجُلٌ يَقُودُ أَعْمَى بِكَرَاءٍ، فَكَانَ الْأَعْمَى رَبِّمَا عَثَرَ فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي بِهِ قَائِداً خَيْراً مِنْهُ؛ وَيَقُولُ الْقَائِدُ: اللَّهُمَّ أَبْدِلْنِي أَعْمَى خَيْراً مِنْهُ.

لَأَعَى أَبُو بَكْرٍ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى الْعَرَبِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَصْبَحَ مِنَ الْغَدِ عَلَى الشَّمْسِ فَقَعَدَ فِيهَا فَثَارَتْ بِهِ مِرَّةٌ، فَجَعَلَ يَحْكُ جَسَدَهُ بِأَظْفَارِهِ خَمْساً وَيَقُولُ: إِنَّمَا نَحْنُ إِبِلٌ؛ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: وَاللَّهِ إِنَّكَ تُشَبِّهُ الْعَرَبَ؛ فَغَضِبَ وَقَالَ: أَيْقَالَ لِي

هذا إنا والله جزباء تَنْضَبَةٌ^(١)، يَشْهَدُ لي سوادُ لونِي وغُورُ^(٢) عَيْنِي وَحُبِّي للشمس.

قيل لأبي السَّفَاحِ عند موته: أوصيه؛ فقال: إنا لِكِرَامُ قومِ طَخَفَةٍ^(٣)؛ قالوا: قل خيراً يا أبا السَّفَاحِ؛ فقال: إن أحبَّتْ أمرأتي فأعطوها بغيراً؛ قالوا: قل خيراً؛ قال: إذا مات غلامي فهو حرّ. وقيل لرجل عند موته: قل لا إله إلا الله، فأعرض، فأعادوا عليه مراراً، فقال: أخبروني عن أبي طالب أقالها عند موته؟ قالوا: وما أنت وأبو طالب! قال: لا أرغبُ بنفسِي عنه. ولما احتَضَرَ العَجِيزُ السُّلُويّ قال لقوم عنده: أنا في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدتُ لي عند الله موضعاً لأكلمَنَّهُ فيكم. وقيل لأوس ابن حارثة عند موته: قل لا إله إلا الله، فقال: لم يَأْنِ لها بعدُ. وقيل لآخر عند موته: ألا تُوصِي؟ قال: أنا مغفورٌ لي؛ قالوا: قل إن شاء الله، قال: قد شاء الله ذلك، قالوا: لا تَدَعِ الوصِيَّةَ، فقال لبني أخيه: [رجز]

بَنِي حُرَيْثٍ أَرْفَعَا وَسَادِي وَأَحْتَفِظَا بِالْجِلَّةِ الْجِلَادِ
فإِنَّمَا حَتَلَكُمَا الْأَعَادِي

قال سَهْلُ بْنُ هَارُونَ: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغضبانُ

(١) التَنْضَبَةُ: واحدة التَّنْضَبِ وهو شجر ضخم تتخذ منه السَّهَامُ، تألفه الحَرَابِيُّ (ج جزباء) والحرباء دُوَيْبَةٌ تتلون ألواناً بَحْرُ الشَّمْسِ، معرَّبة حرباً بالفارسية ومعناها: حافظ الشمس. قال أبو داود في هذا المعنى (بسيط).

أَنِّي أَتَيْتُجْ لَهُ جَرْبَاءُ تَنْضَبَةٌ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمِيكاً سِيقاً
أنظر لسان العرب مادة (نضب) ومحيط المحيط للبستاني مادة (حرب).

(٢) غَارَتْ عَيْنُهُ غَوْرًا وَغَوْرًا: دخلت في الرأس وأنخفت.

(٣) طَخَفَةٌ: بكسر الطاء وفتحها، موضع بعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة. معجم البلدان. ومنه يوم طَخَفَتْ لَبَنِي يَرْبُوعَ عَلَى قَابُوسَ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ انظر لسان العرب مادة (طخف) والعقد الفريد (ج ٥ ص ٢٣٤).

وَالْغَيْرَانُ وَالسَّكَرَانُ؛ قَالُوا: فَمَا تَقُولُ فِي الْمُنْعِظِ^(١)؟ فَضَحِكَ وَقَالَ: [وافر]

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَا^(٢)

قَالَ الْوَلِيدُ: أَلَا إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ الْحَجَّاجَ جِلْدَةٌ مَا بَيْنَ عَيْنَيَّ، أَلَا وَإِنَّ الْحَجَّاجَ جِلْدَةٌ وَجْهِي كُلُّهُ.

خَطَبَ عَتَابُ^(٣) بَنُ وَرْقَاءَ فَحَثَّ عَلَى الْجِهَادِ وَقَالَ: هَذَا كَمَا قَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: [خفيف]

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

وَقَالَ آخَرُ فِي الرَّبِيعِ وَالْيَإِمَامَةِ: [طويل]

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ لِقَاؤُهُ وَأَنَّ الرَّبِيعَ الْعَامِرِيَّ رَقِيعٌ
أَقَادَ لَنَا كَلْبًا يَكْلِبُ وَلَمْ يَدْعُ دِمَاءَ كِلَابِ الْمُسْلِمِينَ تَضِيعُ

دَخَلَ شَابٌّ عَلَى الْمَنْصُورِ فَسَأَلَهُ عَنْ وَفَاةِ أَبِيهِ، فَقَالَ: مَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ مَرَضُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَذَا وَكَذَا، وَتَرَكَ عِفاً اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْمَالِ كَذَا وَكَذَا؛ فَانْتَهَرَهُ الرَّبِيعُ وَقَالَ: أَبَيْنَ يَدَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُوَالِي الدُّعَاءَ لِأَبِيكَ؟ فَقَالَ الشَّابُّ: لَا أَلُومُكَ، إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ حِلَاوَةَ الْأَبَاءِ؛ فَمَا عَلِمَ أَنَّ الْمَنْصُورَ ضَحِكَ مِثْلَ ضَحِكِهِ يَوْمَئِذٍ. وَكَانَ الرَّبِيعُ لَقِيطًا.

دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ عَلَى الْمَنْصُورِ فَاسْتَجْلَسَهُ وَدَعَا بِغَدَائِهِ فَقَالَ لِلْفَتَى: أَدْنُهُ؛ فَقَالَ: قَدْ تَغَدَّيْتُ؛ فَلَمَّا خَرَجَ اسْتَخَفَّ بِهِ الرَّبِيعُ وَدَفَعَ فِي قَفَاهُ،

(١) الْمُنْعِظُ: مَنْ أُنْعِظَ ذَكَرُ الرَّجُلِ: وَانْتَشَرَ شَيْقًا.

(٢) هَذَا الْبَيْتُ مِنْ مَعْلَقَةِ عَمْرٍو بْنِ كُلثُومٍ. لَا تَصْبَحِينَا: لَا تَسْقِينَهُ الصُّبُوحَ.

(٣) عَتَابُ بْنُ وَرْقَاءَ الْبِرْبُوعِيِّ التَّمِيمِيُّ قَائِدٌ مِنَ الْأَبْطَالِ؛ تُوْفِيَ سَنَةَ ٧٧ هـ. الْأَعْلَامُ ج ٤ ص ٢٠٠
وَالْمَوْتَلَفُ وَالْمَخْتَلَفُ ص ١٦٠

وقال: هذا كان يُسَلَّم من بعيدٍ ويَنصَرِفُ، فلَمَّا أَسْتَدْنَاهُ أميرُ المؤمنين وأمره بالجلوس ودعاه إلى طعامه تَبَدَّلَ بين يديه فبلغ من جهل بفضيلة المنزلة التي صَيَّرَ فيها أن قال: قد تَغَدَّيْتُ، وإذا ليس عنده لِمَن تَغْدَى مع أمير المؤمنين إلا سَدُّ خَلَّةِ الجُوعِ.

يونسُ الهَجَرِيُّ قال: مات رجلٌ من جُنْدِ أهل الشام فحضر الحَجَّاجُ جَنَازَتَهُ، وكان عَظِيمُ القَدْرِ، فَصَلَّى وجلس على قبره وقال: لِيُنْزَلَ قبره بعضُ إخوانه؛ فنَزَلَ نفرٌ منهم، فقال أحدهم وهو يُسَوِّي عليه: رَحِمَكَ اللَّهُ أبا فلان! إن كنتَ ما عَلِمْتُكَ لَتُجَيِّدُ الغِنَاءَ وتُسْرِعُ رَبَّ الكَأْسِ، ولقد وَقَعْتَ في مَوقِعٍ سُوءٍ لا تَخْرُجُ منه إلى الدُّكَّةِ^(١)؛ فما تمالك الحَجَّاجُ أن ضَحِكَ فأكثر، وكان لا يُكْثِرُ الضَّحْكَ في جَدٍّ ولا هَزَلٍ، ثم قال له: لا أَمَّ لَكَ! هذا مَوْضِعُ هذا! قال: أصْلَحَ اللهُ الأميرَ، فَرِسِي حَبِيسٌ لو سَمِعَهُ يَتَغَنَّى: [مديد]

يا لَبِئْسَني أَوْقِدِي النِّارَ^(٢)

لانتشر الأميرُ على سَعْنَةٍ^(٣)، وكان المَيِّتُ يَلْقَبُ سَعْنَةً، وكان من أَوْحَشِ خلقِ الله صورةً وأدَمِهِمْ؛ فقال الحَجَّاجُ: إنا لله! أَخْرِجُوهُ عن القبرِ، ثم قال: ما أَبَيَّنَ حُجَّةَ أهلِ العراقِ في جَهْلِكُمْ يا أهلَ الشام. ولم يَبْقَ أحدٌ حضر القبرَ إلا أَسْتَفْرَغَ ضَحْكَاً

تبع داودُ بْنُ المُعْتَمِرِ امرأةً ظَنَّ أنها من الفَواَسِدِ، فقال لها: لولا ما رأيتُ عليكِ مِنْ سِيما الخَيْرِ لم أَتَبَعْكِ؛ فَضَحِكَتِ المرأةُ وَأَسْنَدَتْ ظَهرَها إلى الحائِطِ

(١) الدُّكَّةُ: بناءٌ يسطحُ أعلاه ويقعدُ عليه أو ما أَسْتَوَى مِنَ الرَّمْلِ وَسَهْلٍ، والجمع دِكاكٌ.

(٢) شَطْرُ بَيْتٍ عَلَى المَدِيدِ المَجْزُوءِ.

(٣) السَّعْنَةُ: المَبَارَكَةُ المِيمُونَةُ؛ يُقال: ما لَهُ سَعْنَةٌ ولا مَعْنَةٌ، أي ما لَهُ شَيْءٌ.

ثم قالت : إنما يَعْتَصِمُ مثلي مِنْ مثلكَ بِسَيِّمَا الخير، فإذا صار سِيما الخير هو الدالُّ لمثلكَ على مثلي فاللهُ المستعانُ. كان بهْلُولُ المجنون يتغنى بِقِراطٍ ولا يسكتُ إلا بدانقٍ^(١). وكان رجل يَهْوَى جاريةً تَخْتَلِفُ في حوائج أهلها، وكانت إذا خرَجَتْ إلى السوق ولم يَعْلَمْ بخروجها ثم رَجَعَتْ فَرَأَاهَا قال وهو يُسْمِعُهَا: ﴿لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾^(٢)، وإنْ وَعَدْتُهُ شَيْئاً فأخلفت قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣)، فإن تَغَضَّبْتُ لشيءٍ بلغها عنه قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِئَاءٍ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٤).

مرَّ بعضُ الحمقى بامرأةٍ قاعدةٍ على قبرٍ وهي تبكي، فرق لها وقال: مَنْ هذا الميِّتُ؟ قالت: زوجي؛ قال: فما كان عَمَلُهُ؟ قالت: يَحْفِرُ القبورَ؛ قال: أبعده الله أَمَا عَلِمَ أَنْ مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً وقع فيها! أحدث رجلٌ من الحمقى ليلةً على باب رجلٍ، فلما خرج الرجلُ زَلِقَ ووقع على ذراعه فأنكسرت، واجتمع الجيرانُ وجعلوا يَخْتَصِمُونَ وَيُوقِعُونَ الظنونَ وهو ناحيةٌ يَسْمَعُ كلامهم، فلما أكثرُوا قال:

[وافر]

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَجْنِيهَا رِجَالٌ وَيَصْلِي حَرْهَا قَوْمٌ بُرَاءُ

فأخذه وقالوا: أنتَ صاحبنا. قال داود المصاب: رأيتُ رؤيا نَصَفُهَا حَقٌّ ونَصَفُهَا باطلٌ، رأيتُ كأنَّ على عنقي بَدْرَةً^(٥) فَمِنْ ثِقَلِهَا أَحْدَثْتُ فَاسْتَيْقَظْتُ فرأيتُ الحدَثَ ولم أرَ البَدْرَةَ. رُئي أعرابيٌّ يبكي بكاءً شديداً، فسُئِلَ عن سبب

(١) القيراط نصف الدانق. والدانق سدس الدينار.

(٢) سورة الأعراف ٧، آية ١٨٨. والمعنى: لا أقدمُ إلا على ما ينفع. التفسير المبين.

(٣) سورة الصف ٦١، آية ٢. والمعنى: كيف تدعون الإيمان وتكذبون في الوعد وغيره؟.

(٤) سورة الفتح ٤٨، آية ٦. وهذه الآية تدل على حرمة الأخذ بقول الفاسق دون التمحيز والتثبت من صدقه. التفسير المبين.

(٥) البَدْرَةُ: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. لسان العرب.

بُكَائِهِ فَقَالَ: بَلَّغْنِي أَنَّ جَالوتَ قُتِلَ مَظْلوماً. رَأَى رَجُلٌ أَحْمَقُ شَيْخاً فِي الْحَمَامِ
أَعْكَنَ^(١) الْبَطْنِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمَّ، إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَضَعَّ هَذَا - يَعْنِي ذَكَرَهُ - فِي
سُرَّتِكَ؛ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا ابْنَ أَخِي، فَأَيْنَ يَكُونُ اسْتُكَّ حَيْثُذ. نَزَلَ يَهُودِيٌّ
عَلَى أَعْرَابِيٍّ فَمَاتَ عِنْدَهُ، فَقَامَ الْأَعْرَبِيُّ يُصَلِّيُ عَلَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ ضَيْفٌ
وَحَقُّ الضَّيْفِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَأَمْهَلْنَا إِلَى أَنْ نَقْضِيَ ذِمَامَهُ ثُمَّ شَأْنُكَ وَالْكَلْبَ.

وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَبْدٌ فَقَامَ
أَحَدُهُمَا فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ؛ فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ شَرِيكُهُ: مَا تَصْنَعُ! قَالَ: إِنَّمَا أَضْرِبُ
حِصَّتِي. قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِرَجُلٍ: مَا أَسْمُكَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: ابْنُ مَنْ؟ قَالَ:
ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَبُو مَنْ؟ قَالَ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَشْهَدُ إِنَّكَ لَتَلُوذُ
بِاللَّهِ لَوْ أَدَّ يَتِيمَ جَبَانٍ. قَالَ بَعْضُهُمْ: رَأَيْتُ رَجُلَيْنِ بِالْبَصْرَةِ عَلَى بَابِ مُؤَنَسٍ
يَتَنَازَعَانِ فِي الْعِنَبِ النِّيرُوزِيِّ وَالرَّازِقِيِّ: أَيُّهُمَا أَطْيَبُ، فَجَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ إِلَى
أَنْ تَوَاتَبَا، فَقَطَعَ الْكُوفِيُّ إِبْصَعَ الْبَصْرِيِّ وَفَقَّ الْبَصْرِيُّ عَيْنَ الْكُوفِيِّ، ثُمَّ لَمْ
أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى رَأَيْتُهُمَا مُتَصَافِيَيْنِ مُتَنَادِمَيْنِ.

قَالَ: وَقَالَ ثُمَامَةُ: مَرَرْتُ فِي غَبِّ سَمَاءٍ وَالْأَرْضُ نَدِيَّةٌ وَالسَّمَاءُ مُتَغَيِّمَةٌ
وَالرِّيحُ شَمَالٌ وَإِذَا شَيْخٌ أَصْفَرُ كَأَنَّهُ جَرَادَةٌ، وَقَدْ قَعَدَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَحَجَّامٌ
يَحْجِمُهُ عَلَى كَاهِلِهِ وَأَخَذَعِيهِ بِمَحَاجِمٍ كَأَنهَا قِعَابٌ وَقَدْ مَصَّ دَمَهُ حَتَّى كَادَ
يَسْتَفْرِغُهُ؛ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ: يَا شَيْخُ لِمَ تَحْتَجِمُ؟ قَالَ: لِمَكَانِ الصَّفَارِ الَّذِي بِي.
أَتَى الطَّمَحَانُ قَوْماً يَعُودُ عَلِيلاً لَهُمْ فَعَزَّاهُمْ بِهِ؛ قَالُوا: إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ؛ فَرَجَعَ وَهُوَ
يَقُولُ: يَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، يَمُوتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: كَانَ الْغَاضِرِيُّ مِنْ أَحْمَقِ النَّاسِ؛

(١) أَعْكَنُ الْبَطْنُ: فِي بَطْنِهِ عَكَنٌ وَهِيَ مَا انْطَوَى وَتَشَى مِنْ لَحْمِ الْبَطْنِ سِمْنًا.

فَقِيلَ لَهُ: مَا حُمُقُهُ؟ فَجَعَلَ يَتَرَبُّثُ^(١)، فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ: قَالَ لِي مَرَّةً: الْبَحْرُ مَنْ حَفَرَهُ؟ وَهَا حُفِرَ فَأَيْنَ نَبِيَّتُهُ^(٢)؟ أَتَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَحْفِرَ مِثْلَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟

دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الْحَمَقَى مِنَ الشَّعْرَاءِ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَشْرَافِ يُقَالُ فِي نَسَبِهِ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ آمَتَدَحْتُكَ بِشَعْرٍ لَمْ تُمَدِّحْ قَطُّ بِأَنْفَعِ لَكَ مِنْهُ؛ قَالَ: مَا أَحْوَجَنِي إِلَى الْمُنْفَعَةِ فَهَاتِهِ؛ فَقَالَ: [سَرِيع]

سَأَلْتُ عَنْ أَصْلِكَ فِيمَا مَضَى أَبْنَاءَ سَبْعِينَ وَقَدْ نَيَّفُوا
فَكُلُّهُمْ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مُهَذَّبُ جَوْهَرُهُ يُعَرِّقُ
فَقَالَ لَهُ: قُمْ فِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَفِي سُخْطِهِ! لَعْنِكَ اللَّهُ وَلَعَنَ مَنْ سَأَلَ وَمَنْ أَجَابَكَ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: : جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى عَمِّهِ فَقَالَ: يَا عَمُّ إِنَّ وَلَدًا جَارِيَةً آلِ فُلَانٍ مِنِّي فَأَقْتَدَيْهِ، ففعل؛ ثُمَّ جَاءَهُ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ؛ لَوْ عَزَلْتُ! قَالَ: بَلِّغْنِي أَنْ الْعَزَلَ مَكْرُوهٌ.
قَالَ: وَحَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: بَلِّغْنِي عَنْ شَيْخٍ جَزَعَ عَلَى مِيتٍ جَزَعًا شَدِيدًا؛ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: نَحْنُ قَوْمٌ لَمْ نَتَعَوَّدِ الْمَوْتَ.

أَبُو الْحَسَنِ الْجَعْفَرِيُّ قَالَ: قِيلَ لَكَرْدَمِ السَّدُوسِيِّ: كُلْ؛ قَالَ: مَا أُرِيدُ؛ قِيلَ: وَلِمَ؟ قَالَ: أَكَلْتُ قَلِيلَ أَرْزٍ^(٣) فَأَكْثَرْتُ مِنْهُ. ضَلَّ بَعِيرٌ لِأَعْرَابِيٍّ فَجَعَلَ يَشُدُّهُ إِلَى أَنْ دَخَلَ الْإِمَارَةَ فَأَخَذَ مِنْهَا بَعِيرًا؛ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ بَعِيرَكَ كَانَ أَعْرَابِيًّا؛ قَالَ: إِنَّهُ لَمَّا أَكَلَ مِنْ مَالِ الْإِمَارَةِ تَبَخَّتْ^(٤).

(١) يَتَرَبُّثُ: يَتَلَبَّثُ.

(٢) النَّبِيَّةُ: تَرَابُ الْبَرِّ وَالنَّهْرِ.

(٣) الْأَرْزُ: الْأَوْزُ.

(٤) تَبَخَّتْ: صَارَ بُخْتِيًّا، وَالْبُخْتِيُّ وَاحِدُ الْبُخْتِ (الْإِبِلِ الْخِرَاسَانِيَّةِ) وَالْأَنْثَى بُخْتِيَّةٌ، وَالْجَمْعُ بَخَاتِي وَبَخَاتِي.

الهيثم عن ابن عباس قال: لما وَلِيَ مَرَوَانُ وَجَّةَ جَيْشِ حُبَيْشِ بْنِ دُلْجَةَ الْقَيْنِيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ يَصْعَدُ الْمَنْبِرَ وَمَعَهُ الْكُتْلَةُ مِنَ التَّمْرِ فَيَأْكُلُهَا ثُمَّ يُلْقِي النَّوَى عَلَى وَجْهِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ فِي حَرَمَتِهِ وَمَوْضِعِهِ لَيْسَ مَوْضِعُ أَكْلٍ وَلَا شَرْبٍ، وَلَكِنِّي أَجِبُّ أَنَّ أَرِيكُمْ هَوَانَكُمْ. قِيلَ لِمُعَلَّمِ بْنِ مَعْلَمٍ: مَالِكَ أَحْمَقُ؟ قَالَ: لَوْ لَمْ أَكُنْ أَحْمَقُ كُنْتُ وَلَدَ زَنَاءٍ. قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ [طويل]

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ بَايَعْتُ مَرَوَانَ طَائِعًا فَصِرْتُ إِذَا بَعْدَ الْمَشِيبِ مُعَلَّمًا
وَقَالَ آخَرُ: [طويل]

وَكَيْفَ تُرَجِّيَ الْعَقْلَ وَالرَّأْيَ عِنْدَ مَنْ يَرُوحُ عَلَى أَثْنَى وَيَغْدُو عَلَى طِفْلِ
ابْنِ الْمَدَائِنِيِّ قَالَ: تَحَوَّلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكَرْخِيُّ إِلَى الْخُرَيْبَةِ^(١) فَادَّعَى الْفَقْهَ وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ لِمَكَانِ لِحْيَتِهِ وَسَمِيَّتِهِ، فَالْقَى عَلَى بَابِ دَارِهِ الْبَوَارِي^(٢) وَجَلَسَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ قَوْمٌ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، رَجُلٌ فِي الصَّلَاةِ أَدْخَلَ إصْبَعَهُ فِي أَنْفِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهَا دَمٌ، أَيُّ شَيْءٍ يَصْنَعُ؟ قَالَ: يَحْتَجِمُ رَحِمَكَ اللَّهُ؛ فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: ظَنَنْتُ أَنَّكَ فَقِيهٌ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّكَ طَبِيبٌ. قَالَ رَجُلٌ لِلشَّعْبِيِّ: إِنِّي أَجِدُ فِي قَفَايَ جِكَّةً فَتَرَى لِي أَنَّ أَحْتَجِمُ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَقَلَنَا مِنَ الْفَقْهِ إِلَى الْجِجَامَةِ. وَقَالَ لَهُ آخَرُ: رَجُلٌ أَسْتَمْنِي فِي يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ هَلْ يُوجَرُ؟ قَالَ: أَوْ مَا يَرْضَى أَنْ يُقِلَّتْ رَأْسًا بِرَأْسٍ. نَازَعَ التَّيْمِيَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهِ فِي حَائِطٍ بَيْنَهُمَا فَبَعَثَ إِلَى قَوْمٍ يُشْهِدُهُمْ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْقَبَائِلِ، فَوَقَفَ بِهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَائِطِ وَقَالَ: أَشْهَدُكُمْ جَمِيعًا أَنَّ

(١) الْخُرَيْبَةُ: مَوْضِعٌ بِالْبَصْرَةِ.

(٢) الْبَوَارِي: ج. بَارِيَةٌ وَهِيَ الْحَصِيرُ الْمَنْسُوجُ.

نصفَ هذا الحائط لي . وَقَدَمَ آخِرُ رَجُلًا إِلَى الْقَاضِي فِي شَيْءٍ يَدَّعِيهِ عَلَيْهِ،
فَانْكَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْقَاضِي، أَكْتُبُ إِنكَارَهُ؛ فَقَالَ الْقَاضِي: الْإِنْكَارُ فِي
يَدِكَ مَتَى شِئْتَ.

قَالَ مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقِ الذَّرَّاعِ: إِنَّا لَوْ قُوفُ عَلَى حُدُودِ دَارٍ لِنَقْسِمَها وَنَحْنُ
فِي خُصُومَةٍ، إِذْ أَقْبَلَ سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَمُوسِرُهُمُ وَالْمَصْلِيُّ عَلَى جَنَائِزِهِمْ،
فَامْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ؛ فَقَالَ: حَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُنَا إِلَى
بَعْضٍ أَحَدًا؟ قَالَ مَسْعَدَةُ: فَأَنَا مِنْهُ سِتِينَ سَنَةً أَفْكَرُ فِي كَلَامِهِ فَمَا أَدْرِي مَا
عَنِي. أَتَتْ جَارِيَةُ أَبَا ضَمُضٍ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا قَبَّلَنِي؛ فَقَالَ: يَا فَتَى، أَذْعَنَ لَهَا
بِحَقِّهَا، قَبْلِيهِ عَافَاكَ اللَّهُ كَمَا قَبَّلَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾^(١).

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أُلْقِيَتْ عَلَى رَجُلٍ فَرِيضَةٌ فَأَشْتَدَّتْ
عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَحْسُبُ غَيْرَهَا؛ فَقَالُوا لَهُ فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ تَرَكَ غَيْرَ
مَا ذَكَرُوا،

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَبِي كُنَاسَةَ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الطَّالِبِينَ
لِأَشْعَبَ: لَوْ رَوَيْتَ الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَ النُّوَادِرَ كَانَ أَنْبَلَ لَكَ؛ قَالَ: وَاللَّهِ قَدْ
سَمِعْتُ الْحَدِيثَ وَرَوَيْتُهُ؛ قَالَ: فَحَدِّثْنَا؛ قَالَ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ عَنْ أَبِي عَمْرٍ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «خَلَّتَانِ مَنْ كَانَتْ فِيهِ كَانَ مِنْ خَالِصَةِ اللَّهِ»؛ قَالَ: هَذَا
حَدِيثٌ حَسَنٌ فَمَا هُمَا؟ قَالَ: نَسِيَ نَافِعٌ وَاحِدَةً وَنَسِيتُ أَنَا الْآخَرَى. وَكَانَ
بِالْبَصْرَةِ ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ مِنْ وَلَدِ عَتَّابِ بْنِ أَسِيدٍ كَانَ أَحَدُهُمْ يَحُجُّ عَنْ حَمْرَةٍ
وَيَقُولُ: أَسْتَشْهَدُ قَبْلَ أَنْ يَحُجَّ، وَكَانَ الْآخَرُ يُضَحِّي عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ
وَيَقُولُ أَخَوًا لِسَنَةِ فِي تَرْكِ الْأَضْحِيَّةِ، وَكَانَ الْآخَرُ يُفْطِرُ عَنْ عَائِشَةَ أَيَّامَ

(١) سورة المائدة ٥، آية ٤٥. والمعنى: كل الجروح توجب القصاص بشرط إمكان المماثلة
والمساواة وإلا تتحول العقوبة من القصاص إلى الدية.

التشريق ويقول: غَلِطْتُ في صومِها أيامَ العيد، فمن صامَ عن أبيه وأمه فأنا أفطرُ عن أُمِّي عائشة.

قال ثُمَامَةُ: كُنَّا فِي مَنْزِلِ رَجُلٍ مِنَ الدَّهَاقِينِ^(١) وَفِينَا شَيْخٌ مِنْهُمْ، فَأَتَى رَبُّ الْبَيْتِ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ وَمَسَحَ بَعْضُنَا شَارِبَهُ وَبَعْضُنَا يَدَيْهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَذْهَبُوا أَسْتَاهَكُمْ^(٢) تَأْمِنُوا الْحَزَازَ^(٣)، وَأَمِرُوهَا عَلَى وَجْهِكُمْ؛ فَأَخَذَ شَيْخٌ مِنْهُمْ بِطَرْفِ إصْبَعِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ حَاجِبِيهِ، فَعَمَدَ الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَةِ الدَّهْنِ فَصَبَّهُ فِي أُذُنِهِ؛ فَقُلْنَا لَهُ: وَيْحَكَ! هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا أَتَى بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَصَبَّهُ فِي أُذُنِهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ مَعَ هَذَا يَضْرُنِي.

قال عبد الله بن المبارك: كان عندنا رجلٌ يُكْنَى أبا خارجةً، فقلتُ له: لِمَ كَنَّاكَ أبا خارجة؟ قال: لِأَنِّي وُلِدْتُ يَوْمَ دَخَلَ سَلِيمَانُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَصْرَةَ. قال عمرو بن بَحْر: ذَكَرَ لِي ذَاكِرٌ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْإِبَاضِيَّةِ أَنَّهُ جَرَى ذِكْرُ الشَّيْعَةِ عِنْدَهُ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ وَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْكَرْتَ؟ قَالَ: أَنْكَرُ مَكَانَ الشَّيْنِ فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ لِأَنِّي لَمْ أَجِدْهَا قَطُّ إِلَّا فِي مَسْخُوطٍ عَلَيْهِ مِثْلُ شُؤْمٍ وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشُحٍّ وَشَغْبٍ وَشَيْبٍ وَشَكٍّ وَشِرْكٍ وَشَتَمٍ وَشَيْعَةٍ وَشَطْرُنْجٍ وَشَاكِيٍّ وَشَانِيٍّ وَشَجَجٍ وَشَوْصَةٍ^(٤) وَشَابَشْتَى وَشَكْوَى؛ فَقُلْتُ: مَا تَقُومُ بِهِؤَلَاءِ قَائِمَةٌ أَبَدًا. قَالَ: وَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ: عَجِبْتُ لِمَنْ يَأْخُذُ النَّوْمَ وَهُوَ لَا يَزْعُمُ أَنَّ الْإِسْطَاعَةَ مَعَ الْفَعْلِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! الْأَشْعَارُ الصَّاحُحُ؛ قُلْتُ: مِثْلُ مَاذَا؟ قَالَ: مِثْلُ قَوْلِ رُوَيْتٍ^(٥): [رجز]

مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَفَقَا

(١) الدهاقين: ج دُهَقَان وهو رئيس الإقليم.

(٢) الأستاه: ج سَنَه بفتح السين وكسره، وهو العُجْز.

(٣) الحَزَاز: هَبْرِيَّةٌ فِي الرَّأْسِ كَأَنَّهُ نُخَالَةٌ، وَاحِدَتُهُ حَزَازَةٌ.

(٤) الشَّجَجُ: أَثَرُ الشَّجَّةِ فِي الْجَبِينِ. وَالشَّوْصَةُ: وَجَعٌ فِي الْبَطْنِ.

(٥) هو رُوَيْتُ بْنُ الْعَجَّاجِ، أَحَدُ بَنِي مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ. هُوَ وَأَبُوهُ رَاجِزَانِ =

وقوله^(١):

[رجز]

يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقَعْنَ وَفَقًا^(٢)

وقوله:

[طويل]

مَكْرٍ مَقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا^(٣)

وقولهم في المثل: «وَقَعَا كَعِكْمِي»^(٤) «عَيْر» ثم قال: هل في هذا مَقْنَع؟ قلت: بلى وفي دُونِ هذا.

وَعَدَ رَجُلٌ رَجُلًا مِنَ الْحَمَقَى أَنْ يُهْدِيَ لَهُ مِنْ مَكَّةَ نَعْلًا، فطال عليه الإنتظار، فأخذ قارورةً فبال فيها ثم أتى بها الطبيب ثم قال: أنظر في هذا الماء هل يُهْدِي لِي بعضُ إخواني نَعْلًا حَضْرَمِيَّةً؟ وقال الزَيَادِي: مَرَّ أَشْعَبُ بِرَجُلٍ يَعْمَلُ طَبَقًا وقال له: زِدْ فِيهِ طَوْقًا؛ قال: وَلِمَ؟ قال: لَعَلَّهُ يُهْدِي لِي فِيهِ شَيْءٌ. أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْقَعْقَاعِ قَالَ: رَأَيْتُ أَشْعَبَ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ مَعَهُ قُطِيفَةٌ قَدْ ذَهَبَ خَمْلُهَا وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي

= مشهوران. كان أكثر مقامه في البصرة. مات في البادية وقد أسنَّ وذلك سنة ١٤٥ هـ. المؤلف والمختلف ص ١٢١. ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٥، والأعلام ج ٣ ص ٣٤.

(١) الْوَفْقُ: كل شيء يكون متفقاً على نمط واحد.

(٢) القول لرؤية نفسه: وقد ورد هذا الشطر في لسان العرب مادة (وفق) وأورده ابن عبد ربه في العقد (ج ١ ص ١٧٥) قائلاً: وقد غلط رؤية في وصف قوائم الفرس، وذكر نصف البيت.

(٣) هو صدر بيت لامرئ القيس يصف فيه سرعة فرسه:

مَكْرٍ مَقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودٍ صَخِرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

مَكْرٌ ومَقْبِلٌ: في نفس المعنى والمَفْرُ هو المدبر. انظر ديوان امرئ القيس ص ١٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

(٤) الْعِكْمَانُ: عِذْلَان يُشْدَانِ عَلَى جَانِبِي الْهُودَجِ بَثُوبٍ، والجمع أَعْكَامٌ. ولقد ورد هذا المثل في لسان العرب مادة (عكم) هكذا: «هَمَا كَعِكْمِي الْعَيْرُ». يقال للرجلين يتساويان في الشرف، ويروى هذا المثل عن هرم بن سنان أنه قاله لعلقمة وعامر حين تنافرا إليه فلم يُنْقَرْ واحداً منهما على صاحبه.

الرَّمْدَةُ^(١)؟ فأتاه رجلٌ فسأومَه؛ قال: أبرأُ إليك من عيبٍ فيها؛ قال: وما هو؟ قال: تَحْتَرِقُ إِنْ أَنْتَ لِبِسْتَهَا.

سقط أعرابيٌّ من بعيرٍ له، فأنكسرت ضِلَعٌ من أضلاعه فأتى الجابرٌ يستوصفُه؛ فقال: خُذْ تمرًا جيّدًا فَأَنْزِعْ أقماعه ونواه وأعجنه بسمِنٍ ثم أضمّده عليه؛ قال: أي بآبي أنت من داخلٍ أم من خارجٍ؟ قال: من خارجٍ؛ قال: لا أبا لِسَانِيكَ هو من داخلٍ أنفعُ لي؛ قال: ضَعه حيثُ تعلمُ أَنَّهُ أنفعُ.

مات ابنٌ صغيرٌ لأعرابيٍّ، فقيل له: نَرَجُو أن يكون لك شفيعاً؛ فقال: لا وَكَلْنَا اللهَ إلى شفاعته، حَسْبُهُ الْمَسْكِينُ أن يقومَ بأمرِ نفسه.

جاء أعرابيٌّ إلى المسجد والإمام يخطبُ، فقال لبعض القوم: ما هذا؟ قال: يدعونُ النَّاسَ إلى الطعام؛ قال: فما يقول صاحبُ المنبر؟ قال: يقول ما يَرْضَى الأعرابُ أن يأكلوا حتى يحْمِلُوا معهم؛ فتخطى الأعرابيُّ النَّاسَ حتى دنا من الوالي فقال: يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا.

أخذ الحجاجُ لَصاً أعرابياً فضربه سبعمائة سَوْطٍ فكلّما قرعه بسوطٍ قال: اللَّهُمَّ شَكَراً؛ فأتاه ابنُ عَمٍّ له فقال: والله ما دعا الحجاجُ إلى التماذي في ضربك إلا كثرةُ شُكْرِكَ، لأن الله يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢)؛ فقال: إِنَّ هذا في كتاب الله؟ فقال: اللَّهُمَّ نعم؛ فأنشأ الأعرابيُّ يقول: [رجز]

يَا رَبِّ، لَا شُكْرَ فَلَا تَزِدْنِي أَسْرَفْتُ فِي شُكْرِكَ فَأَعْفُ عَنِّي
بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

فبلغ الحجاجُ فخلّى سبيلَه. جاء أعرابيٌّ إلى صَبْرَفِي بدرهم؛ قال: هذا

(١) الرَّمْدَةُ: الكُدْرَةُ التي صارت كلون الرماد.

(٢) سورة إبراهيم ١٤، آية ٧، أي لَأَزِيدَنَّكُمْ من ثواب الآخرة. التفسير المبين.

سُتَوَقُّ^(١)؛ فقال الأعرابي: وما هو السُّتَوَقُّ بأبي أنت؟ قال: داخله نُحَاسٌ وخارجُه فضة؛ قال: ليس كذلك؛ قال: أَكْسِرُهُ فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ؟ قال: نعم؛ فكسره فلما رأى النحاس قال: بأبي أنت، متى أموت؟ فأنا أشهد أنك تعلم الغيب.

لما حضرت الحُطَيْئَةَ الوفاة قال: احملوني على حمار فإنه لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطُّ فلعلي أن أبقى، ثم تمثّل:

[طويل]

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنَّنِي رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيذٍ

المدائني قال: دعا رجلٌ بمكة لأُمّه؛ فقال له قائل: فما بالُ أهلك؟ قال: هو رجلٌ يحتالُ لنفسه. قيل لأشعب: أَرَأَيْتَ أَحَدًا قَطَّ أَطْمَعَ مِنْكَ؟ قال: نعم خَرَجْتُ إِلَى الشَّامِ فَنَزَلْتُ أَنَا وَرَفِيقُ لِي بَدِيرٍ فِيهِ رَاهِبٌ، فَتَلَحَّيْنَا فِي أَمْرٍ فَقُلْتُ: الْكَاذِبُ مِنَّا كَذَا مِنَ الرَّاهِبِ فِي كَذَا مِنْ أُمّه، فَأَتَى الرَّاهِبُ وَقَدْ أَنْعَطَ^(٢) وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي مَنْ الْكَاذِبُ مِنْكُمَا؟. مَرَّ إِسْحَاقُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ بِقَاصٍّ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾^(٣) فَتَنَفَّسَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَتَجَرَّعُهُ وَيُسِيغُهُ.

الأصمعي عن أبيه: قلتُ لأعرابي: أَفِيكُمُ زَنَاءٌ؟ قال: بِالْحَرَائِرِ؟ ذَاكَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَلَكِنْ مُسَاعَاةٌ بِهَذِهِ الْإِمَاءِ. مُوسَى بْنُ طَلْحَةَ قَالَ: جَاءَنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ شَبَابٌ مِنْ شَبَابِ قَرِيشَ، فَتَحَّيْنَا لَهُ عَنِ الْأُسْطُوَانَةِ وَقُلْنَا: هَا هُنَا يَا عَمُّ؛ فَقَالَ: يَا بَنِي أَخِي، أَنْتُمْ لَشَيْوَخِكُمْ خَيْرٌ

(١) السُّتَوَقُّ: بفتح السين وضمها: زِينٌ يَهْرَجُ مَلْبَسٌ بِالْفُضَّةِ أَوْ هُوَ أَرْدَأُ مِنَ الْبَهْرَجِ.

(٢) أَنْعَطَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ: عَلَاهُمَا الشَّبَقُ وَتَاقَتَا نَفْسُهُمَا لِلنِّكَاحِ، وَالشَّبَقُ هُوَ شِدَّةُ الشَّهْوَةِ.

(٣) سورة إبراهيم ١٤، آية ١٧. أَي لَا يُسِيغُهُ لِيَتَنَبَّهَ (تَتَنَّمَا، الصَّدِيدُ، وَالصَّدِيدُ خَلِيطٌ مِنْ قَبِيحِ دَمٍ) وَقَدَرَاتُهُ وَحَرَارَتُهُ وَمَرَاتُهُ، فَإِذَا بَلَغَ الْأَمْعَاءَ قَطَعَهَا. انظر التفسير المبين.

مِنْ مَهْرَةٍ^(١) فإنه إذا كَبِرَ الشَّيْخُ فِيهِمْ شَدُّهُ عِقَالاً ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ثَبَّ فِيهِ، فَإِنْ وَثَبَ خَلَّوْا سَبِيلَهُ وَقَالُوا: فِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ عُلَالَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَثَبْ قَدَّمُوهُ فَضَرَبُوا عِلَاوَتَهُ^(٢) وَقَالُوا: لَا يُصَيِّكَ عِنْدَنَا بَلَاءٌ.

قيل لبحر بن الأحنف: ما يمنعك أن تكون مثل أبيك؟ قال: الكسل. وقال يوماً لَزَبْرَاءَ جَارِيَةٍ أَبِيهِ: يَا زَانِيَةُ؛ فَقَالَتْ: لَوْ كُنْتُ كَذَلِكَ جِئْتُ أَبَاكَ بِمِثْلِكَ. أَبُو الْحَسَنِ قَالَ: جَاءَ قَوْمٌ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْوُجُوهِ فَقَالُوا لَهُ: مَاتَ جَارُكَ فَلَانَ فَمُرْ لَنَا بِكَفْنٍ؛ فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَكِنْ تَعُودُونَ؛ قَالُوا: أَفَنَمْلِي إِلَى أَنْ يَتيسرَ عِنْدَكَ شَيْءٌ! وَأَتَى رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ لَهُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، تُعِيرُنَا ثَوْبًا نَكْفِنُ فِيهِ مَيِّتًا؟ قَالَ قَاسِمُ التَّمَارِ فِي كَلَامٍ لَهُ: بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَالَ أَيْضًا: رَأَيْتُ إِيوَانَ كِسْرَى فَإِذَا هُوَ كَأَنَّمَا رُفِعَتِ الْيَدُ عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ أَمَسَ.

كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هَلَالٍ الْهِنَايِيُّ لَهُ زَبِيلٌ^(٣) مَمْلُوءٌ حَصاً لِلتَّسْبِيحِ، فَكَانَ يُسَبِّحُ بِوَاحِدَةٍ وَاحِدَةٍ، فَإِذَا مَلَ طَرَحَ ثِنْتَيْنِ ثِنْتَيْنِ ثُمَّ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، فَإِذَا زَادَ مَلَأَهُ طَرَحَهُ قَبْضَةً قَبْضَةً وَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَكَ، فَإِذَا ضَجَرَ أَخَذَ بِعُرَى الزَّبِيلِ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ بِعَدَدِ هَذَا كُلِّهِ. دَخَلَ قَوْمٌ مَنْزِلَ الرُّسْتُمِيِّ لِأَمْرِ وَقَعَ، فَحَضَرَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَقَالُوا: كَيْفَ الْقِبْلَةُ فِي دَارِكَ هَذِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا نَزَلْنَاهَا مِنْذُ شَهْرٍ.

الْمَدَائِنِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ عَنْ حَمِيدِ بْنِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ أَنَّ الشَّعْبِيَّ

(١) مَهْرَةٌ: حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ وَالْيَهُودِ تَنْسَبُ الْإِبِلَ الْمَهْرِيَّةَ. وَهُوَ مَهْرَةٌ بَنُ حَيْدَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَافِي بِنِ قِضَاعَةَ. جَمْعُهُ أَتْنَابُ الْعَرَبِ ص ٤٤٠ وَ ٤٨٥.

(٢) عِلَاوَةُ الرَّجُلِ: أَعْلَى رَأْسِهِ وَعُنُقُهُ.

(٣) الزَّبِيلُ: السَّرْقِين، أَيْ الزَّبِيلُ.

قال: مَرِضْتُ فَلَقِيتُ أَبْنَ الْحُرِّ فَأَمَرَنِي أَنْ أَمْشِيَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الثَّوْبَةِ، فَكَنتُ أَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَيْهَا، فَأَنْصَرَفْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا كُنْتُ فِي جُهَيْنَةِ الظَّاهِرَةِ إِذَا شَيْخٌ مِنْهُمْ قَاعِدٌ عَلَى طَنْفَسَةٍ^(١) مُتَكِيٌّ عَلَى وَسَادَةٍ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ أَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى الرَّمْلِ؛ فَقَالَ: لَقَدْ جَلَسْتَ جِلْسَةً عَاجِزٌ أَوْ ضَعِيفٌ؛ قُلْتُ: قَدْ جَمَعْتُهُمَا؛ قَالَ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ أَهْلِي كَانُوا يَتَخَوَّفُونَ عَلَيَّ ثَلَاثًا؛ نَقْصَانُ الْبَصَرِ وَتَرْكُ النِّسَاءِ وَالْقَطَافِ فِي الْمَشْيِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَيُرُونَ الشَّخْصَ وَاحِدًا وَأَرَاهُ آثْنَيْنِ، وَلَقَدْ تَرَكْتُ النِّسَاءَ فَمَا لِي فِيهِنَّ مِنْ حَاجَةٍ، وَإِنِّي لَأَمْشِي فَأَهْمِلُج^(٢)؛ قُلْتُ: أَدَامَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ.

قال المدائني: ركب يزيد بن نهشل النهشلي بعيراً وقال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ قُلْتَ: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٣) وَإِنِّي لَبُعِيرِي هَذَا لِمُقْرِنٍ؛ فَفَرَّ بِهِ فَطَرَحَهُ وَبَقِيَ رِجْلُهُ فِي الْغَرَزِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِرَأْسِهِ كُلَّ حَجَرٍ وَمَدَرٍ^(٤) حَتَّى مَاتَ.

حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: اختصمت الطُّفَاوَةُ وَبَنُو رَاسِبٍ^(٥) فِي رَجُلٍ يَدْعِيهِ الْفَرِيقَانِ إِلَى أَبْنِ عَرَبَاضٍ، فَقَالَ: الْحُكْمُ بَيْنَكُمْ أَيْنُ مِنْ ذَلِكَ، يُلْقَى فِي النَّهْرِ فَإِنْ طَفَا فَهُوَ لَطْفَاوَةٌ، وَإِنْ رَسَبَ فَهُوَ لِبْنِي رَاسِبٍ.

المدائني قال: لما حَضَرَتِ الْحُطَيْيَةُ الْوَفَاةَ قِيلَ لَهُ: أَوْصِ؛ قَالَ: بِمِ أَوْصِي! مَالِي لِلذَّكَورِ دُونَ الْإِنَاثِ؛ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ بِهَذَا؛ فَقَالَ: لَكِنِّي

(١) الطَنْفَسَةُ: الحَصِيرُ مِنْ سَعَفٍ عَرَضُهُ ذِرَاعٌ.

(٢) هَمْلُجُ الْبَرْدُونِ هَمْلُجَةٌ: مَشْيٌ مَشْيَةً سَهْلَةً فِي سُرْعَةٍ. وَالْبَرْدُونُ دَابَّةٌ أَوْ فَرَسٌ غَيْرُ أَصِيلٍ.

(٣) سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٤٣، آيَةُ ١٣. وَالْمَعْنَى: وَمَا كُنَّا لَهُ مُسْتَطِيعِينَ. التفسير المبين.

(٤) الْمَدَرُ: التُّرَابُ الْمَتَلَبِّدُ أَوْ قَطْعُ الطِّينِ الْيَابِسِ، وَاحِدَتُهُ مَدْرَةٌ.

(٥) الطُّفَاوَةُ وَبَنُو رَاسِبٍ بَطْنَانِ مِنَ الْعَرَبِ؛ فَالْبَطْنُ الْأَوَّلُ يَنْسَبُ إِلَى الطُّفَاوَةِ بِنْتُ جَرْمٍ بَنِ رَبَّانٍ، وَيَنْسَبُ الْبَطْنُ الثَّانِي إِلَى رَاسِبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ مَيْدَعَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْعَوْثِ.

جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٤ و ٣٨٦.

أمر به، ثم قال: ويل للشعر من راوية الشعر؛ فقيل له: أوص يا أبا مليكة للمساكين بشيء؛ قال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور. قيل: أعتق عبد يساراً؛ قال: اشهدوا أنه عبد ما بقي. قيل: فلان اليتيم ما توصي فيه؟ قال: أوصي أن تأكلوا ماله وتنيكوا أمه؛ قالوا: ليس إلا هذا! قال: احملوني على حمار فإنه لم يمت عليه كريم لعلي أنجو؛ ومات مكانه.

لما حضرت سعد بن زيد الوفاة جمع ولده وقال: يا بني، أوصيكم بالناس شراً كلموهم نزراً، وأنظروا إليهم شزراً، ولا تقبلوا لهم عُذراً؛ قَصُّروا الأَعْنَةَ، وأشحذوا الأَسِنَّة، تأكلوا القريب، ويرهبكم البعيد. ولما حضرت وكيعاً الوفاة دعا بنيه فقال: يا بني، إني لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أفرحوا جباههم وعرضوا لحاهم يدعون أن لهم على أبيكم ديناً فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضرزه، وإلا فهي مع ما تقدم.

تقدم رجل من بني العنبر إلى سوار فقال: إن أبي مات وتركني وأخاً لي، وخطَّ خطين ناحية، ثم قال: وهجينا لنا، ثم خط خطأً آخر ناحية، ثم قال: كيف ينقسم المال بيننا؟ فقال: المال بينكم أثلاثاً إن لم يكن وارث غيركم؛ فقال له: لا أحسبك فهمت، إنه تركني وأخي وهجينا لنا؛ فقال سوار: المال بينكم سواء؛ فقال الأعرابي يأخذ الهجين كما أخذ ويأخذ أخي؟ قال أجل! فغضب الأعرابي وقال: تعلم والله أنك قليل الخالات بالدُّهْناء^(١)؛ فقال سوار: إذا لا يضرني ذلك عند الله شيئاً.

(١) الدُّهْناء: الفلاة وموضع كله زمل، أو أرض في نجد لبني تميم. محيط المحيط. وقال في اللسان مادة (دهن): إنها موضع من بلاد بني تميم مسيرة ثلاثة أيام لا ماء فيه، يُمَدُّ ويقَصَّرُ. وقال في المنجد: الدهناء: هي صحراء النفود الصغرى بالمملكة العربية السعودية تمتد من =

قال بعض العُمَالِ الأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة؛ فقال: أرايت إن أنبأتك بذلك تجعل لي عليك مسألة؟ قال: نعم؛ قال الأعرابي: [رجز]

إن الصَّلَاةَ أربَعُ وأربَعُ ثم ثلاثٌ بعدهنَّ أربَعُ
ثم صلاةُ الفجرِ لا تُضَيِّعُ

قال: قد صدقت، فسَلْ؛ قال: كم فقارُ ظهرك؟ قال: لا أدري؛ قال: أفتَحْكُمُ بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟.

أخبرني رجل حضر مجلس محمد بن الجَهْمِ البرمكي أنه دخل عليه رجل يكتب في حوائج له؛ فقرأها ووَعَدَه قضاءها؛ فنَهَضَ وهو يدعوله وقال: أبقاك الله وحفظك وأتمَّ نعمته عليك؛ فقال له محمد بن الجهم: كتابي إليك وأنا في عافية.

طَبَائِعُ الْإِنْسَانِ

حدَّثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أبيه عن وَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ أَنَّهُ وَجَدَ فِي التَّوْرَةِ: إِنِّي حِينَ خَلَقْتُ آدَمَ رَكَّبْتُ جَسَدَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ ثُمَّ جَعَلْتُهَا وَرَاثَةً فِي وَلَدِهِ تَنْمِي فِي أَجْسَادِهِمْ وَيَنْمُونَ عَلَيْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: رُطْبٌ وَيَابَسٌ وَسُخْنٌ وَبَارِدٌ، وَذَلِكَ لِأَنِّي خَلَقْتُهُ مِنْ تَرَابٍ وَمَاءٍ ثُمَّ جَعَلْتُ فِيهِ نَفْسًا وَرُوحًا، فَيُؤَسِّسُهُ كُلُّ جَسَدٍ مِنْ قَبْلِ التَّرَابِ، وَرُطُوبَتُهُ مِنْ قَبْلِ الْمَاءِ، وَحَرَارَتُهُ مِنْ قَبْلِ النَّفْسِ، وَبَرُودَتُهُ مِنْ قَبْلِ الرُّوحِ، ثُمَّ خَلَقْتُ الْجَسَدَ بَعْدَ هَذَا الْخَلْقِ الْأَوَّلِ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْخَلْقِ الْآخِرِ وَهِيَ مِعْلَاكُ الْجَسَدِ بِإِذْنِي وَقِيَامُهُ، لَا يَقُومُ

= صحراء النفوذ الكبرى إلى الربع الخالي جنوباً، ورمال الدهناء حمراء لكثرة أكسيد الحديد. والخالات: ج خالة وهي أخت الأم. والمعنى: إنك قليل المعرفة قليل القَوْن.

الجسد إلا بهنَّ ولا تقوم واحدة إلا بهنَّ، المِرَّة الصفراء والمِرَّة السوداء والدم والبلغم، ثم أسكنتُ بعضَ هذه الخلق في بعضٍ فجعلت مسكنَ اليبوسة في المِرَّة السوداء ومسكنَ الرطوبة في الدم ومسكنَ البرودة في البلغم ومسكنَ الحرارة في المِرَّة الصفراء، فأَيُّما جسدٍ اعتدلت فيهِ هذه الفطرُ الأربع فكانت كلُّ واحدةٍ منهنَّ رُبعا لا يزيد ولا ينقص كملت صحته واعتدل بُنيانه، وإن زادت واحدةٍ منهنَّ غلبتُهنَّ وقهرتُهنَّ ومالت بهن ودخل على أخواتها السَّقم من ناحيتها بقدر ما زادت وإذا كانت ناقصةً تقلَّ عنهنَّ ملنَّ بها وعلوَّنَّها وأدخلنَّ عليها السَّقم من نواحيهنَّ لقلَّتْها عنهنَّ حتى تضعُف عن طاقتهن وتعجزَ عن مُقاومتهم. قال وهب: وجعل عقله في دماغه وشرَّه في كُليته، وغضبه في كَبِدِه، وصَرامته في قلبه، ورُعبه في رِثته، وضجَّكه في طَحاله وحزنه وفرحه في وجهه، وجعل فيه ثلثمائة وستين مَفَصِلا.

قال: حدَّثني زيد بن أخزم قال: حدَّثنا بشر بن عمر عن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كلَّ ابنِ آدم تَأْكُلُ الأرضُ إلا عَجَبَ الذنْبِ منه خُلِقَ وفيهِ يُرْكَبُ». وقالت الحكماء: الخَنَثُ يعتري الأعراب والأكراد والزَّنج والمجانين وكلَّ صنفٍ إلا الخَصِيَّان فإنه لا يكون خَصِيٌّ مُخَنَّث. وقالوا: كلَّ ذي رِيح مُنْتَنَةٍ وذفر كالتيث وما أشبهه، إذا خَصِي نقص نَتْنُهُ وذهب صُنَانُهُ^(١) غير الإنسان فإنَّ نَتْنَهُ يَشْتَدُّ وصُنَانُهُ يَجْدُّ وعرقه يَخْبُثُ وريحه. وكلُّ شيءٍ من الحيوان يُخَصَّى فإنَّ عَظْمَهُ يَدْقُ، فإذا دَقَّ عَظْمُهُ أَسْتَرَخَى لحمه وتبرأ من عَظْمِهِ خلا الإنسان فإنه إذا خَصِي طال عَظْمُهُ وعَرُضَ. وقالوا: الخَصِيَّ والمرأة لا يَصْلَعَان، والخَصِيَّ تطول قدمه وتعظم. وبلغني أنه كان لمحمد بن الجهم بِرَدَوْنٌ رقيق الحافر فَخَصَّاه فجاد حافرُهُ، اعتبر ذلك

(١) الصَّنَانُ: ذَفَرُ الإِبْطِ، والجمع أصْبَنَةٌ.

بالإنسان إذا خُصِي عَظْمَت رِجله. قالوا: والخصي يشتد وقَع رِجله لأن معاقد عَصَبه تسترخي، ويعتريه الاعوجاج والفَدَع^(١) في أصابعه، وتُسرع دَمَعته، ويتخذد^(٢) جلده، وتُسرع غضبُه ورضاه، ويضيق صدره عن كتمان السرِّ. ويزعم قوم أن أعمارهم تطول لترك الجماع، قالوا: وتلك عِلَّة طول عمر البغل. وقالوا: عِلَّة قَصَرِ عمرِ العُصفُور كثرة سِفاده^(٣). قالوا: وشأن الغريق إذا كان رجلاً ثم ظهر على الماء أن يظهر على قَفاه، وإن كان امرأة أن تظهر على وجهها. والرجل إذا ضُرِبَتْ عُنُقُه سقط على وجهه ثم يقلبه ذكره إذا أنتفخ. قالوا: وفي الغلمان من لا يحتلم أبداً، وفي النساء من لا تحيض أبداً، وذلك عيب. وفي الناس من لا يسقط ثَغْرُه ولا يستبدل منه، منهم عبد الصَّمَد بن عليّ ذكروا أنه دخل قبره برواضعه^(٤). والضَّبُّ لا تسقط له سنٌّ. وكذلك الخنزير لا يُلقِي شيئاً من أسنانه. ولذلك تقول العرب في مَثَلٍ لها: لا آتيك سِنَّ الجِسل^(٥) يريدون لا آتيك أبداً. وتقول الأطباء: إنه ليس شيء من الحيوان يستطيع أن ينظر إلى أديم السماء الا الإنسان، وذلك لكرامته على الله. ويقول بعضهم؛ إن الجِنَّين يغتذي دم الحيض يسيل إليه من السُّرة بغذائه؛ وقالوا: لذلك لا تحيض الحوامل. وقد رأينا من الحوامل من تحيض.

(١) الفَدَحُ: إغوجاج الرُّسُغ من اليد أو الرُّجُل.

(٢) تَخَدَّد جلده أو لحمه: تَشَنَّج.

(٣) سِفَاد الطير: نَزْو الذكر على الأنثى، وهو بمثابة الجماع عند الإنسان.

(٤) برواضعه: أي بأسنان الرُّضاع، والمعنى: مات دون أن تسقط سنٌّ من أسنانه.

(٥) الجِسل: ولد الضَّبِّ حين يخرج من بيضه، والجمع أحسال. ومعنى المثل: لا آتيك أبداً؛ قيل لأن الجِسل لا تسقط له سنٌّ حتى يموت. والنصب في «سِنَّ» على النيابة عن الظرف المحذوف أي مدة بقاء سِنَّ الجِسل. أنظر محيط المحيط للبستاني مادة (جسل) والمنجد. حرف الهمزة من باب الأمثال ص ٩٧٠.

والعرب تقول: حَمَلْتُ فَلَانَةً سَهْوًا، إذا حاضت على الحمل. قال الهذلي^(١)
يمدح رجلاً:

وَمُبْرٍ مِنْ كُلِّ غُبَرٍ حَيْضَةٍ وَرَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وَدَاءٍ مُعْضِلٍ^(٢)

فَاعْلَمْكَ أَنهَا لَمْ تَرَ عَلَيْهِ دَمَ حَيْضٍ فِي حَمْلِهَا، وَدَلٌّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ.
قالوا: فإذا خرج الجنين من الرَّحِمِ دفعت الطبيعة ذلك الدَّم الذي كان يغتذيه
إلى التَّدِينِ، وهما عُضْوَانِ نَاهِدَانِ عَصِيَّانِ فَعِيرَاهُ وَجَعَلَاهُ لَبْنًا. يقول الله عزَّ
وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبْنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾^(٣). قالوا: والإنسان يعيش حيث تحيا النار ويتلف
حيث لا تبقى النار. وأصحاب المعادن والحفائر إذا هجموا على نَفَقٍ فِي بطن
الأرض أو مغارة قَدَّمُوا شَمْعَةً فِي طَرْفِ قَنَآةٍ فَإِنْ ثَبَتَتِ النَّارُ وَعَاشَتْ دَخَلُوا فِي
طلب ما يريدون وإلَّا أَمْسَكُوا. والعرب تتشاءم بِبُكَرٍ وَلَدِ الرَّجُلِ إِذَا كَانَ ذَكَرًا.
وكان قيس بن زهير أَرْقَ بَكْرًا بَيْنَ بَكْرَيْنِ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَائِشَةَ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ

(١) هو أبو كبير عامر بن الحُلَيْسِ الهذلي كما ورد في اللسان مادة (غبر) وكما في ص ٦٥ من هذا
الجزء. وأبو كبير من بني سهل بن هذيل، شاعر فحل من شعراء الحماسة. قيل: أدرك
الإسلام وأسلم، الأعلام ج ٣ ص ٢٥٠.

(٢) الغُبَرُ: بقية دم الحيض، وَغُبَرُ المَرَضِ: بقاياها. والمُغِيلَةُ: الحَبْلَى أو التي تُغْشَى وهي
تُرَضَع؛ يقال: أَغِيلَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِ مَغِيلٌ. ولقد ورد عجز هذا البيت في لسان العرب هكذا:
وَفَسَادٍ مُرْضَعَةٍ وَدَاءٍ مُغِيلٍ. وأضاف ابن منظور قائلًا: وقوله: (وَمُبْرٍ) معطوف على قوله في
صدر بيت متقدم في القصيدة وهو: وَلَقَدْ سَرَيْتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَغْشَمٍ.

(٣) سورة النحل ١٦، آية ٦٦. والأنعام: الإبل والبقرة والغنم. والعبرة: دلالة على قدرة الخالق
وحكمته. نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ: أي من بعض الأنعام وهو الإناث لأن الذكور لا لبن فيها.
في بطونه: أي في بطون بعض الأنعام. وَالْفَرْثُ: ما يتبقى في الكرش بعد الهضم. ويقول
العارفون: إذا هضمت معدة الحيوان الغذاء طردت الفضلات الضارة إلى الخارج، وتمتص
العصارة النافعة، فتتحول إلى دم يسري في العروق والغدد التي في ضرع الأنثى، ويصبح لبنًا
خالصًا من رائحة الفَرْثِ والدم ولونهما وطعمهما.

نوفل قال: يَكْرُ البِكْرين شيطان مخلّد لا يموت إلى يوم القيامة؛ يعني من الشياطين. قالوا: وآبئُ المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال أخبث ما يكون، لأنه يأخذ بأخبث خصال أبيه وخصال أمه. والعرب تذكر أن الغيرة لا تُنجِب. قال عمرو^(١) بن معد يكرب:

[متقارب]

أَلَسْتُ تَصِيرُ إِذَا مَا نُسِبَ سَتَ بَيْنَ الْمُغَارَةِ^(٢) وَالْأَحْمَقِ

وقال بعض الحكماء: كُلُّ امرأةٍ أو دابةٍ تُبطيء عن الحبل، إذا واقعها الفحل في الأيام التي يجري الماء في العود فإنها تحمل بإذن الله. قال عبيد الله بن الحسن: إذا أردت أن تُذكرَ المرأةَ فَأَغْضِبْهَا ثم قَعْ عليها. وقال الحارث ابن كلدة: إذا أردت أن تحبل المرأة، فمشها في عَرَضَةِ الدار عشرة أشواط فإن رَحِمَهَا ينزل فلا تكاد تُخلف. والعرب تقول: إن المرأة إذا لَقِحت في قُبُلِ الطَّهْرِ^(٣) في أول الشهر عند تَبَلُّجِ الفجر ثم أذْكَرَتْ^(٤) جاءت به لا يطاق. قال الشاعر وجمع هذه المعاني:

[خفيف]

لَقِحتُ في الهلالِ عن قُبُلِ الطَّهْرِ ر وقد لاح للصباح بشيرٌ

ويقولون: إذا أكره الرجل المرأة وهي مذعورة ثم أذْكَرَتْ أنجبت. قال

[كامل]

أبو كبير الهذلي:

حَمَلْتُ بِهِ فِي لَيْلَةِ مَرْوُودَةٍ^(٥) كُرْهاً وَعَقْدُ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْلَلْ

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول، الحاشية رقم ٢ من ص ١٢٧.

(٢) المغارة: من أغارها زوجها بتزوجه عليها.

(٣) قُبُلُ الطَّهْرِ بضم الباء وسكونها: أول الطهر.

(٤) أذْكَرَتْ المرأة: وَلَدَتْ ذَكَراً، فهي مُذَكِّرٌ.

(٥) مَرْوُودَةٌ: مذعورة، نُسِبَ الذعر إلى الليلة لوقوعه فيها من باب الإسناد المجازي كما في

قولهم: «نهاره صائمٌ وليله قائمٌ» فإن الصوم والنوم واقعان في الليل والنهار لا منهما. وعليه

قوله في البيت الذي يليه ومعناه: جاءت بذلك الولد ذكياً الفؤاد ضامر البطن قليل النوم.

وذلك إذا نام البطيء الثقيل في ليله، فأسند النوم إلى الليل كما ترى. كما يجوز أن تكون: =

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا، إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجَلِ^(١)
وَمُبْرًا مِنْ كُلِّ غُبْرِ حَيْضَةٍ وَرَضَاعٍ مُغِيلَةٍ وَدَاءٍ مُعْضِلٍ^(٢)

يقول: لم تَزَّ عليه في حملها دماً باقياً من حَيْضَةٍ ولا حملته وهي تُرْضِعُ ولا أَرْضَعَتْهُ وهي حامل؛ فكانت العرب تكره ذلك وتسبُّ به. وقال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهِيَ عَنِ الْغِيلَةِ^(٣) ثُمَّ ذَكَرْتُ أَنَّ فَارَسَ وَالرُّومَ يَفْعَلُونَهُ فَلَا يَضُرُّهُمْ» وفي حديث آخر: «إِنَّهُ لَيُدْرِكُ الْفَارَسَ فَيُدْعِثُهُ» أي يطرحه.

جَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: رَأَيْتُ جَدَّةً ابْنَةَ إِحْدَى وَعَشْرِينَ سَنَةً. قَالَ: وَأَوَّلُ أَوقَاتِ حَمْلِ الْمَرْأَةِ تِسْعُ سِنِينَ، وَهُوَ أَوَّلُ وَقْتِ الْوُطْءِ. وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ عَنْ أَبِي عَجْلَانَ أَنَّ أَمْرَأَتَهُ حَمَلَتْ لَهُ مَرَّةً وَأَقَامَتْ خَمْسَ سِنِينَ حَامِلًا ثُمَّ وَلَدَتْ لَهُ، وَحَمَلَتْ لَهُ مَرَّةً أُخْرَى ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ وَلَدَتْ. قَالَ اللَّيْثُ: وَحَمَلَتْ مَوْلَاً لِعَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى خَافَتْ أَنْ يَكُونَ فِي جَوْفِهَا دَاءٌ ثُمَّ وَلَدَتْ غَلَامًا، قَالَ اللَّيْثُ: وَرَأَيْتُ أَنَا ذَلِكَ الْغَلَامَ وَكَانَتْ أُمُّهُ تَأْتِي أَهْلَنَا. وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ أَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لَثْمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَلِذَلِكَ لَا يُولَدُ مَوْلُودٌ لَثْمَانِيَةَ أَشْهُرٍ فَيَعِيشُ. وَرَوَى زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتُ بْنُ جَابَانَ الْعِجْلِيُّ أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ مُزَاحِمٍ وُلِدَ وَهُوَ أَبْنُ سِتَّةٍ عَشَرَ شَهْرًا. فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ فَإِنَّهُ رَوَى عَنْ جُوَيْرٍ أَنَّ الضَّحَّاكَ وُلِدَ لِسِتَيْنِ. وَوُلِدَ شُعْبَةُ لِسِتَيْنِ.

= «مَرْوُودَةٌ» بِالنَّصْبِ حَالًا مِنَ الْمَرْأَةِ.

(١) حُوشُ الْفَوَادِ: حَلِيدُهُ، أَيْ ذَكَى الْفَوَادِ. وَضَامِرُ الْبَطْنِ: خَمِيصُهُ. وَسُهْدًا: قَلِيلُ النَّوْمِ. وَالْهَوَجَلُ: الْبَطْيَاءُ الثَّقِيلُ. أَنْظَرَ لِسَانَ الْعَرَبِ مَادَّةَ (حُوش).

(٢) تَقْدِمُ هَذَا الْبَيْتَ فِي الصَّحِيفَةِ ٦٤ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٣) الْغِيلَةُ: أَيْ أَنْ يَمْسُ الرَّجُلُ أَمْرَأَتَهُ وَهِيَ تُرْضِعُ.

حدَّثنا الرياشيُّ أو رجل عنه قال: حدَّثنا أبو عاصم عن عبد الله بن مُؤمِّل عن ابن أبي مُليكة أن عمر رحمه الله قال: يا بني السائب، إنكم قد أضويتم فأنكِحوا في النزاع^(١). قال: وقال الأصمعيُّ: قال رجل: بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما ضرب رؤوس الأبطال كآبن عجمية. والعرب تقول: اعتبروا لا تُضوّوا، أي أنكِحوا في الغرائب فإنَّ القرائب يُضَوِّين الأولاد. قال الشاعر:

[رجز]

إِنَّ بِلَالاً لَمْ تَشْنُهُ أُمُّهُ لَمْ يَتَنَاسَبْ خَالُهُ وَعَمُّهُ

[طويل]

وقال آخر:

تَجَبَّهْتُهَا لِلنَّسْلِ وَهِيَ غَرِيبَةٌ فَجَاءَتْ بِهِ كَالْبَدْرِ خِرْقًا^(٢) مُعَمَّمَا
فَلَوْ شِئْتُمْ الْفِتْيَانَ فِي الْحَيِّ ظَالِمًا لَمَا وَجَدُوا غَيْرَ التَّكْذُوبِ مَشْتَمًا^(٣)

وكان يقال: أنجب النساء الفُرُوك^(٤)، لأن الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجال.

وحدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيِّ أن المُنْجِبَةَ التي تَنْزِعُ بولدها إلى أكرم الجدّين! أبو حاتم عن الأصمعيِّ قال: حدَّثنا حَرْبُ بْنُ قَطَنٍ قال: يقال: إن الرجل يستفرغ ولد امرأتين، يُولد له وهو ابن تسعين سنة. وقالت عائشة: لا تلد امرأة بعد خمسين سنة. قالت الحكماء: الزَّنجُ شِرَارُ الْخَلْقِ وَأَرْدُوهُمْ تَرْكِيبًا؛ لأنَّ بلادهم سُخُنَتْ فَأَحْرَقَتْهُمْ الْأَرْحَامُ، وكذلك من بَرَدَتْ بِلَادُهُ فَلَمْ

(١) أَضَوَّى الرَّجُلُ: وَلَدَ لَهُ غُلَامٌ ضَاوِيٌّ، وَالضَّاوِي: الضَّعِيفُ. وَالنِّزَاعُ: حِجْ نَزِيعَةٍ وَهِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تُزَوِّجُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَتِهَا.

(٢) الْخِرْقُ؛ الْفَتَى الْحَسَنُ الْكَرِيمُ الْخَلِيقَةُ.

(٣) يَرُدُّ الشَّاعِرُ هُنَا عَجْزَ الْبَيْتِ عَلَى صَدْرِهِ كَمَا تَقْتَضِيهِ ضَاعَةُ الْبَلَاغَةِ.

(٤) الْفُرُوكُ مِنَ النِّسَاءِ: الْمَرْأَةُ الَّتِي تَبْغِضُ زَوْجَهَا.

تَطْبُخُهُ الأَرْحَامُ، وَإِنَّمَا فَضَّلَ أَهْلُ بَابِلَ لَعَلَّةَ الاعتدال؛ قالوا: والشمسُ شَيَّطَتْ^(١) شعورهم فقبضتها، والشَّعْرُ إِذَا أَذْنَبَتْهُ إِلَى النَّارِ تَجَعَّدَ، فَإِنْ زِدْتَهُ تَغْلُفَ، فَإِنْ زِدْتَهُ أَحْتَرَقَ. وقالوا: أَطِيبَ الأَمَمُ أَفْوَاهُ الزَّيْنَجِ وَإِنْ لَمْ تَسْتَنْ^(٢)؛ وكل إنسان رَطْبُ الفم كثير الريق فهو طَيِّبُ الفم؛ وخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ يَكُونُ لَخُثُورَةً^(٣) الريق؛ وكذلك الخُلُوفُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ. وقالت الحكاء. كُلُّ الْحَيَوَانِ إِذَا أُلْقِيَ فِي الْمَاءِ سَبَحَ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَالْقِرْدَ وَالْفَرَسَ الْأَعْسَرَ^(٤)، فَإِنْ هَذِهِ تَغْرَقُ وَلَا تَسْبَحُ إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّمَ الْإِنْسَانُ السَّباحَةَ. قالوا: وَالرَّجُلُ إِذَا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ فَالْقِيَّ فِي الْمَاءِ قَامَ فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَأَنْتَصَبَ وَلَمْ يَلْزِمِ الْقَعْرَ جَارِياً كَانَ الْمَاءُ أَوْ سَاكِئاً، حَتَّى إِذَا جِئِفَ أَنْفَلَبَ وَظَهَرَ بَدْنُهُ كُلَّهُ مُسْتَلْقِياً إِلَّا الْمَرْأَةَ فَإِنَّهَا تَظْهَرُ مُنْكَبَّةً عَلَى وَجْهِهَا. وقالوا: كُلُّ مَنْ قُطِعَتْ يَدَاهُ لَمْ يُجِدِ الْعَدُوَّ، وَكَذَلِكَ الطَّائِرُ إِذَا قُطِعَتْ رِجْلَاهُ لَمْ يُجِدِ الطَّيْرَانَ. قالوا: وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ هَارِبٌ مِنْ حَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا يَسْتَعْمِلُ الْحُضْرَ^(٥) إِلَّا أَخَذَ عَنْ يَسَارِهِ إِلَّا أَنْ يَتْرَكَ عَزْمَهُ أَوْ سَوْمَ طَبِيعَتِهِ. وَلِذَلِكَ قَالُوا: فَجَاءَكَ عَلَى وَخْشِيَّةٍ^(٦)، وَأَنْحَى^(٧) عَلَى سُؤْمَى يَدَيْهِ. وقالوا: كُلُّ ذِي عَيْنٍ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ مِنَ السَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ الْوَحْشِيَّةِ وَالْإِنْسَانِ فَإِنَّمَا الْأَشْفَارُ لَجَفَنَتِ الْأَعْلَى إِلَّا الْإِنْسَانَ فَإِنَّ الْأَشْفَارَ - نَعْنِي الْهُدْبَ - لَجَفْنِيهِ: الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلَ. قالوا: لَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ يَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ نَفْسِهِ وَيَعْتَرِيهِ الْغَلَطُ فِي شِعْرِهِ وَوَلَدِهِ. قَالَ الطَّائِي: [كامل]

(١) شَيَّطَتِ الشَّمْسُ شعورهم: أحرقتها.

(٢) تَسْتَنْ: تَسْتَاكُ، أَيْ تَتَذَلَّلُ بِالْمِسْوَاكِ.

(٣) الْخُثُورَةُ: ضِدُّ الرِّقَّةِ.

(٤) الْأَعْسَرُ: الَّذِي يَعْمَلُ بِالشَّمَالِ دُونَ الْيَمِينِ.

(٥) الْحُضْرُ: إِرْتِفَاعُ الْفَرَسِ فِي عَدْوِهِ.

(٦) الْوَحْشِيَّةُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَوْ الْحَيَوَانِ: الْجَانِبُ الْأَيْسَرُ أَوْ الْيَمِينُ.

(٧) أَنْحَى عَلَى سُؤْمَى يَدَيْهِ: اعْتَمَدَ عَلَيْهَا، وَسُؤْمَى الْيَدَيْنِ الْيَدُ الْيَسْرَى.

وَيُسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ هُوَ بَابْنُهُ وَيَشْغِرُهُ مَفْتُونٌ
وقالوا: كُلُّ ذِي جِلْدٍ فَإِنَّ جِلْدَهُ يَنْسَلِخُ إِلَّا جِلْدَ الْإِنْسَانِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْسَلِخُ
كَمَا تَنْسَلِخُ جُلُودُ الْأَنْعَامِ وَلَكِنَّ اللَّحْمَ يَتَّبِعُهُ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ ابْنِ أَبِي طَرَفَةَ الْهَذَلِيِّ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ
شُعَيْبٍ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ الْمَوْلُودَ قَبْلَ أَنْ يَغْتَذِيَ مِنْ لَبَنِ أُمِّهِ فَعَلَى وَجْهِهِ مَصْبَاحٌ
مِنَ الْبَيَانِ^(١)؛ يَرِيدُ أَنْ أَلْبَانَ النِّسَاءَ تُغَيِّرُهُ؛ وَلِذَلِكَ قَوْلُهُمْ: اللَّبَنُ يُشْتَبِهُ عَلَيْهِ؛
يُرَادُ أَنَّهُ يَنْزَعُ بِالْمَوْلُودِ فِي شَبهِ الظُّثْرِ^(٢). قَالَ الشَّاعِرُ:

لَمْ أَرْضَعْ الدَّهْرَ إِلَّا نَذْيَ وَاحِدَةٍ لِيُوضِحَ الْوَجْهَ يَحْمِي سَاحَةَ الدَّارِ.
وَحَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عُمَرَ
أَتَى بِأَمْرَأَةٍ وَلَدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ فَهَمَّ بِهَا؛ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: قَدْ يَكُونُ هَذَا، قَالَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٣) وَقَالَ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ
أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾^(٤).

أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: اخْتَصَمَ رَجُلَانِ فِي غُلَامٍ كِلَاهُمَا يَدَّعِيهِ؛
فَسَأَلَ عُمَرُ أُمَّهُ؛ فَقَالَتْ: غَشِيَنِي أَحَدُهُمَا ثُمَّ هَرَقْتُ دَمًا، ثُمَّ غَشِيَنِي الْآخَرُ،

(١) المراد من البيان هنا الصفاء والإشراق.

(٢) الظُّثْرُ: العاطفة على ولد غيرها المَرْضُوعَةُ لَهُ، فِي النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ.

(٣) سُورَةُ الْأَحْقَافِ ٤٦، آيَةُ ١٥. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (ع) أَوَّلُ مَنْ
اسْتَنْبَطَ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّ أَقْلَ مَدَّةِ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ. وَكَانَ رَجُلٌ قَدْ شَكَا لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ أَنَّ
زَوْجَتَهُ وَلَدَتْ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَأَمَرَ بِرَجْمِهَا فَرَجِمَتْ حَتَّى الْمَوْتِ، فَاتَاهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ وَقَالَ لَهُ: أَمَا
تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وَيَقُولُ:
﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وَبِذَلِكَ يَبْقَى مِنَ الثَّلَاثِينَ شَهْرًا سِتَّةُ أَشْهُرٍ فَقَطْ.
التفسير المبين.

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢، آيَةُ ٢٣٣. وَالْمَعْنَى: لِيُرْضِعَ الْأُمَهَاتُ أَوْلَادَهُنَّ سِتَيْنِ كَامِلَتَيْنِ، وَيَسُوِّغَ تَرْكَ
الرُّضَاعِ إِلَى غِذَاءِ آخَرٍ لَا يَقْلُ نَفْعُهُ عَنْ حَلِيبِ الْأُمِّ، فَإِنَّ حَلِيبَهَا وَسِيلَةٌ لَا غَايَةَ. الْمَصْدَرُ السَّابِقُ
وَالْحَاشِيَةُ رَقْمُ ١ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ.

فدعا عمر قائفين^(١) فسألهما؛ فقال أحدهما: أُعْلِنُ أم أُسِرُّ؛ قال: إشتراكا فيه؛ فضربه عمر حتى أضطجع ثم سأل الآخر، فقال مثل قوله؛ فقال: ما كنتُ أرى أن مثل هذا يكون. وقد علمتُ أن الكَلْبَةَ يَسْفِدُهَا^(٢) الكلابُ فتؤدِّي إلى كلِّ فحل نجله. وركبُ الناس في أرجلهم وركبُ ذوات الأربع في أيديها، وكل طائر كفَّه في رجله.

ما نقص خلقه من الحيوان

حدّثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: الفَرَسُ لا طِحَال له، والبعيرُ لا مَرَاة له، والظليمُ^(٣) لا مَخْ لعظمه. قال زهير:

كَانَ الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ صَعْلٍ^(٤) مِنَ الظُّلْمَانِ جُوجُوهُ^(٥) هَوَاءُ
وكذلك طيرُ الماء وحيتان البحر لا ألسنة لها ولا أذمغة. وصَفَنَ^(٦) البعير لا بَيْضَة فيه. والسَّمَكَة لا رِثَة لها ولذلك لا تَتَنَفَّس، وكل ذي رِثَة يَتَنَفَّس.

المشركات من الحيوان

الراعي^(٧) بين الـوَرَشَانِ^(٨) والحمامة. والبَحَاتِي^(٩) من الإبل بين العَرَابِ^(١٠)

(١) القائف: الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه.

(٢) سَفَدَ الذَّكَرُ على الأنثى يسفد: نَزَا عليها ووثب؛ قيل هو خاص بغير الإنسان من الحيوان. وقد يستعمل للإنسان مجازاً.

(٣) الظليم: الذكر من النعام، والجمع ظُلْمَان بضم الظاء وكسرهما.

(٤) الصَّعْلُ: الطويل.

(٥) الجُوجُوهُ: الصدر.

(٦) الصَّفَنُ: وعاء الخصية.

(٧) الراعي: طائر متولد بين الـوَرَشَانِ والحمام كثير النسل يعيش طويلاً، وهو أَلُوف.

(٨) الـوَرَشَانُ: طائر شبيه الحمامة، والأنثى وَرْشَانَة والجمع ورشان بكسر الواو، وهو ذكر القَمَارِيِّ لأن الأنثى قَمْرِيَّة.

(٩) البَحَاتِي: ج بُحْتِي وهو واحد البُحْت (الإبل الخراسانية).

(١٠) الإبلُ العَرَاب: الكرائم السالمة من الهجنة، والواحد عربي.

والفَوَالج^(١). والحمير الأَخْدَرِيَّة من الأَخْدَر وهو فرس كان لأردشير توحش فحَمَى عَانَاتٍ^(٢) من الحمير فضرب فيها، وأعمارُها كأعمار الخيل. والزَّرَافَة بين الناقة من نُوق الوحوش وبين البقرة الوحشية وبين الضَّبْعَان^(٣)؛ وأسمها أَشْتُرَكَ وَبَلَنَك^(٤) أي بين الجمل والكركند^(٥)؛ وذلك أن الضَّبْعَان ببلاد الحبشة يسفدُ الناقة فتجيء لولد خلقه بين الناقة والضَّبْع، فإن كان ولدُ الناقة ذَكَراً عَرَضَ للمهاة^(٦) فألقحها زَرَافَة. وسُمِّيت زرافة لأنها جماعة وهي واحدة كأنها جمل وبقرة وضبُع؛ والزَّرَافَة في كلام العرب الجماعة. وقال صاحب المنطق: الكلاب تسفدها الذئاب في أرض سَلُوقِيَّة^(٧) فيكون منها الكلام السَلُوقِيَّة.

المتعاديَاتُ

بين البوم والغراب عداوة. وبين الفأرة والعقرب عداوة. وبين الغراب وأبن عِرْس^(٨) عداوة. وبين الجِذَاء والغُذَاف^(٩) عداوة. وبين العنكبوت وبين العِظَاءَة^(١٠) عداوة. وبين الحية وبين آبن عِرْس عداوة. وبين آبن آوى^(١١).

(١) الفوالج: ج فالج وهو جمل ضخم ذو سنامين يُحْمَل من السند للفحلة.

(٢) العانات: ج عانة وهي القطيع من حُمَر الوحش.

(٣) الضبْعان: الذكر من الضباع.

(٤) كلمة فارسية مركبة من «أشتر» أي البعير «وكاو» أي البقر و«بلنك» آبن النمر.

(٥) الكركند: حيوان طوله مائة ذراع فأكثر وسماه الجاحظ الكُرْكُذَن، وأكثر ما يوجد في بلاد الهند والنوبة، وهو دون الجاموس ويقال إنه متولد بين الفرس والفيل.

(٦) المهاة: البقرة الوحشية.

(٧) نسبة إلى سَلُوق وهي قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب.

(٨) ابن عيرس: دويبة كالفأرة أشتر أضلم، والجمع بنات عيرس.

(٩) الجذاء: طائر يصطاد الجرذان، والجمع حدأ وجداء وجدآن. والغُذَاف: الغراب، وخص بعضهم به غراب القيظ الضخم الوافر الجناحين.

(١٠) العِظَاءَة: دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً، لا تؤذي وتسمى شحمة الأرض وشحمة الرمل.

(١١) ابن آوى: حيوان طويل المخالب والأظفار، يأكل الطيور، وخوف الدجاج منه أشد من خوفها =

والدَّجَاج عداوة. وبين السُّنُور والحَمَام عداوة. وبين البُوم وبين جميع الطير عداوة، لأن البومة رديّة البصر ذليلة بالنهار فإذا كان الليل لم يَقْوَ عليها شيء، والطير تعرف ذلك من حالها فهي بالنهار تضربها وتنتف ريشها، ولحرصها على ذلك صار الصائد ينصبُّها للطير. وبين الحمار وبين عُصْفُور الشوك عداوة، ومتى نَهَقَ الحمار سقط بَيْض عصفور الشوك. وبين الحمار وبين الغراب عداوة. وبين الحيّة والخنزير عداوة. والغراب مصادق للثعلب. والثعلب مصادق للحيّة. والجمال يكره قُرب الفرس أبداً ويقاتله. وبين الأسد وبين الفيل عداوة. ويقال: إِنَّ الأسد والنِّمِر مختلفان، والأسد والبَيْر^(١) متفقان.

الأمثال المضروبة بالطبائع

يقال: فلان «أَسْمَعُ من قُرَادٍ^(٢)»؛ والقِرْدَان تكون عند الماء فإن قُرِبَتْ الإبل منها تحرّكت وأنتعشت، فيستدلّون بذلك على إقبال الإبل. و«أَسْمَعُ من فرس». و«أحزم من فرخ العقاب»، وذلك أنه يكون في عُرْض الجبل فلا يتحرّك فيسقط. و«أحلم من حيّة». و«أهدى من قَطَاةٍ وَحَمَامَةٍ». و«أَخَفَ رأساً من الذئب». و«أنوم من فَهْدٍ». و«أظلم من حيّة»، وذلك لأنها تدخل جِجْرَةَ الحشرات وتخرجها. و«أحذر من غراب». و«أصنع من تَنَوُّطٍ»، وهو طائر يصنع عُشّاً مُدَلِّيً من الشجر. و«أصنع من سُرفَةٍ»، وهي دُوَيْبَّة تعمل بيتاً من قطع العيدان. و«أسرق من زَبَابَةٍ»، وهي فأرة بريّة. و«أسرق من كُنْدُشٍ»

= من الثعلب، ويذكر اللميري أن ابن آوى إذا مرّ تحت الدجاج، وهي على الشجرة أو الجدار، تساقطت وإن كانت عدداً كثيراً.

- (١) البَيْرُ: بفتح الباء الأولى وسكون الثانية أو كسرهما، هو الأسد الهندي والجمع بَيُور، معرّب.
(٢) القُرَاد: ج قرادة وهي دُوَيْبَّة تتعلق بالبعير ونحوه. قيل: إنه يسمع أخفاق الإبل من مسيرة يوم فيتحرك. المنجد في اللغة والأعلام مادة (سمع) من باب «في الأمثال والأقوال السائرة عند العرب».

وهو الْعُقَقُ؛ ويقال أيضاً: «أحمق من عَقَقٍ» لأنه من الطير الذي يُضَيِّع فراخه. و«أخرق من حمامة»، وذلك لأنها لا تُجيد عمل العُشِّ فربما وقع البيض فأنكسر. قال عبيد بن الأبرص^(١): [مجزوء الكامل]

عَيُّوا بأمرهمو كما عَيَّتْ بَيِّضَتِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ^(٢)

يقول: قَرَنْتِ النَّشْمَ بِالثَّمَامِ وهو ضعيف فتكسّر ووقع البيض فأنكسر. وفي الإنجيل أَنَّ المسيح عليه السلام قال للحواريين: كونوا حُلُمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُلْهَاءَ كَالْحَمَامِ. و«أعق من ضَبٍّ»، لأنه يأكل ولده من الجوع. و«أبر من هِرَّةٍ»، وهي تأكل ولدها من شدة محبته. و«أروغ من ثعلبٍ». و«أموق من رَحْمَةٍ». و«أزهى من ذبابٍ» لأنه يقع على أنف الملك وتاجه. و«أصنع من الدَّبَرِ»، وهي النحل. و«أسمح من لافطةٍ»، ويقال: هي العنز تسمع بالحلب، ويقال: الرِّحَا، لأنها تلفظ ما تطحنه لا تحبس منه شيئاً. و«أصرد من عين جرباء^(٣)». و«الح من الخُنْفَاءِ». و«أخيل من مُذَالَةٍ»، وهي الأمة تُهان وهي تتبختر. و«أحلم من فرخ الطائر». و«أكيس من قِشَّةٍ»، وهي القردة. و«أجبن من صافِرٍ^(٤)»، وهو ما صَفَرَ من الطير، ويقال: هو الصَّافِر

(١) عبيد بن الأبرص الأسدي شاعرٌ من دهاة الجاهلية وحكائها. عمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر في يوم يؤسه نحو ٢٥ ق هـ. المؤلف والمختلف ص ٥٠ و ١٥٣، والأعلام ج ٤ ص

١٨٨.

(٢) النَّشْمُ: شجر جبلي تتخذ منه القسي. والثمامة: واحدة الثمام: نبت ضعيف.
(٣) أُمُوقٌ: أحمق، من الموق وهو الحمق. والرَّحْمَةُ: واحدة الرَّحْمِ، وهو طائر أبقع يشبه النَّشْرَ في الخلقة ويقال له الأخوف يختار لبيضة أطراف الجبال الشاهقة ومواقع الصدوع وخلال الصخور ليغسّر الوصول إليه. والعامة تسميه الشَّوْحَ.

(٤) أَصْرَدُ من عين جرباء: مثل يضرب لمن أصابه بَرْدٌ شديد، لأن الجرباء يدور مع الشمس ويستقبلها بعينه ليستجلب إليه الدفء؛ يقال: صَرَدَ الرجلُ يَصْرُدُ صَرْدًا: وجد البرد سريعاً.

(٥) الصافر: هو كل ما يَصْفِرُ من الطير، والصفير لا يكون في سباع الطير بل في ما يُعاد منها. =

بالمرأة للريبة. و«أنم من صُبَح». و«أبعد من بَيَض الأنوق»، والأنوق: الرِّخمة تبيض في أعالي الجبال والشواقي حيث لا يبلغه سُبُع ولا طائر. و«أشجع من لَيْثِ عِفْرَيْن»^(١)، قال بعضهم: هو الأسد، كأنه قال: أشجع من لَيْثِ لِيُوث تغفر من نازعها وتصرعه، وقال الأصمعي: هو دابة مثل الحِرْبَاء يتحدّى الراكب ويضربه بذنبه. و«أحنُّ من شَارِفٍ»، وهي الناقة المُسِنَّة. و«أسرع من عَذْوَى الثُّوبَاء»^(٢). و«أروى من النَّقَاقَة»، وهي الضَّفَادع. و«أزنى من قَرْدٍ»، ويقول بعضهم: إنه رجل من هُذَيْل كان كثير الزنا. و«أخدع من ضَبَّ». و«أشأم من الزَّرْقَاء»^(٣) وهي ناقة.

الأنعام

حدّثني يزيد بن عمرو عن عبد العزيز الباهلي عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خلق الله دابةً أكرم عليه من النَّعْجَة وذلك أنه ستر عورتها ولم يستر عورة غيرها».

وقال: حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن إهاب بن عُمَيْر قال: كان لنا جمل يعرف كَشَحَ الحامل من غير أن يُشَمَّهَا. قيل لابنة الخُسّ^(٤): ما تقولين في مائة من المعزّم قالت: قِنَى؛ قيل: فمائة من الضأن؟ قالت: غِنَى؛ قيل:

= وذكر محمد بن حبيب أن الصافر هو طائر يأخذ غصن شجرة برجليه ويتدلّى منكوساً ويصفر طول الليل مخافة أن ينام فَيُؤْخَذَ. وقال الحريري في مقامته التَّبْرِيزِيَّة إن المراد بالصافر من يصفر بالمرأة لريبة فإنه يجبن عند صغيره مخافة أن يظهر أحد على أمره.

(١) الليث العِفْرَيْن: الأسد.

(٢) الثُّوبَاء: فترة تعترى الشخص فيفتح عندها فاه واسعاً وهو تنفس يفتح له الفم ملياً من دون قصد.

(٣) الزَّرْقَاء: ناقة نفرت براكبها فذهبت في الأرض، فجرى بها المثل في الشُّؤم.

(٤) ابنة الخُسّ؛ امرأة من إباد جاءت عنها الأمثال وأسمها هند وكانت معروفة بالفصاحة

فمائة من الإبل؟ قالت: مُنَى. والعرب تضرب المثل في الصَّرد بالمِعزَى فتقول: «أَصْرَدُ مِنْ عَنَزِ جَرَبَاء»^(١). وسئل دَغْفَلُ عَنْ بَنِي مَخْزُوم، فقال: مِعْزَى مَطِيرَةٌ، عليها فُشْعَرِيَّة، إلا بني الْمُغِيرَةِ؛ فَإِنَّ فِيهِمْ تَشَادُقَ الْكَلَامِ، وَمُصَاهَرَةَ الْكِرَامِ.

وقالت العرب فيما تقول على ألسنة البهائم: قالت المِعْزَى: الِاسْتُ جَهْوَى^(٢)، وَالذَّنْبُ أَلْوَى؛ وَالْجِلْدُ رُقَاقٌ، وَالشَّعْرُ دُقَاقٌ. قالوا: والضَّانُ تضع مرة في السنة وتُفَرِّدُ وَلَا تُتِّمُّ^(٣)، والماعِزُ قد تلد مرتين في السنة، تضع الثلاثة وأكثر وأقل، والنَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ وَالْعَدَدُ فِي الضَّانِّ؛ وَكَذَلِكَ الْخَنَازِيرُ تَضَعُ الْأُنْثَى مِنْهَا عَشْرِينَ خِنُوصاً وَلَا نَمَاءَ فِيهَا. ويقال: الْجَوَامِيسُ ضَأْنُ الْبَقَرِ، وَالْبُخْتُ ضَأْنُ الْإِبِلِ، وَالْبَرَاذِينُ ضَأْنُ الْخَيْلِ، وَالْجِرْدَانُ ضَأْنُ الْفَارِّ، وَالْدُّلْدُلُ ضَأْنُ الْقَنَافِذِ، وَالنَّمْلُ ضَأْنُ الدَّرِّ. ويقول الأطباء في لحم الماعِزِ: إِنَّهُ يورث الهم ويحرك السَّودَاءَ وَيُورِثُ النِّسْيَانَ وَيُخَبِّلُ الْأَوْلَادَ وَيُفْسِدُ الدَّمَ، وَلَحْمُ الضَّانِّ يَضُرُّ بِمَنْ يُصْرَعُ مِنَ الْمِرَّةِ^(٤) إِضْراً شَدِيداً حَتَّى يَصْرِعَهُمْ فِي غَيْرِ أَوَانِ الصَّرْعِ. وَأَوَانُ الصَّرْعِ الْأَهْلَةُ وَأَنْصَافُ الشُّهُورِ؛ وَهَذَانِ الْوَقْتَانِ هُمَا وَقْتُ مَدِّ الْبَحْرِ وَزِيَادَةِ الْمَاءِ وَالِدَّمِ. وَلِزِيَادَةِ الْقَمَرِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ بَدراً أَثَرٌ فِي زِيَادَةِ الدَّمِ وَالدِّمَاغِ وَجَمِيعِ الرُّطُوبَاتِ؛ قَالَ الشَّاعِرُ^(٥):

[وافر]

(١) أَصْرَدُ مِنْ عَنَزِ جَرَبَاء: مثل يضرب لمن يبرد كثيراً؛ لَأَنَّ الْعَنَزَةَ الْجَرَبَاءَ لَا تَدْفَأُ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ شَعْرِهَا وَرَقَّةِ جُلْدِهَا، فَالْبَرْدُ أَضْرُّ لَهَا.

(٢) جَهْوَى: مكشوفة.

(٣) تُتِّمُّ: تلد اثنين فصاعداً في بطن واحد من أتاَمَتِ الْأُمُّ إِتَاماً فَيُحْيِي مَتَمُّ.

(٤) الْمِرَّةُ: مادة صفراء تتكون في المرارة.

(٥) هُوَ غِيلَانُ بْنُ عَقِبَةَ الْعَدَوِيِّ الْمَضَرِّيِّ الْمَعْرُوفُ بِذِي الرُّمَّةِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٧ هـ، كَمَا فِي

اللسان مادة (نعج) وأنظر كذلك الأعلام ج ٥ ص ١٢٤.

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُوا لَحْمَ ضَائِنٍ فَهُمْ نَعِجُونَ قَدْ مَالَتْ طُلَاهُمُ^(١)

وفي الماعزة: إنها ترتضع من خليفها^(٢) وهي مُحْفَلَةٌ حتى تأتي على كل ما فيه؛ قال ابن أحمَر:

[بسيط]

إِنِّي وَجَدْتُ بَنِي أَعْيَا وَجَامِلَهُمْ كَالْعَتْرِ تَعِطِفُ رَوْقِيهَا فَتَرْتَضِعُ^(٣)

وإذا رعت الضائنة والماعزة في قصير نبت لم ينبت ما تأكله الماعزة لأن الضائنة تقرضه بأسنانها والماعزة تقتلعه وتجذبه فتبثره من أصله. وإذا حمل على الماعزة فحملت أنزلت اللبن في أول الحمل إلى الضرع، والضائنة لا تنزل اللبن إلا عند الولاد، ولذلك تقول العرب: «رَمَدَتِ الْمِعْزَى فَرَنَّقُ رَنَّقُ»^(٤) و«رَمَدَتِ الضَّائِنُ فَرَبَّقُ رَبَّقُ»^(٥).

وذكور كل شيء أحسن من إناثه إلا الثيوس فإنها أقبح من الصفايا.

(١) يريد أنهم قد اتَّخَمُوا من كثرة أكلهم الدَّسَمَ فمالَتْ طُلَاهُمُ (ج طُلَيْة وهي العنق) وَنَعِجُونَ: ج نَعِج أي الخالص البياض. لسان العرب مادة (نعج) وسوف يرد هذا البيت في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٨١.

(٢) الخَلْفُ: حَلَمَةُ الضرع. والمُحْفَلَةُ: التي تُرِكَ حَلْبُهَا أياماً ليجتمع اللبن في ضرعها.
(٣) بنو أَعْيَا: بطن من أسد، والنسبة إليهم أُعْيَوِيٌّ كما في اللسان. وفي جمهرة أنساب العرب ص ١٩٥: أَعْيَا هو الحارث بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دُوَان. والجامل: قطيع الجمال برعائه وأربابه. والرَّوْقُ: القرن. وأرتضعت العترة: شربت لبن نفسها. والعترة: الانثى من المعزة أو إذا أتى عليها حَوْلٌ والمعنى إنهم لا يحتلبون نياقهم وإنما يرتضعونها خشية أن يسمع العافون صوت الحلب فيطلبون اللبن منهم.

(٤) رَمَدَتِ الْمِعْزَى: عظم ضرعها. وَرَنَّقُ: انتظر. والمعنى: إن عِظَمَ ضرع الماعزة لا يدل على قرب ولادتها.

(٥) أي هَمِيء لأولادها الأرباق (ج رَبِق وهو حبل فيه عدة عُرَى يُشَدُّ به إليهم: كل عروة رُبْقَة) والمعنى: أن عِظَمَ ضرع الضأن يدل على ولادتها، وهو مثل يضرب لما لا يُنْتَظَرُ وقوعه أنتظاراً طويلاً على عكس المثل الأول.

وأصوات الذكور من كل شيء أجهر وأغلظ إلا إناث البقر فإنها أجهر أصواتاً من ذكورها.

قيل لأعرابي: بأي شيء تعرف حمل شاتك؟ قال: إذا ورم حياؤها ورجت شِعْرُهَا واستفاضت خاصرتها.

قال الأصمعي: لبني عقيل ماعِزة لا ترد، تجتريء بالرطب. وقرأت في كتاب من كتب الروم: إن أردت أن تعرف ما لون جنين النعجة فأنظر إلى لسانها فإن الجنين يكون على لونه. وقرأت فيه أن الإبل تتحامي أمهاتها وأخواتها فلا تسفدها.

قالوا: وكل ثور أفتس^(١)، وكل بعير أعلم^(٢)، وكل ذباب أقرح^(٣). وقالوا: البعير إذا صُعب وخافه الناس استعانوا عليه حتى يُبرك ويُعقل ثم يركبه فحل آخر فيذل. والعرب تعرف البعير المُغْد^(٤) بسقوط الذباب عليه. ويقولون: بعير مذبوب إذا عَرَضَ له داء يدعو الذباب إلى السقوط عليه. وقال بعض القصاص: مما فضّل الله به الكبش أن جعله مستور العورة من قبل ومن دبر، ومما أهان به التيس أن جعله مهتوك الستر مكشوف القبل والدبر.

حدثني عبد الرحمن بن عبد المنعم عن أمية عن وهب بن منبه أنه قال: كان في مناجاة عزير: اللهم إنك اخترت من الأنعام الضائنة، ومن الطير الحمامة، ومن النبات الحبلّة^(٥)، ومن البيوت بكّة^(٦) وإيلياء، ومن إيلياء بيت

(١) الأفتس: الذي تطأنت قصبة انفه وانتشرت أو أنشرم أنفه وأنفرش في وجهه.

(٢) الأعلم: المشقوق المشفر الأعلى.

(٣) الأقرح: الذي بوجهه قرحة تظهر كالغرة.

(٤) البعير المُغْد: الذي أصيب بالغدة وهي طاعون الإبل.

(٥) الحبلّة: تطلق على بقلة طيبة من ذكور البقل وعلى الكرّم وعلى شجر العضاة.

(٦) بكّة: مكة. وإيلياء: اسم مدينة بيت المقدس.

المَقْدِس. وفي الحديث أَنَّ امرأةً آتت النبي عليه السلام فقالت: يا رسول الله، صلى الله عليك، إني آتخذُ غنماً أبغني نَسْلَهَا ورَسْلَهَا^(١) وإنها لا تَبْنُو فقال رسول الله ﷺ: «ما ألوانها»؛ قالت: سُود، فقال: «غَفْرِي»، «وبَعَثَ إلى الرُّعِيَّانِ» من كانت له غَنَمٌ سُودٌ فليخلطها بعُفْرٍ فَإِنَّ دَمَ عَفْرَاءٍ^(٢) أَرْكَى من دم سَوْدَاوِينَ». وقال: «الغنم إذا أقبلت أقبلت وإذا أدبرت أدبرت. والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأَشَامِ»^(٣). والأَقْطُ^(٤) قد يكون من المِعْزَى؛ قال امرؤ القيس:

[وافر]

لَنَا غَنَمٌ نَسَوَّقُهَا غِزَارُ كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا^(٥) عِصْيُ
فَتَمَلًّا بَيْتِنَا أَقْطًا وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ^(٦)

وقالوا: شِقْشِقَةُ البعير: لَهَا تَه يُخْرِجُهَا. ومن أحسن ما قيل في الغنم قول مُخَارِقٍ^(٧) بن شِهَابٍ في تَيْسٍ غنمه:

[طويل]

(١) الرُّسُل: اللبن.

(٢) غَفْرِي: من العُفْرِ وهو البياض.

(٣) الأَشَام: الشمال.

(٤) الأَقْطُ: الجَبْنُ المَتَّخَذُ من اللبن الحامض، والجمع أَقْطَان.

(٥) الجِلَّة: ج. جليل وهو المُسِنَّ من الغنم وغيرها. وهنا ذكر الغنم لأن المِعْزَى أدناها وأقلها.

(٦) ورد هذان البيتان في ديوان امرئ القيس (ص ١٣٦ - ١٣٧) على الوجه التالي:

أَلَا إِنَّ لَا تَكُنْ إِبِلٌ فَمِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتْهَا الْعِصْيُ
فَتَوْسِعُ أَهْلَهَا أَقْطًا وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِيٍّ
وهنا ذكر الإبل لأنها أفضل أموالهم وأنفسها.

(٧) ورد أسم مُخَارِقٍ بن شِهَابٍ في لسان العرب مادة (لب) مع ذكر البيت الأول فقط. ووردت هذه

الآيات في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٤٨٩ - ٤٩٠) باختلاف بسيط في بعض الكلمات. وأضاف الجاحظ قائلًا: هو مُخَارِقُ ابن شِهَابِ المازني، وكان سيداً كريماً، وكان شاعراً. وقال محقق الكتاب في الحاشية رقم ٤ نقلاً عن دعبل: أن مخارق شاعر إسلامي.

وراحت أصيلانا كأنَّ ضُرُوعَهَا له رَعَثَاتٌ كالشَّنُوفِ وَغُرَّةٌ وَعَيْنَا أَحَمَّ الْمُقْلَتَيْنِ وَعُصْمَةٌ إِذَا دَوَحَةٌ مِنْ مُخْرِفِ الضَّالِ أَذْبَلَتْ أَبُو الحُورِ وَالْغُرَّ اللَوَاتِي كَأَنَّهَا تَرى ضَيْفَهَا فِيهَا بَيْتٌ بِغِبْطَةٍ

دِلَاءٌ وَفِيهَا وَاتِدُ الْقَرْنُ لَبْلَبٌ^(١) شَدِيخٌ وَلَوْنٌ كَالْوَذِيلَةِ مُذْهَبٌ^(٢) يُوَاصِلُهَا دَانٍ مِنَ الظَّلْفِ مُكْنَبٌ^(٣) عَطَاها كَمَا يَعْطُو ذُرَى الضَّالِ قَرَهَبٌ^(٤) مِنَ الْحَسَنِ فِي الْأَعْنَاقِ جَزْعٌ مُثْقَبٌ^(٥) وَضَيْفٌ آبَنُ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَحَوَّبُ^(٦)

فَوَفَدَ آبَنُ قَيْسٍ هَذَا عَلَى النُّعْمَانِ فَقَالَ: كَيْفَ الْمُخَارِقُ فِيكُمْ؟ قَالَ: سَيِّدُ كَرِيمٍ مِنْ رَجُلٍ يَمْدَحُ تَيْسَهُ وَيَهْجُو آبَنَ عَمِّهِ. قَالَ الْعَجَّاجُ فِي وَصْفِ شَاةٍ: حَمْرَاءُ الْمُقَدَّمِ شَعْرَاءُ الْمُؤَخَّرِ إِذَا أَقْبَلَتْ حَسْبَتْهَا نَافِرًا، وَإِذَا أَذْبَرَتْ حَسْبَتْهَا نَافِرًا، أَيُّ كَأَنَّهَا تَعْطِيسٌ، يَرِيدُ مِنْ أَيِّ أَقْطَارِهَا رَأَيْتَهَا وَجَدْتَهَا مُشْرِقَةً.

- (١) الدِّلَاءُ: جِ دِلْوَهِى وَعَاءٌ يُسْتَقْفَى بِهَا، مُؤَنَّثٌ وَقَدْ يَذْكَرُ. وَوَاتِدُ الْقَرْنِ: مُنْتَصَبُهُ. وَاللَّبْلَبُ: الْمَرَادُ بِهِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ (لَب) شَفَقَتُهُ عَلَى الْمُعْزَى الَّتِي أُرْسِلَ فِيهَا، فَهُوَ، ذُو لَبْلَبَةٍ عَلَيْهَا أَيْ ذُو شَفَقَةٍ.
- (٢) رَعَثَاتُ الشَّاةِ: زَنْمَاتُهَا تَحْتَ الْأَذْنَيْنِ، وَهَمَا هَتَّانِ تَلِيَانِ الشَّحْمَةِ وَتَقَابِلَانِ الْوَتَرَةِ. وَالشَّنُوقُ: جِ شَنْقٌ وَهُوَ الْقُرْطُ. وَغُرَّةٌ شَدِيخٌ وَشَادِخَةٌ: أَيْ غَشَتْ الْوَجْهَ مِنَ النَّاصِيَةِ إِلَى الْأَنْفِ. وَالْوَذِيلَةُ: الْمَرَاةُ أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الْفَضَّةِ مَجْلُوءَةٌ.
- (٣) أَحَمُّ الْمُقْلَتَيْنِ: أَسْوَدُ الْمُقْلَتَيْنِ. وَالْعُصْمَةُ: الْبَيَاضُ فِي ذِرَاعَيْ الظُّبْيِ أَوْ الْوَعْلِ. وَالظَّلْفُ: ظَفَرُ كُلِّ مَا أَجْتَرَّ، وَهُوَ ظَلْفُ الْبَقَرَةِ وَالشَّاةِ وَالظُّبْيِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا. وَمُكْنَبٌ: غَلِيظٌ، مِنَ الْكَنْبِ وَهُوَ غَلِظٌ يَعْلُو الرَّجُلَ وَالْخَفَّ وَالْحَافِرَ وَالْيَدَ.
- (٤) الدَّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ. وَالضَّالُ: شَجَرُ السَّدْرِ مِنْ شَجَرِ الشُّوكِ فَإِذَا نَبَتَ عَلَى شَطِّ الْأَنْهَارِ قِيلَ لَهُ: «الْعَبْرِيُّ» وَاحِدَتُهُ ضَالَّةٌ. وَالْمُخْرِفُ: الَّذِي حَانَ خِرَافُهُ أَيْ حَانَ وَقْتُ اقْتِطَافِ ثَمَرِهِ فِي فَصْلِ الْخَرِيفِ، يُقَالُ: خَرِفَ الْقَوْمُ: أَصَابَهُمْ مَطَرُ الْخَرِيفِ. وَالْقَرَهَبُ: الثَّوْرُ الْمُسِنَّةُ أَوْ الْكَبِيرُ الضَّخْمُ. وَيَعْطُو: يَتَنَاوَلُ. وَذُرَى الضَّالِّ: أَعْلَى أَغْصَانِهَا. وَمَعْنَى الْبَيْتِ: إِذَا أَذْبَلَتْ الدَّوْحَةُ وَسَقَطَ ثَمَرُهَا يَكُونُ تَنَاوَلُ ثَمَارِهَا كَمَا يَتَنَاوَلُ الْقَرَهَبُ ذُرَى الضَّالِّ.
- (٥) الْجَزْعُ: الْخَرْزُ الْيَمَانِيُّ الصِّينِيُّ فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ.
- (٦) يَتَحَوَّبُ: يَتَوَجَّعُ.

قال الأصمعيّ: قال أعرابيٌّ يهزأً بصاحبه: اشتر لي شاةً فقّماء^(١) كأنها تضحك، مُندليقة^(٢) خاصرتهاها، لها ضرعٌ أرقط^(٣) كأنه جيب؛ قال: فكيف العطل؟ قال: إنني لهذا عطل! العطل: العنق. يقول: من سَمِنها يُحسب أنه لا عنق لها.

ومما تقوله العرب على ألسنة البهائم. قالت الضائنة: أولد رَحالاً^(٤) وأَجَرَ جُفالاً وأَحَلَبَ كُثْباً ثِقالاً ولم تر مثلي مالا حُفالاً. تقول: أَجَرَ مَرَّةً وذلك أن الضائنة إذا جُرّت لم يسقط من صوفها شيء إلى الأرض حتى يُؤتي عليه؛ والكُثْب جمع كُثبة وهي الدفعة من اللبن، تقول: أُحَلَبَ دُفْعاً ثِقالاً من اللبن، وذلك لأن لبنها أَدَسَمَ وأخثر من لبن المعز فهو أثقل.

السباع وما شاكلها

يقال: إنه ليس شيء من السّباع أطيّب أفواهاً من الكلام، ولا في الوحوش أطيّب أفواهاً من الطّباء. ويقال: ليس شيء أشدَّ بَخْراً من أسد وصقّر، ولا في السباع أسبح من كلب. وليس في الأرض فحلٌ من جميع أجناس الحيوان لذّكره حَجْمُ ظاهر إلا الإنسان والكلب. والأسد لا يأكل الحاز ولا يدنو من النار ولا يأكل الحامض وكذلك أكثر السباع. وتقول الرُّوم: إن الأسد يُذعر بصوت الدّيك ولا يدنو من المرأة الطامث^(٥). والأسد إذا بال شغَرَ

(١) الشاة الفقّماء: التي تقدمت ثناياها فلا تنطبق على الشفلى.

(٢) إندلقت خاصرتهاها أو أندلق بطنه: استرخى وخرج متقدماً.

(٣) الأرقط: ذو الرقطة وهي سواد يشوبه نقط بياض أو عكسه.

(٤) الرّحال: ج رَحَل وهي الأنثى من ولد الضأن.

(٥) الحُفال: العظيم.

(٦) المرأة الطامث: التي هي في الحيض.

كما يشغَر الكلب^(١)؛ وهو قليل الشرب للماء، ونَجْوُهُ^(٢) يشبه نَجْو الكلب، ودواء عَضَّتْه دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب. وقالوا: العيون التي تضيء بالليل عيون الأسد والنمور والسناير والأفاعي. والعرب تقول هو «أحمق من جَهينزة» وهي الذئبة لأنها تدع ولدها وتُرضع ولد الضَّبُع. ويقولون: الضَّبُع إذا صِيدَتْ أو قُتِلَتْ عَالَ الذئبُ أولادها وأتاها باللحم؛ قال الكُمَيْت: [طويل]

كما خامَرتُ في بيتها أمَ عامرٍ لذي الحَبَلِ حتى عَالَ أَوْسُ عِيالها^(٣)
أَوْسُ: الذئب.

وقالوا: ثلاثة من الحيوان ترجع في قِيئها: الأسد والكلب والسَّنور، ويقال الضَّب أيضاً. وأمراض الكلاب ثلاثة: الكَلْب وهو جنون، والذُّبْحَة والنَّقْرَس. والعرب تقول: دماء الملوك شفاء من عَضَّة الكَلْب والجنون والخَبَل؛ قال الفرزدق: [طويل]

من الدارميين الذين دِمَاؤُهُمْ شفاء من الداءِ المَجَنَّةِ والخَبَلِ

وبلغني عن الخليل بن أحمد أنه قال: دواء عَضَّة الكَلْب الكَلْب الذَّرَارِيحُ^(٤) والعدس والشارب العتيق يُصنع؛ وقد ذكر كيف صَنَعته وكم يُشْرَب منه وكيف يُتعالج به، والكَلْب الكَلْب إذا عَضَّ إنساناً فربما أحاله نباحاً مثله ثم أحبله وألقحه بأجرٍ^(٥) صغار تراها علّقا في، صُور الكلاب.

قال أبو اليقظان: كان الأسود بن أوس بن الحُمرة أتى النجاشي فعلمه

(١) شَغَرَ الكَلْب: رفع إحدى رجليه بال أولم يَل.

(٢) النَّجْو: ما يخرج من البطن من ريح أو غائط.

(٣) أم عامر: كنية الضبع. وذو الحَبَل: الصائد الذي يعلق الحبل في عرقوب الضبع. وغال عِيالها: إغتاها أي أكل جِراءها (ج جَرَو وهو ولد الكلب والأسد).

(٤) الذَّرَارِيح: ج ذُرُوح وهي دَوِيَّة حمراء منقطة بسواد أعظم من الذباب شيئاً.

(٥) الأَجْر: ج جَرَو.

دواء الكلب، فهو في ولده إلى اليوم. فمن ولده المُحِلّ، وقد داوى المُحِلّ عُتَيْبَةُ بن مُرداس فأخرج منه مثل جِراء الكلاب عُلْقاً، قال ابن فَسْوَةَ^(١) حين برأ:

[طويل]

ولولا دواء ابن المُحِلّ وعِلْمُه هَرَزْتُ إذا ما الناس هَرَّ كَلْبُهَا
وأخرج بعد الله أولاد زارعٍ مُوَلَّعةً أكتافُها وجُنُوبُها^(٢)

الكلب: جمع كلبٍ على غير قياسٍ مثل عبد وعبيد.
وعَضَّ رجلاً من بني العنبر كَلْبُ كَلْبٍ فبال عُلْقاً في صُور الكلاب،
فقالت أمراته:

[طويل]

أبْالِكَ أَذْرَاصاً^(٣) وأولاد زارعٍ وتلك لَعَمْرِي نُهْيَةُ المتعجَّبِ

ويزعمون أنه يطلب الماء أشدَّ طلبٍ، فإذا أتوه به صاح عند معاينته: لا أريد لا أريد، أو شيئاً في معنى ذلك. قالوا: وتماّم حَمَل الكلبة ستون يوماً، فإن وضعت في أقلّ من ذلك لم تكد أولادها تعيش. وإنّاث الكلاب تحيض في كل سبعة أيام؛ وعلامة ذلك أن يَرِمَ نَقْر^(٤) الكلبة ولا تُريد السَّفَادَ في ذلك الوقت. وذُكُورُ السُّلُوقِيَّةِ تعيش عشرين سنة، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة. وليس يُلقَى الكلب شيئاً من أسنانه سوى النابتين.

قالوا: وعلامة سرعة الكلب أن يطول ما بين يديه ورجليه ويكون قصيرَ الظهر. ويوصف الكلب بصغر الرأس وطول العنق وغلظها وإفراط الغَضَفِ^(٥)

(١) ابن فَسْوَةَ لقب لِعُتَيْبَةَ بن مُرداس، من بني كعب بن عمرو بن تميم. شاعر هجاء مُقِلٌّ، أدرك الجاهلية والإسلام. المؤلف والمختلف ص ٣٢، والأعلام ج ٤ ص ٢٠١.

(٢) زارع: اسم كلب، ومنه قيل للكلاب: أولاد زارع. وموَلَّعة: فيها ضروب من الألوان.

(٣) الأذراص: ج ذَرَص وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها.

(٤) النَّقْر، بفتح الثاء وضمها، للسباع وذوات المخالب كالحياء للناقة أو مسلك القضيب منها.

(٥) الغَضَفُ: استرخاء الأذن.

وَزَرَقَ الْعَيْنَيْنِ|وَعِظَمَ الْمُقْلَتَيْنِ وَطُولَ الْخَطْمِ^(١) مَعَ اللَّطَافَةِ وَسَعَةِ الشَّدَقَيْنِ وَنُتُوءَ الْحَدَقَةِ وَنُتُوءَ الْجَبْهَةِ وَعِرْضُهَا، وَأَنْ يَكُونَ الشَّعْرُ الَّذِي تَحْتَ حَنَكِهِ طَاقَةً طَاقَةً وَيَكُونَ غَلِيظًا، وَكَذَلِكَ شَعْرُ خَدَّيْهِ، وَيَكُونُ قَصِيرَ الْيَدَيْنِ طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ عَرِيضَ الظَّهْرِ طَوِيلَ الصَّدْرِ، فِي رَكْبَتِهِ أَنْحَاءٌ. وَيَكْرَهُ لِلذَّكُورِ طُولَ الْأَذْنَابِ. وَمِنْ عَلَامَةِ الْفَرَاةِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَخْلُفُ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَاقِيهِ أَوْ عَلَى أَحَدِهِمَا أَوْ عَلَى رَأْسِ الذَّنْبِ مِخْلَبٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُقَطَّعَ مِنَ السَّاقَيْنِ. وَسَوْدُ الْكَلَابِ أَعْقَرُهَا. وَلِذَلِكَ أُمِرَ بِقَتْلِهَا.

قَالُوا: وَإِذَا هَرِمَ الْكَلْبُ أُطْعِمَ السَّنَمَ مِرَارًا فَإِنَّهُ يَعُودُ كَالشَّابِّ، وَإِذَا حَفِيَ^(٢) دُهِنَتْ آسَتُهُ وَأُجِمَّ^(٣) وَمُسِحَ عَلَى يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ الْقَطْرَانُ. وَإِذَا بَلَغَ أَنْ يَشْغُرَ فَقَدْ بَلَغَ الْإِلْقَاحَ. وَالْكَلْبُ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَحْتَلِمُ. قَالُوا فِي الْكَلْبَةِ: إِنَّهُ يَسْفِدُهَا كَلْبٌ أَسْوَدٌ وَكَلْبٌ أَبْيَضٌ وَكَلْبٌ أَصْفَرٌ فَتَوْدِي إِلَى كُلِّ سَافِدٍ شَكْلَهُ وَشَبْهَهُ.

قَعَدَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا يَعُدُّونَ مَا جَاءَ فِي الْكَلْبِ مِنَ الْأَمْثَالِ فَحَفِظْتُ مِنْهُ: «الْأُمُّ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عَرَقٍ»^(٤) وَ«أَجَعُ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ» وَ«نَعِيمُ كَلْبٍ فِي بُؤْسِ أَهْلِهِ»^(٥) وَ«أَسَمِنَ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ» وَ«أَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عِقِي»^(٦) صَبِيٌّ

(١) الْخَطْمُ: مَقْدَمُ الْأَنْفِ.

(٢) حَفِيَ: رَقَّتْ رِجْلَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْمَشْيِ.

(٣) أُجِمَّ: تَرَكَ لِيَسْتَعِيدَ قُوَّتَهُ.

(٤) الْعَرَقُ: الْعِظَمُ أَكَلَ لَحْمَهُ، أَوْ الْعِظَمُ بِلَحْمٍ.

(٥) أَصْلُ هَذَا الْمَثَلِ: «نَعِمَ كَلْبٌ مِنْ بُؤْسِ أَهْلِهِ» وَأَصْلُهُ أَنْ قَوْمًا مِنَ الْعَرَبِ كَانَتْ لَهُمْ مَاشِيَةٌ مِنْ

إِبِلٍ وَغَنَمٍ، فَوَقَعَ فِيهَا الْمَوْتُ وَأَخَذَتْ كِلَابُهُمْ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِهَا فَسَمِنَتِ الْمَنَجِدُ مَادَّةَ (نَعَم)

وَالْمَثَلُ الَّذِي قَبْلَهُ يَضْرِبُ لِلْمَيْمِ تَذَلُّهُ فَيَطْبَعُكَ.

(٦) الْعِقْيُ: أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ الصَّبِيِّ يَخْرُوهُ حِينَ يُولَدُ، أَيْ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ، وَهُوَ شَيْءٌ لَزَجٍ أَسْوَدَ. وَلَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْمَثَلُ فِي اللِّسَانِ مَادَّةَ (عَقَا) وَعَلَّقَ عَلَيْهِ ابْنُ مَنْظُورٍ فَقَالَ: «وَهُوَ الرُّدْجُ مِنْ =

و«أَجُوعٌ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ»^(١) و«أَبُولٌ مِنْ كَلْبٍ» و«جَلَسَ فُلَانٌ مَرْجَرِ الْكَلْبِ» و«الْكَلَابُ عَلَى الْبَقْرِ»^(٢) و«الْكَلْبُ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ الظَّاعِنُ» و«هُوَ كَالْكَلْبِ فِي الْأَذَى لَا يَتَغَلَّفُ وَلَا يَدْعُ الدَّابَّةَ تَتَغَلَّفُ» .

الذئب

الذئب إذا سَفَدَ الذئبة فالتحم الفَرْجَان وهجم عليهما هاجِمٌ قتلها كيف شاء، إلا أنهما لا يكادان يوجدان كذلك، لأن الذئب إذا أراد السَّفَادَ تَوَخَّى موضعاً لا يَطْوُهُ أنيس خوفاً على نفسه. وتقول الروم: إن الذئب إذا نَهَشَ شاةً ثم أَفْلَتَتْ منه طاب لحمها وخَفَّ وسَلِمَتْ من القِرْدَان. قالوا: والذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان أَبَحَّ الذئبُ صَوْتَهُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ. وقالوا: في طبع الذئب، مَحَبَّةُ الدَّمِ، ويبلغ به طبعه أَنَّهُ يَرَى الذئب مثله قد دَمِيَ فَيُشِبُّ عَلَيْهِ فَيُمَزِّقُهُ؛ قال الشاعر^(٣):

[طويل]

وَكَيْتَ كَذِئْبِ السَّوِّءِ لَمَّا رَأَى دَمًا بصاحبه يوماً أَحَالَ^(٤) عَلَى الدَّمِ

قالوا: والفرس إذا وَطِئَ أَثَرَ الذئبِ ثَقُلَتْ قائمته التي وَطِئَ بها. وفي كتاب علي رضي الله عنه إلى ابن عباس: لَمَّا رَأَيْتَ الْعَدُوَّ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ

= السُّخْلَةُ وَالْمُهْرُ. والرَّذَجُ هُوَ مَا يَخْرُجُ مِنْ بطن السُّخْلَةِ (ولد الشاة) أو المهر قبل الأكل وهو بمنزلة العقي من الصبي.

(١) حَوْمَلُ أَمْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ لَهَا كَلْبَةٌ تَرْبِطُهَا فِي اللَّيْلِ لِتَحْرُسَ بَيْتَهَا وَتَطْرُدُهَا فِي النَّهَارِ لِتَلْتَمِسَ لَهَا طَعَامًا، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهَا ذَلِكَ أَكَلَتْ ذَنْبَهَا مِنَ الْجُوعِ فَصَارَتْ مَثَلًا. المنجد مادة (جاع).

(٢) مثل يضرب عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مبالاة مجمع الأمثال للميداني. وقال ابن منظور في اللسان مادة (زجر): زَجَرَ الْكَلْبُ وَزَجَرَ بِهِ: نَهَنَهُ. وهو مني مَرْجَرِ الْكَلْبِ: أي هو بتلك المنزلة.

(٣) هو الفرزدق كما في ديوانه (ص ٢٦ طبع باريس سنة ١٨٧) والعقد الفريد (ج ٦ ص ٢٤٢).

(٤) أحال على الدم: أقبل عليه.

حَرْب، والزمان قد كَلِب، قَلْبَتَ لابن عَمَّكَ ظَهَرَ المِجَنَّ بفراقه مع المفارقين،
وخذلَّانَه مع الخاذلين، وأختطَفَتْ ما قَدَرَتْ عليه من الأموال أختطَفَ الذئب
الأزَلَّ^(١) دامية المِعْزَى. ويقولون؛ إِنَّ الذئب ربما نام بإحدى عينيه وفتح
الأخرى؛ وقال حُمَيْد بن ثَوْر^(٢):
[طويل]

ينام بإحدى مقلتيه ويتَّقِي بأخرى المنايا، فهو يَقْظَانُ هاجِعُ
والذئب أشدُّ السَّباع مطالبة، وإذا عجز عَوَى عَوَاءً استغاثَةً فتسامعت
الذئاب فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان فتأكله؛ وليس شيء من السَّباع يفعل
ذلك.

الفيل

قالوا: لسان الفيل مقلوب طَرَفُهُ إلى داخل. والهند تقول: لولا أن لسانه
مقلوبٌ لتكَلَّمَ. والفيل إذا ساء خُلِقَ وصُعِبَ عَصَبُوا رجله فسكَن. وليس في
جميع الحيوان شيء لذكوره ثدي في صدره إلا الإنسان والفيل. والفيل
المغتلم إن سمع صوت خِنُوص^(٣) من الخنازير ارتاع ونَفَرَ. والفيل يفزَع من
السُّنُور. وتزعم الهند أن نَابِي الفيل هما قَرْنَاهَا يخرجُجان مستبطين حتى يخرقا
الحَنَك ويخرُجا أعْقَفَيْن. وقال صاحب المنطق: ظهر فيل عاش أربعمئة سنة.
وقال: حدَّثني شيخ لنا قال: رأيت فيلاً أيام أبي جعفر قيل: إنه سجد لسابور

(١) الذئب الأزَلُّ: الأرسح أي الخفيف الوركين.

(٢) حُمَيْد بن ثور العامري شاعر مخضرم، عاش زمناً في الجاهلية. أسلم ومات نحو ٣٠ هـ.
وبيته المذكور في وصف الذئب مشهور. الأعلام ج ٢ ص ٢٨٣. وذكر ابن عبد ربه هذا البيت
في العقد (ج ٦ ص ٢٤٢) على قافية الميم.

ينام بإحدى مقلتيه ويتَّقِي بأخرى المنايا، فهو يَقْظَانُ هاجِعُ
(٣) الخِنُوصُ: ولد الخنزير والصغير من كل شيء، والجمع خناصيص.

ذي الاكتاف ولأبي جعفر، والفيلة تضع في سبع سنين.

الفهد

قالوا: السباع تشتهي رائحة الفهد، فإذا سمن الفهد عرف أنه مطلوب وأن حركته قد ثقلت فأخفى نفسه حتى ينقضي الزمان الذي تسمن فيه الفهود. ويعتري الفهد داء يقال له خانقة الفهود، فإذا آعتراه أكل العذرة^(١) فبراً. والوحشي المسمن منها في الصيد أنفع من الجرو المربب^(٢).

الأرنب

قالوا: الأرنب تحيض ولا تسمن إلا بزيادة اللحم. وقضيب الذكر من الأرانب ربما كان من عظم، وكذلك قضيب الثعلب. والأرنب تنام مفتوحة العين. وإنفحة^(٣) الأرنب إذا شربتها المرأة من بعد أن تطهر من المحيض منعت من الحمل. والكلف^(٤) إن طلي بدم الأرنب أذهب.

القرود والدب

قال: حدثني محمد بن خالد بن خدّاش قال: حدثني سلم بن قتيبة عن هشام عن حصين وأبي بلج عن عمرو بن ميمون قال: زنت قرودة في الجاهلية فرجمها القروود ورجمتها معهم. قالوا: وليس شيء يجتمع فيه الزواج والغيرة

(١) العذرة: الغائط.

(٢) المربب: الذي يربونه لأن الجرو يخرج خباً ويخرج المسمن على التأديب صبوراً غير خب.

(٣) الإنفحة: شيء يخرج من بطن الأرنب أو الجدي أصفر يعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجنين، أو كرش الحمل أو الجدي ما لم يأكل، فإذا أكل فهو كرش.

(٤) الكلف: شيء يعلو الوجه كالسمسم ويعرف بالنمش.

إلا الإنسان والقرْدُ؟ قالوا: والدَّيْسَم جَرَو الدُّب تَضَعهُ أَمَّهُ وَهُوَ كَفِدْرَةٌ^(١) لحم فتَهْرُبُ به في المواضع العالية من الذَّرِّ والنَّمْل حتى تشتدَّ أَعْضَاؤُهُ.

مصايد السباع العادية

السباع العادية: تُصطاد بالزُّبَى والمُعَوَّيات^(٢) وهي آبار تُحفر في أنْشَازٍ^(٣) الأرض، فلذلك يقال: قد «بلغ السيلُ الزُّبَى»^(٤)، قال صاحب الفِلاحة: ومما تُصاد به السباع العادية أن يؤخذ سَمَكٌ من سمك البحر الكبير السَّمَان فتقطع قطعاً ثم تُشْرَح ثم تُكْتَل كُتْلاً ثم تُوجَّج نارٌ في غائطٍ^(٥) من الأرض يقرب فيه السباع ثم تقذف تلك الكتل في النار واحدةً بعد واحدةٍ حتى ينتشر دخان تلك النار وقُتَارٌ^(٦) تلك الكتل في تلك الأرض ثم تُطرح حولَ تلك النار قطعٌ من لحم قد جعل فيها الحَرَبَقُ^(٧) الأسود والأفيون وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه حتى تُقْبِل السباع لريح القُتَار وهي آمنة فتأكل من قطع اللحم ويُغشَى عليها فيصيدها الكامنون لها كيف شاءوا.

النعام

قالوا في الظِّلِيم: إن الصيف إذا أقبل وأبتدأ البُسْرُ^(٨) في الحمرية ابتداء

(١) كَفِدْرَةٌ لحم: القطعة منه.

(٢) الْمُعَوَّيَاتُ: ج المُعَاوَة وهي حفرة كالزُّبَى تحفر للأسد.

(٣) الأنشاز: ج نَشَز وهو المكان المرتفع.

(٤) الزُّبَى: ج زُبْيَة وهي الراية لا يعلوها ماء، وهي كذلك حفرة للأسد. ويضرب هذا المثل لما

جاوز الحدّ وعند اشتداد الأمر. المنجد مادة (بلغ).

(٥) الغائط: المطنن الواسع من الأرض.

(٦) القُتَارُ: ريح الشواء.

(٧) الحَرَبَقُ: نبت كالسم يُغشَى على آكله ولا يقتله.

(٨) البُسْرُ: التمر قبل إرطابه.

لون وَظِيفِيهِ^(١) بالحمرة ولا يزالان يتلَوَّنان ويزدادان حمرة إلى أن تنتهي حمرة
البُسر، ولذلك قيل له: خاضب. وفي الظليم: إن كل ذي رجلين إذا أنكسرت
إحدى رجليه قام على الأخرى وتحامل على ظَلْعٍ غَيْرِهِ فإنه إذا أنكسرت
إحدى رجليه جَثَمَ، ولذلك قال الشاعر في نفسه وأخيه: [طويل]

فإِنِّي وَإِيَّاهُ كَرِجَلَيَّ نَعَامَةٍ على ما بنا من ذي غنى وفقير

يقول: لا غنى بواحد منا عن الآخر. وقال آخر: [طويل]

إذا أنكسرت رِجْلُ النعامة لم تَجِدْ على أختها نَهْضاً ولا بأسَها حَبْوا^(٢)

قالوا: وعِلَّةُ ذلك أنه لا مُخَّ له في ساقيه، وكلُّ عظم فهو ينجر إلا عظماً
لا مخ فيه؛ وزَماخِرُ^(٣) الشَّاءِ لا تنجر؛ قال الشاعر: [طويل]

أَجِدْكَ لَمْ تَظْلَعِ بِرِجْلِ نَعَامَةٍ ولستَ بنهاضٍ وعَظْمُكَ زَمَخِرُ

أي أجوف لا مخ فيه. والظليم يغتذي المَرَوَ^(٤) والصَّحَرُ فتُذِبه فانصته^(٥)
بطبعها حتى يصيرَ كالماء؛ قال ذو الرمة يذكره: [بسيط]

(١) الوظيف: مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل وغيرهما، والجمع أَوْظِفَةٌ وَوُظِفَ.

(٢) ورد عجز هذا البيت في العقد الفريد (ج ٦ ص ٢٣٧) هكذا:

على أختها نَهْضاً ولا دونها صَبْراً

(٣) الزَماخِرُ: ج زَمَخِرَةٌ وهي كل عظم أجوف لا مخ فيه.

(٤) المَرَوُ: حجر أبيض رقيق براق يُورِي النار أو أطلب الحجارة وهي كالسكاكين يُذْبَحُ بها،
ويعرف بالصَّوَّان.

(٥) القانصة للطيور كالمصارين لغيرها، والجمع قوائص.

أَلْهَاهُ آءٌ وَتَنُومٌ وَعُقْبَبَتْهُ مِنْ لَائِحِ الْمَرَوْ وَالْمَرْعَى لَهُ عُقْبٌ^(١)

قال أبو النجم^(٢): [رجز]

وَالْمَرَوْ يُلْقِيهِ إِلَى أَمْعَائِهِ فِي سَرَطِمٍ^(٣) هَادٍ عَلَى آلتَوَائِهِ

والظليم يتلع الجمرة وربما ألقى الحجر في النار حتى إذا صار كأنه
جمرة قُدِفَ به بين يديه فيبتلعه وربما أبتلع أوزان الحديد. وفي النعمة إنها
أخذت من البعير المَنَسِمَ والوظيفَ والعُنُقَ والخِزَامَةَ؛ ومن الطائر الرِّيشَ
والجناحين والمنقاعر فهو لا بعير ولا طائر؛ وقال أوس^(٤) بن حجر: [طويل]

وَتَنَهَى ذَوِي الْأَحْلَامِ عَنِّي حُلُومُهُمْ وَأَرْفَعُ صَوْتِي لِلنَّعَامِ الْمَخْزَمِ

جعلته مخزماً للخرفقين اللذين في عَرْضِ أَنْفِهِ فِي مَوْضِعِ الْخِزَامَةِ مِنْ

البعير. قال يحيى بن نَوَفَلٍ^(٥): [وافر]

وَمِثْلُ نَعَامَةٍ تُدْعَى بَعِيرًا تُعَاصِينَا إِذَا مَا قِيلَ طَيْرِي

فإن قيل احملني قالت فإني من الطير المُرَبَّةِ^(٦) فِي الْوُكُورِ

وتقول العرب في المثل: هذا «أَمُوقٌ مِنْ نَعَامَةٍ» وذلك أنها ربما خرجت

(١) الآء: شجر له ثمر يأكله النعام. والتَّنُوم: شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع، ويتفلق
عن حب يأكله أهل البادية، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق، وواحدته تَنُومَةٌ.
وَعُقْبَةُ الماشية في المرعى أن ترعى الخُلَّةَ عُقْبَةً ثم تحوّل إلى الحَمْضِ، فالحمض عُقْبَتُهَا،
وكذلك إذا حوّل من الحَمْضِ إلى الخُلَّةِ، فالخُلَّةُ عُقْبَتُهَا. وبمعنى آخر: فالعقبة هي النوبة
والبدل.

(٢) أبو النجم هو الفضل بن قدامة العجلي، من بني بكر بن وائل ومن أكابر الرُّجَاز. توفي سنة
١٣٠ هـ. معجم الشعراء ص ٣١٠ والأعلام ج ٥ ص ١٥١.

(٣) الشَّرَطِم: البلعوم.

(٤) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٤ الحاشية رقم ٣.

(٥) يحيى بن نوافل الحميري شاعر هجاء، يكاد لا يمدح أحداً. أصله من اليمن وشهرته في
العراق. توفي نحو ١٢٥ هـ. الأعلام ج ٨ ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٦) المُرَبَّة: المقيمة.

لطلب الطَّعْمِ فَمَرَّتْ بَبَيْضِ نَعَامَةٍ أُخْرَى فَحَضَنْتَهُ وَتَرَكْتَ بَيْضَهَا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ
الشاعر وهو أَبُو هَرْمَةَ^(١):

[مقارب]

وَإِنِّي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْجِي بِكَفِي زَنْدًا شَحَاحًا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبَسَةٍ بَبَيْضِ أُخْرَى جَنَاحًا^(٢)

[مقارب]

وَقَالَ سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ^(٣):

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ رَأَيْتَ جَفَاءً وَنُوكًا^(٤) كَبِيرًا
نَعَامٌ تَمُدُّ بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نُوكُهَا أَنْ تَطِيرًا

وَيُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الشُّرَادِ وَالنَّفَارِ؛ قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي

[مقارب]

خَازِمٍ^(٥):

وَأَمَّا بَنُو عَامِرٍ بِالنَّسَارِ^(٦) فَكَانُوا غَدَاةَ لُقُونَا نَعَامَا

يُرِيدُ: مَرَّوْا مِنْهُمْ. وَرَبَّمَا حَضَنْتِ النِّعَامَةُ أَرْبَعِينَ بَيْضَةً أَوْ نَحْوَهَا
وَأَخْرَجْتَ ثَلَاثِينَ رَأً؛ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ:

[بسيط]

(١) تقدمت ترجمته في الجزء الأول، الحاشية رقم ١ من ص ٨٩.

(٢) يصف الشاعر النعامة التي تحضن بيض غيرها وتضع بيضها. وقد ورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ١١٧) «وَمُلْبَسَةٍ» بدل «وَمُلْبَسَةٍ».

(٣) سَهْمُ بْنُ حَنْظَلَةَ الْغَنَوِيُّ فَارِسٌ شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَعَاشَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى نَحْوَ ٧٠ هـ. الْمُؤْتَلَفُ وَالْمَخْتَلَفُ ص ١٣٦، وَالْأَعْلَامُ ج ٣ ص ١٤٤.

(٤) النُّوكُ: الْحَقُّ.

(٥) بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فَحْلٌ، مِنْ شَجْعَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ. تَوَفَّى نَحْوَ ٢٢ ق هـ. الْمُؤْتَلَفُ وَالْمَخْتَلَفُ ص ٦٠، وَمَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ ص ٢٢٢، وَالْأَعْلَامُ ج ٢ ص ٥٤.

(٦) النَّسَارُ: جِبَالٌ صَغِيرَةٌ، وَقِيلَ: مَاءُ لَبْنِي عَامِرٍ بِنِ صَعْبَةَ ابْنِ هَوَازِنَ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ. وَمِنْهُ يَوْمُ النَّسَارِ لَبْنِي أَسَدٍ وَطِيءٌ وَغَطْفَانٌ عَلَى بَنِي عَامِرٍ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ (ج ٥ ص ٢٤٨) أَنَّ بَنِي تَمِيمٍ غَضِبَتْ لِقَتْلِ بَنِي عَامِرٍ، فَتَجَمَّعُوا وَلِحَقُّوا بِحُلَفَائِهِمْ، فَكَانَ أَنْ قُتِلَتْ تَمِيمٌ أَشَدَّ مِمَّا قُتِلَتْ عَامِرُ يَوْمَ النَّسَارِ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ (كامل).

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أَنْ تَقْتُلَ عَامِرُ يَوْمَ النَّسَارِ فَأَغْيَبُوا بِالصِّلَمِ
وَالصِّلَمُ هُوَ السِّيفُ.

كَأَنَّهُ خَاضِبٌ بِالسَّيِّ^(١) مَرْتَعُهُ أَبُو ثَلَاثِينَ أَمْسَى وَهُوَ مُنْقَلِبٌ
وَالْبَوَاقِي مِنْ بِيضِهَا الَّذِي لَا تَنْقُفُهُ^(٢) يُقَالُ لَهَا: التَّرَائِكُ. وَأَشَدُّ مَا يَكُونُ
الظِّلِيمُ عُدُوًّا إِذَا أَسْتَقْبَلَ الرِّيحَ لِأَنَّهُ يَضَعُ عُنُقَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ يَخْرِقُ الرِّيحَ وَإِذَا
أَسْتَدْبَرَهَا كَبَتَهُ مِنْ خَلْفِهِ. وَالنِّعَامَةُ تَضَعُ بِيضَهَا طَوْلًا ثُمَّ تَغْطِيهَا كِلْ بِيضَةً بِمَا
يَصِيْبُهَا مِنَ الْحُضَنِ؛ قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ^(٣):
[وافر]

وُضِعْنَ وَكُلَّهْنَ عَلَى غِرَارٍ

وقال آخر: [رجز]

على غِرَارٍ كَأَسْتَوَاءِ الْمِطْمَرِ

وَالْمِطْمَرُ خِيَطُ النَّبَاءِ، إِلَّا أَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ صُعَيْرٍ^(٤) خَالَفَ ذَلِكَ فَقَالَ يَذْكُرُ
الظِّلِيمَ وَالنِّعَامَةَ: [كامل]

فَتَذْكُرًا ثَقَلًا رَثِيْدًا بَعْدَ مَا أَلْقَتْ ذُكَاءً يَمِينَهَا فِي كَافِرٍ^(٥)

وَالرَثِيْدُ: الْمَنْضُودُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. قَالُوا: الْوَحْشُ فِي الْفُلُوتِ مَا لَمْ
تَعْرِفِ الْإِنْسَانَ وَلَمْ تَرَهُ وَلَا تَنْفِرْ مِنْهُ إِذَا رَأَتْهُ خِلَا النَّعَامِ فَإِنَّهُ شَارِدٌ أَبَدًا؛ قَالَ ذُو
الرَّمَّةِ: [طويل]

وَكُلَّ أَحَمَّ الْمَقْلَتَيْنِ كَأَنَّهُ أَخُو الْإِنْسِ مِنْ طُولِ الْخَلَاءِ الْمَغْفَلِ^(٦)

(١) السَّيِّ: الفلاة.

(٢) نَقَفَتْ النِّعَامَةُ الْبِيضَةَ: ثَقِيْبَتْهَا وَأَسْتَخْرَجَتْ مَا فِيهَا.

(٣) تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ٧ من ص ٥٧.

(٤) ثَعْلَبَةُ بْنُ صُعَيْرٍ التَّمِيمِيُّ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مِنْ بَنِي مِزَنٍ وَمِنْ شِعْرِهِ «الْمَفْضَلِيَّاتُ» الْأَعْلَامُ ج ٢ ص ٩٩.

(٥) الثَّقَلُ: مَتَاعُ الْمَسَافِرِ وَحِشْمُهُ. وَذُكَاءُ: الشَّمْسُ. وَالْكَافِرُ هُوَ اللَّيْلُ، مِنَ الْكُفْرِ وَهُوَ السِّتْرُ
وَالْتَّغْطِيَةُ، يَرِيدُ أَنَّهُمَا تَذْكُرَا مَتَاعَهُمَا بَعْدَ الْغُرُوبِ.

(٦) أَحَمُّ: أَسْوَدُ. وَالْمَغْفَلُ: الْمَجْهُولُ.

يريد: أنه لا ينفِرُ من الناس لأنه في خلاء ولم ير أحداً قبل ذلك. وقال الأحيمر السعدي: كنت حين خلعتني قومي وأطلَّ السلطان دمي وهربتُ وترددتُ في البوادي ظننتُ أني قد جُزْتُ نخل وبار أو قريب منها، وذلك أني كنت أرى الثوى في رَجْع الذئاب وكنت أغشى الطباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفِرُ مني؛ لأنها لم تر أحداً قبلي وكنت أمشي إلى الطيبي السمين فأخذه، وعلى ذلك رأيتُ جميع تلك الوحوش إلا النعام فإنه لم أره قط إلا نافرأً فرعاً.

الطير

قال: حدَّثني زياد بن يحيى قال: حدَّثنا أبو عتَّاب قال: حدَّثنا طلحة بن يزيد الشامي عن بَقِيَّة بن الوليد عن عبد الله بن أبي كبشة عن أبيه قال: كان النبي عليه السلام يُعجبه أن ينظر إلى الأترج وإلى الحمام الأحمر.

حدَّثني الرياشي قال: ليس شيء يغيبُ أذناه إلا وهو يبض؛ وليس شيء يظهر أذناه إلا وهو يلد، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن جريح قال ابن شهاب: قال رسول الله ﷺ: «أربع لا يُقتلن: النملة والنحلة والهُدُودُ والصُّرَدُ»^(١). بلغني عن مكحول قال: كان من دعاء داود النبي عليه السلام: يا رازق النَّعَاب في عُشِّه. وذلك أن الغراب إذا فَقَص عن فراخه خرجت بيضاً فإذا رآها كذلك نفبر عنها فتفتح أفواهها ويرسل الله لها ذباباً

(١) الصُّرَدُ: طائر أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار، له مخلب يصطاد العصافير وصغار الطير ويكنى أبا كثير.

فيدخلُ في أجوافها فيكون غذاءها حتى تسودَ، وإذا أسودت عاد الغراب فغذاها ويرفعُ الله عنها الذبابَ.

قال: حدّثني أحمد بن الخليل عن محمد بن عباد عن الوليد بن كثير عن عبد الملك بن يحيى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطرقوا الطيرَ في أوكارها فإنَّ الليلَ أمانُ الله».

حدّثني أبو سفيان الغنوي عن معاوية بن عمرو عن طلحة بن زيد عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن رجل من الأنصار قال: قال رسول الله ﷺ: «الذيكَ الأبيضُ صديقي وصديقُ صديقي وعدوُّ عدوِّ الله يحرسُ دارَ صاحبه وسبعُ أدور، وكان النبي عليه السلام يُبيتُه معه في البيت».

قالوا: الطير ثلاثة أضرب، بهائمُ الطير وهو ما لقط الجبّوب والبزور؛ وسباعُ الطير وهي التي تغتذي اللحم؛ والمشتركُ وهو مثلُ العصفور يشارك بهائمُ الطير في أنه ليس بذي مخلب ولا منسَرٍ^(١) وإذا سقط على عود قدّم أصابعه الثلاث وأخر الدّابة. وسباعُ الطير تقدّم إصبعين وتؤخرُ إصبعين ويشارك سباعُ الطير بأنه يُلَقِمُ فراخه ولا يَزُقُّ وأنه يأكل اللحم ويصطاد الجراد والنمل.

قالوا: والعصفور شديدُ الوطء، والفيلُ خفيفُ الوطء، والورشانُ يُصرعُ في كلّ شهر مرةً. قالوا: وأسوأُ الطير هدايةُ الأسود، والأبيض لا يجيء من الغاية^(٢) لضعف قوّته وأجودها هدايةُ الغُبر والنُمر.

قال صاحب الفلاحة: الحَمَام يُعَجَّبُ بالكَمُون ويألفُ الموضعَ الذي يكون فيه الكُمُون، وكذلك العدسُ ولا سيما إذا أنقعا في عصير حلو. ومما

(١) المنسَرُ: المنقار.

(٢) الغاية: الموضع الذي يرسل إليه الحمام المدرب على إبلاغ الرسائل.

يَصْلَحْنَ عَلَيْهِ وَيَكْثُرْنَ أَنْ تَدْخَنَ بِيَوْتَهُنَّ بِالْعِلْكَ؛ وَأَسْلَمَ مَوَاضِعُهَا وَأَصْلَحُهَا أَنْ يُبْنَى لَهَا بَيْتٌ عَلَى أَسَاطِينِ خَشَبٍ وَيُجْعَلَ فِيهِ ثَلَاثُ كُؤَى: كُؤَةٌ فِي سَمَكِ الْبَيْتِ وَكُؤَةٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَكُؤَةٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، وَبَابَانِ مِنْ قِبَلِ مَهَبِ الْجَنُوبِ. قَالَ: وَالسَّدَابُ^(١)، إِذَا أُلْقِيَ فِي الْبَرْجِ تَحَامَتُهُ السَّنَانِيرُ الْبَرِّيَّةُ.

حَدَّثَنِي أَبُو أَبِي سَعْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الصَّبَّاحِ عَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْكَلْبِيُّ أَنَّ أَسْمَاءَ كَنَانِ^(٢) نُوْحٌ إِذَا كُتِبَ فِي زَوَايَا بَيْتِ حَمَامٍ نَمَتِ الْفُرُوحُ وَسَلِمَتِ مِنَ الْآفَاتِ. قَالَ هِشَامٌ: قَدْ جَرَّبْتُهُ أَنَا وَغَيْرِي فَوَجَدْتُهُ كَمَا قَالَ أَبُو. قَالَ: وَأَسْمُ امْرَأَةٍ سَامِ بْنِ نُوحٍ «مَحَلَّتْ مَحْو»، وَأَسْمُ امْرَأَةٍ حَامٍ «أَذْنَفَ نَشَا»، وَأَسْمُ امْرَأَةٍ يَافَثٍ «زَدَقَتْ نَبْثٌ»^(٣).

قَالُوا: وَأَمْرَاضُ الْحَمَامِ أَرْبَعَةٌ: الْكِبَادُ^(٤) وَالْخُنَانُ وَالسَّلُّ وَالْقُمَّلُ، فَدَوَاءُ الْكِبَادِ الزَّعْفَرَانُ وَالسَّكْرُ^(٥) الطَّبْرَزْدُ وَمَاءُ الْهِنْدِبَاءِ يُجْعَلُ فِي سَكْرُجَةٍ^(٦) ثُمَّ يُمَجَّ فِي حَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِطَ شَيْئاً وَدَوَاءُ الْخُنَانِ أَنْ يُلَيَّنَ لِسَانُهُ يَوْماً أَوْ اثْنَيْنِ بِدُهْنِ الْبَنْفَسَجِ ثُمَّ بِالرَّمَادِ وَالْمِلْحِ وَيُدْلِكُ بِهِمَا حَتَّى تَنْسَلِخَ الْجِلْدَةُ الْعَلِيَا الَّتِي غَشِيَتْ

(١) السَّدَابُ: نَبَاتٌ يَقَارِبُ شَجَرَ الرِّمَانِ وَرَقُهُ كَالصَّعْتَرِ وَزَهْرُهُ أَصْفَرٌ وَرَائِحَتُهُ بِجَمَلَتِهِ مَكْرُوهَةٌ. وَيُقَالُ لَهُ الْفَيْجَنُ أَيْضاً.

(٢) الْكَنَانُ: جُ كَنَّةٌ وَهِيَ امْرَأَةُ الْإِبْنِ أَوْ الْأَخِ.

(٣) قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ (ج ٦ ص ٢٣٩): اسْمُ امْرَأَةٍ سَامِ بْنِ نُوحٍ «مَحَلَّتْ مَحْم» وَأَسْمُ امْرَأَةٍ حَامٍ «نَفَ نَسَا» وَأَسْمُ امْرَأَةٍ يَافَثٍ «قَالَر».

(٤) الْكِبَادُ: وَجَعُ الْكَبِدِ. وَالْخُنَانُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الطَّيْرَ فِي حُلُوقِهَا.

(٥) السَّكْرُ الطَّبْرَزْدُ: الْأَبْيَضُ الصَّلْبُ.

(٦) السَّكْرُجَةُ: الصَّحْفَةُ، مَعْرَبٌ سَكْرَةٌ بِالْفَارَسِيَّةِ، وَالصَّفْحَةُ قِصْعَةٌ كَبِيرَةٌ مَنِسْطَةٌ تُتْبَعُ الْخَمْسَةُ، وَالْجَمْعُ صِحَافٌ. وَالْهِنْدِبَاءُ، بِكسر الدال وفتحها، بَقْلٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ صَنْفَنَانٌ بَرِّيٌّ وَبَسْتَانِيٌّ.

لسانه ثم يُطلى بِعسلٍ ودهنٍ وَرَدٍ حتى يبرأ. ودواء السَّلِّ أن يُطعمَ الماشَ^(١) المقشورَ ويُمجَّ في حلقه لبنٌ حليبٌ ويُقطع من وظيفيه عرقان ظاهران في أسفل ذلك مما يلي المَفَصِل. ودواء القُمَّلِ أن تُطلى أصولُ ريشه بالزُّبُقِ^(٢) المخلوط بدهن البنفسج، يُفعلُ به ذلك مراراً حتى يسقطَ قملُه، ويُكنسُ مكانه الذي يكون فيه كنساً نظيفاً.

قالوا: والطيرُ الذي يخرجُ من وَكره بالليل البومة والصَّدى والهامة والصُّوعُ^(٣) والوطواط والخُفَّاشُ وغرابُ الليل. قالوا: إذا خرج فرخُ الحمامة نفخ أبواه في حلقه الريحَ لتتسعَ الحوصلة من بعد آلتحامها وتنبثق، فإذا آتست زَقاه عند ذلك اللعاب ثم زَقاه سورج^(٤) أصول الحيطانِ ليدبُّعا به الحوصلة، ثم زَقاه بعدُ الحبُّ.

قال المثنى بن زهير: لم أرَ شيئاً قطُّ في رَجُلٍ وأمرأةٍ إلا وقد رأيتَه في الحمام، رأيت حمامةً لا تريد إلا ذكرها، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكور، ورأيت حمامةً لا تَزيفُ^(٥) إلا بعد شدة طلب، ورأيت حمامة تَزيفُ للذكر ساعة يطلبها، ورأيت حمامة وهي تُمكن آخرَ ما تعدُّوه، ورأيت حمامة تَقْمُطُ حمامةً، ورأيت حمامة تَقْمُطُ الذكرَ، ورأيت ذكراً يَقْمُطُ الذكرَ، ورأيت الذكر يَقْمُطُ ما لَقِيَ ولا يُزاوجُ، ورأيت ذكراً له أنثيان يحضُنُ مع هذه وهذه ويزُقُ مع هذه وهذه.

(١) الماشُ: حب مدور أصغر من الحمص أسمر اللون يميل إلى الخضرة يؤكل مطبوخاً وأجوده الهندي ثم اليمني وأردؤه الشامي.

(٢) الزُّبُقُ: دهن الياسمين.

(٣) الصُّوعُ: طائر من طير الليل، قيل هو الكروان، وقيل هو ذكر البوم.

(٤) السُّورجُ: كلمة فارسية معناها الملح يكون في أصول الحيطان.

(٥) تَزيفُ الحمامة بين يَدَي الحمام الذكر: تمشي مُدِلَّةً.

البيض

قالوا: والبيض يكون من أربعة أشياء: منه ما يكون من السَّفَادِ؛ ومنه ما يكون من التراب؛ ومنه ما يكون من نسيم الريح يصل إلى أرحامها؛ ومنه شيء يعتري الحَجَل^(١) وما شاكله في الطبيعة، فإنَّ الأنثى منه ربما كانت على سُفَالَةِ الريح التي تهبُّ من شقِّ الذكر في بعض الزمان فتحتسبي من ذلك بيضا، وكذلك النخلة تكون بجانب الفُحَّال^(٢) وتحت ريحه فتلقح بتلك الريح وتكتفي بذلك، والدَّجاجة إذا هَرِمَتْ لم يكن لبيضها مَحٌّ، وإذا لم يكن للبيضة مَحٌّ لم يُخلَقْ فيها فرخٌ، لأنه لا يكون له طَعْم يغذوه؛ والفرخ والفروج يُخلَقَان من البياض وغذاؤهما الصُّفرة، وإذا باضت الدجاجة بيضتين في اليوم كان ذلك من علامات موتها؛ والطائر إذا نُفِ ريشه آحتبس ببيضه وإذا سَمِعَ صوت الرعدِ الشديد.

الخُفَّاشُ^(٣)

قالوا: عجائبُ الخُفَّاشِ أنه لا يُبصر في الضوء الشديد ولا في الظلمة الشديدة وتَحِبُّ وتَلِدُ وتَحِيضُ وتُرَضِعُ وتَطِيرُ بلا ريش، وتحملُ الأنثى ولدها تحت جناحها وربما قَبِضَتْ عليه بفيها خوفاً عليه، وربما ولدت وهي تَطِير. ولها أذنان وأَسنانٌ وجناحان متصلان برجليها، وأبصارها تصحَّ على طول العمر، وإنما يظهر في القمر منها المَسَنَاتُ؛ وقال بعض الحكماء: الخُفَّاشُ فأر يطير.

(١) الحجل؛ طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر.

(٢) الفُحَّال: ذكر النخل.

(٣) الخُفَّاش: الوطواط سَمَّى به لصغر عينيه وضعف بصره، والجمع خفافيش. ومنه يقال لمن يُبْصِرُ في الليل دون النهار أخفش لأن الخُفَّاش يعنى في النهار ويُبْصِرُ في الليل.

الْخُطَافُ وَالزُّرُورُ^(١)

قالوا: الْخُطَافُ وَالزُّرُورُ يَتَّبِعُ الرِّبْعَ حَيْثُ كَانَ. قالوا: وَتُقْلَعُ إِحْدَى عَيْنَيْهِ فَيَرْجِعُ. وَالزُّرُورُ لَا يَمْشِي وَمَتَى وَقَعَ بِالْأَرْضِ لَمْ يَسْتَقِلَّ^(٢) وَأُخِذَ، وَإِنَّمَا يُعَشَّشُ فِي الْأَمَاكِنِ الْمَرْتَفَعَةِ فَإِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانُ رَمْيَ بِنَفْسِهِ فِي الْهَوَاءِ فَطَارَ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ أَنْقَضَ عَلَيْهِ فَشَرَبَ مِنْهُ اخْتِلَاسًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْقُطَ بِالْأَرْضِ.

الْعُقَابُ وَالْجِدَاةُ

قالوا: الْعُقَابُ تَبِيضُ ثَلَاثَ بَيضَاتٍ فِي أَكْثَرِ حَالَاتِهَا فَإِذَا فَرَّخَتْ غَذَّتْ آثْنَيْنِ وَبَاعَدَتْ عَنْهَا وَاحِدًا فَيَتَعَهَّدُ فَرَحَهَا طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ: كَاسِرُ الْعِظَامِ^(٣)، وَيَغْذُوهُ حَتَّى يَكْبُرَ وَيَقْوَى. وَقَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ: الْعُقَابُ وَالْجِدَاةُ^(٤) يَتَبَدَّلَانِ فَتَصِيرُ الْعُقَابُ جِدَاةً وَالْجِدَاةُ عُقَابًا، قَالَ: وَكَذَلِكَ الْأَرَنْبُ تَتَبَدَّلُ فَيَصِيرُ الذَّكَرُ مِنْهَا أُنْثَى وَتَصِيرُ الْأُنْثَى ذَكَرًا. قَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ: الْعُقَابُ إِذَا أَشْتَكَّتْ كِبَدهَا مِنْ رَفْعِهَا الثَّلْعَبَ وَالْأَرَنْبَ فِي الْهَوَاءِ وَحَطَّهَا لَذَلِكَ وَأَشْبَاهَهُ تَعَالَجَتْ بِأَكْلِ الْأَكْبَادِ حَتَّى تَبْرَأَ.

(١) الْخُطَافُ: الْعَصْفُورُ الْأَسْوَدُ، وَهُوَ الَّذِي تَدْعُوهُ الْعَامَّةُ عَصْفُورَ الْجَنَّةِ. وَالزُّرُورُ: طَائِرٌ مِنْ نَوْعِ الْعَصْفُورِ سَمِيَ بِذَلِكَ لِزُرْزَرَتِهِ أَيْ تَصْوِيتِهِ.

(٢) أَيِ لَمْ يَنْهَضْ.

(٣) كَاسِرُ الْعِظَامِ: طَائِرٌ يُسَمَّى «الْمَكْلُفَةُ» لِأَنَّ الْعُقَابَ لَمَّا كَانَتْ سَيِّئَةَ الْخَلْقِ تَبِيضُ ثَلَاثَ بَيضَاتٍ فَيَخْرُجُ فَرَاخُهَا وَتَلْقَى وَاحِدًا مِنْهَا فَيَأْخُذُهُ هَذَا الطَّائِرُ الَّذِي يَتَكَلَّفُ بِهِ.

(٤) الْجِدَاةُ: طَائِرٌ يَصْطَادُ الْجُرْذَانَ، وَالْجَمْعُ جِدَاءٌ وَجِدَانٌ.

الغراب

الغِرْبَانُ لَا تَقْرَبُ النَّخْلَ الْمَوَاقِيرَ^(١) وَإِنَّمَا تَسْقُطُ عَلَى النَّخْلِ الْمَصْرُومَةِ^(٢) فَتَلْقُطُ مَا يَسْقُطُ مِنَ التَّمْرِ فِي الْقَلْبَةِ^(٣) وَأَصُولِ الْكَرْبِ^(٤). وَعَلَى إِنَاثِ الْغِرْبَانِ الْحَضْنُ وَعَلَى الذَّكَورِ أَنْ تَأْتِيَ الْإِنَاثَ بِالطَّعْمِ وَالْإِوْزَةَ دُونَ الذَّكَرِ^(٥) وَالْعَرْبَانُ أَكْثَمُ شَيْءٍ لِلْسَّفَادِ.

الْقَطَا

قَالُوا: وَالْقَطَا لَا تَضَعُ بَيْضَهَا أَبَدًا إِلَّا أَفْرَادًا؛ قَالَ أَبُو وَجْزَةَ^(٦): [بسيط] وَهِنَّ يَنْسُبْنَ وَهْنًا كُلَّ صَادِقَةٍ بَاتَتْ تُبَاشِرُ غُرْمًا^(٧) غَيْرَ أَزْوَاجِ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَصْلُحُ شَأْنُهُ إِلَّا بِرئيسٍ أَوْ رَقِيبٍ: النَّاسُ، وَالْغُرَانِيقُ^(٨)، وَالْكَرَاكِي وَالنَّحْلُ؛ فَأَمَّا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْحَمِيرُ فَتَتَّخِذُ رَئِيسًا مِنْ غَيْرِ رَقِيبٍ.

بَابُ مَصَايِدِ الطَّيْرِ

قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْتَالَ لِلطَّيْرِ وَالِدَجَاجِ حَتَّى يَتَحَيَّرَنَّ وَيُغْشَى عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَصِيدَهُنَّ عَمَدًا إِلَى الْحِلْيَتِ^(٩) فِدَافَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ جَعَلَ فِي

(١) النَّخْلُ الْمَوَاقِيرُ: الْكَثِيرَةُ الْحَمَلِ.

(٢) النَّخْلُ الْمَصْرُومَةُ: مَنْ صَرَمَ النَّخْلَ إِذَا جَرَّهَ وَقَطَعَهُ.

(٣) الْقَلْبَةُ: جُ قَلْبٌ وَهُوَ شَحْمَةُ النَّخْلِ وَلِئِهِ أَوْ أَجُودُ خَوْصِهِ (الْخَوْصُ: وَرَقُ النَّخْلِ).

(٤) الْكَرْبُ: أَصُولُ السَّعْفِ (جَرِيدَةُ النَّخْلِ أَوْ وَرَقُهُ) الْفِلَاطُ الْعِرَاضُ.

(٥) هَذِهِ الْجُمْلَةُ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالسِّيَاقِ، وَلَعَلَّهَا زَائِدَةٌ مِنَ النَّاسِخِ.

(٦) تَقَدَّمَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ مِنْ ص ٣١ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٧) الْغُرْمُ: بَيْضُ الْقَطَا.

(٨) الْغُرَانِيقُ: الذَّكَورُ مِنْ طَيُورِ الْمَاءِ سَوْدٌ وَقِلُّ بَيْضٌ وَهِيَ فِي قَدْرِ الْبَطِّ.

(٩) الْحِلْيَتِ: صَمْغُ الْأَنْجُلْدَانِ بَفَتْحِ الهمزة وَضَمِّ الْجِيمِ وَهُوَ نَبَاتٌ أَسْوَدٌ وَأَبْيَضٌ وَأَصْلُهُ أَغْلَظٌ مِنَ الْإِصْبَعِ يَتَفَرَّعُ كَثِيرًا وَلَهُ قُرُونٌ كَقُرُونِ اللُّوبِيَاءِ فِيهَا بَذَرٌ كَالْعَدَسِ أَسْوَدٌ حَارٌّ وَأَبْيَضٌ لَطِيفٌ.

ذلك الماء شيئاً من غسل ثم أُنْقَعَ فيه بُرّاً يوماً وليلة ثم أُلْقِيَ ذلك البُرُّ المطير فإنها إذا أَلْتَقَطَتْهُ تَحِيرَتْ وَغُشِيَ عَلَيْهَا فلم تقدر على الطيران إلا أن تُسْقَى لبنا خالطه سَمْنٌ. قال: وإن عُمِدَ إِلَى طَحِينٍ بُرٍّ غَيْرِ مَنْخُولٍ فَعُجِنَ بِخَمَرٍ ثُمَّ طُرِحَ لِلطَّيْرِ وَالْحَجَلِ فَأَكَلْنَ مِنْهُ تَحِيرَنَ. وإن جُعِلَ خَمْرٌ فِي إِنَاءٍ وَجُعِلَ فِيهِ بَنْجٌ فَشَرَبْنَ مِنْهُ غُشِيَ عَلَيْهِنَّ. قال: ومما يُصَادُ بِهِ الْكِرَاكِي وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيْرِ أَنْ يُوضَعَ لَهُنَّ فِي مَوَاقِعِهِنَّ إِنَاءٌ فِيهِ خَمْرٌ وَقَدْ جُعِلَ فِيهِ خَرْبُقٌ^(١) أَسْوَدٌ وَأُنْقَعَ فِيهِ شَعِيرٌ فَإِذَا أَكَلْنَ مِنْهُ أَخَذَهُنَّ الصَّائِدُ كَيْفَ شَاءَ.

قال غيره: ومما تُصَادُ بِهِ الْعَصَافِيرُ بِأَسْهَلِ حِيلَةٍ أَنْ تُؤْخَذَ شَبَكَةٌ فِي صُورَةِ الْمَحْبَرَةِ الْيَهُودِيَةِ الْمَنْكُوسَةِ وَتُجْعَلَ فِي جَوْفِهَا عَصْفُورٌ فَتَنْقُضُ عَلَيْهِ الْعَصَافِيرُ وَيَدْخُلْنَ عَلَيْهِ وَمَا دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْخُرُوجِ فَيَصِيدُ الرَّجُلُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مَائَتِينَ وَهُوَ وَادِعٌ. قال: وَيُصَادُ طَيْرُ الْمَاءِ بِالْقَرَعَةِ وَذَلِكَ أَنْ تُؤْخَذَ قَرَعَةٌ يَابِسَةٌ صَحِيحَةٌ فَيُرْمَى بِهَا فِي الْمَاءِ فَإِنَّهَا تَتَحَرَّكُ فَإِذَا أَبْصَرَهَا الطَّيْرُ تَتَحَرَّكُ فَرَنَعَ فَإِذَا كَثُرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ أُنْسَ حَتَّى لَرِبَمَا سَقَطَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تُؤْخَذُ قَرَعَةٌ فَيُقَطَّعَ رَأْسُهَا وَيُخَرَّقَ فِيهَا مَوْضِعُ عَيْنَيْنِ ثُمَّ يُدْخَلُ الصَّائِدُ رَأْسَهُ فِيهَا وَيَدْخُلُ الْمَاءَ فَيَمْشِي إِلَيْهَا مَشْيًا رَوِيدًا فَكَلَّمَا دَنَا مِنْ طَائِرٍ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْمَاءِ فَقَبِضَ عَلَى رِجْلِهِ ثُمَّ غَمَسَهُ فِي الْمَاءِ ثُمَّ دَقَّ جَنَاحَهُ وَخَلَّاهُ فَبَقِيَ طَافِيًا فَوْقَ الْمَاءِ يَسْبَحُ بِرِجْلِهِ وَلَا يُطِيقُ الطَّيْرَانِ، وَسَائِرُ الطَّيْرِ لَا يُمَكِّنُ أَنْغَمَاسُهُ فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ صَيْدٍ مَا يُرِيدُ رَمَى بِالْقَرَعَةِ ثُمَّ يَلْتَقِطُهَا وَيَحْمِلُهَا.

الْحَشَرَات

حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الرَّبِيعِ قَالَ: أَخْبَرَنَا هِشَامُ

(١) الْخَرْبُقُ: نَبَاتٌ وَرَقُهُ كَلْسَانِ الْحَمَلِ أَيْضُ وَأَسْوَدٌ، وَهُوَ سَمٌّ لِلْكَلَابِ وَالْخَنَازِيرِ.

ابن عبد الله عن قتادة عن عبد الله بن عمرو أنه قال: الفأرة يهودية ولو سقيتها
اللبان الإبل وما شربتها، والفأر أصناف: منهم الزباب^(١) وهو أصم؛ قال
الحارث^(٢) بن حلزة: [مجزوء الكامل]

وَهُمْ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدًا^(٣)

والخُلْدُ وهو أعمى؛ وتقول العرب: هو «أَسْرَقُ من زَبَابَةٍ»، وفأرة
البِش، والبِش سُمُّ قاتل؛ ويقال: هو قرونُ السَّنبل، وله فأرة تغذيه لا تأكل
غيره، ومن غير هذا فأرة المسك وفأرة الإبل فاحت^(٤) أرواحها إذا عرقت.
قالوا: ومن الحيات ما يقتل ولا يخطيء: الثُّعْبَانُ والأفعى والهنديَّة؛ فأما سِوى
هذه فإنما يقتل بما يمدّه من الفزع، لأنه إذا فزع تفتحت منافسه فوغل السم
إلى مواضع الصميم وعمق البدن، فإن نهشت النائم والمغمى عليه والطفل
الصغير والمجنون الذي لا يعقل لم تقتل.

وأذنان الأفاعي تُقَطَّع فتنبت ونابها يُقَطَّع بالعُكَّاز^(٥) فينبت حتى يعود في
ثلاث ليال؛ والحية إن نُفِث في فيها حُمَاض الأترج وأطبق لحيها على الأعلى
على الأسفل لم تقتل بعصتها أياماً صالحة. ومن الناس من يصبق في فم
الحية فيقتلها بريقه، والحيات تكره ريح السذاب والشيخ، وتُعَجَّب باللفَّاح
والبَطِيخ والحُرْف والخردل المَوْخَف^(٦) واللبن والخمر وليس في الأرض

(١) الزَّبَابُ: ج زَبَابَةٌ وهي فأرة بريّة تسرق ما تحتاج إليه وما تستغني عنه.

(٢) الحارث بن حلزة شاعر جاهلي وأحد أصحاب المعلقات. توفي نحو ٥٠ ق هـ. المؤلف
والمختلف ص ٩٠ والأعلام ج ٢ ص ١٥٤.

(٣) أي لا تسمع أذانهم صوت الرعد.

(٤) أي فاحت منها رائحة طيبة.

(٥) العُكَّازُ: عصا ذات رُج.

(٦) المَوْخَفُ: المعجون. والحُرْفُ: حَبُّ الرشاد. واللفَّاحُ: نبات يقطيني أصفر شبيه بالناذنجان
طيب الرائحة. والسذاب نبات (أنظر شرحه في الحاشية رقم ٢ من ص ٩٠ من هذا الجزء)

حيوانٌ أصبرُ على جوعٍ من حيةٍ؛ ثم الضَّبُّ بعدها، فإذا هِرمت صَغُرَت في بدنِها وأقنَعها النسيم ولم تشته الطعامَ، ولذلك قال الراجز:

[رجز]

حَايِرَةٌ^(١) قد صَغُرَت من الكِبَرِ

وقال صاحب الفلاحة: إِنَّ الحيةَ إنْ ضَرَبَتْها بِقَصَبَةٍ مرةً أو هَتَّتْها القَصَبَةُ في تلك الضربة وحيرَتْها، فإنْ أَلَحَّتْ عليها بالضرب أنسابت ولم تكثرث. قال: ومن جَيِّد ما يُعالِجُ به الملسوعُ أنْ يُشَقَّ بطنُ الضَّفَدَعِ ثم يُرَفَّد به موضعُ لَسَعَةِ العقرب. والضَّفَدَع لا يَصِيحُ حتى يُدْخَلَ حنكُه الأسفلَ في الماء، فإذا صار في فيه بعضُ الماء صاح، ولذلك لا تَسْمَع للضفادع نقيقاً إذا خرجن من الماء، قال الراجز:

[رجز]

يُدْخِلُ في الأشداق ماءً يُنْصِفُهُ^(٢) حتى يَنْتَقِ والنقيقُ يُتْلِفُهُ

يريد أن النقيق يدل عليه حية البحر، كما قال الآخر:

[طويل]

ضَفَادُعُ في ظلماءٍ ليلٍ تجاوبتُ فدلَّ عليها صَوْتُها حَيَّةَ البحرِ

وقال في السَّبَخِ^(٣): إنه إنْ آنخَرَق فيه خرق بمقدار منخر الثور حتى تدخله الريحُ استحال ذلك السَّبَخُ ضفادعَ. والضَّفادع لا عِظامَ لها، ويُضْرَب بها المثلُ في الرَّسَحِ^(٤)؛ فيقال: «أرسَحُ من ضِفْدَعٍ» و«أجحِظُ عيناً من ضِفْدَعٍ».

= والشَّيْخ: نبات، وهو نوعان: أصفر الزهر يشبه السُّذاب في ورقه وهو الأرمني، وأحمر غليظ الورق وهو التركي، وكله طيب الرائحة، الواحدة شَيْخَةٌ.

(١) الحَايِرَةُ: اسم للأفعى لأن جسمها قد خَرَى أي نقص من طول العُمُر.

(٢) أي حتى يبلغ نصف فَكَّةِ الأعلى.

(٣) السَّبَخُ: المكان يَسْبُخُ فينبت الملح وتسوخ فيه الأقدام.

(٤) الرَّسَحُ: خفة لحم العَجَز والفخذين.

قالوا: وكل شيء يأكل فهو يحرك فكه الأسفل إلا التمساح فإنه يُحرّك فكه الأعلى. وبمصر سمك يقال له الرِّعَادُ، مَنْ صاد منه سمكة لم تنزل يده تَرَعْدُ وتَنْتَفِضُ ما دام في شبكته أو شِصِّهِ^(١). والجَعْلُ^(٢) إذا دَفَنَتْه في الوَرْدِ سَكَنْتْ حركته حتى يَتَوَهَّم مَنْ رآه أنه قد مات، فإذا أَعَدَّتْه إلى الروث تحرك ورجع في جسِّه. والبعير إذا ابتلع في علفه خُنْفَسَاءَ قتلته إن وصلت إلى جوفه حية. وأطول شيء دَمَاءُ^(٣) الخُنْفَسَاءِ فإنها يُسْرَجُ على ظهرها فتصبر وتمشي.

والضَّبُّ^(٤) يُذَبِّحُ فيمكث ليلة ثم يُقَرِّبُ من النار فيتحرّك. والأفعى إذا ذُبِحت تبقى أياماً تتحرّك وإن وطئها واطىء نَهَشَتْه، ويُقَطَّعُ ثلثها الأسفل فتعيش. وَيَنْبُتُ ذلك المقطوع. والكلب والخنزير يُجَرِّحَانِ الجرح القاتل فيعيشان.

قالوا: وللضَّبِّ^(٥) ذَكَرَانِ وللضَبَّةِ جِرَانِ، خبرني بذلك سهل عن الأصمعي أو غيره. قال: ويقال لذكره نَزْكٌ وأنشد:

[طويل]

سَبَحَلْ لَهُ نَزْكَانِ كَانَا فَضِيلَةً عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاعِلِ^(٦)

(١) البُصْبُ؛ حديدة عَفَاء يصاد بها السمك، وهي المعروفة بالضارة.
(٢) الجَعْلُ: دُوَيْتَةٌ تعضُّ البهائم في فروجها فتهرب، وهي أكبر من الخُنْفَسَاءِ، شديد السواد، في بطنه لون حمرة، يوجد كثيراً في مَرَاجِ البقر والجواميس ومواضع الروث، ويتولد غالباً في أذن البقر، ومن شأنه جمع النجاسة وأدخارها. ومن عجب أمره أنه يموت من ريح الورد وريح الطيب فإذا أعيد إلى الروث تحرك وعاش.

(٣) الدَّمَاءُ: بقية النَّفْسِ.

(٤) يُسْرَجُ: يُوقَدُ.

(٥) الضَّبُّ: دُوَيْتَةٌ على حَدِّ فرخ التمساح الصغير وذنبه كثير العقد كذنبه، ولهذا قالوا: أعقد من ذنب الضَّبِّ، والجمع أَضْبٌ وضباب. قالت العرب: لا أفعله حتى تَرِدَ الضَّبُّ لَأَن الضَّبَّ لَا يَرُدُّ الْمَاءَ.

(٦) سَبَحَلْ: ضَخَمَ. وفي لسان العرب مادة (نذك) ذكر ابن منظور هذا البيت ضمن أبيات قالها حُمُرَانِ ذُو الْفَصَّةِ يصف بها ضباباً أهداها لخالد بن عبد الله القسري.

وكذلك الجرذون^(١) والذَّبَّانُ^(٢) لا تَقْرُبُ قَدْرَافِيهَا كَمَاءُ^(٣). وسَامُ أْبْرَصَ لا يدخل بيتاً فيه زعفران. وَمَنْ عَضَّه الكَلْبُ الكَلْبُ آحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَسْتَرْ وَجْهَهُ مِنَ الذَّبَابِ لثَلَا يَسْقُطَ عَلَيْهِ. وَخُرْطُومُ الذَّبَابِ يَدُهُ، وَمِنْهُ يُغْنِي، وَفِيهِ يُجْرِي الصوتَ كما يُجْرِي الزامرُ الصوتَ فِي القَصْبَةِ بالنفخ.

قالوا: لَيْسَ شَيْءٌ يَذْخَرُ إِلَّا الْإِنْسَانُ وَالنَّمْلَةُ وَالْفَأْرَةُ. وَالذَّرَّةُ^(٤) تَذْخَرُ فِي الصَّيْفِ لِلشَّاءِ فَإِذَا خَافَتِ الْعَفْنَ عَلَى الْحُبُوبِ أَخْرَجَتْهَا إِلَى ظَاهِرِ الْأَرْضِ فَشَرَّرَتْهَا^(٥)، وَأَكْثَرُ مَا تَفْعَلُ ذَلِكَ لَيْلاً فِي الْقَمَرِ. فَإِنْ خَافَتْ أَنْ يَنْبَتَ الْحَبُّ نَقَرَتْ وَسَطَ الْحَبَّةِ لثَلَا تَنْبَتَ. وَالسُّلْحَفَةُ إِذَا أَكَلَتْ أَفْعَى أَكَلَتْ سَعْتَرًا جَبَلِيًّا^(٦). وَأَبْنُ عَرْسٍ^(٧) إِذَا قَاتَلَ الْحَيَّةَ أَكَلَ السَّدَابَ. وَالْكَلَابُ إِذَا كَانَ فِي أَجْوَاهَا دُودٌ أَكَلَتْ سُنْبُلَ الْقَمْحِ. وَالْأَيْلُ إِذَا نَهَشْتَهُ الْحَيَّةُ أَكَلَ السَّرَاطِينَ^(٨). قَالَ ابْنُ مَاسُويَةَ: فَلِذَلِكَ يَظُنُّ أَنَّ السَّرَاطِينَ صَالِحَةٌ لِمَنْ نُهَشَ مِنَ النَّاسِ. وَالْوَزَغُ^(٩) يُزَاقُ الْحَيَّاتِ وَيُقَارِبُهَا، وَيَكْرَعُ فِي اللَّبَنِ وَالْمَرْقِ ثُمَّ يَمُجُّ فِي الْإِنَاءِ. وَأَهْلُ

(١) الجرذون: دَوِّيَّةٌ شَبِيهَةٌ بِالضَّبِّ، وَقِيلَ هُوَ ذَكَرُ الضَّبِّ، لَهُ كَفٌّ كَكَفِّ الْإِنْسَانِ مَقْسُومَةُ الْأَصَابِعِ إِلَى أُنَامِلٍ.

(٢) الذَّبَّانُ: جِ الذَّبَّابِ.

(٣) الكَمَاءُ: نَبَاتٌ يَقَالُ لَهُ شَحْمُ الْأَرْضِ، وَقِيلَ هُوَ أَصْلُ مُسْتَدِيرٍ كَالْقَلْقَاسِ لَا سَاقَ لَهُ وَلَا عَرَقَ، لَوْنُهُ إِلَى الْحُمْرَةِ، يَوْجَدُ فِي الرَّبِيعِ تَحْتَ الْأَرْضِ وَهُوَ عَدِيمُ الطَّعْمِ، وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ، يُوْكَلُ نَيْشُهُ وَمَطْبُوحُهُ.

(٤) الذَّرَّةُ: وَاحِدَةُ الذَّرِّ وَهِيَ صَغَارُ النَّمْلِ.

(٥) شَرَّرَتْهَا: نَشَرَتْهَا فِي الشَّمْسِ لِتَجْفَ. السَعْتَرُ: نَبَاتٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ جَرِيْفٌ، زَهْرُهُ أَبْيَضٌ إِلَى الْعُيْبَةِ، م وَيَقَالُ لَهُ الصَّعْتَرُ بِالصَّادِ، وَهِيَ اللَّفْظَةُ الْجَيِّدَةُ، وَالْعَامَّةُ تَبْدِلُ السَّيْنَ زَايَاً.

(٦) ابْنُ عَرْسٍ: دَوِّيَّةٌ كَالْفَأْرَةِ أَشْتَرُ أَصْلَمَ.

(٨) الْأَيْلُ: ذَكَرُ الْأَوْعَالِ وَهِيَ التَّبُوسُ الْجَبَلِيَّةُ. وَالسَّرَاطِينُ: جِ سَرَطَانٌ وَهُوَ حَيَوَانٌ مَائِيٌّ وَيَعِيشُ فِي الْبَرِّ أَيْضاً، وَهُوَ جَيِّدُ الْمَشْيِ سَرِيعُ الْعَدْوِ ذَوْ فَكَيْنٍ وَمُخَالِبٍ وَأُظْفَارٍ حَدَادٍ.

(٩) الْوَزَغُ: جِ وَزَعَةٌ وَهِيَ حَشْرَةٌ مِنْ جَنْسِ «سَامِ أْبْرَصَ».

السَّجْنِ يعملون من السَّوَرِغِ سَمًّا أَنْفَذَ مِنْ سَمِّ الْبَيْشِ^(١) ومن ريق الأفاعي، وذلك أنهم يُدخلون الوزغة قارورةً ثم يَصُبُّونَ فيها من الزيت ما يَغْمُرُها ويضعونها في الشمس أربعين يوماً حتى تَتَهَرَّأُ^(٢) في الزيت، فإن مُسِحَتْ على اللُّقْمَةِ منه مَسْحَةٌ وأكله أَكَلُ مَاتٍ من يومه.

والجرادُ إذا طَلَعَ فَعِمِدَ إلى التُّرْمُسِ والحَنْظَلِ فطَبَخا بماءٍ ثم نَضَحَ ذلك الماءَ على زرع تنكبه الجرادُ. وإذا زُرِعَ خَرَدَلٌ في نواحر زُرْعٍ نجا من الدُّبَى^(٣). وإذا أَخَذَ الْمُرْدَا سَنَجُ^(٤) فَعُجِنَ بعجينٍ ثم طُرِحَ للفأر فأكلته مُوتَنَ عنه، وكذلك بُرَايَةُ الحديد. وإذا أَخَذَ الْأَفْيُونُ والشُّونِيزُ^(٥) والبارزْدُ^(٦) وَقَرْنُ الْأَيْلِ وبَابُونَجٍ وَظِلْفٌ من أَظْلَافِ الْمَغْزِ فَخُلِطَ ذلك جميعاً ثم دُقَّ وَعُجِنَ بخلٍ عتيقٍ ثم قُطِعَ قطعاً فُدُخِّنَ بقطعةٍ منه نفرت لذلك الحياتُ والهوامُ والنملُ والعقاربُ، وإن أُحْرِقَ منه شيءٌ ودُخِّنَ به هرب ما وَجَدَ منها تلك الريحَ. والنملُ تَهْرُبُ من دُخَانِ أَصُولِ الْحَنْظَلِ. وإن عُمِدَ إلى كبريتٍ وسَدَابٍ وخَرَبِقٍ فَدُقَّ ذلك جميعاً وطُرِحَ في قرية النمل قتلها ومنعها ظهورهن من ذلك الموضع. والبعوضُ تَهْرُبُ من دُخَانِ الْقَلْقَدِيسِ^(٧) إذا دُخِّنَ به ومعه حُبُّ السَّوسِ^(٨)، وتهربُ من دُخَانِ الكبريت والعَلَكِ.

(١) البَيْشُ: نبات كالزنجبيل رطباً وباساً وربما نبت فيه سم قاتل لكل حيوان.

(٢) تَهَرَّأَ: من تَهَرَّأَ اللحمُ إذا طُبِخَ حتى يَتَفَسَّخَ.

(٣) الدُّبَى: أصغر الجراد والنمل.

(٤) الْمُرْدَا سَنَجُ: معرَّبُ سَنَكٍ ومعناه الحجر الخبيث.

(٥) الشُّونِيزُ: الحبة السوداء.

(٦) البارزْدُ: صمغ نبات يشبه القنبا في شكله وينبت في أرض سورية، وهو من النباتات النافعة لأمراض عدة.

(٧) القلقديس: كلمة يونانية معربة معناها في الكيمياء الحديثة: كبريتات الحديد؟ وقيل معناها الصبغة السوداء لصانعي الأحذية.

(٨) السوس: شجر في عروقه حلاوة وفي فروعه مرارة.

وقالت الأطباء: لحمُ آبنِ عَرَسٍ نافعٌ من الصَّرْعِ. ولحمُ القنفذِ نافعٌ من الجُذامِ والسَّلِّ والتشنُّجِ ووجعِ الكلى، يُجَفَّفُ ويُشْرَبُ ويُطَعَّمُهُ العليلُ مطبوخاً ومشوياً ويُضْمَدُ به المتشنُّجُ. والعقرب إذا شُقَّ بطنُها ثم شُدَّ على موضع اللسعة نفعٌ. وقد تجعل في جوف فخار مشدود الرأس مُطَيَّن الجوانب ثم يوضع الفخارُ في تنور، فإذا صارت العقربُ رَماداً سُقِيَ من ذلك الرمادِ مَنْ به الحصاة مقدار نصف دائق وأكثر فَيُقَتَّتِ الحصاة من غير أن يضرَّ بشيء من سائر الأعضاء والأخلاق^(١)، وقد تَلَسَّعُ العقربُ مَنْ به حُمى عتيقة فتقلعُ؛ وتَلَسَّعُ المفلوجُ فيذهبُ عنه الفالجُ، وتُلْقَى في الدُّهْنِ وتُتْرَكُ فيه حتى يأخذ الدُّهْنُ منها وَيَجْتَذِبُ قواها فيكون ذلك الدُّهْنُ مُفَرِّقاً للأورام الغليظة. ومن طبع العقرب أنك إن ألقيتها في ماء غَمَرٍ بقيت في وسط الماء لا تطفو ولا تَرُسُبُ؛ وهي من الحيوان الذي لا يَسْبَحُ. وعَيْنُ الجرادة وعَيْنُ الأفعى لا تَدورَانِ. وإنما تَسْجُجُ من العناكب الأنثى، والذكر هو الخَدْرَنُق. وولد العنكبوت يَسْجُجُ ساعة يولد. والقَمْلُ يَخْلُقُ في الرؤوس على لون الشعر إن كان أسوداً أو أبيضاً أو مخضوباً بالحِنَّاء. الحُلَکَاءُ^(٢) دَوِيَّةٌ تغوص في الرمل كما يغوص طائرُ الماء في الماء. وبناتُ النَّقا كذلك، وهي التي يُقال لها: شحمة الأرض. وأمُّ حُبَيْنٍ^(٣) لا تُقِيمُ بمكان تكون فيه السُّرْفَةُ، والسُّرْفَةُ^(٤) دَوِيَّةٌ يُضْرَبُ بها المثلُ في الصَّنعة فيقال: «أَصْنَعُ مِنْ سُرْفَةٍ».

(١) أخلاط الإنسان عند الأطباء: الدم والبلغم والصفراء والسوداء.

(٢) الحُلَکَاء: بضم الحاء وفتحها دَوِيَّةٌ تسكن الرمل كأنها سمكة، ملساء فيها بياض وحمرة.

(٣) أم حُبَيْن: دَوِيَّةٌ على خلقة الجرَّاء عريضة الصدر عظيمة البطن؛ وقيل: دَوِيَّةٌ على قَدَر الخُنَفَساء يلعب بها الصبيان.

(٤) السُّرْفَةُ: دَوِيَّةٌ سوداء الرأس وسائرُها أحمر تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان وتدخله فتموت فيه.

ومن أحسن ما قيل في الأفعى قول امرأة من الأعراب: [كامل]
 خُلِقَتْ لَهَا زِمُهُ عَزِيزٌ، وَرَأْسُهُ كَالْقُرْصِ فُرْطَحٌ مِنْ دَقِيقِ شَعِيرٍ^(١)
 وَكَأَنَّ مَلَقَاهُ بِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَلَقَاكَ كَفَّةً مَنَجَلٍ مَاطُورٍ^(٢)
 وَيُدِيرُ عَيْنًا لِلْوَقَاعِ، كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفِيزِ بَرِيرٍ^(٣)

قيل لما سرجويه: نَجِدُ مَلَسُوعَ الْعَقْرَبِ يُعَالِجُ بِالْأَسْفِيُوشِ^(٤) فَيَنْفَعُهُ،
 وَآخِرُ يُعَالِجُ بِالْبَنْدُقِ فَيَنْفَعُهُ، وَآخِرُ يَشْرَبُ الْأَنْقَاسَ فَيَنْفَعُهُ، وَآخِرُ يَأْكُلُ التَّفَاحَ
 الْحَامِضَ فَيَنْفَعُهُ، وَآخِرُ يَطْلِيهِ بِالْقَلِي^(٥) وَالْخَلَّ فَيَحْمَدُهُ، وَآخِرُ يَغْصِبُ عَلَيْهِ الثَّوْمَ
 الْحَارَّ الْمَطْبُوخَ، وَآخِرُ يَدْخُلُ يَدَهُ فِي مَرْجَلٍ حَارٍّ لَا مَاءَ فِيهِ فَيَحْمَدُهُ، وَآخِرُ
 يِعَالِجُهُ بِالنُّخَالَةِ الْحَارَّةِ فَيَحْمَدُهَا، وَآخِرُ يَحْجِمُ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ فَيَحْمَدُهُ، ثُمَّ
 رَأَيْنَاهُ يَتَعَالَجُ بَعْدُ بِذَلِكَ الشَّيْءِ لِلْبَسْعَةِ أُخْرَى فَلَا يَحْمَدُهُ! فَقَالَ: لَمَّا اخْتَلَفَتْ
 السَّمُومُ فِي أَنْفُسِهَا بِالْجِنْسِ وَالْقَدْرِ وَالزَّمَانِ، وَبِاخْتِلَافِ مَا لَقَاهُ اخْتَلَفَ الَّذِي
 يُوَافِقُهُ عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِهِ. قَالُوا: وَأَشَدُّ مَا تَكُونُ لَسْعَتُهَا إِذَا خَرَجَ الْإِنْسَانُ مِنَ
 الْحَمَامِ، لَتَفْتَحَ الْمَنَافِسَ وَسَعَةَ الْمَجَارِي وَسُخُونَةَ الْبَدَنِ.

- (١) اللَّهَازِيمُ: واحِدَتُهَا لَهْزِيمَةٌ وَهِيَ عَظْمٌ نَاتِيءٌ فِي اللَّحْيِ تَحْتَ الْأَذْنِ، وَهِيَ لَهْزِمَتَانِ. وَعِزِّينَ:
 مَتَفَرِّقَةٌ. وَفُرْطَحُ الشَّيْءِ: عَرَضُهُ. وَقَالَ ابْنُ بَرِيٍّ: صَوَابُهُ: «فُلُطُحٌ» بِاللَّامِ.
 (٢) التَّنُوفَةُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْبَعِيدَةُ الْأَطْرَافِ. وَالْمَنَجَلُ: آلَةٌ حَدِيدٌ مَعُوجَةٌ يَقْطَعُ بِهَا الزَّرْعَ
 وَغَيْرَهُ. وَمَاطُورٌ: مِنَ الْأَطْرَافِ وَهُوَ عَطْفُ الشَّيْءِ تَقْبِضُ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ فَتَعُوجُهُ.
 (٣) النَفِيزُ: مِنَ النَفْضِ وَهُوَ التَّحْرِيكُ. وَالْبَرِيرُ: ثَمَرُ الْأَرَاكِ عَامَّةً. وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَةٌ
 (فُرْطَحٌ) بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ.

وَكَانَ شِدْقِيهِ، إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ شِدْقًا عَجُوزًا مَضْمَضَتْ لِطُهُورٍ
 وَلَقَدْ أورد ابن منظور بيتين آخرين غير هذا البيت وهما الأول والثالث. وورد «من طحين شعير»
 بدلاً من «من دقيق شعير» وورد «للوداع» بدلاً من «للوقاع» و «من نقيص برير» بدلاً من «من
 نقيص برير».

- (٤) الْأَسْفِيُوشُ: كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ مَعْنَاهَا «بِزْرَقُطُونَا» (نبات دقيق الأوراق والساق).

- (٥) الْأَنْقَاسُ: جَنْبُ النَّفْسِ وَهُوَ الْجِدَادُ، وَقِيلَ الْحَوَامِضُ.

- (٦) الْقَلِيُّ؛ شَبُّ الْعُصْفَرِ لَهُ مَنَافِعُ كَمَنَافِعِ الْمَلْحِ إِلَّا أَنَّهُ أَحَدُهُ مِنْهُ.

وحدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قال أبو بكر البحرّي: ما من شيء يضرّ إلا وفيه منفعة. وقيل لبعض الأطباء: إنّ قائلاً قال: أنا مثلُ العقرب أضرب ولا أنفع. فقال؛ ما أقلّ علمه بها. إنها لتنفع إذا شقّ بطنها ثم شدّت على موضع اللّسعة؛ وقد تُجعل في جوف فخّار مشدود الرأس مُطَيّن الجوانب ثم يُوضّع الفخّار في تنور فإذا صارت العقربُ رماداً سُقي من ذلك الرماد مقدار نصف دائق أو أكثر قليلاً من به الحصاة ففتّها من غير أن يضرّ بشيء من سائر الأعضاء والأحلاط. وقد تلسع العقرب من به الحُمى العتيقة فتُقلع عنه. ولَسَعَتِ العقرب رجلاً مفلوجاً فذهب عنه الفالج. وقد تُلقَى العقرب في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ الدهن منها ويَجْتَذِب قواها فيكون ذلك الدهن مُفَرِّقاً للأورام الغليظة.

قال أبو عبيدة: وَلَسَعَتِ أعرابياً عقرباً بالبصرة، وخيفَ عليه فأشدّتْ جزعُه، فقال بعضُ الناس له: ليس شيء خيراً من أن تُغسَلَ له خُصِيّةُ زَنجِي عَرِقَ ففعلوا، وكان ذاك في ليلةٍ ومَدّةٍ، فلما سَقَوهُ قَطَب؛ فقليل له: طَعَمَ ماذا تَجِدُ؟ قال: أجدُ طَعَمَ قَرَبَةٍ جديدةٍ.

قال المأمون: قال لي بَخْتِيشوع وسلمويه وآبن ماسويه: إن الذباب إذا دُلِكَ على موضع لَسَعَةِ الزُّنْبُور هَذَا وسكن الألم، فلسعني زُنْبُورٌ فحككتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابة فما سكن الألم إلا في قدر الزمان الذي كان يسكن فيه من غير علاج، فلم يبقَ في يدي منهم إلا أن يقولوا: كان هذا الزُّنْبُورُ حنقاً غاضباً، ولولا ذلك العلاجُ قتلك. قالوا: ومما ينفع من اللسعة أن يُصيروا على موضعها قطعة رصاص رقيقة وتُشدّ عليه أياماً. وقد يُموّه بهذا قوم فيجعلونه خاتماً فيدفعونه إلى الملسوع إذا نُهَشَ في إصبعه.

قال محمد بن الجهم: لا تنهاونوا بكثير مما تَرَوْنَ من علاج العجائز، فإن كثيراً منه وقع إليهن من قدماء الأطباء، كالذَّبَّان يُلقِي في الإثمد^(١) فيسحقُ معه، فيزيد ذلك في نور البصر ونفاذ النظر وتشديد مراكز الشعر في حافات الجفون. قال: وفي أمة من الأمم قوم يأكلون الذَّبَّان فلا يرمدون، وليس لذلك يأكلونه، ولكن كما يأكل غيرهم فراخ الزنابير.

وقال ابن ماسويه: المجربُ للَسعِ العقرب أن يُسقى من الزراوند^(٢) المدحرج ويُشرب عليه ماء بارد، ويُمضغ ويوضع على اللسعة. قال: وللسع الأفاعي والحيات وَرَقُ الآس^(٣) الرطب يُعَصَّرُ ويُسقى من مائه قَدْرَ نصف رطل، وكذلك ماء المَرَزْنَجُوش^(٤) وماء ورق التفاح المدقوق والمعصور مع المطبوخ، ويضمد الموضع بورق التفاح المدقوق. وللأدوية والسوم القتالة البندق والتين والسذاب يُطعم ذلك العليل. قال: والثوم والملح وبعر الغنم نافع جيداً إذا وُضِعَ على موضع لسعة الحية إلا أن تكون أصلةً، فإن الأصلَةَ تُوضع على لسعها الكُلَيْتان جميعاً بالزيت والعسل. والخِطْمِيُّ^(٥) إذا أُخِذَ ورقه فدُق ثم وُضِعَ على لسع قملة^(٦) النسر كان دواء له. وإن طُلِيَ أحد به يديه أو

(١) الأثمد والأثمد: حجر يُكْتَحَلُ به سريع التفتت، وإذا تفتت كان لفتاته بريق ولمعان.

(٢) الزراوند: نبت غصونه دقيقة عريض الأوراق يحيط بشيء أحمر قليل الرائحة، وهو كثير بأرض الشام، وله فوائد. والمدحرج أردأ أنواع الزراوند.

(٣) الآس: نبات يزرع كثيراً بأرض العرب بالسهل والجبل، وخضرته دائمة، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمره سوداء إذا أنبتت تحلو وفيها مع ذلك علقمة.

(٤) المَرَزْنَجُوش: ويقال له مرزجوس ومردقوس: فارسي، والعرب تسميه السَّمْسُق (الياسمين) وهو نبات كثير الأغصان، وله ورق مستدير، وهو طيب الرائحة.

(٥) الأصلَة بفتح الهمزة والصاد واللام: حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتله.

(٦) الخِطْمِيُّ: نبات كبير الزهر، زهره أحمر وقد يكون أبيض، وكلاهما مُلْتِن ينفع الأمراض الصدرية، واحده خِطْمِيَّة.

(٧) قملة النسر: دوية أعظم من القمل وإذا عضت قتلت، وتكون في بلاد الجبل (مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم) وسميت بذلك لأنها تخرج من النسر.

جسده لم يلدغ ذلك الموضع منه زُبُورٌ. وإن لدغَ أحداً زُبُورٌ فأذاه فشر من مائه نفعه. والبشكول وهو الطرشقوق إن دُقَّ فضمِد به لسعة العقرب نفع إذا أُغلي أو شُرب من عصيره. قالوا: وإن أخذَ مَنْ حَذَرَ على نفسه السُّمومَ القاتلةَ التينَ مع الشُّونيز على الريق وقاه.

النبات

حدَّثني إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال: حدَّثنا قريش بن أنس عن كُليب أبي وائل رجل من المُطَوَّعة قال: رأيتُ ببلاد الهند شجراً له ورد أحمر مكتوب فيه بيباض «محمد رسول الله». والعرب تقول في مثل هذا هو: «أشكر من البرَّوقَة»^(١)، وهو نبت ضعيف ينبت بالغيم. ويزعم قوم أن النارجيل هو نخل المُقل قلبه طباعُ البلد. وقال صاحب الفلاحة: بين الكرنب وبين الكرَم عداوةٌ، فإذا زُرِعَ الكرنب بحضرة الكرَم ذَبَلَ أحدهما وتشنَّج، ولذلك يُبطىء السكرُ عمن أكل منه ورَقَاتٍ على ريق النفس ثم شرب. وقُضبان الرمان إذا ضُرِبَ بها ظهرُ رجلٍ اشتدَّ عليه الألم. قالوا: وكلَّ زهر ونورٍ فإنه ينحرفُ مع الشمس ويحوِّل إليها وجهه؛ ولذلك يقال: هو يُضاحِكُ الشمسَ. قال الأعشى:

[بسيط]

ما روضةٌ من رياض الحزنِ مُعشبةٌ خضراء جاد عليها مُسِيلٌ هَطِلٌ^(٢)
يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ مؤرَّةٌ بعميم النبتِ مُكْتَهِلٌ^(٣)

(١) البرَّوقَة: شَجيرةٌ تَخصب بأقلَّ مطر، وقد تَخضرُّ من غير مطر بل تنبت إذا نشأ السحاب، يضرب بها المثل لمن يقابل المعروف عاجلاً بالشكر والثناء أو لمن يتحرك لسانه بالإمتنان لأقلِّ نعمة يحصل عليها المنجد مادة (شكر).

(٢) الحزنُ: ما أرتفع من الأرض. والمُسِيلُ: المطر، من السَّيل بفتح السين والباء وهو المطر أيضاً. وهطل أي المطر المتتابع المتفرق العظيم القطر.

(٣) الكوكب: ما طال من النبات. والشرقُ: الرِّيان. ومؤرَّةٌ: مُلتَفٌ ومُكْتَهِلٌ: تامَّ الطول.

وقال آخر:

[طويل]

فَنُورُهُ مِيلٌ إِلَى الشَّمْسِ زَاهِرُهُ^(١)

وَالْخُبَارَى^(٢) يَنْضُمُ وَرْقُهُ بِاللَّيْلِ وَيَنْفَتِحُ بِالنَّهَارِ. وَالنَّيْلُوفَرُ^(٣) يَنْبُتُ فِي الْمَاءِ فَيَغِيبُ اللَّيْلَ كُلَّهُ وَيُظْهِرُهُ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ. وَقَالُوا فِي الطُّحْلُبِ^(٤): إِنْ أَخَذَ فَجُفَّفَ فِي الظِّلِّ ثُمَّ سَقَطَ فِي النَّارِ لَمْ يَحْتَرِقْ. وَذَكَرُوا أَنَّ قَسًّا رَاهَنَ عَلَى صُلَيْبٍ فِي عُنُقِهِ مِنْ خَشَبٍ أَنَّهُ لَا يَحْتَرِقُ، وَقَالَ: هُوَ مِنَ الْعُودِ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ الْمَسِيحُ، فَكَادَ يَفْتِنُ بِذَلِكَ خَلْقًا حَتَّى قَطِنَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ فَاتَاهُمْ بِقِطْعَةٍ عُودٍ تَكُونُ بِكَرْمَانَ فَكَانَ أَبْقَى عَلَى النَّارِ مِنْ صُليبه. وَالطَّلُقُ^(٥) كَذَلِكَ لَا يَصِيرُ جَمْرًا. وَطِلَاءُ النَّقَاطِينِ^(٦) طَلُقَ وَخِطْمِيٌّ وَمَغْرَةٌ. وَقَالُوا: إِذَا أُخِذَ بِزُرِّ السَّدَابِ الْبَرِّيِّ وَزُرْعَ وَطَالَ بِهِ ذَلِكَ تَحَوَّلَ حَرْمَلًا^(٧)، وَالنَّمَامُ^(٨) إِذَا أَعْتَقَ تَحَوَّلَ

(١) النُّوَارُ: جُ ثَوْرَةٌ وَهِيَ الزَّهْرَةُ الْمَشْرُقَةُ. وَهَذَا الشَّطْرُ عَجَزَ بَيْتَ لِقَطْرَانَ الْعَبْسِيِّ كَمَا فِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ (ج ٥ ص ١٠٣) وَصَدْرِهِ:

بِمَسْتَأْسِدِ الْقُرَيَّانِ حُورٍ تِلَاعَةُ

وَقَدْ عَلِقَ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ فَقَالَ: الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْحَطِيطَةِ الْعَبْسِيِّ.

(٢) الْخُبَارَى: نَبْتُ بَقْلَةٍ مَعْرُوفَةٍ عَرِيضَةُ الْوَرَقِ لَهَا ثَمَرَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ، وَاحِدَتُهُ خُبَازَةٌ.

(٣) النَّيْلُوفَرُ وَيُقَالُ النَّيْنُوفَرُ: ضَرْبٌ مِنَ الرِّيَّاحِينَ يَنْبُتُ فِي الْمِيَاهِ الرَّائِدَةِ، لَهُ أَصْلٌ كَالْجَزْرِ وَسَاقٌ أَمْلَسٌ يَطُولُ بِحَسَبِ عَمَقِ الْمَاءِ فَإِذَا سَاوَى سَطْحَهُ أَوْرَقَ وَأَزْهَرَ. وَهِيَ كَلِمَةٌ أَعْجَمِيَّةٌ (هِنْدِيَّةٌ) قِيلَ مَرَكَبَةٌ مِنْ (نَيْلٍ) وَهُوَ الَّذِي يَصْبِغُ بِهِ وَ(وَفَرٍ) وَهُوَ أَسْمُ الْجَنَاحِ فَكَانَهُ قِيلَ: مُجْتَنَحٌ نَبِيلٌ لِأَنَّ الْوَرَقَةَ كَأَنَّهَا مَصْبُوغَةٌ الْجَنَاحِينَ.

(٤) الطُّحْلُبُ: خَضِرَةٌ تَعْلُو الْمَاءَ الْمَزْمَنَ.

(٥) الطَّلُقُ: حَجَرٌ بَرَّاقٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ مِضَاوِي لِلْحَمَامَاتِ بَدَلًا عَنِ الزَّجَاجِ.

(٦) النَّقَاطِينُ: الرُّمَاءُ بِالنَّقْطِ (الْقَطْرَانِ).

(٧) الْحَرْمَلُ: حَبُّ نَبَاتٍ قِيلَ يُخْرَجُ السُّودَاءُ وَالْبَلْغَمُ وَيُصَفَّى الدَّمُ وَيَنُومُ حَتَّى عَدَّهُ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ

ابْنُ سِينَا مِنَ الْمُسْكِرَاتِ، كَمَا يَنْفَعُ مِنْ دَاءِ الْمَفَاصِلِ وَعَرَقِ النِّسَاءِ.

(٨) النَّمَامُ: نَبْتُ وَرَقِهِ كَالسَّدَابِ، لَهُ بَزْرٌ كَالرِّيْحَانِ عَطْرِيٌّ قَوِيٌّ الرَّائِحَةُ، سَمِّيَ بِذَلِكَ لِسَطْوَعِ رَائِحَتِهِ، الْوَاحِدَةُ نَمَامَةٌ.

حَبَقًا^(١)؛ قالوا: والقُسْطُ^(٢) إنما هو جَزَرٌ بحريٌّ. قالوا: بالسند نبتٌ من الحشيش يُسَمَّى تَرِيَّةً، إذا أخذ فطبخ ثم صُفِّيَ ماؤه فُجِعِلَ في وعاءٍ لم يلبث إلا يسيراً حتى يشتدَّ ويُسَكَّرَ شاربُه إسكارَ الخمر.

قال صاحب الفلاحة: من أراد أن يضرَّ بِمَبْقَلَةٍ عَمَدٍ إلى شيء من خُرءِ البَطِّ فخلط به مثله من ملح ثم طَرَحَا في ماءٍ فِدِيْفَا فيه فَيُنْضَحُ ذلك الماء على البقل فإنه يَفْسُدُ. قال: ومن أراد إفسادَ الرِّمَانِ الكثيرِ القِى في أضعافه نَوَى التمر والملح والجَرِيش. ومن أراد قتلَ السمك في الماء القائم عَمَدٍ إلى نبت يسمى «مَا هِي»^(٣) زهرة فِدَقْ وطَرَحَ في الماء فإنه يموت سمكُ ذلك الماء؛ والمَاذَرِيُونُ^(٤) يفعل ذلك. قال: وما يَجِفُّ له الشجر أن يُعَمَدَ إلى مِسْمَارٍ من حديد فيُحْمَى بالنار حتى تشتدَّ حُمْرته ثم يَدَقُّ في أصل الشجرة، وأن يُعَمَدَ إلى وتدٍ من طَرَفَاءٍ فيُثَقَّبَ أصل الشجرة بِمِثْقَبٍ حديدٍ ثم يُجَعَلُ ذلك العودُ على قدرِ الثَّقَبِ في المِثْقَبِ فتجفُّ الشجرةُ إن كان غَلَطَ العود على قدرِ الثَّقَبِ.

قيل لما سرجويه: ما بالُ الأكَرَةِ^(٥) وسُكَّانِ البساتينِ مع أكلهم الكُرَّاثِ والْتَمَرِ وشربهم الماءَ الحارَّ على السَّمَكِ المالحِ أَقْلُ عُمِيَانًا وَعُورَانًا وَعُمَشَانًا؟ قال: فَكَّرْتُ في ذلك فلم أَجِدْ عِلَّةً إلا طَوْلَ وَقُوعِ أَبْصَارِهِمْ على الخضرة.

(١) الحَبَقُ: نبات يشبه النَّمَام، ويكثر نباته على الماء.

(٢) القُسْطُ؛ عودٌ هنديٌّ وعربيٌّ يُتَدَاوَى به.

(٣) لفظٌ فارسيٌّ وتعريبه سَمُ السمك.

(٤) المَاذَرِيُونُ والمَاذَرِيُونُ: شجر ورقه كورق الزيتون، إلا أنه أدقُّ منه، وهو مَرٌّ يلدغ اللسان. وهي كلمة فارسية.

(٥) الأكَرَةُ: جُ أَكَّار وهو الحراث لحفرة الأرض.

الحجارة

قال أرسطو طاليس: حَجَرٌ^(١) سَنَقِيلًا إِذَا رُبِطَ عَلَى بَطْنِ صَاحِبِ الاسْتِسْقَاءِ نَشَفَ مِنْهُ الْمَاءُ، والدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن كان على بطنه فيوجد قد زاد في وزنه؛ وذاكَرْتُ بهذا رجلاً من علماء الأطباء فعرفه، وقال: هذا الحجر مذكور في التوراة. وحجر المغناطيس يَجْذِبُ الْحَدِيدَ مِنْ بُعْدٍ وَإِذَا وُضِعَ عَلَيْهِ عِلْقَهُ، فَإِنْ ذَلِكَ بِالثُّومِ بَطَلَ عَمَلُهُ. قالوا: وَالرَّمَادُ وَالْقَلْيُ^(٢) يُدَبِّرَانِ فَيَسْتَحِيلَانِ حَجَارَةً سُوداً تَصْلُحُ لِلْأَرْجَاءِ. ومن الحجارة حصاة في صورة النواة تَسْبَحُ فِي الْخَلِّ كَأَنَّهَا سَمَكَةٌ. ومنها خَرَزَةُ الْعُقْرِ^(٣) إِنْ كَانَتْ فِي حِقْوِ^(٤) الْمَرْأَةِ فَلَا تَحْبَلُ. وحجر يُوَضَّعُ عَلَى حَرْفِ التَّنَوُّرِ فَيَتَسَاقَطُ خَبْزُ التَّنَوُّرِ كُلِّهِ. وبمصر حجر مَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ بِجَمِيعِ كَفَيْهِ فَأَكَلَ شَيْئاً فِي جَوْفِهِ فَإِنْ هُوَ لَمْ يَنْبُذْهُ مِنْ كَفِّهِ خِيفَ عَلَيْهِ. ومن الحجارة النَّشْفُ^(٥)، ليس شيء من الحجارة يَطْفُو عَلَى الْمَاءِ غَيْرِهِ وَفِيهِ حُقَرٌ صِغَارٌ.

قالوا: الرصاص قد يدبّر فيستحيل مُرْدَا سَنَجًا. وإقليمياء^(٦) النحاس يدبّر فيصيرُ توتياء. وحجر البازهر^(٧) يُفَرِّقُ الْأَوْرَامَ. وباليمن جبل يقطر منه ماء. فإذا صار إلى الأرض وَيَسَسَ اسْتَحَالَ وَصَارَ شَبًّا، وهو هذا الشب اليماني.

(١) لم أجد ذكر هذا الحجر في كتب اللغة.

(٢) الْقَلْيُ وَالْقَلْيُ: شَيْئاً يَتَخَذُ مِنْ حَرِيقِ الْحَمَضِ، وَالْحَمَضُ مَا مَلَّحَ وَأَمُرٌّ مِنَ النَّبَاتِ وَهُوَ كَفَاكِهِة الْإِبِلِ تَأْكُلُهُ عِنْدَ سَامَتِهَا مِنَ الْخَلَّةِ.

(٣) الْعُقْرُ: الْعُقْمُ.

(٤) الْحِقْوُ: بِكسر الحاء وفتحها هو الخصر.

(٥) النَّشْفُ: حَجَارَةٌ سُودَ كَأَنَّهَا مُحْتَرَقَةٌ، وَهِيَ الَّتِي يَنْقِي بِهَا الْوَسَخُ فِي الْحَمَامَاتِ.

(٦) الْإِقْلِيمِيَاءُ: نَبْتُ آدَمَ، وَمِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ثَقُلُ يَعْلُو السُّبْكُ أَوْ دِخَانُ.

(٧) الْبَازْهَرُ: مَعْرَبٌ بَادٍ زَهْرٌ وَهُوَ حَجَرٌ تَنْسَبُ إِلَيْهِ قَوَى غَرِيبَةٍ فِي مَقَاوِمَةِ السَّمُومِ، فَارْسِي مَرْكَبٍ مِنْ

«بَادٍ» وَمَعْنَاهُ: رُوحٌ أَوْ ضِدُّهُ وَ«زَهْرٌ» وَمَعْنَاهُ سَمٌّ.

حَدَّثَنَا الرِّيشِيُّ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ قَدْ مَلَأَتِ الدُّنْيَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْيَمَنِ: الْوَرَسُ وَالْكُنْدُرُ وَالْخِطْرُ وَالْعَصْبُ^(١). وَبِمَصْرِ حَجَرٌ تُحَرِّكُهُ فَتَسْمَعُ فِي جَوْفِهِ شَيْئًا يَتَقَلْقَلُ كَالنَّوَاةِ.

حَدَّثَنِي شَيْخٌ لَنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ خَالِدِ الْخَذَّاءِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: اخْتَصَمَ رَجُلَانِ إِلَى شُرَيْحٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنِّي آسْتَوْدَعْتُ هَذَا وَدِيعَةً فَأَبَى أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ؛ فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: رُدَّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ وَدِيعَتَهُ؛ قَالَ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ، إِنَّهُ حَجَرٌ إِذَا رَأَتْهُ الْحُبْلَى أَلْقَتْ وَلَدَهَا، وَإِذَا وَقَعَ فِي الْحَلِّ عَلَى، وَإِذَا وُضِعَ فِي التَّنُورِ بَرَدَ، فَسَكَتَ شُرَيْحٌ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا حَتَّى قَامَا.

الجنّ

قَالُوا: الشَّيَاطِينُ مَرَدَّةُ الْجَنِّ، وَالْجَانُّ ضَعْفَةُ الْجَنِّ، وَبَلَّغَنِي عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ عَنْ شَرِيكِ عَنْ لَيْثٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ قَالَ - يَعْنِي إِبْلِيسَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ -: أَعْطَيْنَا أَنَا نَرَى وَلَا نُرَى، وَأَنَا نَدْخُلُ تَحْتَ الثَّرَى، وَأَنْ شَيْخَنَا يُرَدِّقَتِي.

حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي يَعْلَى بْنُ عُقْبَةَ - شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَوْلَى لَالِ الزُّبَيْرِ -: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ بَاتَ بِالْقَفْرِ، فَقَامَ لِيَرْحَلَ فَوَجَدَ رَجُلًا طَوِيلَهُ شَبْرَانِ عَظِيمَ اللَّحْيَةِ عَلَى الْوَلِيَّةِ^(٢)، فَنَفَضَهَا فَوْقَ ثَمِ وَضَعَهَا عَلَى الرَّاحِلَةِ، وَجَاءَ وَهُوَ بَيْنَ الشَّرْخَيْنِ^(٣)، فَنَفَضَ الرَّحْلَ ثَمِ شَدَّهُ، وَأَخَذَ

(١) الْوَرَسُ: نَبَاتٌ كَالسَّمْسَمِ أَصْفَرٌ يَزْرَعُ بِالْيَمَنِ وَيَصْبَغُ بِهِ. وَقِيلَ صَبَغَ أَحْمَرَ وَقِيلَ نَبَتَ طَيِّبَ الرَّاحَةِ. وَقَالَ فِي الْقَانُونِ إِنَّهُ شَيْءٌ أَحْمَرُ قَانِيٌّ يَشْبَهُ سَحِيقَ الزَّعْفَرَانِ وَهُوَ مَجْلُوبٌ مِنَ الْيَمَنِ وَيُقَالُ إِنَّهُ يُنَحَّتْ مِنْ أَشْجَارِهِ. وَالْكُنْدُرُ: ضَرْبٌ مِنَ الْعَلِّكِ وَهُوَ اللَّبَانُ، وَهُوَ بِالْيُونَانِيَّةِ خَلْدَرُوسٌ. وَالْخِطْرُ: نَبَاتٌ يَخْضِبُ بِهِ، وَالْوَاحِدَةُ خِطْرَةٌ. وَالْعَصْبُ: شَجَرُ اللَّبْلَابِ، وَاللَّبْلَابُ نَبَتُ وَرَقِهِ كَوَرَقِ اللَّوْبِيَا يَتَعَلَّقُ عَلَى الشَّجَرِ وَيَسْمَى فِي مَصْرِ بِالْعَلِّيقِ؛ وَقِيلَ صَبَغَ لَا يَنْبَتُ إِلَّا بِالْيَمَنِ.

(٢) الْوَلِيَّةُ: الْبَرْدَةُ.

(٣) شَرْخَا الرَّحْلِ: حَرْفَاهُ وَجَانِبَاهُ، وَقِيلَ: خَشْبَتَاهُ مِنْ وَرَاءَ وَمَقْدَمُ.

السَّوْطُ ثم أتاه، فقال: مَنْ أَنْتَ؟ قال: أَنَا أَرْبُ قال: وما أَرْبُ؟ قال: رجلٌ من الجنِّ قال: افتح فاك أنظر؛ ففتح فاه؛ قال: أهكذا حُلُوقُكُمْ! لقد سُوءَ حُلُوقُكُمْ! ثم قَلَبَ السَّوْطَ فوضعه في رأس أَرْبَ حتى شَقَّه.

حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كَانَتْ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ عَفْرَاءَ مُضْطَجِعَةً فِي بَيْتِهَا قَائِلَةً إِذْ اسْتَيْقَظَتْ وَزَنَجِيٌّ عَلَى صَدْرِهَا آخِذًا بِحَلْقِهَا، قَالَتْ: فَأَمْسَكْنِي مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَنَا حِينَئِذٍ قَدْ حَرُمْتُ عَلَى الصَّلَاةِ، فَبِينَا أَنَا كَذَلِكَ نَظَرْتُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ يَنْفَرُجُ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا صَحِيفَةٌ صَفْرَاءُ تَهْوِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى صَدْرِي، فَنَشَرَهَا وَأَرْسَلَ حَلْقِي فَقَرَأَهَا، فَإِذَا فِيهَا: مَنْ رَبِّ لُكَيْزٍ إِلَى لُكَيْزٍ، اجْتَنِبْ ابْنَةَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ إِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْهَا، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى رِكْبَتِي وَقَالَ: لَوْلَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ لَكَانَ دَمٌ، أَيْ لَذَبَحْتُكَ؛ فَاسْوَدَّتْ رِكْبَتِي حَتَّى صَارَتْ مِثْلَ رَأْسِ الشَّاةِ، فَاتَّيْتُ عَائِشَةَ، فَذَكَرْتُ لَهَا ذَلِكَ؛ فَقَالَتْ لِي: يَا بِنْتَ أَخِي، إِذَا حِضَبْتَ فَأَلْزِمِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَحَفِظَهَا اللَّهُ بِأَبْيَهِهَا وَكَانَ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ.

أَبُو يَعْقُوبَ الثَّقَفِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ زِيَادِ بْنِ النَّضْرِ أَنَّ عَجُوزًا سَأَلَتْ جَنِيًّا فَقَالَتْ: إِنْ بَنَتِي عَرُوسٌ وَقَدْ تَمَرَّطَ شَعْرُهَا^(١) مِنْ حُمَّى رُبْعَ بَهِاءٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ دَوَاءٌ؟ فَقَالَ: اعْمِدِي إِلَى دُبَابِ الْمَاءِ الطَّوِيلِ الْقَوَائِمِ الَّذِي يَكُونُ بِأَفْوَاهِ الْأَنْهَارِ فَأَجْعَلِيهِ فِي سَبْعَةِ أَلْوَانٍ مِنَ الْعَيْهِ^(٢): أَصْفَرَ وَأَحْمَرَ وَأَخْضَرَ وَأَزْرَقَ وَأَبْيَضَ وَأَسْوَدَ وَأَغْبَرَ، ثُمَّ اجْعَلِيهِ فِي وَسْطِهِ وَأَفْتِلِيهِ

(١) تَمَرَّطَ الشَّعْرُ: تَسَاقَطَ.

(٢) الْعَيْهُ: الصَّوْفُ أَوْ الْمَصْبُوغُ الْوَلَوَاتُ.

بأصبعك هكذا ثم أعقديه على عَضْدِهَا اليسرى؛ ففعلتُ فكأنَّهَا انْشَبَطَتْ من عِقَالٍ.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: أخبرني محمد بن مسلم الطائفي في حديث ذكره أنَّ الشياطين لا تستطيعُ أن تُغَيِّرَ خَلْقَهَا ولكنها تُسَخِّرُ.

وقال الأصمعيّ: حدَّثنا أبو عمرو بن العلاء قال: حدَّثنا النَّهَّاسُ بن قَهْم قال: دخلتُ مَرَبِداً لنا فإذا فيه شيء كالْعَجُولِ^(١) له قرنان وله ريشٌ ينظرُ إليّ كأنه شيطانٌ.

حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن عمه قال: سمِعَ رجلٌ بأرض ليس بها أحدٌ قائلاً من تحته يقول: مَنْ يُحَرِّكُ شُعْبَرَاتِي؟ ذاك مَقِيلِي، وظِلٌّ مَطْلِي، حاشا الغزِيل وعبد الملك وجمعه الأدم؛ وكانوا يَرَوْنَ أنَّ الأصمعيّ سمع هذا، وذاك أنه كان في آخر عمره وقد أصابه مَسٌّ ثم ذهب عنه.

حدَّثني سهل بن محمد عن الأصمعيّ قال: أخبرنا عمر بن الهيثم عن عُمير بن ضَبَّعة قال: بينا أنا أسيرُ في فلاةٍ أنا وأبْنُ ظَبْيَانَ - أو رفيقٌ له آخر ذكره - عَرَضَتْ لنا عَجُوزٌ - كذا سمعته يقول، إن شاء الله - أو شيخ - ورأيتُ في كتاب محمدٍ آية - وصبيٌّ يبكي؛ فقال: إني مُنْقَطِعٌ بي في هذه الفلاة فلو تحمَلْتُماني! فقال صاحبُ عمير: لو أَرْدَفْتَهُ! فحمله خلفه؛ فمكثنا ساعة فنظر في وجه عمير وتنَفَّس فخرج مِنْ فِيهِ نارٌ مثلُ نارِ الأُتُونِ^(٢) فأخذَ له عميرُ السيفَ؛ فبكى وقال: ما تُريدُ مِنِّي؛ فكفَّ عنه ولم يُعَلِّم صاحبه بما رأى؛ فمكث هُنيئَةً ثم عاد، فأخذَ له السيفَ؛ فبكى وقال ما تريدُ مِنِّي؟ وبكى؛ فتركه ولم يُعَلِّم صاحبه؛ ثم عاد الثالثة ففَغَرَ^(٣) في وجهه؛ فحمل عليه

(١) المَجُول: ولد البقرة.

(٢) الأُتُونُ: موقد نار الحمام، والجمع أُتُنٌ وأُتَاتين.

(٣) فَغَرَ في وجهه: فتح له فاه.

بالسيف؛ فلما رأى الجَدَّ وثَبَّ وقال: قَاتَلَكَ اللَّهُ مَا أَشَدَّ قَلْبِكَ! مَا فَعَلْتُهُ قَطَّ فِي وَجْهِ رَجُلٍ إِلَّا ذَهَبَ عَقْلُهُ.

بلغني عن محمد بن عبد الله الأسدي عن سفيان عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبد الرحمن عن أبي أيوب الأنصاري أنه كان في سَفَرَةٍ لَهُ وَكَانَتْ الْغَوْلُ تَجِيءُ، فَشَكَاهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتَهَا فَقُلْ بِأَسْمِ اللَّهِ أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ»؛ فَجَاءَتْ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ؛ فَأَخَذَهَا فَقَالَتْ: لَا أَعُودُ؛ فَأَرْسَلَهَا؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا فَعَلَ أُسَيْرُكَ؟» فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: «إِنَّهَا عَائِدَةٌ»، فَفَعَلْتُ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَقَالَتْ فِي آخِرِهَا: أَرْسَلْنِي وَأَعْلَمَكَ شَيْئًا تَقُولُهُ فَلَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ: آيَةُ الْكَرْسِيِّ؛ فَأَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ: «صَدَقْتَ وَهِيَ كَذُوبٌ».

حدَّثني زيد بن أَرْخَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ عَنْ هَمَّامٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرَةَ أَنَّ عَامِلَ عُمَانَ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّا أَتَيْنَا بِسَاحِرَةٍ فَأَلْقَيْنَاهَا فِي الْمَاءِ فَطَفَّتْ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: لَسْنَا مِنَ الْمَاءِ فِي شَيْءٍ، إِنْ قَامَتْ الْبَيْتَةُ إِلَّا فَحَلَّ عَنْهَا.

حدَّثني يزيد بن عمرو قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ ابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْمَكِّيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نِعْمَتِ الدُّخْنَةُ اللَّبَانُ وَاللَّبَانُ دُخْنَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَلَنْ يَدْخُلَ بَيْتًا دُخْنٌ فِيهِ بِلْبَانٍ سَاحِرٌ وَلَا كَاهِنٌ.

حدَّثني عبد الله بن أبي سعيد قال: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ مَعَاوِيَةَ مِنْ وَلَدِ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ: سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنَ عَيِّنَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ: مَنْ يَشْتَرِي مَنِيَّ الْحَزَا؟ فَقُلْتُ: وَمَا الْحَزَا؟^(١) قَالَتْ: يَشْتَرِيهِ أَكَايِسُ

(١) يقال: حَزَا الشَّخْصَ: رَفَعَهُ لِلْبَصَرِ، وَحَزَا الْمَرْأَةُ: جَامَعَهَا.

النساء للطَّشَّة والخافية والإقلاّت؛ قال عبد الله سألتُ أبنَ مُنَادِرٍ فقال: الطَّشَّةُ: شيءٌ يُصِيبُ الصبيانَ كالزُّكام. والخافية: الجنّ. والإقلاّت قِلَّةُ الولد. يريد أن المرأة إذا ولدت يموتُ أولادُها فلا يبقى لها ولد؛ يقال: امرأةٌ مَقْلَاتٌ.

بلغني عن شيخ من بني نُمير أنه قال: أَضَلَلْتُ أَباعرَ لي بالشَّرِيف^(١) فخرجتُ في بُعَاثِهَا فَذَأَبْتُ أَياماً فَأَمْسَيْتُ عَشِيَّةً بِوَادٍ مُوحِشٍ وَقَدْ كَدَدْتُ رَاحِلَتِي فَأَخْتَلَيْتُ^(٢) لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَأَصْبَتُ لَهَا مِنَ الْمَاءِ ثُمَّ قَيَّدْتُهَا وَأَضْطَجَعْتُ مَغْمُوماً، فَلَمَّا جَرَى وَسَنُ النَّوْمِ فِي عَيْنِي إِذْ هَمَسَ قَدَمٌ قَرِيباً مِنِّي، فَانْتَبَهْتُ فَرِعاً وَإِذَا شَيْخٌ يَتَنَحَنحُ وَهُوَ يَقُولُ: لَا رَيْعَةَ^(٣) عَلَيْكَ! ثُمَّ سَلَّمَ وَجَلَسَ؛ ثُمَّ جَاءَ آخِرٌ وَآخِرٌ حَتَّى تَأَلَّفُوا أَرْبَعَةً فَقَالُوا: مَا بَكَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ؟ فَقُلْتُ: أَضَلَلْتُ أَباعِرَ^(٤) لِي وَأَنَا فِي طَلِبِهَا مِنْذُ أَيَّامٍ؛ فَقَالَ لِي الْأَوَّلُ مِنْهُمْ: كُنْ لَكَ مَا كُنَّ، وَقَدْ وَدَّعَنَ فَبِنٌّ، وَصِرَنٌ حَيْثُ صِرَنٌ، فَلَا تَتَعَنَّنِ؛ فَاجْتَرَأْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ فَقُلْتُ: أَمِنَ الْخَافِيَةُ أَنْتُمْ نَشَدْتُكُمْ بِالْهَكَمِ؟ قَالُوا: نَعَمْ وَالْهَنَا وَالْهَكَمَ وَاحِدٌ؛ فَقُلْتُ: عَلَّمُونِي مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ شَيْئاً أَنْتَفَعُ بِهِ؛ قَالُوا: إِذَا أَرَدْتَ حِفْظَ مَالِكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٥) إِلَى آخِرِ ثَلَاثِ الْآيَاتِ، وَآيَةُ الْكُرْسِيِّ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فِي خَلَاءٍ وَحْدَكَ فَاقْرَأِ الْمَعُودَتَيْنِ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَلَّا يَعْثَبَ بِكَ وَلَا بِأَهْلِكَ وَلَوْلَدِكَ عَابَثُ مِنَّا فَعَلَيْكَ بِالذِّكْرِ الْأَبْيَضِ؛ وَاجْعَلْ فِي حُجُورِ صَبْيَانِكَ بَرِيماً، يَعْنِي خَيْطاً مِنْ صُوفٍ

(١) الشَّرِيفُ: اسم ماء لبني نُمير.

(٢) لَاحْتَلَى مِنَ الشَّجَرَةِ جَزْأً أَوْ نَزَعَ مِنْهَا الْخَلَى وَهُوَ الرُّطْبُ مِنَ النَّبَاتِ، وَالْجَمْعُ أَخْلَاءُ.

(٣) لَا رَيْعَةَ: لَا فَرْعَ، مِنْ رَاعٍ يَرْبِعُ إِذَا فَرَعَ.

(٤) الْأَبَاعِرُ: ج بَعِيرٌ وَهُوَ الْجَمَلُ الْبَازِلُ وَقَدْ يَكُونُ لِلْأُنْثَى.

(٥) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ٧، آيَةُ ٥٤. وَهَذِهِ الْأَيَّامُ كُنَايَةٌ عَنِ الدَّفْعَاتِ أَوِ الْأَطْوَارِ حَيْثُ لَا زَمَانَ وَلَا أَيَّامَ قَبْلَ

الْكُونِ، وَإِنْ وَجُدَ الْكُونُ لَمْ يَتَمَّ دَفْعَةٌ. وَاسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ: اسْتَوْلَى عَلَى الْمَلِكِ وَالتَّدْبِيرِ، إِذْ لَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى جَسَماً كَيَ جَلْسَ عَلَى الْعَرْشِ الْمَحْسُوسِ.

أبيض وأسود، وأحتشوا بالإذخر^(١) يُنشرُ في الصوف، فحدّثوني كحديثنا تلك الليلة، فلما أصبحت رجعتُ.

قال المدائني: كانت وفاةُ زياد بالعرفّة^(٢) ظهرت في إصبعة، وأشدّت عليه الوجع فجمع الأطباء فشاورهم في قطع إصبعة، فأشار عليه بعضهم بذلك، وقال له رجل منهم: أتجدُ الوجعَ في الإصبع أم تجده في قلبك والإصبع؟ قال: في قلبي وفي إصبعي؛ قال: عِش سليماً ومُتْ سليماً، وأمره أن يغمسها في الخل، فكان ذلك يُخفّف عنه بعضُ الوجع، فمكث بذلك سبعة عشر يوماً ثم مات؛ وسمِعَ أهلُ الحبس ليلةَ مات قائلاً يقول: أنا النقادُ الرُّقِيّة قد كفيتم الرجل. والعرب تدعو الطاعونَ رماحَ الجنّ. وقال النبي ﷺ: «إِنَّهُ وَخَزٌ مِنَ الْجَنِّ يَعْنِي الطَّاعُونَ». والله أعلم.

تمّ كتاب الطبائع وهو الكتاب الرابع من عيون الأخبار لابن قتيبة ويتلوه في الكتاب الخامس كتاب العلم. والحمد لله رب العالمين وصلاته على خير خلقه محمد النبي وآله وصحابه وأهل بيته أجمعين.

وكتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري؛ وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة هجرية.

جاء بعد خاتمة الكتاب الرابع بعد النسخة الخطية

التي تقل عنها الأصل الفتوغرافي ما يأتي:

كان سُديف مولى بني هاشم يقول: اللهم إنه قد صار فينا دُولَةٌ بعد

(١) الإذخر: الحشيش الأخضر ونبات طيب الرائحة يُتداوى به، والواحدة إذخرة.

(٢) العرفّة: قرحة تخرج في بياض الكف.

القِسْمة، وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة؛ وعهدُنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة، وأَشْتَرِيتِ الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرْمَلَةِ؛ وَحَكَمَ في أبشار^(١) المسلمين أهلُ الذِّمة وتولَّى القيام بأمورهم فاسقُ كلِّ محلَّة. اللهم وقد استَحْصَدَ زرعُ الباطل، وبلغ نُهيته، وأستجمعَ طريدُهُ، اللهم فافتح له من الحق يداً حاصدةً تُبَدِّدَ شمله، وتُفَرِّقَ نامتَه^(٢) ليظهر الحقُّ في أحسن صورهِ، وأتمُّ نُوره. والسلام.

وقيل^(٣): كانوا يتوقَّون ظُلْمَ السلطان إذا دخلوا عليه بأن يقولوا هذا الدعاء: «بِاسْمِ اللَّهِ، ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ﴿إِخْسَنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ أَخَذْتُ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ بِسْمِ اللَّهِ وَبَصْرِهِ، وَأَخَذْتُ قُوَّتَكَ بِقُوَّةِ اللَّهِ، بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَتْرُ النُّبُوَّةِ الَّذِي كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ تَسْتَرُّ بِهِ مِنْ سَطَوَاتِ الْفِرَاعَةِ؛ جَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ شِمَالِكَ، وَمُحَمَّدٌ أَمَامَكَ، وَاللَّهُ مَطْلٌّ عَلَيْكَ يَحْجِزُكَ مِنِّي وَيَمْنَعُنِي مِنْكَ. والسلام».

وكتب عُمرُ بنُ عبد العزيز إلى بعض عُمَّالِهِ: «أما بعد، فإذا دعتك قدرتُك على الناس إلى ظلمهم، فأذكُرْ قدرةَ اللَّهِ عليك ونَفَادَ ما تأتي إليهم، وبقاءَ ما يأتون إليك. والسلام».

وقَدِمَ رجلٌ من بعض النواحي فقليل له: كيف تركتَ الناس؟ قال: مظلوماً لا يَنْتَصِرُ، وظالماً لا يُنْتَهَرُ. والسلام.

(١) الأبشار: ج بَشَر وهو الخلق والشخص يطلق على الذكر والأنثى والائنين والجمع وقد يثنى على بَشَرَيْنِ.

(٢) النَّامَةُ وَالنَّامَةُ: الحسُّ والحركة وحياة النفس.

(٣) ورد هذا القول في صحيفة ٧٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب كما ورد هناك تنبيه إلى الآيتين المذكورتين مع شرع لهما.

في الحبس:

[بسيط]

ما يدخلُ السجنَ إنسانٌ فتسأله ما بالُ سجنِكَ إلّا قال مظلومٌ^(١)

وقال بعضُ المُحدّثين:

[منسرح]

إن الليالي التي شُغِفْتُ بها غَيَّهَا الدهرُ في تقَلُّبِهِ
لله أمري ما مِلْتُ قَطُّ إلى شيءٍ بَقَلْبِي إلّا فُجِعْتُ به
عَرَفْتُ حَظِّي من الزمان فلا أَلُومَ خَلَقًا على تَجَنُّبِهِ
وكلُّ سَهْمٍ أَعْدَدْتُهُ وَقَفْتُ به الليالي حتى زُمِيتُ به

وحكي أن عبد الملك بن مروان أتوه برجل من الخوارج فأراد قتله، فأدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو ينيكي؛ فقال الخارجي: دَعُهُ يا عبد الملك، فإن ذلك أَرْحَبُ لِسِدْقِهِ، وَأَصْحُ لِدِمَاغِهِ، وَأَذْهَبُ لَصَوْتِهِ، وَأَجْرَى أَلَّا تَأْبَى عليه عينه إذا حَفَزْتُهُ طَاعَةَ اللَّهِ فَاسْتَدْعَى عِبْرَتَهَا؛ فَأَعْجَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بقوله وقال له متعجباً: أَمَا يَشْغَلُكَ مَا أَنْتَ فِيهِ عَنْ هَذَا؟ فقال: ما ينبغي أن يَشْغَلَ الْمُؤْمِنَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ شَيْءٌ؛ فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِحَبْسِهِ، وَصَفَحَ عَنْ قَتْلِهِ.

(١) تقدم ذكر هذا البيت في صحيفة ٧٩ من الجزء الأول.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العلم والبيان

العلم

حدَّثني الزياتي قال: حدَّثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن عبد الله ابن سعد عن الصَّنَابِجِيِّ عن معاوية بن أبي سفيان قال: نَهَى رسولُ الله ﷺ عن الأغلوطات، قال الأوزاعي: يعني صِغَاب المسائل^(١).

حدَّثني سُهيل بن محمَّد عن الأصمعيَّ قال: سمعت عُمران بن حُدير يُحدِّث، عن رجل من أهل الشام قد سَمَاهُ، قال: قال كعب الأحماس لقوم من أهل الشام: كيف رأيكم في أبي مُسلم الخَوْلاني^(٢)؟ فقالوا: ما أَحْسَنَ رأيُنَا فيه وأُخَذْنَا عنه! فقال: إِنَّ أَزْهَدَ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ أَهْلُهُ^(٣)، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ الْحَمَّةِ^(٤) تكونُ في القومِ فَيَرْغَبُ فِيهَا الْغُرَبَاءُ، وَيَزْهَدُ فِيهَا الْقُرَبَاءُ، فَبَيْنَا ذَلِكَ

(١) هذا التفسير لا يتناسب مع الحديث؛ لأنه لا معنى لأن ينهي النبي عن صغاب المسائل، والأوجه ما فسرها الزمخشري في كتابه أساس البلاغة مادة (غلط): «وهي المسائل التي يُغَالَطُ بها».

(٢) أبو مسلم الخولاني هو عبد الله بن ثوب، تابعيٌ وفقيه زاهد. أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ولم يره. توفي سنة ٦٢ هـ. الأعلام ج ٤ ص ٧٥.

(٣) ورد في مجمع الأمثال للميداني: «أزهَدُ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ جيرانه».

(٤) الْحَمَّةُ: عين ماء فيها حارٌّ يُسْتَشْفَى بالغسل منه؛ قال ابن دريد: هي عَيْنَةٌ حَارَّةٌ تَبْعُ مِنَ الْأَرْضِ يَسْتَشْفَى بِهَا الْأَعْلَاءُ وَالْمَرْضَى. وقد ورد هذا المثل في لسان العرب مادة (حمم) باختلاف عَمَّا هُنَا وَنَصَبُهُ:

«مَثَلُ الْعَالِمِ مَثَلُ الْحَمَّةِ يَأْتِيهَا الْبُعْدَاءُ وَيَتْرَكُهَا الْقُرَبَاءُ، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَعَارَ مَاؤُهَا وَقَدْ أَنْتَفَعَ بِهَا قَوْمٌ وَبَقِيَ أَقْوَامٌ يَتَفَكَّنُونَ أَيِ يَتَنَدَّمُونَ».

غَارَ مَاؤُهَا، وَأَصَابَ هَوْلًا مَنَعَتْهَا، وَبَقِيَ هَوْلًا يَتَفَكَّنُونَ، أَيِ يَتَنَدَّمُونَ.

وفي الإنجيل أَنَّ عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ لَمَّا أَرَاهُم الْعَجَائِبَ، وَضَرَبَ لَهُمُ الْأَمْثَالَ وَالْحِكْمَةَ، وَأَظْهَرَ لَهُمْ هَذِهِ الْآيَاتِ، قَالُوا: أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ! أَوَلَيْسَتْ أُمُّهُ مَرْيَمَ وَأَخُوهُ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَشَمْعُونَ وَيَهُوذَا وَأَخَوَاتُهُ كُلَّهُنَّ عِنْدَنَا! فَقَالَ لَهُمُ عَيْسَى: إِنَّهُ لَا يُسَبُّ النَّبِيَّ وَلَا يُحَقَّرُ إِلَّا فِي مَدِينَتِهِ وَبَيْتِهِ.

حَدَّثَنَا الرِّيشِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: قِيلَ لِدَغْفَلِ النَّسَابَةِ: بِمِ أَدْرَكْتَ مَا أَدْرَكْتَ مِنَ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: بِلِسَانِ سَوُولٍ وَقَلْبِ عَقُولٍ، وَكُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَالِمًا أَخَذْتُ مِنْهُ وَأَعْطَيْتُهُ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْعَلَاءُ بْنُ أَسْلَمٍ عَنْ رُوْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّسَابَةَ الْبَكْرِيَّ فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ الْعَجَّاجِ، قَالَ: قَصَّصْتَ وَعَرَّفْتَ، لَعَلَّكَ مِنْ قَوْمٍ إِنْ سَكَتُ عَنْهُمْ لَمْ يَسْأَلُونِي، وَإِنْ تَكَلَّمْتُ لَمْ يَعْزَمُوا عَلَيَّ، قُلْتُ: أَرْجُو أَلَا أَكُونُ كَذَلِكَ، قَالَ: مَا أَعْدَاءُ الْمُرُوءَةِ؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِي، قَالَ: بَنُو عَمِّ الْبَسُوءِ إِنْ رَأَوْا حَسَنًا سَتَرُوهُ، وَإِنْ رَأَوْا سَيِّئًا أَذَاعُوهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ لِلْعِلْمِ آفَةٌ وَهُجْنَةٌ وَنَكَدًا، فَأَفْتُهُ نِسْيَانُهُ، وَنَكَدَهُ الْكَذِبُ فِيهِ، وَهُجِنَتْهُ نَشْرُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ.

كَانَ يَقَالُ: لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ فَإِذَا ظَنَّ أَنَّ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهِلَ.

حَدَّثَنِي شَيْخُنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنِ الصَّلْتِ بْنِ مِهْرَانَ عَنْ رَجُلٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِأَرْبَعَةٍ دَخَلَ النَّارَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يَمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يُمِيلَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ أَوْ يَأْخُذَ بِهِ مِنَ الْأُمَرَاءِ».

وحدَّثني عن أبي معاوية عن حجاج عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يُخلص العبادة لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». وقرأت في حِكَم لُقمان أنه قال لابنه: يا بُنَيَّ، اغْذُ عالماً أو متعلماً أو مُستمِعاً أو مُجَبَّاً، ولا تكن الخامسَ فتَهلك.

حدَّثني محمد بن داود عن سُويد بن سعيد عن إسماعيل عن ابن عيَّاش عن مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ عن إبراهيم بن عبد الرحمن قال: قال النبي ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدُوُّه يَنفُونَ عنه تحريفَ الغالين وانتحالَ المبطلين وتأويلَ الجاهلين».

وروى أبو خالد بن الأحمر عن عمرو بن قيس عن أبي إسحاق قال: قال عليّ عليه السلام: كَلِمَاتٌ لَوْ رَحَّلْتُمُ الْمِطْيَ فِيهِنَّ لَا تُصِيوَهُنَّ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكُوا مَثَلَهُنَّ: لَا يَرْجُونَ عَبْدٌ إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَسْتَحْيِي مِنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَعْلَمَ، وَلَا يَسْتَحْيِي إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَنْزِلَةَ الصَّبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ كَمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، فَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ، وَإِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ. وَكَانَ يَقُولُ: مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ عَلَيْكَ إِذَا أَتَيْتَهُ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَةً وَتَخُصَّصَهُ بِالتَّحِيَّةِ، وَأَنْ تَجْلِسَ قُدَّامَهُ وَلَا تُشِيرَ بِيَدِكَ، وَلَا تَغْمِزَ بَعِينِكَ، وَلَا تَقُولَ قَالَ فُلَانٌ خِلَافاً لِقَوْلِهِ، وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدًا، وَلَا تَسَارَّ فِي مَجْلِسِهِ، وَلَا تَأْخُذَ بِثَوْبِهِ، وَلَا تُلُحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ، وَلَا تَغْرَضَ^(١) مِنْ صَحْبَتِهِ لَكَ: فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ. وَفِيمَا قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا كُمَيْلُ^(٢)، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنْ

(١) لَا تَغْرَضُ: لَا تَضْجُر.

(٢) هُوَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادِ النَخَعِيِّ، تَابِعِي ثِقَةٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. تَوَفَّى سَنَةَ ٨٢ هـ.

المال، لأنَّ العلمَ يَحْرُسُكَ وأنتَ تحْرُسُ المالَ، والمالَ تَنْقُصُهُ النفقةُ، والعلمَ يزكو على الإنفاقِ. وقال: قيمةُ كلِّ أمرٍ ما يُحسَنُ. ويقالُ إذا أرْذَلُ^(١) اللَّهُ عبداً حَظَرَ عليه العِلْمُ. وقال الشاعر:

[طويل]

يُعَدُّ رَفِيعَ القَوْمِ مَنْ كانَ عالِماً^(٢) وإن لم يكن في قومه بحسبٍ
وإن حل أرضاً عاش فيها بعلمه وما^(٣) عالِمٌ في بلدةٍ بغريبٍ

قال بُزْجَمَهْر: ما ورَّثَ الآباءُ الأبناءَ شيئاً أفضلَ من الأدبِ، لأنها تكتسبُ المالَ بالأدبِ وبالجَهْلِ تُتْلَفُه فتَقْعُدُ عُدْمًا منهما. قال رجلٌ لخالد بن صفوان: مالي إذا رأيْتُكُمْ تتذاكرون الأخبارَ، وتتدارسون الآثارَ، وتتناشدون الأشعارَ، وَقَعَ عَلَيَّ النومُ؟ قال: لأنَّك جِمارٌ في مسلَاحٍ^(٤) إنسان.

خرج الوليدُ بن يزيد حاجاً ومعه عبدُ اللَّهِ بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فكانا ببعض الطريق يَلْعَبانِ بالشُّطْرَنْجِ فاستأذن عليه رجلٌ من ثَقِيفٍ فأذنَ له وسَتَرَ الشُّطْرَنْجَ بمنديلٍ، فلَمَّا دخل سلَّم فسأله حاجتَه؛ فقال له الوليد: أقرأت القرآن؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين! شَغَلَتْنِي عنه أمورٌ وهَنَات، قال: أفتعرف الفقه؟ قال: لا، قال: أفرويت من الشُّعر شيئاً؟ قال: لا، قال: أفعِلِمْتَ من أيام العرب شيئاً؟ قال: لا، قال: فكشَفَ المنديلَ عن الشُّطْرَنْجِ وقال: شاهك، فقال له عبد الله بن معاوية: يا أمير المؤمنين! قال: اسْكُتْ فما معنا أحد.

وفي كتاب للهند: العالِمُ إذا آغترَبَ فمعه من عِلْمِه كَافٍ، كالأسد معه

(١) أرْذَلَهُ اللَّهُ: لم يَرْضَ عنه.

(٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٥): «عاقلاً» بدلاً من «عالماً».

(٣) في نفس المصدر والصفحة: وما عاقلٌ «بدل» وما عالمٌ.

(٤) المسلَّاح: الجلد.

قُوَّتُهُ الَّتِي يَعِيشُ بِهَا حَيْثُ تَوَجَّهَ. وَكَانَ يُقَالُ: الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ، وَالْمُودَّةُ

أَشَدُّ الْأَسْبَابِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

[منسرح]

الْجِلْمُ وَالْعِلْمُ خَلَّتَا كَرَمٍ لِلْمَرْءِ زَيْنٌ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا
صِنَوَانٍ لَا يَسْتَيِّمُ حُسْنُهُمَا إِلَّا بِجَمْعٍ لَذَا وَذَاكَ مَعَا
كَمْ مِنْ وَضِيعٍ سَمَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْجِلْمُ فَنَالَ الْعَلَاءُ وَارْتَفَعَا
وَمِنْ رَفِيعٍ الْبِنَا أَضَاعَهُمَا أَخْمَلَهُ مَا أَضَاعَ فَأَتَّضَعَا

قَالَ الْأَحْنَفُ: كَادَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَكُونُوا أَرْبَابًا، وَكُلُّ عَزٍّ لَمْ يُؤَكِّدْ بِعِلْمٍ فِيمَا لِي
ذُلٌّ مَا يَصِيرُ. وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: إِذَا أَكْرَمَكَ النَّاسَ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا
يُعْجِبُكَ ذَلِكَ، فَإِنَّ زَوَالَ الْكِرَامَةِ بَزْوَالَهُمَا، وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أَكْرَمَكَ لِإِدِينِ أَوْ
أَدَبٍ. وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ: «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ مَثَلُ النُّجُومِ فِي
السَّمَاءِ». وَكَانَ يُقَالُ: اسْتَدِلَّ عَلَى فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِحِظِهِ
مِنْهُ خَطَرًا. قَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ: عِلْمُكَ مِنْ رُوحِكَ، وَمَالُكَ مِنْ بَدَنِكَ. قَالَ
أَبُو الْأَسْوَدِ: الْمُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ.

قِيلَ لِبُزْرِجَمَهْرٍ: الْعُلَمَاءُ أَفْضَلُ أَمْ الْأَغْنِيَاءُ؟ فَقَالَ: الْعُلَمَاءُ، فَقِيلَ لَهُ:
فَمَا بَالُ الْعُلَمَاءِ بِأَبْوَابِ الْأَغْنِيَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَبْوَابِ الْعُلَمَاءِ؟ فَقَالَ: لِمَعْرِفَةِ
الْعُلَمَاءِ بِفَضْلِ الْغِنَى وَجَهْلِ الْأَغْنِيَاءِ بِفَضْلِ الْعِلْمِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ
الْمَلِكُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَلَلْتُ طَالِبًا،
فَعَزَزْتُ مُطْلُوبًا؛ وَكَانَ يَقُولُ: وَجَدْتُ عَامَّةَ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْحَيِّ
مِنَ الْأَنْصَارِ، إِنْ كُنْتُ لِأَقِيلَ بِيَابِ أَحَدِهِمْ وَلَوْ شِئْتُ أُذِنَ لِي، وَلَكِنْ أَبْتَغِي
بِذَلِكَ طِيبَ نَفْسِهِ. وَكَانَ يُقَالُ: أَوَّلُ الْعِلْمِ الصَّمْتُ وَالثَّانِي الْاسْتِمَاعُ، وَالثَّلَاثُ
الْحِفْظُ، وَالرَّابِعُ الْعَقْلُ، وَالْخَامِسُ نَشْرُهُ. وَيُقَالُ: إِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ فَكُنْ
عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ. قَالَ الْحَسَنُ: مَنْ أَحْسَنَ عِبَادَةَ اللَّهِ

في شببته لقاها الله الحكمة في سنّه، وذلك قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ
 آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) قال بعض الحكماء من
 الصحابة: تقول الحكمة: مَنْ أَلْتَمَسْنِي فَلَمْ يَجِدْنِي فَلْيَفْعَلْ بِأَحْسَنِ مَا يَعْلَمُ،
 وليترك أقبح ما يعلم، فإذا فَعَلَ ذلك فَأَنَا معه وإن لم يَعْرِفْنِي. وكان يقال: لا
 يكون الرجل عالماً حتّى يكون فيه ثلاث: لا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ في العلم، ولا
 يَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهُ، ولا يأخذ على علمه ثَمَنًا. وقال ابن عُيَيْنَةَ: يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ
 إِذَا عُلِّمَ أَلَّا يُعْنَفَ، وَإِذَا عُلِّمَ أَلَّا يَأْتَفَ. وفي كلامٍ لِعَيَّلَانَ، لا تكن كعلماء
 زمن الهرج^(٢) إِنَّ عُلِّمُوا أَنْفَوْا وَإِنْ عُلِّمُوا عَنُفُوا. وفي حكمة لُقْمَانَ: إِنْ الْعَالِمَ
 الْحَكِيمَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَىٰ عِلْمِهِ بِالصَّمْتِ وَالْوَقَارِ، وَإِنْ الْعَالِمَ الْأَخْرَقَ يَطْرُدُ
 النَّاسَ عَنْ عِلْمِهِ بِالْهَذَرِ وَالْإِكْثَارِ. قال إبراهيم بن المنصور: سَلْ مَسْأَلَةَ
 الْحَمَقَى وَأَحْفَظْ حِفْظَ الْأَكْيَاسِ. وأنشد ابن الأعرابي: [كامل]

مَنْ أَقْرَبَ الْأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا	قَدَرٌ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقَدَّرْ
فَسَلِ الْفَقِيهَ تَكُنْ فَقِيهًا مِثْلَهُ	مَنْ يَسْعَ فِي عَمَلٍ بِفَقْهِ يَمْهَرُ
وَيَتَدَبَّرِ الْأَمْرَ الَّذِي تُعْنَى بِهِ	لَا خَيْرَ فِي عَمَلٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ
فَلَقَدْ يَجِدُ الْمَرْءَ وَهُوَ مُقَصَّرٌ	وَيَخِيبُ جِدُّ الْمَرْءِ غَيْرَ مُقَصَّرٍ
ذَهَبَ الرِّجَالُ الْمُقْتَدَى بِفَعَالِهِمْ	وَالْمُنْكَرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرٍ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ يُزَيِّنُ بَعْضُهُمْ	بَعْضًا لِيُدْفَعَ مُعْوَرٌ ^(٣) عَنْ مُعْوَرٍ

(١) سورة يوسف ١٢، آية ٢٢. ولقد أضاف المؤلف، والأرجح الناسخ، كلمة «واستوى» على
 الآية الكريمة. ومعنى الآية: استكملت خصال يوسف عقلاً وجسماً، والمراد بالحكم هنا
 الحكمة، وهي وضع الشيء في مكانه المناسب.

(٢) الهرج: الفتنة.

(٣) الْمُعْوَرُ: مَنْ أَعْوَرَ الشَّيْءَ إِذَا بَدَتْ عَوْرَتُهُ.

وقال الشاعر^(١):

[طويل]

شِفَاءُ الْعَمَى طَوْلُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا تَمَامُ الْعَمَى طَوْلُ السَّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
 وقال بعضهم: خَيْرُ خِصَالِ الْمَرْءِ السُّؤَالُ. ويقال: إِذَا جَلَسْتَ إِلَى عَالِمٍ
 فَسَلْ تَفْقَهُ وَلَا تَسَلْ تَعْتَهُ. قال الحسن. مَنْ آسَتَرَ عَنِ الطَّلَبِ بِالْحَيَاءِ لَيْسَ
 لِلْجَهْلِ سِرْبَالَهُ، فَقَطَّعُوا سَرَائِلَ الْحَيَاءِ، فَإِنَّهُ مَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ؛ وقال:
 إِنِّي وَجَدْتُ الْعِلْمَ بَيْنَ الْحَيَاءِ وَالسُّتْرِ. وقال الخليل؛ منزلة الجهل بين الحياء
 وَالْأَنَفَةِ. وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: قُرِنَتِ الْهَيْئَةُ بِالْخِيَةِ، وَالْحَيَاءُ
 بِالْجُرْمَانِ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَلْيَطْلُبْنَهَا وَلَوْ فِي يَدَيِ أَهْلِ الشُّرْكِ. وقال
 عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ لَبْنِيهِ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ تَكُونُوا صِغَارَ قَوْمٍ فَعَسَى أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ
 قَوْمٍ آخَرِينَ، فَيَا سَوْءَاتَا مَاذَا أَقْبَحَ مِنْ جَهْلٍ بِشَيْخٍ! وَكَانَ يَقَالُ: عَلَّمَ عِلْمَكَ
 مَنْ يَجْهَلُ، وَتَعَلَّمَ مِمَّنْ يَعْلَمُ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ مَا جَهِلْتَ وَحَفِظْتَ
 مَا عَلِمْتَ.

قيل لِبُزْجَمِهر: بِمَ أَدْرَكَتَ مَا أَدْرَكَتَ مِنَ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ: يَبْكُورٍ كَبْكُورِ
 الْغُرَابِ، وَجِرْصٍ كَحِرْصِ الْخَنْزِيرِ، وَصَبْرٍ كَصَبْرِ الْحِمَارِ. وقال الحسن:
 طَلَبُ الْعِلْمِ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ فِي الْكِبَرِ كَالنَّقْشِ
 عَلَى الْمَاءِ. ويقال: التَّفَقُّهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَحِمَارِ الطَّاحُونَةِ يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ. وفي
 الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ «ارْحَمُوا عَزِيزًا ذَلَّ ارْحَمُوا غَنِيًّا أَفْتَقَرَ ارْحَمُوا عَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ
 جُهَالٍ» وَيُقَالُ: أَحَقَّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عَالِمٌ يَجُوزُ عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ.

قال المسيح عليه السلام: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَا تُلْقُوا اللُّؤْلُؤَ إِلَى الْخَنَازِيرِ،

(١) هو بشار بن برد كما في أدب الدنيا والدين (ص ٤٩ ط بولاق) وبعد البيت:

فَكُنْ سَائِلًا عَمَّا هُنَاكَ فَإِنَّمَا دُعِيَتْ أَخْسَا عَقْلٍ لِتَبْحَثَ بِسَالِعِقْلٍ
 ولقد وردت ترجمة بشار في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ٣١٠.

فإنها لا تصنع به شيئاً، ولا تُعطوا الحكمة من لا يُريدها، فإن الحكمة أفضل من اللؤلؤ، ومن لا يريدها شرٌّ من الخنازير. قال ديمقراط: عالمٌ معاندٌ خيرٌ من مُنصف جاهل. وقال آخر: الجاهل لا يكون مُنصفاً؛ وقد يكون للعالم معانداً. قال سُفيان: تَعَوَّذُوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر. قيل للحسن: الحُرْفَةُ في أهل العلم: ولغيرهم الثَّرْوَةُ، فقال: إِنَّكَ طَلَبْتَ قليلاً في قليل فأعجزك، طلبت المال وهو قليل في الناس، في أهل العلم وهم قليل من الناس. وقال الخريمي^(١): [بسيط]

لا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ إِنَّ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ
وقال آخر: [بسيط]

ما أزددْتُ من أدبي حَرْفاً أُسْرُ به إِلَّا تَزَيَّدْتُ حَرْفاً تَحْتَهُ سُومٌ
إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي جِذْقٍ بَصْنَعْتَهُ أَنِّي تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ مُحْرُومٌ
وقال الطائي لمحمد بن عبد الملك: [طويل]

أبا جَعْفَرٍ، إِنَّ الْجَهَالَهَ أُمُّهَا وَلَوْ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ حَائِلٌ^(٢)
قال الثوري: مَنْ طلب الرِّياسة بالعلم سريعاً فاتَهُ عِلْمٌ كثيرٌ؛ وقال: يَهْتَفُ العلم بالعمل فإن أجابه وإلا آرتحل. قال بعض أهل العلم: يُغْفَرُ للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يُغْفَرَ للعالم ذنب واحد. قال بلال بن أبي بُرْدَةَ: لا يَمْنَعُنْكُمْ سُوءُ ما تعلمون منا أن تَقْبَلُوا أَحْسَنَ ما تسمعون. وقال الخليل بن أحمد^(٣): [بسيط]

(١) في الأصل «الخريمي» بالزاي وهو تصحيف. وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ من ص ١٣١ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) جَذَاءُ: من الجَذْدِ، وهو القطع، والمراد أنها مقطوعة النسل. والحائل: كل أنثى لا تحمل.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٢١٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

اعْمَلْ بعلمي ولا تَنْظُرْ إلى عملي يَنْفَعَكَ قولي ولا يَضُرُّكَ تقصيري
كتب رجل إلى أخ له: إِنَّكَ قد أُوتِيتَ علماً فلا تطفئنْ نورَ علمك بظلمة
الذنوب فتَبْقَى في الظلمة يومَ يسعى أهلُ العلم بنور علمهم.

وقال بعض الحكماء: لولا العلمُ لم يُطْلَبِ العمل، ولولا العملُ لم
يُطْلَبِ العلم، ولأنَّ أدعَ الحقَّ جهلاً به أحبُّ إليَّ من أن أدعَه زُهداً فيه. وقال
مالك بن دينار: إن العالمَ إذا لم يَعْمَلْ بعلمه زَلَّتْ موعظته عن القلوب كما
يَزِلُّ القَطْرُ عن الصِّفَا. (١) ونحوه قولُ زياد: إذا خرج الكلامُ من القلب وَقَعَ في
القلب، وإذا خرج من اللسان لم يُجاوِزِ الأذان.

ويقال: العلماءُ إذا عَلِمُوا كَمَلُوا، فإذا عَمِلُوا شَغِلُوا، فإذا شَغِلُوا فَقِدُوا،
فإذا فَقِدُوا طَلَبُوا فإذا طَلَبُوا هَرَبُوا. قال الحسن: ما أحسنَ الرجلَ ناطقاً عالماً
ومُسْتَمِعاً وَاِعْيَاءً وَاِعْيَاءً عَامِلًا. وقال ابن مسعود: إني لأحسب الرجلَ يَنْسَى
العِلْمَ بالخطيئة يَعْمَلُهَا. وقال ابن عباس: إذا تَرَكَ العالمُ قولَ لا أدري أَصِيبَتْ
مِقَاتِلُهُ. وقال يزيد بن الوليد بن عبد الملك:

[مقارب]

إذا ما تَحَدَّثْتُ في مَجْلِسٍ تَنَاهَى حِدِيثِي إلى ما عَلِمْتُ
ولم أَعُدْ عِلْمِي إلى غَيْرِهِ وكان إذا ما تَنَاهَى قَصَرْتُ

[طويل]

وقال آخر (٢):

إذا ما أَتَيْتُ عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمْلَى أم تَنَاهَى فَأَقْصَرَا
وَيُخْبِرُنِي عن غَائِبِ المرءِ فِعْلُهُ كَفَى الفِعْلُ عما غَيَّبَ المرءُ مُخْبِرَا
قال عمرُ بن الخطَّاب: لا أدركُ لا أنا ولا أنتَ زماناً يَتَغَايَرُ النَّاسُ فِيهِ

(١) الصِّفَا: ج صَفَاة وهي الحجر الصُّلْد الضخم.

(٢) هو زيادة بن زيد كما في أدب الدنيا والدين ص ٦٦.

على العلم كما يتغايرون على الأزواج. قال سلمان: علم لا يقال به ككنز لا يُنفق منه. وفي الحديث المرفوع: «العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم» قال عمر بن عبد العزيز: ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ومن عفو إلى قدرة. قال أبو الدرداء: مَنْ يَزِدَّ علماً يَزِدَّ وجعاً.

قال أفلاطون: لولا أن في قول لا أعلم سبباً لأنني أعلم لقلت إنني لا أعلم. وقال آخر: ليس معي من فضيلة العلم إلا علمي بأنني لست أعلم.

قال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة: رجل يدرى ويُدري أنه يدرى فسَلُوهُ، ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذاك ناسٍ فذكرُوهُ، ورجل لا يدرى ويدري أنه لا يدرى فذلك مسترشد فعَلِّمُوهُ، ورجل لا يدرى ولا يدري أنه لا يدرى فذلك جاهل فأرْفُضُوهُ.

كتب كسرى إلى بُزْرجِمِهر وهو في الحبس: كانت ثمرة علمك أن صِرتَ بها أهلاً للحبس والقتل، فكتب إليه بُزْرجِمِهر: أما ما كان معي الجَدُّ فقد كنت أنتفع بثمره العلم فالآن إذ لا جدَّ فقد صِرتُ أنتفع بثمره الصبر مع أني إن كنتُ فَقَدْتُ كثيرَ الخير فقد آسَرتُ من كثير الشرِّ.

قال بُزْرجِمِهر: من صلح له العُمُرُ صلح له التعلُّمُ. وقيل لبعض الحكماء: أَيَحْسُنُ بالرجل أن يتعلَّم؟ فقال: إن كانت الجَهالةُ تَقْبُحُ به فإنَّ العلمَ يَحْسُنُ به. ويقال: التودُّدُ زِينُ العلمِ.

قال عمر بن الخطاب: ما من غاشية^(١) أَدْوَمَ أرقاً، وأبطأ شَبَعاً من عالم. قال مالك بن دينار: مَنْ طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفي، ومن طلبه

(١) الغاشية: السُّؤال الذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك.

للناس فحوائجُ الناس كثيرةٌ.

قال إِبْرَاهِيمُ: العلم كثير، والعمر قصير، والصنعة طويلة، والزمان جديد، والتجربة خطأ.

قال المسيح عليه السلام: إلى متى تَصِفُونَ الطرفَ للمُذْلَجِينَ، وأنتم مُقِيمُونَ مع المتَحِيرِينَ؟ إنما ينبغي من العلم القليلُ، ومن العمل الكثير. قال سَلْمَانُ: لو حَدَّثْتُ النَّاسَ بِكُلِّ مَا أُعْلِمُ لَقَالُوا رَحِمَ اللَّهُ قَاتِلَ سَلْمَانَ. كان يقال: لا تقل فيما لا تعلم فتتَّهَمَ فيما تَعْلَم. وكان يقال: العلم قائد، والعمل سائق، والنفس حُرُون، فإذا كان قائد بلا سائق بُلْدَتْ وإذا كان سائق بلا قائد عَدَلَتْ يميناً وشمالاً، فإذا اجتمعَا أنابت طَوْعاً وكرهاً. قال أَيُّوبُ: لا يَعْرِفُ الرَّجُلُ خَطَأَ مُعَلِّمِهِ حَتَّى يَعْرِفَ الاختلاف. ويقال: غَرِيْزَةُ الْعَقْلِ أَثْنَى وَمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْعِلْمِ ذَكَرٌ وَلَنْ يَصْلَحَا إِلَّا مَعًا.

قال المسيح عليه السلام: إِنْ أَبْغَضَ الْعُلَمَاءُ إِلَى اللَّهِ رَجُلٌ يُحِبُّ الذِّكْرَ بِالْمَغِيبِ، وَيُوسِّعُ لَهُ فِي الْمَجَالِسِ، وَيُدْعَى إِلَى الطَّعَامِ، وَتُفَرِّغَ لَهُ الْمَزَاوِدُ^(١)، بِحَقِّ أَقْوَلٍ لَكُمْ: إِنْ أَوْلَيْتَكَ قَدْ أَخَذُوا أَجُورَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

لما دُلِّيَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قَبْرِهِ قَالَ أَبُو عَبَّاسٍ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَرَى كَيْفَ ذَهَبَ الْعِلْمُ فَهَكَذَا ذَهَابَ الْعِلْمُ.

ويقال: إِذَا أَرَدْتَ الْمَحَبَّةَ مِنَ اللَّهِ فَكُنْ عَالِمًا كَجَاهِلٍ. وقال بعضُ الشعراءِ فِي تَلَاقي الْعُلَمَاءِ:

[منسرح]

(١) الْمَزَاوِدُ: ح مَزُودٌ وَهُوَ وَعَاءُ الزَّادِ.

إِذَا تَلَّاقَى الْفُيُولُ^(١) وَأَزْدَحَمَتْ فكيف حال البُعوضِ في الوَسَطِ؟

وقال ابن الرُّقَّاع: [كامل]

ولقد أصبْتُ من المعيشَةِ لَذَّةً وَلَقِيتُ من شَطَفِ الخُطوبِ شِدَادَهَا
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عن حَرْفٍ واحدةٍ لكي أزدادَهَا
ويقال: أربُعٌ لا يَأْنِفُ مِنْهُنَّ الشَّرِيفُ: قيامُهُ عن مجلسه لأبيه، وخدمته،
لضيفه، وقيامه على فَرَسه وإن كان له مائةُ عَبدٍ، وخدمته العالمُ ليأخذَ من
علمه.

قيل لعطاء بن مُضْعَب: كيف غَلَبَتْ على البرمكةِ، وعندهم مَنْ هو آدب
منك؟ قال: ليس للقرَّبَاءِ ظَرَفَةُ الغُرَبَاءِ، كُنْتُ بَعِيدَ الدَّارِ، غَرِيبَ الاسْمِ،
عَظِيمَ الكِبَرِ، صَغِيرَ الجِزْمِ، كَثِيرَ الِاتِّوَاءِ، شَحِيحًا بِالْإِمْلَاءِ؛ فَقَرَّبَنِي إِلَيْهِمْ
تَبَاعُدِي مِنْهُمْ، وَرَغَبُهُمْ فِي رَغْبَتِي عَنْهُمْ.

قال أبو يعقوب الخريزمي^(٢): تَلَقَّانِي سَعِيدُ بن وَهْبٍ مع طُلُوعِ الشَّمْسِ
فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: أَدُورُ لَعَلِّي أَسْمَعُ حَدِيثًا حَسَنًا، ثُمَّ تَلَقَّانِي أَنَسُ بن أَبِي
شَيْخٍ فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قال: عِنْدِي حَدِيثٌ حَسَنٌ فَأَنَا أَطْلُبُ لَهُ إِنْسَانًا حَسَنَ
الفَهْمِ حَسَنَ الاسْتِمَاعِ، قُلْتُ: حَدِّثْنِي بِهِ، قال: أَنْتَ حَسَنُ الفَهْمِ سَيِّئُ
الِاسْتِمَاعِ، وما أَرَى لِهَذَا الْحَدِيثِ إِلَّا إِسْمَاعِيلَ بنَ غَزْوَانَ. وقال الطائي في
نحو هذا:

[وافر]

وَكُنْتُ أَعَزُّ عِزًّا مِنْ قُنُوعٍ تَعَوَّضُهُ صَفُوحٌ مِنْ مَلُوعٍ

(١) الفُيُولُ: ج فيل.

(٢) في الأصل: الخريزمي بالزاي وهو تضحيف، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ من ص
١٣١ من الجزء الأول من هذا الكتاب. وسبق وذكره ابن قتيبة في ص ٥ من هذا الجزء بالراء
وليس بالزاي.

فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرُّ إِلَى فَهْمٍ جَلِيلٍ
 كَانَ يُقَالُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا فَأَقْصِدْ لَفْظَ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِذَا أَرَدْتَ
 أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا فَخُذْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ^(١) بِنَ
 الْمَهْدِيِّ:

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعَبْ رَوَاجِلُهُ وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُوتَ مِنْ تَعَبِ
 مَعِ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً الرِّزْقُ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
 وَخَلَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي الرِّزْقُ وَالنُّوْكَ مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ^(٢)
 يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمَقٍ الرِّزْقُ أَغْرَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرَبِ
 قَالَ أَنُو شِرْوَانٍ لِلْمُؤَبَّدِ^(٣): مَا رَأْسُ الْأَشْيَاءِ؟ قَالَ: الطَّبِيعَةُ النَّقِيَّةُ تَكْتَفِي مِنَ
 الْأَدَبِ بِرَائِحَتِهِ وَمِنَ الْعِلْمِ بِالْإِشَارَةِ إِلَيْهِ، وَكَمَا يَذْهَبُ الْبَذَرُ فِي السَّبَاخِ^(٤)
 ضَائِعًا، كَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَمُوتُ بِمَوْتِ الطَّبِيعَةِ، وَكَمَا تَغْلِبُ السَّبَاخُ طَيِّبَ الْبَذَرِ
 إِلَى الْعَفْنِ، كَذَلِكَ الْحِكْمَةُ تَفْسُدُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا؛ قَالَ كَسْرَى؛ قَدْ صَدَقْتَ
 وَبِحَقِّ قُلْدُنَاكَ مَا قُلْدُنَاكَ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عُلَمَاءُ يُزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا
 يَزْهَدُونَ، وَيُرْغَبُونَ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَرْغَبُونَ، يَنْهَوْنَ عَنْ غَشْيَانِ الْوَلَاةِ وَلَا
 يَنْتَهُونَ، يُقَرِّبُونَ الْأَغْنِيَاءَ وَيُبَاعِدُونَ الْفُقَرَاءَ، وَيَنْقَبِضُونَ عِنْدَ الْحُقَرَاءِ،
 وَيَنْبَسِطُونَ عِنْدَ الْكِبَرَاءِ: أُولَئِكَ الْجَبَّارُونَ أَعْدَاءُ الرَّحْمَنِ.

(١) إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ أَخُو هَارُونَ الرَّشِيدِ، لَيْسَ فِي أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ قَبْلَهُ أَجُودُ مِنْهُ شِعْرًا، تَوَفَّى

سَنَةَ ٢٢٤ هـ. الْأَعْلَامُ ج ١ ص ٥٩ - ٦٠.

(٢) السَّبَبُ: الْحَبْلُ.

(٣) الْمُؤَبَّدُ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْبَاءِ وَمِثْلُهُ الْمُؤَبَّدَانِ: حَاكِمُ الْمَجُوسِ وَكَاهِنُهُمْ، فَارْسِيَّةٌ مَعْرَبَةٌ،
 وَالْجَمْعُ مَوَابِدَةٌ.

(٤) السَّبَاخُ: ج. سَبَخَةٌ وَهِيَ أَرْضٌ ذَاتُ نَرٍّ وَمِلْحٍ.

نافع عن ابن عمر قال: العلم ثلاثة: كتاب ناطق؛ وسنة ماضية؛ ولا أدري.

الكُتُب والحفظ

حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال: حدّثني قريش بن أنس قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: اسلم من الوحدة، فقل له: قد جاء في الوحدة ما جاء، فقال: ما أفسدها للجاهل!. قال بعض الشعراء في قوم يجمعون الكتب ولا يعلمون: [طويل]

زَوَامِلٌ^(١) لِلْأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ
لَعْمَرُكَ مَا يَذْرِي الْمَطْيُ إِذَا غَدَا بِأَحْمَالِهَا أَرْوَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ^(٢)

قال يحيى بن خالد: الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون. قال الشَّعْبِيُّ: لو أن رجلاً حفظ ما نُسِيتُ كان عالماً، ووَصَفَ رجلاً رجلاً فقال: : كان يغلط في علمه من وجوه أربعة: يسمع غير ما يقال له، ويحفظ غير ما يسمع، ويكتب غير ما يحفظ، ويحدث بغير ما يكتب.

قيل لأبي نواس: قد بعثوا إلى أبي عبيدة والأصمعيّ ليُجمَعَ بينهما، فقال: أما أبو عبيدة فإن أمكنه من شُقرهِ^(٣) قرأ عليهم أساطير الأولين؛ وأما الأصمعيّ فبلبل في قفص يطربهم بنغماته.

(١) الزوامل: ج زاملة وهي التي يحمل عليها من الإبل وغيرها.

(٢) الغرائر: ج غرارة وهي ما يُحمَلُ فيه التبن ونحوه.

(٣) الشُّقرُ: الكذب، وفي المثل: «جاء بالشُّقر والبُقر» أي جاء بالكلام المغيّر عن وجه الصدق.

القرآن

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ عَنِ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُونَ بَيْعَ الْمَصَاحِفِ وَيَرَوْنَهُ عَظِيمًا، وَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَأْخُذَ الْمُعَلَّمُ عَلَى تَعْلِيمِ الْغُلَّامَانِ شَيْئًا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ خَالِدِ الْكَاهِلِيِّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرُجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ؛ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ النَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا؛ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرِّيحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ؛ وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا.

وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمِيَّةَ وَلَيْثِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تُسَافِرُوا بِالْقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنَالَهُ الْعَدُوُّ.

حَدَّثَنِي أَبُو سَفْيَانَ الْغَنَوِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَيْرُ بْنُ عُمَرَ الْعَلَّافُ قَالَ: حَدَّثَنَا خُرَيْمَةُ بْنُ أَسَدٍ الْمُزَنِيُّ قَالَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يَسْتَفْتِحُ الْقِرَاءَةَ بِـ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» وَيَقُولُ: إِنَّهَا أَوَّلُ شَيْءٍ كُتِبَ فِي الْمَصْحَفِ، وَأَوَّلُ الْكُتُبِ، وَأَوَّلُ مَا كَتَبَ بِهِ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ إِلَى الْمَرْأَةِ^(١).

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ حُدَيْرٍ قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى أَعْرَابِيٍّ آخِرَ سُورَةِ «بَرَاءةٍ» فَقَالَ: كَانَ هَذَا مِنْ آخِرِ

(١) المرأة هي يَلْقِيس بكسر الباء والقاف: ملكة سبأ، وقصتها معروفة.

ما نَزَلَ. قالوا: كيف؟ قال: أرى أشياء تُقْضَى وعُهُوداً تُبَدَّلُ. قال: وقرأت عليه سورة الأحزاب فقال: كأنها ليس بتامة.

حدَّثني محمد بن عُبَيْد قال: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ بن عُيَيْنَةَ عن أَبِي نَجِيحٍ عن مجاهد قال: قال آبن مسعود: (حَم) دِيبَاجُ الْقُرْآنِ، قال: وزاد فيه مِسْعَرٌ^(١)، قال عبد الله: إذا وَقَعْتُ في آل (حَم) وَقَعْتُ في رَوَاضَاتِ دِمِثَاتٍ^(٢) أَتَأْتَقُ فِيهِنَّ.

حدَّثني شَيْخٌ لَنَا عن الْمُحَارِبِيِّ قال: حَدَّثَنَا بَكْرُ بن حُنَيْسٍ عن ضِرَارِ بن عَمْرٍو عن الحسن قال: قُرَأَ الْقُرْآنُ ثَلَاثَةَ: رَجُلٌ آتَاخَذُهُ بِضَاعَةً يَنْقُلُهُ من مصر إلى مصر، يَطْلُبُ به ما عند الناس؛ وَقَوْمٌ حَفِظُوا حُرُوفَهُ، وَضَيَّعُوا حُدُودَهُ، وَاسْتَدْرَبُوا به الْوَلَاةَ، وَاسْتَطَالُوا به على أَهْلِ بِلَادِهِمْ - وَقَدْ كَثُرَ اللَّهُ هَذَا الضَّرْبُ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ - وَرَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَبَدَأَ بما يَعْلَمُ من دَوَاءِ الْقُرْآنِ فَوَضَعَهُ على دَاءِ قَلْبِهِ، فَسَهَرَ لَيْلَهُ وَهَمَلَتْ عَيْنَاهُ، تَسْرَبَلُوا^(٣) الْخُشُوعَ، وَارْتَدَّوْا بِالْحُزْنِ، وَرَكَدُوا فِي مُحَارِبِهِمْ، وَجَثَّوْا فِي بَرَانِسِهِمْ^(٤)، فَبِهِمْ يَسْقِي اللَّهُ الْغَيْثَ، وَيُنْزِلُ النَّصْرَ، وَيَرْفَعُ الْبَلَاءَ، وَاللَّهُ لَهَذَا الضَّرْبِ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَقْلٌ من الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ. رَوَى الْحَارِثُ الْأَعْوَرُ عن عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ خَبَرٌ ما قَبْلَكُمْ وَنَبَأٌ ما بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ ما بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الَّذِي لَا تُزَيِّغُ به الْأَهْوَاءُ وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا

(١) هو مِسْعَرُ بن كِدَامِ العامري، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٣١٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) دِمِثَاتٌ: سهلة لينة.

(٣) المقام هنا يقضي الأفراد وليس الجمع بواو الجماعة وذلك لقوله: «ورجل قرأ القرآن... الخ».

(٤) البرانس: ج بُرْنَس وهو قلنسوة طويلة كانت تلبس في صدر الإسلام، وكل ثوب رأسه ملتزق

يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمُتَيْنِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمِ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعُورَ.

المُحَارِبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ مِغْوَلٍ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَيَحْزَنُهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَيَبْكَاثُهُ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ؛ وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ عَلِيماً حَكِيماً لَيْناً مُسْتَكِيناً.

وَكَيْعٌ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ الْمَدِينِيِّ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: : إِنْ مِنْ تَعْظِيمِ جَلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ وَإِكْرَامَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَإِكْرَامَ حَامِلِ الْقُرْآنِ. قَالَ بَعْضُ الْمَفْسُرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١) أَحْرَمُهُمْ فَهَمُ الْقُرْآنُ.

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾^(٢) فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَنْقَذَهُمْ مِنْهَا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يُدْخِلَهُمْ فِيهَا؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خُذْهَا مِنْ غَيْرِ فَقِيهِ.

الحديث

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ^(٣) إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ

(١) سورة الأعراف ٧، آية ١٤٦. أي أن الله سبحانه يحفظ دينه الحق. ويظهره على الشُّرْكِ كله،

ويصرف عنه الجبابة الطغاة الذين يحاولون إبطاله جاهدين. التفسير المبين.

(٢) سورة آل عمران ٣، آية ١٠٣. والمعنى: كنتم على حُرْفِهَا وَحَافَتِهَا فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا بِالْإِسْلَامِ.

التفسير المبين.

(٣) هو إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ الْمَذْكُورِ آنِفًا فِي هَذِهِ الصَّفْحَةِ.

فُضِّلَ عن الأعمش قال: كان إسماعيلُ بن رَجَاءَ يجمع صِبْيَانَ الكُتَّابِ فيُحَدِّثُهُمْ كَيْلًا يَنْسَى حَدِيثَهُ. و حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الشَّهِيدِيُّ قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بن عِيَّاشٍ عن الأعمش قال: قال لي حبيب بن أبي ثابت: لو أَنَّ رجلاً حَدَّثَنِي عنكَ بحديثٍ ما بَالَيْتُ أَنْ أَرْوِيَهُ عنكَ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عن الأصمعيِّ عن نافع عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: أَلْفٌ عن أَلْفٍ خَيْرٌ من واحدٍ عن واحدٍ إِنَّ فلاناً عن فلانٍ يَنْتَزِعُ السُّنَّةَ من أيديكم.

حَدَّثَنِي الرِّيشِيُّ قال: رَوَى عن محمد بن إسماعيل عن مُعْتَمِرٍ قال: حَدَّثَنِي مُنْقِذٌ عن أَيُّوبَ عن الحسن قال: وَبِحُجٍّ: رَحْمَةٌ.

حَدَّثَنَا الرِّيشِيُّ قال: رَوَى ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سُهَيْلِ بن أَبِي صَالِحٍ عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بِالْيَمِينِ مع الشَّاهِدِ؛ قال ربيعة: ثم ذَاكِرْتُ سُهَيْلًا بهذا الحديثِ فلم يَحْفَظْهُ، فكان بعد ذلك يَرْوِيهِ عَنِّي عن نفسه عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ.

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عن الأصمعيِّ عن شُعْبَةَ قال: كان قَتَادَةُ إِذَا حَدَّثَ بالحديث الجيِّد ثم ذهب يجيء بالثاني غُدُوَّةً.

بلغني عن ابن مهديِّ قال: سئل شُعْبَةُ؛ مَنْ الذي يُتْرَكُ حديثُهُ؟ فقال: الذي يُتَّهَمُ بالكذب، ومن تَكَثَّرَ بِالْغَلَطِ، ومن يُخْطِئُ في حديثٍ مُجْمَعٍ عليه فلا يَتَّهَمُ نَفْسَهُ وَيُقِيمُ على غَلَطِهِ، ورجلٌ رَوَى عن المعروفين ما لا يَعْرِفُهُ المعروفون.

وعن مالك أنه قال: لا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ من أربعة: سفيهٍ معلنٍ بالسفه، وصاحبِ هَوًى، ورجلٍ يَكْذِبُ في أحاديثِ الناسِ وإن كُنْتَ لا تَتَّهَمُهُ في

الحديث، ورجل له فضل وتعفف وصلاح لا يعرف ما يُحدث.

حدَّثني عبد الرحمن عن الأصمعي أنه رثى سفيان^(١) بن عُيينة

فقال:

[بسيط]

فَلْيَبْكُ سَفِيَانُ بَاغِي سُنَّةٍ دَرَسَتْ
وَمُبْتَغِي قُرْبِ إِسْنَادٍ وَمَوْعِظَةٍ
أُمِّتْ مَجَالِسُهُ وَحُشًّا مَعْظَلَةً
مَنْ لِلْحَدِيثِ عَنِ الزُّهْرِيِّ حِينَ ثَوَى
لَنْ يَسْمَعُوا بَعْدَهُ مَنْ قَالَ حَدَّثَنَا
لَا يَهْنَأُ الشَّامِتَ الْمَسْرُورَ مَضْرَعُهُ
وَمِنْ زَنَادِقَةٍ، جَهْمٌ^(٢) يَقُودُهُمْ
وَمُلْحِدِينَ وَمُرْتَابِينَ قَدْ خَلَطُوا
وَمُسْتَبَيَّتْ أَثَارَاتٍ وَأَثَارٍ^(٣)
وَأَفْقِيُونَ^(٤) مَنْ طَارَ وَمَنْ طَارَ
مَنْ قَاطِنِينَ وَحُجَّاجٍ وَعُمَّارٍ
أَوْ لِلْأَحَادِيثِ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ^(٥)
زَهْرِيٍّ مِنْ أَهْلِ بَدْوٍ أَوْ بِإِحْضَارٍ
مَنْ مَارِقِينَ وَمِنْ جُحَادٍ أَقْدَارٍ
قَوْدًا إِلَى غَضَبِ الرَّحْمَنِ وَالنَّارِ
بِسُنَّةِ اللَّهِ أَهْتَارًا بِأَهْتَارٍ^(٦)

(١) سفيان بن عيينة الهلالي إمام عالم زاهد ورع، حج سبعين حجة. توفي بمكة سنة ١٩٨ هـ.

وفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٣.

(٢) المُسْتَبَيَّتْ: الفقير، والمراد به هنا الطالب. وأثارات: ج إثارة وهي البقية من العلم تؤثر.

وَأَثَار: ج أثر وهو الخبر.

(٣) أَفْقِيُونَ: ج أَفْقَى نسبة إلى الأفق أو إلى الأفق.

(٤) الزُّهْرِيُّ هو أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة وروى عنه جماعة من الأئمة، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري توفي سنة ١٢٤ هـ. وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٧٧ - ١٧٩. وعمرو بن دينار الجمحي مفتي مكة، فارسي الأصل، وكان أنهم بالنشيع وكان من أشد الناس إتقاناً للحديث. قال ابن المديني: له خمسمائة حديث. توفي بمكة سنة ١٢٦ هـ. الأعلام ج ٥ ص ٧٧.

(٥) هو جَهْم بن صَفْوَانَ السمرقندي، رأس «الجهمية». قال الذهبي: الضالُّ المبدع. قتله نصر بن سيار سنة ١٢٨ هـ. ومن عقائد الجهمية أن الجنة والنار تفيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط دون سائر الطاعات، وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا الله، وأن الإنسان مُجَبَّرٌ على

أفعاله. الأعلام ج ٢ ص ١٤١.

(٦) الأَهْتَار: ج هَتَر وهو السَّقَطُ.

وقال آخر في مالك بن أنس الفقيه: [كامل]
يَأْتِي الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجَعُ هَيْبَةً والسائلون نَوَاسِ الْأَذْقَانِ
هَدْيُ التَّقِيِّ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فهو الْمُطَاعَ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانٍ^(١)
حَدَّثَنَا أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ
حَسَّانٍ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يُحَدِّثُنَا الْيَوْمَ بِالْحَدِيثِ وَيُرْدُهُ الْغَدَ وَيَزِيدُ فِيهِ وَيَنْقُصُ
إِلَّا أَنْ الْمَعْنَى وَاحِدٌ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قَالَ: حَدَّثَنَا مَيْمُونٌ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ
قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: إِنَّا قَوْمٌ عَرَبٌ فَتَقَدَّمُ وَنَوَخُرُ وَنَزِيدُ وَنَنْقُصُ، وَلَا
نُرِيدُ بِذَلِكَ كَذِبًا.

أَبُو مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّامِيُّ: لَوْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْخُبَرِ نَقِصَ.
أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: قَالَ مِسْعَرٌ: مَنْ أَبْغَضَنِي فَجَعَلَهُ اللَّهُ مُحَدَّثًا. أَبُو مُعَاوِيَةَ
قَالَ: سَمِعْتُ الْأَعْمَشَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِكَسْرَةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أُتَحَدَّثَ بِسِتِينَ حَدِيثًا.
أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قُطِعَتْ مِنْ هَامَتِي،
وَأَوْمًا إِلَى الْمَنْكِبِ، وَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا.
قَالَ آبَنُ عُيَيْنَةَ: مَا أُحِبُّ لِمَنْ أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَحْفَظَ النَّاسِ لِلْحَدِيثِ.
قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنِّي لَأَسْمَعُ الْحَدِيثَ عَطَلًا فَأَشْنَفُهُ وَأَقْرَطُهُ وَأَقْلَدُهُ فَيَحْسُنُ، وَمَا
زِدْتُ فِيهِ مَعْنَى، وَلَا نَقَصْتُ مِنْهُ مَعْنَى.
أَبُو أُسَامَةَ قَالَ: سَأَلَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ الْأَعْمَشَ عَنْ إِسْنَادِ حَدِيثٍ فَأَخَذَ بِحَلْقِهِ
وَأَسْنَدَهُ إِلَى الْحَائِطِ وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادُهُ.
وَحَدَّثَ آبَنُ السَّمَّاكِ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا إِسْنَادُهُ؟ فَقَالَ: هُوَ مِنْ

(١) تقدم هذان البيتان في ص ٢٩٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا. وَحَدَّثَ الْحَسَنَ بِحَدِيثٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، عَمَّنْ قَالَ وَمَا يَصْنَعُ بَعْمَنٌ؟ أَمَا أَنْتَ فَقَدْ نَأَلْتُكَ مَوْعِظَتَهُ، وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجَّتُهُ.
يَعْلَى قَالَ: قَالَ الْأَعْمَشُ: إِذَا رَأَيْتُ الشَّيْخَ لَمْ يَطْلُبِ الْفَقْهَ أَحَبِّتُ أَنْ أَصْفَعَهُ.

ابن عُيَيْنَةَ قَالَ: قَالَ الْأَعْمَشُ: لَوْلَا تَعَلُّمُ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ كُنْتُ كَبَعْضِ بَقَالِي الْكُوفَةِ.

إِزْدَحَمَ النَّاسُ يَوْمًا عَلَى بَابِ ابْنِ عِيْنَةَ أَيَّامِ الْمَوْسِمِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ رَجُلٌ مِنْ حَاجِّ خُرَاسَانَ قَدْ حَطَّ بِمَجْمِلِهِ قَدِيسَ وَكُثِيرَ مَا كَانَ مَعَهُ وَأَنْتَهَبَ كَعْكُهُ وَسَوِيْقُهُ، فَقَامَ يَسِيرُ إِلَى سَفِيَانَ يَدْعُو وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَجِلُّ لَكَ مَا صَنَعْتَ؛ فَقَالَ سَفِيَانَ: مَا يَقُولُ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَقُولُ لَكَ: زِدْنَا فِي السَّمَاعِ رَحْمَكَ اللَّهُ.

أَنْشَدَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ لِلْعَلَاءِ بْنِ الْمِنْهَالِ الْغَنَوِيِّ فِي شَرِيكَ^(١):

فَلَيْتَ أَبَا شَرِيكِ كَانَ حَيًّا فَيُقْصِرَ حِينَ يُبْصِرُهُ شَرِيكَ
وَيَتْرُكُ مَنْ تَدْرِيهِ عَلَيْنَا إِذَا قُلْنَا لَهُ هَذَا أَبُوكَ^(٢)

وَقَالَ آخِرُ: [طويل]

تَحَرَّرَ سَفِيَانَ وَفَرَّ بِدِينِهِ وَأَمْسَى شَرِيكَ مُرْصَدًا لِلدَّرَاهِمِ

وَقَالَ آخِرُ^(٣) فِي شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ: [طويل]

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٨ من ص ٦٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) ورد هذان البيتان في صحيفة ٦٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب، فأنظر شرحهما هناك.

(٣) الشاعر عُمَيْرُ بْنُ شَيْبَةَ التَّغْلِبِيِّ الْمَلَقَبُ بِالْقُطَامِيِّ، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب. ومُشَهَّرُ بْنُ حَوْشَبٍ فَقِيهٌ قَارِئٌ، مِنْ رِجَالِ الْحَدِيثِ، شَامِي الْأَصْلِ، سَكَنَ الْعِرَاقَ. وَكَانَ يَتَرَبَّأً بِزِي الْجَنْدِ. وَلِي بَيْتُ الْمَالِ مَدَّةً وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ١٠٠ هـ. وَمِنْ الْأَمْثَالِ: خَرِيْطَةُ شَهْرٍ (وَالْخَرِيْطَةُ هِيَ الْكِيسُ الَّذِي يَخْرُطُ عَلَى مَا =

لقد باع شهرٌ دينَهُ بخَريطةٍ فمن يأمنِ القراءَ بعدَكَ يا شهرٌ؟
 وذلك أنه كان دخل بيت المال فسَرَقَ خَريطةً، ورافق رجلاً من أهل
 الشام فسَرَقَ عَيْبَتَهُ. وقال ابنُ مُناذِرٍ^(١): [وافر]

ومن يَنِغِ الوَصَاةَ^(٢) فَإِنَّ عِنْدِي وَصَاةً لِلْكُھُولِ وَلِلشَّبَابِ
 حُمِدُوا عَنْ مَالِكٍ وَعَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَلَا تَرَوْوُا أَحَادِيثَ ابْنِ دَابٍ^(٣)

عبد العزيز بن أبان عن سُفيان عن حبيب بن أبي ثابت قال: طلبنا هذا
 الأمر وما لنا فيه نِيَّةٌ، ثم إنَّ النِّيَّةَ جاءت بعدُ؛ فقال سُفيان: قال زيد بن أسلم:
 رأيتم رجلاً مَدَّ رجله فقال: اقطعوها سوف أَجْبُرُها. قيل لِرَقَبَةٍ: ما أَكْثَرَ شَكِّكَ!
 فقال: محاماة عن اليقين؛ وقال بعضهم: سأل شُعْبَةُ أَيُّوبَ السَّخْتِيَّانِيَّ عن
 حديث فقال: أنا أَشْكُ، فيه فقال: شَكُّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ من يقينٍ سبعة.

حدَّثني زيد بن أخزم قال: سمعتُ عبد الله بن داود يقول: رأيتُ
 الأعمشَ يَضُمُّ كَفَّيْهِ ثم يَضْرِبُ بهما صَدْرَهُ ويقول: أَسْكُنْ.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعيِّ قال: حدَّثني بعضُ الرُّوَاةِ قال: قُلْتُ
 لِلشَّرْقِيِّ بنِ قَطَامِي: ما كانتِ العربُ تقول في صلاتها على موتاها؟ فقال: لا
 أدري، فَأَكْذِبْ لَهُ؟ فقلت: كانوا يقولون: [طويل]

= (يشتمل عليه) يضرب فيما يختزله القراء والفقهاء من خرائط الودائع وأموال الناس. قيل إن
 شهرًا باع دينه مقابل الأجر الذي يتقاضاه لقاء ولايته على بيت المال، إذ كان راتبه يُرسل إليه
 في خريطة. أنظر ترجمته وبيته المذكور في الأعلام ج ٣ ص ١٧٨.

(١) هو محمد بن مناذر اليربوعي، وقد مرت ترجمته في الحاشية رقم ٧ من ص ٦٣ من الجزء
 الأول من هذا الكتاب.

(٢) الوَصَاة: الوصية.

(٣) هو عيسى بن دأب الليثي البكري الكناني، خطيب شاعر راوية، من أهل المدينة. اتهموه
 بوضع الشعر وأحاديث السمر وكانت وفاته سنة ١٧١ هـ. الأعلام ج ٥ ص ١١١.

ما كنتَ وَكَوَاكاً وَلَا بِزَوْنِكَ رُوَيْدَكَ حَتَّى يَبْعَثَ الْحَقُّ بَاعِثُهُ (١)
 وَكَوَاكٍ: غليظ، وَزَوْنُكَ: قصير؛ قال: فإذت أنا به يُحَدِّثُ به في
 المقصورة يومَ الجمعة؛ قال أبو نُوَاسٍ: [منسرح]
 حَدَّثَنِي الْأَزْرَقُ الْمُحَدِّثُ عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
 لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ غَيْرُ كَافِرَةٍ (٢) وَكَافِرٍ فِي الْجَحِيمِ مَصْفُودٍ
 حَدَّثَنِي مَهْيَارٌ قَالَ: حَدَّثَنِي هُدْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ شَقِيقِ الْبَلْخِيِّ أَنَّهُ
 أَطْرَى يَوْمًا أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَمَرَوْ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ إِسْحَاقَ: لَا تُطْرِهِ بَمَرَوْ
 فَإِنَّهُمْ لَا يَحْتَمِلُونَ ذَلِكَ؛ فَقَالَ شَقِيقٌ: قَدْ مَدَحَهُ مُسَاوِرٌ (٣) الشَّاعِرُ فَقَالَ: [وافر]
 إِذَا مَا النَّاسُ يَوْمًا قَايَسُونَا بِأَيْدَةٍ مِنَ الْفُتَيَا ظَرِيفَةٍ (٤)
 أَتَيْنَاهُمْ بِمُقْيَاسٍ صَحِيحٍ تِلَادٍ (٥) مِنْ طِرَازِ أَبِي حَنِيفَةَ
 إِذَا سَمِعَ الْفَقِيهَ بِهَا وَعَاها وَأُثْبِتَهَا بِجَبْرِ فِي صَحِيفِهِ
 فقال له: قد أجابه بعض أصحابنا: [وافر]
 إِذَا ذُو الرَّأْيِ خَاصَمَ فِي قِيَاسٍ وَجَاءَ بِبِدْعَةٍ هَنَةٍ سَخِيفَةٍ
 أَتَيْنَاهُمْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِيهَا وَآثَارِ مَبَرَّزَةٍ شَرِيفَةٍ
 فَكَمْ مِنْ فَرْجٍ مُحَصَّنَةٍ عَفِيفٍ أَجَلَ حَرَامِهِ بِأَبِي حَنِيفَةَ

(١) ورد هذا البيت في لسان العرب مادة (زنك) لامرأة ترثي زوجها فتقول:
 وَلَسْتُ بِزَوْنِكَ وَلَا بِزَوْنِكَ مَكَانَكَ حَتَّى يَبْعَثَ الْخَلْقُ بَاعِثُهُ
 أي لست غليظاً ولا قصيراً.

(٢) الكافرة: الجاحدة.

(٣) هو مُسَاوِرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْكُوفِيُّ، كَانَ وَرَاقًا يَنْسَخُ الْكُتُبَ. رَوَى الْحَدِيثَ وَلَهُ أَخْبَارٌ
 وَأَشْعَارُ كَثِيرَةٌ. تَوَفَّى نَحْوَ ١٥٠ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢١٣.

(٤) ورد عجز هذا البيت في العقد الفريد (ج ٥ ص ٣٠٤) هكذا:

بِمَسْأَلَةٍ مِنْ الْفُتَيَا ظَرِيفَةٍ

(٥) ورد هذا في المصدر السابق ونفس الصفحة: «بديع» بدلاً من «تِلَادٍ».

أقال أبو حنيفة بَنَتْ صُلْبُ تكون من الزَّنا عُرْساً صحيحه
 سَمِعَ رَجُلٌ مُنَادِياً يُنَادِي: مَنْ يَدُلُّنَا عَلَى شَيْخٍ ضَلَّ؟ فقال: ما سَمِعْتُ
 كَالْيَوْمِ شَيْخٌ يُنَادِي عَلَيْهِ؛ ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى بَشْرِ الْمَرْيَسِيِّ فَقَالَ: هَذَا شَيْخٌ ضَالٌّ
 فَخُذْ بِيَدِهِ؛ وَكَانَ بَشْرٌ يَقُولُ بَخْلَقَ الْقُرْآنَ.

الأهواء والكلام في الدين

قال المأمون يوماً لعلِّي بن موسى الرضی علیهما السلام: بِمَ تَدْعُونَ
 هَذَا الْأَمْرَ؟ قَالَ: بِقَرَابَةِ عَلِيٍّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِقَرَابَةِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛
 فَقَالَ الْمَأْمُونُ: إِنْ لَمْ يَكُنْ هَاهُنَا شَيْءٌ إِلَّا الْقَرَابَةُ فَفِي خَلْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ عَلِيٍّ، وَمَنْ هُوَ فِي الْقَرَابَةِ مِثْلُهُ؛ وَإِنْ كَانَ
 بِقَرَابَةِ فَاطِمَةَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْحَقَّ بَعْدَ فَاطِمَةَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَلَيْسَ
 لِعَلِيٍّ فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقٌّ وَهُمَا حَيَّانٌ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّ عَلِيًّا قَدْ
 أَبْتَزَّهُمَا جَمِيعاً وَهُمَا حَيَّانٌ صَحِيحَانِ، وَأَسْتَوْلِي عَلِيٍّ عَلَى مَا لَا يَجِبُ لَهُ؛ فَمَا
 أَحَارَ^(١) عَلِيٌّ بْنُ مُوسَى نَطَقًا.

حَدَّثَنَا الرَّيَاشِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَنْشُدُ: [طويل]
 وَإِنِّي لِأَغْنَى النَّاسِ عَنْ مُتَكَلِّمٍ يَرَى النَّاسَ ضُلَّالًا وَلَيْسَ بِمُهْتَدِيٍّ

وَأَنْشُدَنِي أَيْضاً الرَّيَاشِيُّ: [بسيط]
 وَعَاجَزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَ^(٢)

(١) أَحَارُ نَطَقًا: رَدُّ جَوَابًا.

(٢) تَقَدَّمَ هَذَا الْبَيْتُ ص ٣٤ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وقال آخر:

[طويل]

إذا عَيَّرُوا قالوا مقاديرُ قُدِّرَتْ وما العارُ إلا ما تَجُرُّ المَقَادِرُ

وأنشدني سَهْلٌ عن الأصمعيّ:

[رجز]

يا أيها المُضْمِرُ هَمًّا لَا تُهَمِّ إِنَّكَ إِنْ نَقَدِرْ لَكَ الحُمَى تُحْتَمِّ
ولوَاغَدَوْتَ شَاهِقًا مِنَ العَلَمِ كيف تَوَقَّيْكَ وقد جَفَّ القَلَمُ^(١)

وأنشدني غيره:

[رجز]

هِيَ المَقَادِيرُ فَلُمْنِي أَوْ فَذَرْ إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ القَدَرْ

قال أبو يوسف: مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام تَرَنَّدَقَ ، وَمَنْ طَلَبَ المَالِ بالكَيْمِيَاءِ أَفْلَسَ ، وَمَنْ طَلَبَ غَرَائِبَ الحديثِ كَذَبَ . كَانَ مُسْلِمٌ بَنُ أَبِي مَرْيَمَ - وهو مَوْلَى لبعض أهل المدينة وقد حُمِلَ عنه الحديثُ - شديدًا على القَدَرِيَّةِ^(٢) ، عَائِبًا لَهُمْ وَلِكَلَامِهِمْ ، فَأَنْكَسَرَتْ رِجْلُهُ فتركها ولم يَجْبُرْها ، فكلَّم في ذلك فقال: يَكْسِرُها هو وَأَجْبُرُها أنا! لقد عانَدته إذاً . قال رجلٌ لهشام بن الحَكَمِ: أترى الله عزَّ وجلَّ في فضله وكرمه وعدله كلَّفنا ما لا نُطِيقُ ثم يُعَذِّبنا؟ فقال هشام: قد ، والله ، فَعَلَ ، ولكننا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ .

حدَّثني رجلٌ من أصحابنا قال: صَاحَبَ رجلٌ من القَدَرِيَّةِ مَجُوسِيًّا في

(١) العَلَمُ: الجبل . والشاهق: ما أرتفع من الجبل . وقد تقدم هذان البيتان في صحيفة ١٤٧ من الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٢) القَدَرِيَّةُ قومٌ يحدِّثون القَدَرَ ، وينسبون الكذب بما قدَّرَ الله من الأشياء ، ويقولون بحرية الإرادة معارضين الفكرة الشائعة بأن الإنسان مُسَيَّرٌ لا مُخَيَّرٌ ، كما يذهبون إلى القول بأن كل عبدٍ خالقٌ لفعله ، ولا يَزُوْنُ الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى . وأول من سبق الناس قولاً بالقدر هما مَعْبِدُ الجُهَنِيِّ وَعُيْلَانُ الدمشقي . أنظر فجر الإسلام ص ٢٨٣ - ٢٨٦ ، وتهذيب الأسماء واللغات (ج ١ ق ٢ ص ٨١ - ٨٢) ولسان العرب مادة (قدر) ومحيط المحيط مادة (قدر) أيضاً .

سَفَرُ فَقَالَ لَهُ الْقَدَرِيُّ: يَا مَجُوسِي، مَا لَكَ لَا تُسَلِّمُ؟ قَالَ: حَتَّى يَشَاءَ اللَّهُ! قَالَ: قَدْ شَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَدْعُكَ، قَالَ الْمَجُوسِي: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهُمَا. اجْتَمَعَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ وَعْدًا وَأَوْعَدَ إِيْعَادًا وَإِنَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرٍو: أَنْتَ أَعْجَمُ! لَا أَقُولُ إِنَّكَ أَعْجَمُ اللِّسَانَ، وَلَكِنَّكَ أَعْجَمُ الْقَلْبَ! أَمَا تَعْلَمُ، وَيَحْكُ! أَنَّ الْعَرَبَ تَعْدُ إِنْجَازَ الْوَعْدِ مَكْرُمَةً، وَتَرْكُ إِيْقَاعِ الْوَعِيدِ مَكْرُمَةً؟ ثُمَّ أُنْشَدَهُ: [طَوِيل]

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لِمُخْلِفٍ إِيْعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي
حَبِيبُ بْنُ الشَّهِيدِ قَالَ: قَالَ إِيَّاسُ^(١) بِنَ مَعَاوِيَةَ: مَا كَلَّمْتُ أَحَدًا بِعَقْلِي
كُلَّهُ إِلَّا صَاحِبَ الْقَدَرِ؛ قُلْتُ: مَا الظُّلْمُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؟ قَالَ: هُوَ أَنْ يَأْخُذَ
الرَّجُلُ مَا لَيْسَ لَهُ؛ قُلْتُ: فَإِنَّ اللَّهَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

وَفِي كِتَابِ لِلْهَنْدِ: الْيَقِينُ بِالْقَدَرِ لَا يَمْنَعُ الْحَازِمَ تَوْفِي الْمَهَالِكِ، وَلَيْسَ
عَلَى أَحَدٍ النَّظَرُ فِي الْقَدَرِ الْمُغَيَّبِ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ الْعَمَلُ بِالْحَزْمِ، وَنَحْنُ نَجْمَعُ
تَصْدِيقًا بِالْقَدَرِ وَأَخْذًا بِالْحَزْمِ.

حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ قَالَ: سَمِعْتُ
رَجُلًا مِنَ الرَّافِضَةِ^(٢) يَقُولُ: رَجِمَ اللَّهُ أَبَا لُؤْلُؤَةَ! فَقُلْتُ: تَتَرَحَّمُ عَلَى رَجُلٍ

١٤٣

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٧٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
(٢) الرافضة فرقة من الشيعة، سُمُّوا بذلك لأنهم تركوا زيد بن علي المقتول بخراسان. قال الأصمعي: كانوا يبيعوه ثم قالوا له: إِبْرَأْ مِنَ الشَّيْخَيْنِ (أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِ) نَقَاتِلْ مَعَكَ، فَأَبَى وَقَالَ: كَانَا وَزِيرَيَّ جَدِّي (الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَلَا أُبْرَأُ مِنْهُمَا، فَرَفَضُوهُ وَأَرْفَضُوا عَنْهُ فَسُمُّوا رَافِضَةً، وَالنِّسْبَةُ رَافِضِي. لِسَانَ الْعَرَبِ وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ، مَادَّةُ (رَفَضَ) وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ (ج ٢ ص ٤٠٤) إِنَّمَا قِيلَ لَهُمْ رَافِضَةٌ لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيَّ وَلَمْ يَرْفُضْهُمَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ غَيْرِهِمْ.

مَجُوسِي قَتَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! فَقَالَ: كَانَتْ طَعْنَتْهُ لِعُمَرَ
إِسْلَامَهُ.

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْخَلِيلِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي عَاصِمُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيُّ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الْمَدِينَةِ فَأَتَيْتُ بِرَجُلٍ شَتَمَ
أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَأَسْلَمَهُ حَجَّامًا حَتَّى حَذَقَ.

وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ^(١) الرَّافِضَةِ فِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ^(٢): [وفر]
أَلَا قُلْ لِلْوَصِيِّ^(٣) فَدَتَكَ نَفْسِي أَطَلَّتْ بِذَلِكَ الْجَبَلِ^(٤) الْمُقَامَا
أَضْرَّ بِمَعَشِرٍ وَالْوُكَّ مَنَا وَسَمُّوكَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَا
وَعَادُوا فِيكَ أَهْلَ الْأَرْضِ طُرًّا مُقَامَكَ عَنْهُمْ سَتِينَ عَامَا
وَمَا ذَاقَ ابْنُ خَوْلَةَ^(٥) طَعْمَ مَوْتٍ وَلَا وَارَتْ لَهُ أَرْضٌ عِظَامَا

(١) هُوَ السَّيِّدُ الْحَمِيرِيُّ الشَّاعِرُ الْأُمَوِيُّ الْمَشْهُورُ. كَانَ يُعْتَقَدُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ، أَخَا الْحُسَيْنِ
ابْنَ عَلِيٍّ، لَمْ يَمُتْ، وَأَنَّهُ حَيٌّ فِي جَبَلِ رَضْوِيٍّ عَنْ يَمِينِهِ أَسَدٌ وَعَنْ يَسَارِهِ نَيْرٌ يُحْفَظَانِهِ مِنْ
اعْدَائِهِ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِالْخُرُوجِ. وَعِنْدَ رَضْوَى عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ تَجْرِيَانِ بِمَاءٍ وَعَسَلٍ يَأْخُذُ
مِنْهُمَا رِزْقَهُ، وَأَنَّهُ سَيَعُودُ بَعْدَ الْغَيْبَةِ فَيَمْلَأُ الْعَالَمَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَ جَوْرًا. أَنْظَرَ فَجَرَ الْإِسْلَامِ ص
٢٧٣.

(٢) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَنْفِيَّةُ أُمُّهُ، وَهِيَ خَوْلَةُ بِنْتُ
جَعْفَرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ لُجَيْمٍ، وَيُقَالُ: بَلْ كَانَتْ مِنْ سَبِيِّ الْيَمَامَةِ وَصَارَتْ إِلَى عَلِيٍّ وَقِيلَ: كَانَتْ
سِنْدِيَّةً وَكَانَتْ أُمًّا لِبَنِي حَنْفِيَّةٍ وَلَمْ تَكُنْ مِنْهُمْ. كَانَ كَثِيرُ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ، وَكَانَتْ وَفَاتِهِ فِي أَوَّلِ
الْمَحْرَمِ سَنَةِ ١٨١ هـ وَقِيلَ: ١٨٣ هـ، وَدُفِنَ بِالنَّفِيعِ. وَقِيلَ: دُفِنَ بِبِلَادِ أُيُلَةَ. أَنْظَرَ وَفِيَاتِ
الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ١٦٩ - ١٧٣ وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ ج ٢ ص ٤٠٦.

(٣) كَانَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ لَقِبَ بِالْوَصِيِّ، أَيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى لِعَلِيٍِّّ بِالْخِلَافَةِ مِنْ
بَعْدِهِ، فَكَانَ وَصِيَّ رَسُولِ اللَّهِ، وَهَكَذَا شَاعَتْ كَلِمَةُ الْوَصِيِّ فِي إِطْلَاقِهَا عَلَى عَلِيٍّ. أَنْظَرَ فَجَرَ
الْإِسْلَامِ ص ٢٦٧.

(٤) هُوَ جَبَلُ رَضْوِيٍّ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنْ أَبْيَاتِ الْحَمِيرِيِّ، وَهُوَ جَبَلُ جَهَنَّمَ، فِي عَمَلِ
يَنْبَعٍ، وَهُوَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى سَبْعِ مَرَاحِلَ وَعَلَى لَيْلَتَيْنِ مِنَ الْبَحْرِ، وَالنَّسْبَةُ إِلَيْهِ رَضْوِيٍّ وَفِيَاتِ
الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ١٧٣.

(٥) ابْنُ خَوْلَةَ: هُوَ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ.

لقد أمسى بمُورِقٍ شِعْبٍ رَضَوَى تُراجعه الملائكةُ الكلاما
وقال كثيرٌ^(١) عَزَّةٌ فيه وكان رافِضِيًّا يقول بالرجعة: [وافر]

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَاةٌ^(٢) الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءٌ
فَسِبْطٌ سِبْطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ وَسِبْطٌ غَيْبَتُهُ كَرْبَلَاءُ
وَسِبْطٌ^(٣) لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغَيَّبَ، لَا يُرَى، عَنْهُمْ زَمَانَا بَرَضَوَى عِنْدَهُ غَسْلٌ وَمَاءٌ
وهم يذكرون أنه دخل شِعْبًا باليمن في أربعين من أصحابه فلم يرَ لهم
أثر.

قال طلحة بن مُصَرِّفٍ لرجل: لولا أَنِي على وُضوءٍ لَأَخْبَرْتُكَ بما تقول
الشَّيعة.

قال هارون^(٤) بن سعد العِجْلِيّ وكان رَأْسَ الزَّيْدِيَّةِ [طويل]
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرَّاغِبِينَ تَفَرَّقُوا فَكُلُّهُمْ فِي جَعْفَرٍ^(٥) قَالَ مُنْكَرًا

(١) كان كثيرٌ عَزَّةُ الشاعر الشهير من الفرقة (الإمامية) التي تقول أيضاً بعودة محمد ابن الحنفية. والمعروف أن الإمامية تقول - على العموم - بعودة إمام منتظر، فذهبت فرقة إلى أنه جعفر الصادق، وأخرى تنتظر محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي، وثالثة تنتظر محمد بن الحنفية. أنظر فجر الإسلام ص ٢٧٣.

(٢) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٦): «ولاة العُدُل».

(٣) أراد بالأسباط الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية.

(٤) هارون بن سعد العِجْلِيّ من المتزهدين العلماء بالحديث. مات بالبصرة نحو ١٤٥ هـ. الأعلام ج ٨ ص ٦٩.

(٥) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق، أحد الأئمة الاثني عشر، على مذهب الإمامية. كان من سادات أهل البيت، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته. له كلام في صناعة الكيمياء والزجر والغال. توفي بالمدينة سنة ١٤٨ هـ. وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

طوائف سَمَّتهُ النَّبِيُّ الْمُطَهَّرَ
فإنَّ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعَفَرُ
وَمَنْ عَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَفَرِهِمْ^(١)
بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بِدْعَةٍ مَضَى
وَلَوْ قَالَ إِنَّ الْفِيلَ ضَبُّ لَصَدَقُوا
وَأَخْلَفَ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ
فَقُبِّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفَرِيَةٍ^(٢)
طوائف سَمَّتهُ النَّبِيُّ الْمُطَهَّرَ
فإنَّ كَانَ يَرْضَى مَا يَقُولُونَ جَعَفَرُ
وَمَنْ عَجِبَ لَمْ أَقْضِهِ جِلْدُ جَفَرِهِمْ^(١)
بَرِئْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ رَافِضٍ
إِذَا كَفَّ أَهْلُ الْحَقِّ عَنْ بِدْعَةٍ مَضَى
وَلَوْ قَالَ إِنَّ الْفِيلَ ضَبُّ لَصَدَقُوا
وَأَخْلَفَ مِنْ بَوْلِ الْبَعِيرِ فَإِنَّهُ
فَقُبِّحَ أَقْوَامٌ رَمَوْهُ بِفَرِيَةٍ^(٢)

سمعت بعض أهل^(٣) الأدب يقول: ما أشبه تأويل الرافضة للقرآن بتأويل رجل للشعر، فإنه قال يوماً: ما سمعتُ بأكذب من بني تميم! زعموا أن قول القائل:

بَيْتُ زُرَّارَةَ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ وَمُجَاشِعُ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(٤)
إنما هو في رجال منهم؛ قيل له: ما تقول أنت؟ قال: البيت بيت الله، وزُرَّارَةَ الحجر؛ قيل له: فمُجَاشِعُ؟ قال: زمزم جَشِيعَت بالماء؛ قيل له: فأبو

(١) تزعم الخطابية (قوم من الرافضة نُسبوا إلى أبي الخطاب وهو إمام لهم كان يأمرهم بشهادة الزور على مخالفيهم) أن جعفرًا الصادق قد أودعهم جلدًا فيه علم كل ما يحتاجون إليه من الغيب وسَمُّوا ذلك الجلد جَفَرًا، وزعموا أنه لا يقرأ ما فيه إلَّا من كان منهم. والمعروف أن الجعفر كتاب لعلي بن أبي طالب، كَرَّمَ الله وجهه، ذكر فيه، على طريقه علم الحروف، الحوادث التي تحدث إلى أنقراض العالم. أنظر محيط المحيط مادة (جفر).

(٢) الْفَرِيَّةُ: الكذب.

(٣) هو رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وقد ورد ذكره وذكر القصة في العقد الفريد (ج

٢ ص ٤١٠)

(٤) الْمُحْتَبِيُّ: الرجل الذي يحتبي بثوبه أو بيديه، أي أن يجمع بين ظهره وساقيه إما بثوبه أو بيديه وذلك إذا جلس ليصير كالمستند. ولقد ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤١٠) باختلاف بسيط عما هنا.

الفوارس؟ قال: أبو قُبَيْس؛ قيل: فنهشل؟ قال: نهشل أشدّ، وفكّر ساعة ثم قال: نعم، نهشل! مصباح الكعبة طويل أسودّ فذاك نهشل!.

قال أعشى هَمْدَان^(١) يذكّر قتلَ الرافضةِ الناسَ: [طويل]

إذا سِرَتْ في عجلٍ فبِرْ في صحابةٍ وَكِنْدَةَ فَأَحْذَرُهَا حِذَارَكَ لِلخَسْفِ
وفي شِيعَةِ الْأَعْمَى زِيَادٌ وَغَيْلَةٌ^(٢) وَلَسْبُ وَإِعْمَالُ لَجَنْدَلَةِ الْقَذْفِ
الْأَعْمَى هُوَ الْمُغِيرَةُ. وزِيَادٌ يَعْنِي الْخَنْقُ. وَاللَّسْبُ: السِّمُّ؛ وَإِعْمَالُ
لَجَنْدَلَةِ الْقَذْفِ: يَرِيدُ رَضْخَهُمْ رُؤُوسَ النَّاسِ بِالْحِجَارَةِ. ثم قال:

وَكُلُّهُمْو شَرٌّ عَلَى أَنَّ رَأْسَهُمْ حُمَيْدَةً^(٣) وَالْمَيْلَاءُ^(٤) حَاضِنَةُ الْكِسْفِ
وَالْكِسْفُ هَذَا هُوَ أَبُو مَنْصُور^(٥)، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: فِيَّ

(١) أعشى هَمْدَان هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن جَسَم الهَمْدَانِي، شاعر اليمانيين بالكوفة وفارسهم في عصره. كان أحد الفقهاء القراء. ضرب الحجاج عنقه سنة ٨٣ هـ. الأعلام ج ٣ ص ٣١٢.

(٢) الْغَيْلَةُ: الخدعة؛ يقال قتله غيلة إذا خدعه فذهب به إلى موضع فقتله.

(٣) حُمَيْدَةُ هي صاحبة ليلى الناعظية ولها رئاسة في الغالية (الفرقة الرابعة من مذهب الشيعة) والغالية هم الذين غلوا في حق أثمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلفية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية. راجع الملل والنحل للشهرستاني ص ١٣٢ طبع ليسج، والحيوان ج ٥ ص ٥٩٠ ومفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٣٠ طبع أوروبا.

(٤) كانت الميلاء حاضنة أبي منصور العجليّ صاحب المنصورية، الذي كان يلقب بالكسف. وكان المنصورية يستحلون حقّ مخالفيتهم. أنظر العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٥) والحيوان (ج ٥ ص ٥٩٠).

(٥) هو أبو منصور العجليّ أحد الذين أدعوا الإمامة، وزعم أنه عرّج إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه وقال له: يا بني، انزل فبلغ عني، ثم أبطه إلى الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء. وقد وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في أيام هشام بن عبد الملك على قصته وخُجِّث دعوته فأخذه وصلبه. راجع الملل والنحل ص ١٣٦. وقال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٥) إن أصحاب أبي منصور العجليّ من الرافضة ويقال لهم: المنصورية، وكانوا يزعمون أن علياً، رضي الله عنه، في السحاب، فإذا أطلّت عليهم سحابة قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن.

نَزَلَ: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا^(١)﴾ وكان يَدِينُ بِخَنَقِ النَّاسِ وَقَتْلِهِمْ.

ثم قال:

مَتَى كُنْتُ فِي حَيٍّ بِجِيلَةٍ فَاسْتَمِعْ فَإِنَّ لَهُمْ قَصْصًا يَدُلُّ عَلَى حَتْفِ

كلان المغيرة بجلياً مولى لهم. ثم قال:

إِذَا ابْتَعَزْتُمُو يَوْمًا عَلَى قَتْلِ زَائِرٍ تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بِالنَّبَاحِ وَبِالْعَرْفِ^(٢)

وكان ابن عيينة يُنشد: [هزج]

إِذَا مَا سَرَّكَ الْعَيْشُ فَلَا تَأْخُذْ^(٣) عَلَى كِنْدَةَ

يريد أن الخنّاقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كِنْدَةَ، منهم أبو قُطَيْبَةَ^(٤) الخنّاق.

(١) سورة الطور ٥٢، آية ٤٤. والكِسْفُ: العذاب. والسحاب المركوم: المتراكم بعضه فوق بعض. ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٥) أن الكِسْفَ هو علي عليه السلام وهو في السحاب. وسمي أبو منصور الكِسْفَ لأنه كان يتأول في الآية الكريمة المذكورة.

(٢) قال الجاحظ في الحيوان (ج ٦ ص ١٣٠): «وذلك أن الخنّاقين لا يسيرون إلا معاً ولا يقيمون في الأمصار إلا كذلك، فإذا عزم أهل دار على خنق إنسان كانت العلامة بينهم الضرب على دُفٍّ أو طبل على ما يكون في دُور الناس، وعندهم كلابٌ مرتبطة، فإذا تجاوبوا بالعزق ليخفي الصوت ضربوا تلك الكلاب فتبحت، وربما كان منهم معلّم يؤدّب في الدرب، فإذا سمع تلك الأصوات أمر الصبيان برفع الهجاء والقراءة والحساب».

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٣٥ من هذا الجزء.

(٤) في كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٣٨٩): «فلا تَمُرْدُ».

(٥) كانت دار أبي قُطَيْبَةَ الخنّاق بالكوفة في كِنْدَةَ وقد قتل وصلب. أنظر كتاب الحيوان (ج ٦ ص ٣٨٩).

حدَّثني أبو حاتم قال: حدَّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي زائدة قال: قال هشام بن القاسم: أخذ خالد^(١) بن عبد الله المغيّرة^(٢) فقتله وصلّبه بواسط^(٣) عند منظر^(٤) العاشر، فقال الشاعر:

[كامل]

طال التجاورُ من بيان^(٥) واقفاً ومن المغيّرة عند جذع العاشر
يا ليتَه قد شال جذعاً نخلةً بأبي حنيفة وابن قيسِ الناصر

- (١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٨١ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
- (٢) هو المغيّرة بن سعيد البجلي الكوفي، وقد ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٥ - ٤٠٦) وعده من الروافض. كما ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ (ج ٥ ص ٢٠٧ - ٢٠٩) فقال: كان المغيّرة ساحراً يزعم أنه لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل. وكان رأيه التجسيم فيذهب إلى أن الله على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء. وكان يقول بإلهية عليّ وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي، وكان يقول بتحريم ماء الفرات وكل نهر أو عين أو بئر وقعت فيه نجاسة. وكان المغيّرة وبيان بن سمعان التميمي قد خرجا بظهر الكوفة سنة ١١٩ هـ. على خالد بن عبد الله القسري، فظفر بهما خالد وأحرقهما بالنفط والقصب. كذلك ترجم له الزركلي في الأعلام (ج ٧ ص ٢٧٦ - ٢٧٧) وقال: المغيّرة دجال مبتدع، جمع بين الإلحاد والتنجيم، وكان يدعو لمحمد بن عبد الله بن الحسن ويقول: هو المهدي.
- (٣) واسط: اسم مدينة بالعراق، بناها الحجاج بن يوسف، وكان شروعه في بنائها في سنة ٨٤ هـ. وفرغ منها في سنة ٨٦ هـ. سماها واسط لأنها بين البصرة والكوفة فكانها توسّطت بين هذين المصرين. وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٥٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٩).
- (٤) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٠٦): «قنطرة العاشر». والمنظر: موضع في رأس جبل فيه رقيب ينظر العدو ويحرسه، وقد يغلب هذا على المواضع العالية التي يشرف منها على الطريق وغيره. إتخذها الحجاج بن يوسف بين قزوين وواسط، وكان إذا دخّن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً وإن كانوا ليلاً أشعلوا نيراناً. معجم البلدان واللسان مادة (نظر).
- (٥) هو بيان بن سمعان التميمي، وقد ذكره ابن الأثير في الكامل (ج ٥ ص ٢٠٧ - ٢٠٩) فقال: كان بيان يقول بإلهية علي ويذهب إلى أن الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية بعدهم، ثم بعده ابنه أبو هاشم بن محمد بنوع من التناسخ، وكان يقول: إن الله تعالى يفني جميعه إلا وجهه ويحتجّ بقوله «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» سورة الرحمن ٥٥، الآية رقم ٢٧. كما ادّعى النبوة زاعماً أنه المراد بقوله تعالى «هذا بيان للناس» سورة آل عمران ٣ الآية رقم ١٣٨ وكان بيان قد خرج مع المغيّرة على خالد القسري فظفر بهما خالد وأحرقهما.

وبيان هذا هو بيان التَّبَان^(١) وكان يقول: إِلَيَّ أشارَ اللَّهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿هَذَا بَيَّانٌ لِلنَّاسِ﴾^(٢) وهو أوَّل من قال بَخَلْق القرآن.

وأما المغيرة فكان مَوْلَى لَبِجِلَةَ وكان سَبَائِيًّا^(٣) وصاحبَ نِيرُنَجَات^(٤). قال الأعمش: قلت للمغيرة: هل كان عليُّ يُحْيِي المَوْتَى؟ فقال: لو شاءَ لَأَحْيَا عَادًا وَثُمُودَ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا.

بَلَغَنِي عن أبي عاصِمٍ عن إسماعيلَ بنِ مُسلمٍ المَكِّيِّ قال: كُنْتُ بالكُوفَةِ فإذا قومٌ من جِيرَانِي يُكْثِرُونَ الدُّخُولَ على رجلٍ، فقلتُ مَنْ هذا الذي تَدْخُلُونَ عليه؟ فقالوا: هذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ، فقلتُ: أَذْخُلُونِي مَعَكُمْ فمَضَيْتُ مَعَهُمْ وَخَبَأْتُ مَعِي سَوْطًا تَحْتَ ثِيَابِي فَدَخَلْتُ فإذا شَيْخٌ أَصْلَعُ بَطِينٌ، فقلتُ له: أَنْتَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ؟ فَأَوْمَأَ بِرَأْسِهِ: أَي نَعَمْ، فَأَخْرَجْتُ السَّوْطَ فما زِلْتُ أَقْنَعُهُ^(٥)! وهو يقول: لتَاوَى لتَاوَى، فقلتُ لَهُمْ: يَا فَسَقَةَ! عليُّ بنُ أبي

(١) التَّبَان: بائع التبن.

(٢) سورة آل عمران ٣، آية ١٣٨. والمعنى: هذا بيان ناصع للناس كافة. التفسير المبين.

(٣) السَّبَائِيُّ: جمعها سَبَائِيَّةٌ وسَبِيَّةٌ وهم الغلاة الذين يتسبون إلى عبد الله بن سبأ، رأس الطائفة السَّبِيَّةِ التي كانت تقول بالوَهْيَةِ عليَّ عليه السلام. أصله من اليمن، وقيل: كان يهوديًا وأظهر الإسلام. قال ابن عساکر. لما بُويعَ عليٌّ قام إليه ابن سبأ فقال له: أَنْتَ خلقت الأرض وبسطت الرزق، فنفاه عليٌّ إلى ساباط المدائن حيث القرامطة وغلاة الشيعة. وقال ابن حجر العسقلاني: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، أحسب أن عليًّا حرقه بالنار. توفي ابن سبأ نحو ٤٠ هـ. أنظر الأعلام (ج ٤ ص ٨٨) وقال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٤٠٤ - ٤٠٥): السَّبِيَّةُ أصحاب عبد الله بن سبأ، عليهم لعنة الله، ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح من حيث غلوهم الشديد في عليٍّ رضي الله عنه. وقد أحرقهم على بالنار. وفيهم يقول السيد الحميري (بسيط).

قَوْمٌ غَلَوْنِي عَلَيَّ لَا أَبَا لَهُمْ وَأَجْشَمُوا أَنْفُسًا فِي حَبَّةٍ تَعَبْنَا
قَالُوا هُوَ اللَّهُ جَلَّ اللَّهُ خَالِقُنَا مِنْ أَنْ يَكُونَ أَبْنُ شَيْءٍ أَوْ يَكُونَ أَبَا
(٤) الثَّيْرِيَّاتُ: أَخَذَ كَالسَّحَرِ لَيْسَتْ بِحَقِيقَتِهِ إِنَّمَا هِيَ تَشْبِيهِ وَتَلْبِيسٌ. معرَّبة.

(٥) يقال: قَنَعَ رأسه بالسوط: علاه به.

طالبٍ نَبِطِيٍّ^(١)! ثم قلتُ له: وَيْلَكَ! ما قِصَّتُكَ؟ قال: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أنا رجلٌ من أهل السَّوَادِ^(٢) أخذني هؤلاء فقالوا: أنت عليّ بن أبي طالب.

حدّثني رجلٌ من أصحاب الكلام قال: دخل هشامُ بن الحَكَمِ على بعض الولاة العباسيين فقال رجل للعباسي: أنا أَقَرُّرُ هِشَامًا بَأَنِّ عَلِيًّا كان ظالمًا، فقال له: إن فعلتَ ذلك فلك كذا؛ فقال له: يا أبا محمّد، أما علمتَ أن عَلِيًّا نازع العبَّاسَ إلى أبي بكر؟ قال: نعم، قال: فأَيُّهما كان الظالم لصاحبه؟ فتوقّف هشامُ وقال: إن قلتُ العبَّاسَ خِفْتُ العباسيَّ، وإن قلتُ عَلِيًّا ناقضتُ قولي، ثم قال: لم يَكُنْ فيهما ظالمٌ، قال: فيختصم أثنان في أمرٍ وهما مُحِقَّانِ جميعاً؟ قال: نعم، اختصم المَلَكُانِ^(٣) إلى داوُدَ وليس فيهما ظالمٌ إنّما أرادا أن يُنبِّهاهُ على ظُلمه، كذلك اختصم هذان إلى أبي بكر ليعرفاه ظُلمه فأسكتَ الرجلَ وأمرَ الخليفةُ لهشامَ بِصَلَةِ^(٤).

قال حسان بن ثابت في النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

[منسرح]

ثَلَاثَةٌ بَرَّزُوا بِسَبْقِهِمْ نَضَّرَهُمْ^(٥) رَبُّهُمْ إِذَا نَشَرُوا
عَاشُوا بِلا فُرْقَةٍ حَيَاتِهِمْ وَاجْتَمَعُوا فِي الْمَمَاتِ إِذَا قُبِرُوا

(١) النَّبِطِيُّ: نسبة إلى النبط وهم قوم من الأعاجم ينزلون سواد العراق (قراها).

(٢) السَّوَاد: قرى العراق.

(٣) المَلَكُان: هما اللذان بعثهما الله تعالى إلى داود عليه السلام في صورة إنسانين، وما فيهما ظالم ولكنه لينّها داود على الخطيئة. وهذه القصة وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَتَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً﴾ سورة ص ٣٨، الآيات ٢١ و ٢٢ و ٢٣.

(٤) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤١٢) ببعض الاختلاف عما هنا.

(٥) نَضَّرَهُمْ رَبُّهُمْ: نعمهم وحسنهم.

فليس من مُسلمٍ له بَصَرٌ يُنْكِرُ من فَضْلِهِمْ إِذَا ذُكِرُوا^(١)

وقال أعرابي لعبد الله بن عمر: [طويل]

إِلَيْكَ آبَنَ خَيْرِ النَّاسِ إِلَّا مُحَمَّدًا وَإِلَّا أَبَا بَكْرٍ نَرُوحُ وَنَعْتَدِي

وقال أبو طالب في سهل بن بيضاء، وكان أَسِرَ فَأُطْلِقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بغير فِداءٍ، لأنه كان مُسْلِمًا مُكْرَهًا عَلَى الْخُرُوجِ: [طويل]

وَهُمْ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَمُحَمَّدٌ

وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بن عمر: [رجز]

أَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ يَنْمِينِي عُمَرُ خَيْرُ قُرَيْشٍ مَنْ مَضَى وَمَنْ غَبَرَ

بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ وَالشَّيْخِ الْأَعْرَ مَهْلًا عُبَيْدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ نَظَرَ

وقال حَسَّانُ بن ثابت يَرثِي أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: [بسيط]

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أُخِي ثِقَةً فَأَذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعْدَلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا

وَالثَّانِي الصَّادِقَ الْمَحْمُودَ مَشْهُدَهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلًا^(٢)

حَدَّثَنِي مِهْيَارُ الرَّازِي قَالَ: قَالَ جَرِيرُ بْنُ ثَعْلَبَةَ: حَصَرْتُ شَيْطَانًا مَرَّةً

فَقَالَ: أَرُفُقُ بِي فَإِنِّي مِنَ الشَّيْعَةِ، فَقُلْتُ: فَمَنْ تَعْرِفُ مِنَ الشَّيْعَةِ؟ قَالَ:

الْأَعْمَشُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ^(٣) الْعِجْلِيُّ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ

(١) قال حسان هذه الأبيات يَرثِي رَسُولَ اللَّهِ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وقد وردت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٤) باختلاف في البيت الثالث فورد: «يُنْكِرُهُمْ فَضْلُهُمْ» بدلًا من «يُنْكِرُ من فَضْلِهِمْ».

(٢) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٨٤) باختلاف بسيط عما هنا.

(٣) أغلب الظن أنه جُمُهور بن مَرَّار العجلبي، أحد قادة الجيوش في أيام المنصور العباسي والمتوفي سنة ١٣٨ هـ. (الأعلام (ج ٢ ص ١٣٦).

الحُسَيْن عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

[طويل]

أَبَا جَعْفَرٍ أَنْتَ الْوَلِيُّ أَحِبُّهُ وَأَرْضِي بِمَا تَرْضَى بِهِ وَأَتَابِعُ
أَتَيْنَا رِجَالٌ يَحْمِلُونَ عَلَيْكُمْ أَحَادِيثَ قَدْ ضَاقَتْ بِهِنَّ الْأَصَالِعُ
أَحَادِيثَ أَفْشَاهَا الْمُغَيَّرَةُ فِيهِمْ وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبَدَائِعُ

حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ مُوسَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْأَشْبِيِّ عَنْ حَمَادِ بْنِ
زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا
لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنْقُلِ. قَالَ:

[بسيط]

مَا ضَرَّ مَنْ أَصْبَحَ الْمَأْمُونُ سَائِسَهُ إِنْ لَمْ يَسُسْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ

الرَّدُّ عَلَى الْمُلْحِدِينَ

قَالَ بَعْضُ الْمُلْحِدِينَ لِبَعْضِ أَصْحَابِ الْكَلَامِ: هَلْ مِنْ دَلِيلٍ عَلَى
حُدُوثِ الْعَالَمِ؟ قَالَ: الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ، فَقَالَ: الْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ مِنَ الْعَالَمِ،
فَكَأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: الدَّلِيلُ عَلَى حُدُوثِ الْعَالَمِ الْعَالَمُ؛ فَقَالَ لَهُ: وَسَوَاءُكَ إِيَّايَ
مِنَ الْعَالَمِ، فَإِذَا جِئْتَ بِمَسْأَلَةٍ مِنْ غَيْرِ الْعَالَمِ جِئْتُكَ بِدَلِيلٍ مِنْ غَيْرِ الْعَالَمِ.

قَالَ الْمَأْمُونُ لثَنَوِيٍّ^(١) يُنَازِرُهُ عِنْدَهُ: أَسَأَلْتُكَ عَنْ حَرْفَيْنِ قَطْ، خَبَّرْنِي: هَلْ
نَدِيمٌ مُسِيءٌ قَطُّ عَلَى إِسَاءَتِهِ؟ قَالَ: بَلَى؛ قَالَ: فَالْنَدِيمُ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِسَاءَةٌ أَوْ
إِحْسَانٌ؟ قَالَ: بَلْ إِحْسَانٌ؛ قَالَ: فَالَّذِي نَدِيمٌ هُوَ الَّذِي أَسَاءَ أَوْ غَيْرُهُ؟ قَالَ: بَلْ

(١) الثَّنَوِيُّ: وَاحِدُ الثَّنَوِيَّةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الْاِثْنَيْنِ الْأَزَلِيِّينَ. يَزْعُمُونَ أَنَّ النُّورَ وَالظُّلْمَةَ أَزَلِيَانِ قَدِيمَانِ
بِخِلَافِ الْمَجُوسِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا بِحُدُوثِ الظُّلَامِ وَذَكَرُوا سَبَبَ حُدُوثِهِ؛ وَهَؤُلَاءِ قَالُوا بِتَسَاوِيهِمَا فِي
الْقَدَمِ وَاخْتِلَافِهِمَا فِي الْجَوْهَرِ وَالطَّبْعِ وَالْفِعْلِ وَالْخَيْرِ وَالْمَكَانِ وَالْأَجْنَاسِ وَالْأَبْدَانِ وَالْأَرْوَاحِ.
وَبِمَعْنَى آخَرَ: الثَّنَوِيَّةُ فِرْقَةٌ يَقُولُونَ بِاِثْنَيْنِ الْإِلَهِ أَيْ إِلَهَ الْخَيْرِ وَإِلَهَ الشَّرِّ. رَاجِعِ الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ
ص ١٨٨ وَمَحِيطُ الْمَحِيطِ مَادَّةُ (ثَنَوِي).

هو الذي أساء؛ قال: فأرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشرِّ، وقد بطل قولكم، إنَّ الذي ينظرُ نظرَ الوعيد هو الذي ينظرُ نظرَ الرحمة؛ قال: فلإني أزعِمُ أنَّ الذي أساء غيرُ الذي نَدِم؛ قال: فنَدِمَ على شيءٍ كان من غيره أو على شيءٍ كان منه؟ فأسكتَه.

دخِلَ المُؤَبَّدُ^(١) على هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ^(٢) فقال له: يا هِشَامُ، حَوْلَ الدُّنْيَا شَيْءٌ؟ قال: لا، قال: فَإِنْ أَخْرَجْتُ يَدِي فَتَمَّ شَيْءٌ يَرُدُّهَا؟ قال هِشَامُ: لَيْسَ تَمَّ شَيْءٌ يَرُدُّكَ، وَلَا شَيْءٌ يُخْرِجُ يَدَكَ فِيهِ؛ قال: فكيف أعْرِفُ هَذَا؟ قال له: يا مُؤَبَّدُ؛ أنا وأنتَ على طَرَفِ الدُّنْيَا فَقُلْتُ لَكَ يَا مُؤَبَّدُ: إِنِّي لَا أَرَى شَيْئاً، فَقُلْتُ لِي: وَلِمَ لَا تَرَى؟ فَقُلْتُ لَكَ: لَيْسَ هَا هُنَا ظِلَامٌ يَمْنَعُنِي، قُلْتَ لِي أَنْتَ: يَا هِشَامُ، إِنِّي لَا أَرَى شَيْئاً، فَقُلْتُ لَكَ: وَلِمَ لَا تَرَى؟ قُلْتَ: لَيْسَ ضِيَاءٌ أَنْظُرُ بِهِ؛ فَهَلْ تَكَافَأَتِ الْمِلَّتَانِ فِي التَّنَاقُضِ؟ قال: نَعَمْ، قال: فَإِذَا تَكَافَأَتَا فِي التَّنَاقُضِ لَمْ تَتَكَافَأَا فِي الْإِبْطَالِ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ؟ فَأَشَارَ الْمُؤَبَّدُ بِيَدِهِ أَنْ أَصَبْتُ^(٣). ودخِلَ عَلَيْهِ يَوْماً آخَرَ فَقَالَ: هُمَا فِي الْقُوَّةِ سَوَاءٌ؟ قال: نَعَمْ؛ قال: فَجَوَّهَرُهُمَا وَاحِدٌ؟ قال المُؤَبَّدُ لِنَفْسِهِ - وَمَنْ حَضَرَ يَسْمَعُ - إِنَّ قُلْتُ: إِنَّ جَوَّهَرَهُمَا وَاحِدٌ عَادَا فِي نَعْتٍ وَاحِدٍ، وَإِنْ قُلْتُ: مُخْتَلِفٌ آخِلَفَا أَيْضاً فِي الهمم والإرادات

(١) المُؤَبَّدُ: عالمُ القُرْسِ.

(٢) هو هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ الشَّيْبَانِيُّ بِالْوَلَاءِ الْكُوفِيِّ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَاطِرَ وَشَيْخَ الْإِمَامِيَّةِ فِي وَقْتِهِ كَانَ مِنْ مُشَايِخِ الرَّافِضَةِ. زَعَمَ أَنْ مَعْبُودَهُ جِسْمٌ ذُو حَدٍّ وَنَهَايَةٍ، وَأَنَّهُ طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَمِيقٌ وَأَنَّهُ طَوِيلٌ مِثْلَ عَرِضِهِ مِثْلَ عَمَقِهِ. وَقَالَ: لَيْسَ ذَهَابُهُ فِي جِهَةٍ. الطُّولُ أَزِيدَ عَلَى ذَهَابِهِ فِي جِهَةِ الْعَرِضِ. وَزَعَمَ أَيْضاً أَنَّهُ نَوْرٌ سَاطِعٌ يَتَلَاوَا كَالسَّبِيكِ الصَّافِيَةِ مِنَ الْقُضَّةِ وَكَاللُّوْلُوَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا. وَزَعَمَ أَنَّهُ ذُو لَوْنٍ وَطَعْمٍ وَرَائِحَةٍ، وَأَنَّهُ لَوْنُهُ هُوَ طَعْمُهُ، وَطَعْمُهُ هُوَ رَائِحَتُهُ. ثُمَّ قَالَ: قَدْ كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ ثُمَّ خَلَقَ الْمَكَانَ بَأَنَّهُ تَحَرَّكَ فَحَدَّثَ مَكَانَهُ بِحَرَكَتِهِ فَصَارَ فِيهِ، وَمَكَانُهُ هُوَ الْعَرِشُ. تَوَفَّى هِشَامٌ نَحْوَ ١٩٠ هـ. أَنْظَرَ الْمَلَلَ وَالنَّحْلَ ص ١٤١ - ١٤٢، وَالْأَعْلَامُ ج ٨ ص ٨٥، وَمِفْتَاحُ الْعُلُومِ لِلْخَوَارِزْمِيِّ ص ٢٧.

(٣) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٤١١ - ٤١٢).

ولم يَتَّفِقَا فِي الْخَلْقِ، فَإِنْ أَرَادَ هَذَا قَصِيْرًا أَرَادَ هَذَا طَوِيْلًا؛ قَالَ هِشَامُ: فَكَيْفَ لَا تُسَلِّمُ! قَالَ: هَيْهَاتَ!.

وَجَاءَهُ رَجُلٌ مُلْحَدٌ فَقَالَ لَهُ: أَنَا أَقُولُ بِالْأَثْنَيْنِ وَقَدْ عَرَفْتُ إِنْصَافَكَ فَلَسْتُ أَخَافُ مُشَاغِبَتَكَ؛ فَقَالَ هِشَامُ وَهُوَ مُشْغُولٌ بِثَوْبٍ يَنْشُرُهُ وَلَمْ يُقْبَلْ عَلَيْهِ: حَفِظَكَ اللَّهُ، هَلْ يَقْدِرُ أَحَدُهُمَا أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا لَا يَسْتَعِينُ بِصَاحِبِهِ عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: هِشَامُ: فَمَا تَرْجُو مِنْ أَثْنَيْنِ! وَاحِدٌ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ أَصَحَّ لَكَ! فَقَالَ: لَمْ يُكَلِّمْنِي بِهَذَا أَحَدٌ قَبْلَكَ.

قَالَ الْمَأْمُونُ لِمُرْتَدٍّ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ: خَبِّرْنَا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَوْحَشَكَ عَنْ دِينِنَا بَعْدَ أَنْسِكَ بِهِ وَأَسْتِيحَاشِكَ مِمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ وَجَدْتَ عِنْدَنَا دَوَاءَ دَائِكَ تَعَالَجْتَ بِهِ، وَإِنْ أَخْطَأَ بِكَ الشُّفَاءُ وَنَبَأَ عَنْ دَائِكَ الدَّوَاءُ كُنْتَ قَدْ أَعْذَرْتَ وَلَمْ تَرْجِعْ عَلَى نَفْسِكَ بِلَاثِمَةٍ، وَإِنْ قَتَلْنَاكَ قَتَلْنَاكَ بِحُكْمِ الشَّرِيعَةِ، وَتَرْجِعُ أَنْتَ فِي نَفْسِكَ إِلَى الْإِسْتِبْصَارِ وَالثَّقَةِ وَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَمْ تُقْصِرْ فِي اجْتِهَادٍ وَلَمْ تُفْرِطْ فِي الدِّخْوَلِ مِنْ بَابِ الْحَزْمِ؛ قَالَ الْمُرْتَدُّ: أَوْحَشَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَثْرَةِ الْإِخْتِلَافِ فَيَكُمُ؛ قَالَ الْمَأْمُونُ: لَنَا اخْتِلَافَانِ: أَحَدُهُمَا كَالْإِخْتِلَافِ فِي الْأَذَانِ، وَالتَّكْبِيرِ فِي الْجَنَائِزِ، وَالتَّشَهُدِ، وَصَلَاةِ الْأَعْيَادِ، وَتَكْبِيرِ الشَّرِيقِ، وَوُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ، وَوُجُوهِ الْفُتْيَا، وَهَذَا لَيْسَ بِإِخْتِلَافٍ، إِنَّمَا هُوَ تَخِيرٌ وَسَعَةٌ وَتَخْفِيفٌ مِنَ الْمِحْنَةِ، فَمَنْ أَذَّنَ مَثْنًى وَأَقَامَ مَثْنًى لَمْ يُخْطِئْ مِنْ أَذَّنَ مَثْنًى وَأَقَامَ فُرَادًى، وَلَا يَتَعَابَرُونَ بِذَلِكَ وَلَا يَتَعَابَيُونَ، وَالْإِخْتِلَافُ الْآخَرُ كَنَحْوِ إِخْتِلَافِنَا فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ مِنْ كِتَابِنَا، وَتَأْوِيلِ الْحَدِيثِ مَعَ اجْتِمَاعِنَا عَلَى أَصْلِ التَّنْزِيلِ وَاتِّفَاقِنَا عَلَى عَيْنِ الْخَبَرِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَوْحَشَكَ هَذَا حَتَّى أَنْكَرْتَ هَذَا الْكِتَابَ، فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ بِجَمِيعِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مُتَّفَقًا عَلَى تَأْوِيلِهِ كَمَا يَكُونُ مُتَّفَقًا عَلَى تَنْزِيلِهِ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِخْتِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْ

التأويلات؛ وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف في تأويل ألفاظها؛ ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثه رُسُلِهِ لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكننا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا. قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن المسيح عبْدٌ، وأن محمداً صادقٌ، وأنت أمير المؤمنين حقاً.

الإعراب والالحن

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: سمعتُ مَوْلىَ لآلِ عُمر بن الخطّاب يقول: أَخَذَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ رَجُلًا كَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ رَأْيَ شَيْبٍ^(١)، فقال له: أَلَسْتَ الْقَائِلُ: وَمِنَّا سُؤِيدٌ وَالْبَطِينُ وَقَعْنَبٌ^(٢) وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ [طويل] فقال: إِنَّمَا قُلْتُ: «وَمِنَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَيْبٌ» بالنصب، أي يا أمير المؤمنين فأمر بتخلية سبيله.

حدّثني عبدُ الله بن حَيَّانَ قال: كَتَبَ رَفِيعٌ^(٣) بِنَ سَلَمَةَ الْمَعْرُوفِ بَدْمَازَ إِلَى أَبِي عُثْمَانَ النَّحْوِيِّ: تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلِلْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي بِهِ وَالْبَدَنَ وَأَتَعَبْتُ بَكْرًا^(٤) وَأَصْحَابَهُ بِطُولِ الْمَسَائِلِ فِي كُلِّ فَنٍّ [مقارب]

-
- (١) هو شبيب بن يزيد الخارجي، وقد تقدمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب، الحاشية رقم ١ من ص ١٢١.
- (٢) سويد بن سليم، والبطين بن قعنب، وقعناب بن سويد، كانوا من قادة جيش شبيب. راجع أخبارهم جميعاً في الكامل لابن الأثير (ج ٤ ص ٣٩١ - ٤٣٥).
- (٣) رفيع بن سلمة تلميذ أبي عبيدة، كنيته أبو غسان وعُرف بدماذ، بعث بهذه الأبيات إلى أبي عثمان النحوي المازني كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٨).
- (٤) بكر هو نفسه أبو عثمان النحوي المذكور آنفاً.

فمن عِلْمِهِ ظَاهِرٌ بَيِّنٌ ومن عِلْمِهِ غَامِضٌ قَدْ بَطُنُ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا وكُنْتُ بِبَاطِنِهِ ذَا فِطْنُ
خَلَا أَنَّ بَابًا عَلَيْهِ الْعَقَا ؤُ للفاء يا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وللواوِ بَابٌ إِلَى جَنْبِهِ من الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُغِنُ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا يُقَدُّ هَال لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِيْنُ
أُجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا على النَّصْبِ قَالُوا لِإِضْمَارِ أَنْ
وما إن رَأَيْتُ لَهَا مَوْضِعًا فَأَعْرِفَ مَا قِيلَ إِلَّا بِظَنْ^(١)
فَقَدْ خِفْتُ يَا بَكْرُ مِنْ طَوْلِ مَا أَفَكَّرَ فِي أَمْرِ «أَنْ» أَنْ أَجُنَّ^(٢)

قال ابن سيرين: ما رأيتُ على رجل أحسن من فصاحة، ولا على امرأة أحسن من شحم .

وقال ابن شبرمة: إذا سَرَّكَ أَنْ تَعْظُمَ فِي عَيْنٍ مَنْ كُنْتَ فِي عَيْنِهِ صَغِيرًا، وَيَصْغُرَ فِي عَيْنِكَ مَنْ كَانَ فِي عَيْنِكَ عَظِيمًا فَتَعْلَمْ الْعَرَبِيَّةَ، فَإِنَّهَا تُجْرِيكَ عَلَى الْمَنْطِقِ وَتُذْنِيكَ مِنَ السُّلْطَانِ. ويقال: النحو في الْعِلْمِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ فِي الْقَدْرِ وَالرَّامِكِ^(٣) فِي الطَّيْبِ. ويقال: الإِعْرَابُ جِلْيَةُ الْكَلَامِ وَوَشْيُهُ. وقال بعض الشعراء^(٤):

النَّحْوُ يَسْطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَنِ والمرءُ تُكْرِمُهُ^(٥) إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

(١) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٩): «إِلَّا يَفْنُ».

(٢) وردت هذه الأبيات في المصدر السابق، نفس الصفحة، عدا البيت الثالث:

(٣) الرامك: شيء أسود كالقار يخلط بالمسك.

(٤) هو إسحاق بن خلف الشاعر المعروف بابن الطيب، من شعراء المعتصم. وكان إذا راجعك

الكلام لم تكذب تسأم مراجعته من حسن ألفاظه. توفي في حدود ٢٣٠ هـ. راجع فوات الوفيات

(ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت ١٩٧٣.

(٥) في فوات الوفيات (ج ١ ص ١٦٣): «تُعْظِمُهُ» بدلًا من «تُكْرِمُهُ».

وإذا طلبت من العلوم أجَلَهَا فَأَجَلُهَا^(١) منها مُقِيمُ الأَلْسُنِ
 قال رجل لأعرابي: كيف أهلك بكسر اللام؟ - يُريد كيف أهلك - فقال
 الأعرابي: صَلْباً^(٢)؛ ظَنُّ أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ هَلَكْتِهِ كَيْفَ تَكُونُ.
 وقيل لأعرابي: أَتَهْمِزُ إِسْرَائِيلَ؟ قال: إني إذا لرجلُ سَوْءٍ؛ قيل له: أَتَجُرُّ
 فَلَسْطِينَ؟ قال: إني إذا لَقَوِيَّ. وقيل لآخر: أَتَهْمِزُ الْفَارَةَ؟ فقال: الْهَرَّةُ
 تَهْمِزُهَا.

وقيل: كان بِشْرُ الْمَرْيَسِيِّ يقول لأصحابه: قضى الله لكم الحوائج على
 أحسن الوجوه وأهنؤها^(٣) فقال قاسم التمار^(٤): هذا كما قال الشاعر: [منسرح]
 إِنَّ سُلَيْمَى وَاللَّهَّ يَكْلُوهَا ضَنْتُ شَيْءٍ مَا كَانَ يَرْزُؤُهَا^(٥)
 سَمِعَ أعرابيٌّ مَوَدَّنًا يقول: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ بِنَصَبِ رَسُولٍ،
 فقال: ويحك! يفعل ماذا؟.

قال مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ: اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ الْجُدْرِي فِي
 الْوَجْهِ. وقال عبدُ الملك: اللَّحْنُ فِي الْكَلَامِ أَقْبَحُ مِنَ التَّفْتِيقِ فِي الشُّوبِ
 النَّفِيسِ. قال أبو الْأَسْوَدِ: إني لأَجِدُ لِلْحَنْ غَمَزاً كَغَمَزِ اللَّحْمِ.
 قال الخليل بن أحمد^(٦): أَتَشْدَنِي أعرابيٌّ: [طويل]

(١) في المصدر السابق والصفحة: «عندي» بدلاً من «منها».

(٢) الصَّلْبُ: القِتْلَةُ المعروفة، وهي أن يُشَدَّ الرَّجُلُ مِنْ يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ عَلَى جَذَعٍ.

(٣) وأهنؤها: فيها لحن، والصحيح: وأهنئها لأنها معطوفة على «أحسن الوجوه».

(٤) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٢) ما نصّه: بِشْرُ الْمَرْيَسِيِّ هُوَ الَّذِي رَأْسُ فِي
 الرَّأْيِ، وَأَنَّ قَاسِمَ التَّمَارِ مُتَقَدِّمٌ فِي أَصْحَابِ الْكَلَامِ، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ بِاخْتِلَافٍ يَسِيرٍ عَمَّا
 هُنَا.

(٥) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٢) وعلّق عليه ابن عبد ربه فقال: إن احتجاج
 التمار لبشر أعجب من لحن بشر. كذلك انظره في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٢٠).

(٦) ورد هذا القول في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٤) باختلاف يسير عما هنا. كما ورد هذا البيت =

وإِنَّ كِلَاباً هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَائِلِهَا الْعَشْرِ
فَجَعَلْتُ أَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ: عَشْرُ أَبْطُنٍ حِينَ أَنْتَ لَأَنَّهُ عَنِ الْقَبِيلَةِ، فَلَمَّا
رَأَى عَجَبِي مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: أَلَيْسَ هَكَذَا قَوْلُ الْآخَرِ: [طويل]
فَكَانَ مِجَنِّي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانَ وَمُعْصِرٍ^(١)

قال رجل من الصالحين: لئن أُعْرِبْنَا فِي كَلَامِنَا حَتَّى مَا نَلْحَنَ لَقَدْ لَحَنَّا
فِي أَعْمَالِنَا حَتَّى مَا نُعْرِبُ.

دخل أعرابيُّ السُّوقَ فسمِعَهم يَلْحَنُونَ، فقال: سبحانَ اللَّهِ! يَلْحَنُونَ
وَيَرْبِحُونَ ونحن لا نَلْحَنَ ولا نَرْبِحُ!.

دخل رجل على زيادٍ فقال له: إِنَّ أَيْنَا هَلْكَ، وَإِنْ أَخِينَا غَضَبْنَا عَلَى
مِيرَاثِنَا مِنْ أَبَانَا^(٢)؛ فقال زياد: مَا ضَيَّعْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِمَّا ضَاعَ مِنْ مَالِكَ.

قال الرِّياشيُّ عن محمد بن سلام عن يونسَ قال: قال بلالٌ لَشَيْبِ بْنِ
شَيْبَةَ وَهُوَ يَسْتَعْدِي عَلَى عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قال: أَحْضَرْنِيهِ،

= في نفس المصدر والصفحة، وهو للنواح أحد بني كلاب حسبما يذكر المحقق في الحاشية
رقم ٥.

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، وقد ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٤) فأنظره. والمِجَنُّ: الترس لأن صاحبه يستتر به، والجمع مِجَانٌ. والعرب تقول: قلب فلان مِجَنَّهُ أي أسقط الحياء وفعل ما شاء أو ملك أمره وأستبدَّ به. وقلب له ظهر المِجَنِّ: تغيَّر عليه، وهو مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ثم حال عن العهد. وقوله: «ثلاث شُخُوص» حيث أَنْتَ لَأَنَّهُ لأنه يريد بالشخص النَّفْسَ. وكاعبان: مثني كاعب وهي التي نَهَذَ نَذِيهَا، وكاعبان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هُنَّ كاعبان ومعصر. والمُعْصِرُ من النساء: ذات الإعصار، يقال: عَصَرَتِ الْمَرْأَةُ وَأَعَصَرَتْ: بَلَغَتْ شَبَابَهَا وَأَدْرَكَتْ وَدَخَلَتْ فِي الْحَيْضِ أَوْ رَاهَقَتِ الْعَشْرِينَ.

(٢) «من أبانا»: فيها لَحْنٌ والصحيح: «من أبينا».

قال: قد دَعَوْتُهُ لِكُلِّ ذَلِكَ يَأْبَى؛ برفع كلٍّ؛ قال بلال؛ فالذنبُ لكلِّ. قال

بعض الشعراء:

إِمَّا تَرِنِي وَأَثَوَابِي مُقَارِبَةً^(١) لَيْسَتْ بِخَزٍّ وَلَا مِنْ نَسَجِ كَتَّانٍ
فَإِنَّ فِي الْمَجْدِ هِمَّاتِي وَفِي لُغْتِي عُلُوبَةً وَلِسَانِي غَيْرُ لَحَّانٍ

وقال: فِيلٌ مَوْلَى^(٢) زِيَادٍ لَزِيَادٍ: أَهْدُوا لَنَا هِمَارَ وَهْشٍ^(٣)، فقال: ما تقول؟
وَيَلِّكْ! فقال: أَهْدُوا لَنَا أَيْرًا^(٤)؛ فقال زياد: الأولُ خير.

سَمِعَ أَعْرَابِيٌّ وَالْيَا يَخْطُبُ فَلَحَنَ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ، فقال: أَشْهَدُ أَنَّكَ مَلَكَتَ
بَقْدَر. وَسَمِعَ أَعْرَابِيٌّ إِمَامًا يَقْرَأُ: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(٥) [بفتح
تاء تنكحوا] فقال: سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ قَبِيحٌ فَكَيْفَ بَعْدَهُ! فَقِيلَ لَهُ:
إِنَّهُ لَحَنَ، وَالْقِرَاءَةُ ﴿وَلَا تُنْكِحُوا﴾ فقال: قَبِّحَهُ اللَّهُ، لَا تَجْعَلُوهُ بَعْدَهَا إِمَامًا
فَإِنَّهُ يُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ. قال الشاعر في جارية له:

[رجز]

أَوَّلُ مَا أَسْمَعُ مِنْهَا فِي السَّحَرِ تَذَكِيرُهَا الْأَنْثَى وَتَأْنِيثُ الذَّكْرِ
وَالسَّوْءَةُ السَّوْءَاءُ فِي ذِكْرِ الْقَمَرِ^(٦)

قال الحجاج لرجل من العجم نخاس^(٧): أَتَبِيعُ الدَّوَابَّ الْمَعِيَةَ مِنْ جُنْدِ

(١) مُقَارِبَةٌ: أَي لَيْسَتْ نَفِيسَةً.

(٢) هُوَ زِيَادُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ.

(٣) يَرِيدُ الْقَوْلَ: «أَهْدُوا لَنَا حِمَارَ وَهْشٍ».

(٤) يَرِيدُ «غَيْرًا» وَهُوَ الْحِمَارُ أَيَّا كَانَ أَهْلِيًّا أَوْ وَحْشِيًّا وَقَدْ غَلِبَ عَلَى الْوَحْشِيِّ.

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ٢، آيَةٌ ٢٢١. وَهَذَا يَلْحَنُ الْإِمَامُ بِفَتْحِ تَاءِ «تُنْكِحُوا» لِأَنَّ الصَّوَابَ بَضْمُهَا.
وَالْمَعْنَى: أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَا تَزَوِّجُوا الْكُفَّارَ الْمُؤْمِنَاتِ حَتَّى يُؤْمِنُوا.

(٦) السَّوْءَةُ: الْعَوْرَةُ وَالْفَاحِشَةُ وَالْخَلَّةُ الْقَبِيحَةُ. وَالسَّوْءَاءُ: الْخَلَّةُ الْقَبِيحَةُ. وَمَرَادُ الشَّاعِرِ فِي هَذَا
الشَّعْرِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ جَارِيَتَهُ كَانَتْ، إِذَا أَرَادَتْ أَنْ تَقُولَ «قَمَر»، قَالَتْ «كَمَر». وَهَذَا الْإِبْدَالُ
يَعْرِفُ بِاللُّغَةِ، وَهِيَ أَنْ تَعْدَلَ الْحَرْفَ إِلَى حَرْفٍ آخَرَ.

(٧) النَّخَاسُ: بَيَّاعُ الدَّوَابِّ وَالرَّقِيقِ.

السلطان؟ فقال: «شَرِيكَاتِنَا فِي هَوَازِهَا^(١) وَشَرِيكَاتِنَا فِي مَدَايِنِهَا^(٢)» وكما تجيء تكون» فقال الحجاج: ما تقول؟ ففسروا له ذلك؛ فَضَحِكَ وكان لا يضحك.

أَمْ الْحَجَّاجُ قَوْمًا فَقَرَأَ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(٣) وَقَرَأَ فِي آخِرِهَا^(٤) ﴿أَنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾^(٥) بِنَصَبٍ^(٦) أَنْ، ثُمَّ تَنَبَّهَ عَلَى اللَّامِ فِي لَخِيرٍ وَأَنْ «إِنَّ» قَبْلَهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مَكْسُورَةٌ فَحَذَفَ اللَّامَ مِنْ «لَخِيرٍ»، فَقَرَأَ ﴿أَنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ﴾.

قال أبو زيد: قلت للخليل بن أحمد: لِمَ قالوا في تَصْغِيرِ واصل أَوْصِلَ ولم يقولوا وُوصِلَ؟ فقال: كَرِهُوا أَنْ يُشَبَّهَ كَلَامُهُم بِنَجَسِ الْكَلَابِ.

التشادق والغريب

حَدَّثَنِي سَهْلٌ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: كَانَ عَيْسَى بْنُ عُمَرَ لَا يَدْعُ الْإِعْرَابَ لَشَيْءٍ. وَخَاصِمٌ إِلَى بِلَالِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ فِي جَارِيَةٍ اشْتَرَاهَا مُصَابَةً، فَقَالَ: لِأَن يَذْهَبَ بَعْضُ حَقِّ هَذَا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَلْحَنَ؛ فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ يَعْلَمُ مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: ابْنُ طِرْنُوبَةَ. وَضَرَبَهُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ ضَرْبًا كَثِيرًا فِي وَدِيعَةٍ أَوْدَعَهَا إِيَّاهُ إِنْسَانٌ فَطَلَبَهَا، فَمَا كَانَ يَزِيدُ عِلْمَهُ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ إِلَّا أُثْيَابًا فِي

(١) المقصود: الأهواز.

(٢) المقصود: المدائن.

(٣) سورة العاديات ١٠٠، آية ١. والعاديات: من العَدُو وهو الجري، والمراد بها خيل الجهاد لردع الطغاة. والضُّبْحُ: أنفاس الخيل.

(٤) أي في آخر سورة العاديات.

(٥) سورة العاديات ١٠، آية ١١. والآية هكذا ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَيْرٌ﴾.

(٦) أي بفتح همزة (أَنْ) بدلاً من كسرهما؛ لأن الكسر هو الصحيح.

أَسِيفَاطُ قَبْضَهَا عَشَارُوكُ^(١).

تَبَعَ أَبُو خَالِدِ التَّمِيرِيِّ صَاحِبُ الْغَرِيبِ جَارِيَةً مُتَنَقِّبَةً فَكَلَّمَهَا فَلَمْ تُكَلِّمْهُ،
فَقَالَ: يَا خَرِيدَةُ^(٢)، لَقَدْ كُنْتُ عِنْدِي عَرُوبًا أَنْمُقُكَ وَتَشْتِينَا^(٣)!

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ هَارُونَ لَجَارِيَةٍ لَهُ رُومِيَّةٌ أَعْجَمِيَّةٌ: إِنَّ أَقْلَ مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ
ضَمِيرِي مِنْ رَسِيسٍ^(٤) حُبِّكَ لِأَجَلٍ مِنْ كُلِّ جَلِيلٍ، وَأَكْثَرُ مِنْ كُلِّ كَثِيرٍ.

وَقَالَ مَالِكُ^(٥) بْنُ أَسْمَاءٍ فِي جَارِيَةٍ لَهُ: [خَفِيف]

أُمُغْطِيْ مَنِيَّ عَلَى بَصْرِيْ لَدَى حَبِّ أُمِّ أَنْتِ أَكْمَلُ النَّاسِ حُسْنًا؟

وَحَدِيثُ أَلْذَّةِ هُوَ مِمَّا يَشْتَهِي النَّاعَتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا نَأً وَأَحْلَى الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا^(٦)

قَالَ آبَن دُرَيْدٍ: اسْتَقْلَ مِنْهَا الْإِعْرَابَ.

دَخَلَ أَبُو عَلَقَمَةَ عَلَى أَعْيَنِ الطَّبِيبِ فَقَالَ لَهُ: أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ، إِنِّي أَكَلْتُ
مِنْ لَحُومِ هَذِهِ الْجَوَازِلِ^(٧) فَطَسْتُ طَسًّا^(٨)، فَأَصَابَنِي وَجَعٌ مَا بَيْنَ الْوَابِلَةِ^(٩) إِلَى

(١) الْأَثْيَابُ: ج ثوب مع تصغير لفظ الجمع. والأسيفاط: ج سبط وهو الذي يُعَى فِيهِ الطَّيْبُ وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَدَوَاتِ النِّسَاءِ، مَعَ تَصْغِيرِ لَفْظِ الْجَمْعِ أَيْضًا. وَعَشَارُوكُ: ج عَشَارٍ وَهُوَ آخِذُ الْعَشْرِ وَجَابِيهِ وَمُلْتَزِمُهُ.

(٢) الْخَرِيدَةُ: الْبُكَرُ لَمْ تُنْمَسْ أَوْ الْخَفَرَةُ الطَّوِيلَةُ السَّكُوتُ الْخَافِضَةُ الصَّوْتِ.

(٣) الْعَرُوبُ: الْمَرْأَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا أَوْ الْعَاشِقَةُ لَهُ. وَالْجَمْعُ عَرُوبٌ. وَأَنْمُقُكَ: أَرْزَنُكَ، وَالْمَقْصُودُ أَحْبَبُكَ؛ يُقَالُ: نَمَقَ الْكِتَابَ يَنْمُقُهُ؛ حَسَنَهُ وَجَوَّدَهُ. وَتَشْتِينَا: تَبْغِضِينَا؛ يُقَالُ: شَنَاهُ يَشْنَاهُ شَنْتًا: أَبْغَضَهُ.

(٤) رَسِيسُ الْحَبِّ: أَوَّلُهُ.

(٥) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي مَقْدَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ وَرَقَةُ (ن) الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ٢.

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي مَقْدَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ ص (ن).

(٧) الْجَوَازِلُ: ج جَوَزَلٍ وَهُوَ فَرْخُ الْحَمَامِ قَبْلَ أَنْ يَنْبِتَ رِيشَهُ. وَعَلَيْهِ الْمَثَلُ: هُوَ أَهْزَلَ مِنَ الْجَوَزَلِ. وَيَسْتَعْمَلُ أَيْضًا لَمَّا يَنْبِتَ رِيشَهُ.

(٨) طَيِّيٌّ: تَجَمُّعٌ مِنَ الطَّعَامِ.

(٩) الْوَابِلَةُ: طَرَفُ الْعَصَدِ فِي الْكَتِفِ.

دَأْيَةٌ^(١) العُنُقُ فلم يزل يَرْبُو وَيَنْمِي حتى خالط الخِلْبَ^(٢) والشراسيف^(٣)، فهل عندك دَوَاءٌ؟ فقال أَعَيْنَ: نعم، خذ خَرْبِقاً^(٤) وشلفقا وشَبْرِقاً فَرَزْهَزْهُ وَرَقْرَقْهُ^(٥) وَأَغْسِلْهُ بماء رَوْثٍ^(٦) وأشربه؛ فقال أبو عَلَقَمَةَ: لم أفهم عنك؛ فقال أَعَيْنَ: أفهمتُك كما أفهمتني. وقال له يوماً آخَرُ: إني أجِدُ مَعْمَعَةً في بطني وقرقرة؛ فقال له: أما المعمة فلا أعرفها، وأما القرقرة فهي ضُرَاطٌ لم يَنْضَجْ^(٧).

أتى رجلُ الهَيْثَمِ بَنَ العُرَيَّانِ بغريم له قد مَطَّلَهُ حَقَّهُ فقال: أصلح الله الأمير، إن لي على هذا حَقّاً قد غلبني عليه؛ فقال له الآخرُ: أصلحك الله، إن هذا باعني عَنَجَدًا^(٨) واستنَّسَّاهُ^(٩) حَوْلًا وشرطتُ عليه أن أُعْطِيَهُ مُشَاهِرَةً^(١٠) فهو لا يلقاني في لَقَمٍ^(١١) إلَّا آقتضاني؛ فقال له الهَيْثَمُ: أمن بني أُمَيَّةٍ أنت؟

(١) الدَأْيَةُ: فِترَةُ العنق.

(٢) الخِلْبُ: الظَّفَرُ ولحمة رقيقة تصل بين الأضلاع.

(٣) الشراسيف: ج شُرُوف وهو رأس الضلع مما يلي البطن.

(٤) الخَرْبِقُ: ضرب من الأدوية، ونبت كالسم يغشى على آكله ولا يقتله. والشلفق لم نقف على معنى لها، ولعلها الشَّلْفُون وهو الرخص من فروع الشجر. والذي في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٠): «وشلفقا». والشَبْرِقُ: نبت من جنس الشوك فإذا كان رطباً فهو الشبرق وإذا يبس فهو الضريع.

(٥) الزهزقة والزقزقة: ترقيص الأم للصبي. ولعله يريد هنا حركة الغريال ونحوه بما يوضع فيه لغربلته.

(٦) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٠): «بماء دَوْبٍ». والدَّوْبُ: العسل أو ما في أبيات النحل أو ما خلص من شمعها.

(٧) ورد هذا الخبر (خبر علقمة مع أعين) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٨٨ - ٤٩٠) باختلاف يسير عما هنا.

(٨) العَنَجَدُ: الزبيب.

(٩) اسْتَنَسَّاهُ حَوْلًا: سأله أن ينسئه دَيْنِي، أي أن يؤخِّره.

(١٠) مشاهرة: كل شهر.

(١١) اللَّقَمُ: الطريق أو وسطه.

قال: لا؛ قال: فمن بني هاشم؟ قال: لا؛ قال: فمن أكفائهم من العرب؟ قال: لا؛ قال: وَيْلِي عَلَيْكَ! لِمَنْزَعِ ثِيَابِهِ يَا جِلْوَاز^(١)، فلما أرادوا نَزَعَ ثِيَابَهُ قال: أصلحك الله، إِنَّ إِزَارِي مُرْعَبَل^(٢)؛ قال: دعوه، فلو تَرَكَ الغَرِيبَ فِي وَقْتٍ لتركه فِي هَذَا الْوَقْتِ.

ومرَّ أَبُو عُلْقَمَةَ بِبَعْضِ الطُّرُقِ بِالْبَصْرَةِ فَهَاجَتْ بِهِ مِرَّةً^(٣) فَسَقَطَ وَوَثِبَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَأَقْبَلُوا يَعْصِرُونَ إِبْهَامَهُ وَيُؤَذِّنُونَ فِي أُذُنِهِ، فَأُفِلَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَقَالَ: مَا لَكُمْ تَتَكَاكُؤُونَ^(٤) عَلَيَّ كَمَا تَتَكَاكُؤُونَ عَلَى ذِي جِنَّةٍ! إِفْرَنْقِعُوا^(٥) عَنِّي؛ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: دَعُوهُ فَإِنَّ شَيْطَانَهُ هِنْدِيٌّ، أَمَا تَسْمَعُونَهُ يَتَكَلَّمُ بِالْهِنْدِيَّةِ؟ وَقَالَ لِحَجَّامٍ^(٦) يَحْجِمُهُ: أَنْظِرْ مَا أَمْرُكَ بِهِ فَاصْنَعْهُ، وَلَا تَكُنْ كَمَنْ أَمِرَ بِأَمْرٍ فَضَيَّعَهُ، أَنْقِ غَسِلَ الْمَحَاجِمِ وَأَشْدُدْ قُضْبَ الْمَلَازِمِ^(٧) وَأَرْهِفْ طُبَاتِ الْمَشَارِطِ^(٨) وَأَسْرِعِ الْوَضْعَ وَغَجِّلِ النَّزْعَ، وَلْيَكُنْ شَرْطُكَ وَخَزَاءٌ، وَمَصُّكَ نَهْزَاءٌ، وَلَا تُكْرِهَنَّ أَبْيَا، وَلَا تَرُدَّنَّ آتِيَا؛ فَوَضَعَ الْحَجَّامُ مُحَاجِمَهُ فِي جُودَتِهِ^(٩) وَمَضَى.

(١) الْجِلْوَاز: الشَّرْطِيُّ

(٢) مُرْعَبَلٌ: مَمْرُقٌ.

(٣) الْمِرَّةُ: عَصَاةُ الْمَرَاةِ وَهِيَ مَادَّةٌ صَفْرَاءُ.

(٤) تَتَكَاكَا: تَجْمَعُ.

(٥) إِفْرَنْقَعْ عَنِّي: تَفَرَّقْ.

(٦) الْحَجَّامُ: الَّذِي يَحْجِمُ؛ يُقَالُ: حَجَّمَ فَلَانٌ الْعِظَمَ: عَرَفَهُ.

(٧) الْمَلَازِمُ: ج. مِلْزَمٌ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَهُوَ خَشَبَتَانِ مُشْدُودٌ أَوْسَطَاهُمَا بِحَدِيدَةٍ تَجْعَلُ فِي طَرَفَيْهَا قُنَاجَةً (مِفْتَاحٌ مَعْوَجٌ طَوِيلٌ) فَتَلْزَمُ مَا فِيهَا لَزُومًا شَدِيدًا، تَكُونُ مَعَ الصِّيَاقِلَةِ وَالْأَبَارِينِ وَمَجْلَدِي الْكُتُبِ وَغَيْرِهِمْ.

(٨) أَرْهَفَ: حَذَذَ. وَطُبَاتُ: ج. طُبَّةٌ وَهِيَ حَذُّ السِّيفِ أَوِ السَّنَانِ وَنَحْوُهُ. وَالْمَشَارِطُ: ج. مِشْرَطٌ وَهُوَ الْمُبْضَعُ، وَغَلَبَ عَلَى الَّذِي يَشْرُطُ بِهِ الْجِلْدَ لِاسْتِفْرَاقِ الدَّمِ كِمْبْضِعِ الْحَجَّامِ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْحَرِيرِيِّ فِي مَقَامَتِهِ الْحَجَرِيَّةِ (سَرِيعَ).

(٩) الْجُودَةُ: سُلَيْلَةٌ (تَصْغِيرُ سَلَّةٍ) مُغَشَّاءٌ بِالْأَدَمِ (جِلْدٌ) تَكُونُ مَعَ الْعَطَارِ يُعَدُّ فِيهَا الطِّيبُ. وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٤٩١) مُخْتَصَرًا.

سَمِعَ أَعْرَبِيٌّ أَبَا الْمَكْنُونِ النَّحْوِيَّ فِي حَلْقَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ فِي دَعَاءِ
الِإِسْتِسْقَاءِ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَمَوْلَانَا، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا؛ اللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَ
بِنَا سُوءاً فَأَحْطِ ذَلِكَ السُّوءَ بِهِ كِلَاحَاطَةِ الْقَلَائِدِ عَلَى تَرَائِبِ الْوَلَائِدِ^(١)، ثُمَّ أَرَسِخْهُ
عَلَى هَامَتِهِ كَرُسُوحِ السَّجِيلِ^(٢)، عَلَى هَامِ أَصْحَابِ الْفِيلِ؛ اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثاً
مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيْعاً مُجَلِّجاً^(٣) مُسْحَنِفراً هَزْجاً سَحّاً سَفُوحاً طَبَقاً غَدَقاً مُثْعَنِجراً؛
فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا خَلِيفَةَ نُوحٍ، هَذَا الطُّوفَانُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، دَعْنِي آوِي إِلَى
جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ^(٤).

أَبُو الْحَسَنِ^(٥) قَالَ: كَانَ غَلَامٌ يُقْعَرُ^(٦) فِي كَلَامِهِ، فَاتَى أَبَا الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ
يَلْتَمِسُ مَا عِنْدَهُ؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو الْأَسْوَدِ: مَا فَعَلَ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَخَذْتُهُ الْحُمَى
فَطَبَخْتُهُ طَبْخاً وَفَضَخْتُهُ^(٧) فَضِخاً وَفَنَخَتْهُ^(٨) فَنَخاً فَتَرَكْتُهُ فَرَخاً^(٩)؛ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ:
فَمَا فَعَلْتَ أَمْرَاتِهِ الَّتِي كَانَتْ تُجَارُهُ^(١٠) وَتُشَارُهُ وَتُزَارُهُ وَتُهَارُهُ؛ قَالَ: طَلَّقَهَا
فَتَزَوَّجْتُ غَيْرَهُ فَرَضَيْتُ وَخَطَيْتُ وَبَطَيْتُ، قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: قَدْ عَرَفْنَا حَظِيَّتَ،

-
- (١) التَّرائِبُ: ج. تَرْيَبَةٍ وَهِيَ مَوْضِعُ الْفَلَادَةِ. وَالْوَلَائِدُ: ج. وَلِيدَةٌ وَهِيَ الصَّبِيَّةُ.
(٢) السَّجِيلُ: حِجَارَةٌ كَالْمَدْرَةِ؛ وَقِيلَ: حِجَارَةٌ طَبَخَتْ بِنَارِ جَهَنَّمَ. وَمَنَ فِي سُورَةِ الْفِيلِ، الْإِيْتَانُ ٣
و ٤: ﴿وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ أَيِ أَرْسَلَ أَفْوَاجاً تَمْطُرُهُمْ بِأَشَدِّ
الْعَذَابِ وَهِيَ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ مَتَحَجَّرَ. أَنْظَرَ التَّفْسِيرَ الْمُبِينَ.
(٣) الْمُجَلِّجُ: مِنَ السَّحَابِ: الَّذِي فِيهِ صَوْتُ الرَّعْدِ. وَالْمُسْحَنِفَرُ: الْكَثِيرُ الصَّبِّ الْوَاسِعُ. وَالْهَزْجُ:
مِنَ الْهَزْجِ وَهُوَ صَوْتُ الرَّعْدِ. وَالطَّبَقُ مِنَ الْمَطَرِ: الْعَامُّ الْوَاسِعُ. وَالْغَدَقُ: الْمَطَرُ الْكَثِيرُ.
وَالْمُثْعَنِجَرُ: السَّيْلُ الْكَثِيرُ أَوْ السَّحَابُ الْمَمْتَلِيُّ.
(٤) وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٢).
(٥) وَرَدَ هَذَا الْخَبَرُ أَيْضاً فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ص ٤٩٠ - ٤٩١ بِأَخْتِلَافٍ يَسِيرٍ عَمَّا هُنَا.
(٦) يُقْعَرُ فِي كَلَامِهِ: يَتَشَلَّقُ وَيَتَكَلَّمُ بِأَقْصَى حَلْقِهِ.
(٧) فَضَخْتُ: دَقَّتْ. وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٤٩٠): «وَرَضَخْتُ رَضَخاً» وَالرَّضْخُ: الْكُسْرُ.
(٨) فَنَخْتُ: قَهَرْتُهُ وَغَلَبْتُهُ أَيْ أَوْعَيْتُهُ وَأَضْعَفْتُهُ.
(٩) الْفَرْجُ: الضَّعِيفُ الْمَنْهُوكُ.
(١٠) تُجَارُهُ: تَطَاوَلَهُ. وَتُشَارُهُ: تَخَاصَمَهُ. نَعَضُهُ. وَتُهَارُهُ: تَهَيَّرَ فِي وَجْهِهِ كَمَا يَهَيَّرُ الْكَلْبُ.

فما بَظِيَّتْ^(١)؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك؛ قال أبو الأسود: يا ابن أخي، كلُّ حرف من الغريب لم يبلغ عمك فاستره كما تستر السُّنُورُ خُرَاهَا.

قال زيد بن كثرية: أتيتُ بابَ كبيرِ دارٍ وهناك حَدَاذٌ^(٢)، فأردتُ أن أُلجِ الدارَ فدلَّظني^(٣) دَلْظَةً وأزدحم^(٤) الناسُ ببابه، فوالله إن زَلْنَا نَظَارَ نَظَارٍ حَتَّى عَقَلَ الظِّلُّ^(٥). وقال أيضاً: أتيتُ بابَ كبيرٍ وإذا الرجالُ صَتِيَتَانِ^(٦) وإذا أَرْمَدَاءُ^(٧) كثيرةٌ وطُهَاءٌ لا أَحْصِيَهُمْ وَلِحَامٌ كَأَنَّهَا آكَامٌ. وقال الطائي: [وافر]

أيوسفُ^(٨) جثَّتْ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ تركتَ الناسَ في شكٍّ مُرِيبٍ
سمعتُ بكلِّ داهيةٍ نَادٍ^(٩) ولم أسمعَ بسراجٍ أديبٍ
أما لو أن جهلكَ كانَ عِلْماً إذا لَنَفَذْتُ^(١٠) في عِلْمِ الْغُيُوبِ
فمالكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

قال رؤبة بن العجاج: خرجتُ مع أبي، نريد سليمان بن عبد الملك،

(١) أتى بلفظ «بَظِيَّتْ» إتباعاً لحظيت مثل حسن بسن؛ لأنه ليس في كلامهم «بظي» أنظر لسان العرب مادة (بَظَا).

(٢) الحداد: البواب سمي بذلك لأنه يحُد (يمنع) من الدخول. قال الأعشى (مقارب).

فَقُفْنَا وَلَمَّا يَصْخُ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ خَدَايَا
والجونة هي الخاية المطلية بالقار.

(٣) دَلْظَةُ: ضربه أو دفعه في صدره.

(٤) رأيت أن أضع عبارة «وازدحم الناسُ ببابه» لأنها تلائم السياق بدلاً من عبارة الأصل «وأدس الناسُ عليهم» التي لا معنى لها.

(٥) نَظَارٍ: اسم فعل أمر بمعنى: «انتظر» والمعنى: فما زلنا يقال لنا نَظَارٍ نَظَارٍ الخ...

(٦) صَتِيَتَانِ: فرقتان.

(٧) الْأَرْمَدَاءُ: ج رماد.

(٨) هو يوسف السراج الشاعر المصري كما في ديوان أبي تمام (ج ٤ ص ٣١٥).

(٩) النَّادِ وَالنَّادِي: الداهية، والمزاد هنا: الداهية الشديدة.

(١٠) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٩٢): «لَرَسَخَتْ».

فَلَمَّا صِرْنَا فِي الطَّرِيقِ أَهْدَيْ لَنَا جَنْبٌ مِنْ لَحْمٍ عَلَيْهِ كَرَأْفِيٌّ^(١) الشَّحْمُ وَخَرِيطَةٌ مِنْ كَمَاءٍ وَوُطْبٌ مِنْ لَبَنٍ فَطَبَخْنَا هَذَا بِهَذَا، فَمَا زَالَ ذِفْرَيَايَ تَتَبَحَّانِ^(٢) مِنْهُ إِلَى أَنْ رَجَعْتُ.

وصايا المعلمين

قال عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ لِعَبْدِ الصَّمَدِ مُؤَدِّبٍ وَلَدِهِ: لِيَكُنْ إِصْلَاحُكَ بَنِي إِصْلَاحُكَ نَفْسُكَ، فَإِنَّ عُيُوبَهُمْ مَعْقُودَةٌ بِعَيْيِكَ، فَالْحَسَنُ عِنْدَهُمْ مَا اسْتَحْسَنْتَ، وَالْقَبِيحُ مَا اسْتَقْبَحْتَ؛ وَعَلَّمَهُمْ سِيرَ الْحُكَمَاءِ، وَأَخْلَقَ الْأَدْبَاءَ، وَتَهَدَّدَهُمْ بِي وَأَذْبَهُمْ دُونِي؛ وَكَانَ لَهُمْ كَالطَّبِيبِ الَّذِي لَا يَعْجَلُ بِالِدَوَاءِ حَتَّى يَعْرِفَ الدَّاءَ؛ وَلَا تَتَكَلَّنَ عَلَى عُذْرٍ مِنِّي، فَإِنِّي قَدْ أَتَكَلْتُ عَلَى كِفَايَةِ مَنْكَ.

قال الْحِجَاجُ لِمُؤَدِّبِ بَنِيهِ: عَلَّمَهُمُ السَّابَحَةَ قَبْلَ الْكِتَابَةِ، فَإِنَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يَكْتُبُ عَنْهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ مَنْ يَسْبِخُ عَنْهُمْ.

وقال عبد الملك لمؤدِّب ولده: عَلَّمَهُمُ الصَّدَقَ كَمَا تُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، وَجَنَّبَهُمُ السُّفْلَةَ فَإِنَّهُمْ أَسْوَأُ النَّاسِ رِعَةً^(٣) وَأَقْلَهُمُ أَدْبَاءَ، وَجَنَّبَهُمُ الْحَشَمَ فَإِنَّهُمْ لَهُمْ مَفْسَدَةٌ؛ وَأَحْفِ^(٤) شُعُورَهُمْ تَغْلُظْ رِقَابَهُمْ، وَأَطْعِمَهُمُ اللَّحْمَ يَقْوُوا؛ عَلَّمَهُمُ الشَّعَرَ يَمَجِّدُوا وَيَنْجِدُوا، وَمُرَّهُمْ أَنْ يَسْتَاكُوا عَرْضاً وَيَمُصُّوا الْمَاءَ مَصّاً وَلَا يَعْبُوهُ عَبّاً؛ وَإِذَا أَحْتَجَجْتَ إِلَى أَنْ تَتَنَاوَلَهُمْ بِأَدَبٍ فَلْيَكُنْ ذَلِكَ فِي سِتْرٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ

(١) الكرافىء: ج كرفىء، أي القطعة. والخريطة: وعاء من آدم وغيره. والكُماءة: ج كَمْ، وهو نبات كالقلقاس لا ساق له ولا عِرْق لونه إلى الغيرة، يوجد في الربيع تحت الأرض وهو عديم الطعم، وأنواعه كثيرة، يؤكل نيّاً ومطبوخاً. والوُطْبُ: سقاء اللبن وهو جلد الجَدْع، والجمع أوطب وأوطاب.

(٢) ذِفْرَايَ: مثني ذِفْرَى، وهي العظم الشاخص خلف الأذن.

(٣) أسوأ الناس رِعَةً: قليل الورع.

(٤) أحفى الرجل شعره أو شاربه: بالغ في قصه.

من الغاشية^(١) فَيَهْوُونُوا عَلَيْهِ .

وقال آخر لمؤدّب ولده: لا تُخْرِجْهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ حَتَّى يُحْكِمُوهُ،
فَإِنَّ أَصْطِكَ الْعِلْمَ فِي السَّمْعِ وَأَزْدَحَامَهُ فِي الْوَهْمِ مَضَلَّةٌ لِلْفَهْمِ .

وكان لِشُرَيْح^(٢) آبن يَلْعَبُ بِالْكَلابِ، فَكَتَبَ شُرَيْحٌ إِلَى مُعَلِّمِهِ^(٣):

[كامل]

تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلُب ^(٤) يَسْعَى بِهَا	طَلَبَ الْهَرَّاشَ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجْسِ ^(٥)
مِذَا خَلَوْتَ فَعَضُّهُ بِمَلَامَةٍ	وَعِظْنُهُ وَعَظَكَ لِلْأَرِيبِ الْكَيْسِ ^(٦)
وَإِذَا هَمَمْتَ بِضَرْبِهِ فَبِدِرَّةٍ ^(٧)	وَإِذَا بَلَغْتَ بِهَا ثَلَاثًا فَأَحْبِسْ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا فَعَلْتَ فَتَنْفُسُهُ	مَعَ مَا يُجَرِّعُنِي أَعَزُّ الْأَنْفُسِ

[خفيف]

وقال آخر لرجل يلعب بالكلاب:

أَيُّهَا الْمُتَبَتِّلِي بِحَبِّ الْكَلَابِ	لَا يُحِبُّ الْكَلَابَ إِلَّا الْكَلَابُ
لَوْ تَعَرَّيْتَ وَسَطَهَا كُنْتَ مِنْهَا	إِنَّمَا فُقِّتَهَا بَلْبُسُ الثِّيَابِ ^(٨)

(١) الغاشية: الخدم يغشونك والزوار والأصدقاء.

(٢) هو شُرَيْح القاضي وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٥ من ص ٦١ من الجزء الأول من هذا الكتاب فأنظره.

(٣) أي معلم ولد شُرَيْح. وقد وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٥ - ٤٣٦).

(٤) الْأَكْلُب: ج كَلْب.

(٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٥): «يَعْنِي الْهَرَّاشَ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجْسِ». وَالْهَرَّاشُ هُوَ الْخَصَامُ وَالْقِتَالُ. وَالرَّجْسُ: ج رَجَسَ وَهُوَ الْقَدْرُ.

(٦) الْأَرِيبُ: الْمَاهِرُ وَالْمَاعِلُ. وَالْكَيسُ: الظَّرِيفُ الْبَيِّنُ الْكَيَّاسَةُ. وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٤٣٦) هَكَذَا:

فَإِذَا أَتَاكَ فَعَضُّهُ بِمَلَامَةٍ وَعِظْنُهُ مَوْعِظَةُ الْأَدِيبِ الْكَيْسِ

(٧) الدَّرَّةُ: السَّوْطُ يَضْرِبُ بِهِ.

(٨) فِي هَذَا الْبَيْتِ وَهُوَ اخْتِلَافُ حَرَكَةِ الرَّوِيِّ فِي الْإِعْرَابِ. وَلَوْ قَالَ: «لَا يُحِبُّ الْكَلَابَ غَيْرُ الْكَلَابِ» لَخَلَا مِنْ هَذَا الْعَيْبِ.

وقال آخر:

[مقارب]

لَتَبِّكَ أبا أحمدٍ قِرْدَةٌ وَكَلْبٌ هِرَاشٍ وَدِيكَ صَدُوحٌ
وَطَيْرٌ زَجَالٌ وَقُمْرِيَّةٌ^(١) هَتُوقُ الْعَشِيِّ وَكَبْشُ نَطُوحُ

بلغني عن أبي الحسن العُكَلِيِّ عن عبد الله بن بكر بن عبد الله المُزَنِيِّ
قال: سمعت أبي يقول: قال لقمان: ضَرَبُ الْوَالِدِ وَلَدَهُ كَالسَّمَادِ لِلزَّرْعِ.

حدَّثني محمد بن عُبَيْد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن ابن
المبارك عن أسامة بن زيد عن مكحول قال: كتب عمر إلى أهل الشام: عَلِّمُوا
أَوْلَادَكُمْ السَّبَاحَةَ وَالرَّمْيَ وَالْفُرُوسِيَّةَ.

وكانت العرب تُسَمِّي الرجل، إذا كان يَكْتُبُ وَيُحَسِّنُ الرَّمْيَ وَيُحَسِّنُ
الْعُومَ وَهِيَ السَّبَاحَةُ ويقول الشَّعْرَ، الكامل.

البيان

حدَّثني عَبْدَةُ بن عبد الله قال: حدَّثنا يحيى بن آدم عن قيس عن
الأعمش عن عِمارة بن عُمَيْر عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: قال
رسول الله ﷺ: إِنْ مِنْ الْبَيَانِ سِحْرًا فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَ. وقال
العبَّاس: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَ الْجَمَالُ؟ قال: فِي اللِّسَانِ.

وكان يقال: عَقْلُ الرَّجُلِ مَدْفُونٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

وقال يزيد بن المُهَلَّب: أَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ عَقْلُ الرَّجُلِ عَلَى طَرَفِ لِسَانِهِ.

يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ عَقْلُهُ إِلَّا فِي الْكَلَامِ. وقال الشاعر:

[وافر]

(١) الْقُمْرِيَّةُ: ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ.

كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْبًا أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانٌ
وَمَا حُسْنُ الرِّجَالِ لَهُمْ بَزِينٍ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحُسْنَ الْبَيَانَ

وقال خالد بن صفوان لرجل: رحم الله أباك، فإنه كان يَقْرِي الْعَيْنَ
جَمَالًا، وَالْأُذُنَ بَيَانًا. وقال النَّمِرُ^(١) بن تَوَلَّب: [وافر]

أَعِزَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٌّ^(٢) وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجُهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَأَعْصِمَنِي فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجًا^(٣)
وصف أعرابي رجلًا يتكلم فيحسِن فقال: [كامل]

يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ^(٤)

ومثله قولهم: فلانٌ يُجِيدُ الْحَزَّ، وَيُصِيبُ الْمِفْصَلَ؛ وربما قالوا: يُقِلُّ^(٥)
الْحَزَّ.

وقال معاوية في عبد الله بن عباس: [طويل]

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا وَلَمْ يَقِفْ لِعِيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا آتَنَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٢٣٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) الْحَصَرُ: الْعِيٌّ فِي النَّطْقِ؛ يُقَالُ: عِيٌّ فِي الْمَنْطِقِ عِيًّا: حَصَرَ.

(٣) حَاجًا: أَصْلُهَا حَاجَةٌ فَحَذَفَ الْهَاءَ الْمُنْقَلِبَةَ عَنْ تَاءِ التَّائِيثِ لَكِي لَا يَخْتَلُ الْوِزْنَ.

(٤) النَّقَبُ بِسُكُونِ الْقَافِ وَفَتْحِهَا: الْقَطْعُ الْمَتَفَرِّقُ مِنَ الْجَرْبِ، الْوَاحِدَةُ نُقْبَةٌ وَهِيَ أَوَّلُ مَا يَبْدُو مِنَ الْجَرْبِ. وَهَذَا الْعَجْزُ لِدُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ كَمَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ (نَقَب) وَصَدْرُهُ: «مُتَبَدِّلًا، تَبْدُو مُحَابِسُهُ»، وَالْهِنَاءُ: ضَرْبٌ مِنَ الْقُطْرَانِ؛ يُقَالُ: هَذَا الْبَعِيرُ فِيهِ مَهْنُوءَةٌ: طَلَاهُ بِالْهِنَاءِ. وَعَجَزَ هَذَا الْبَيْتُ مَثَلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَوْضِعِهِ فَيَكُونُ مَاهِرًا مَصِيًّا. وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَجِبُ فِيهِ الْكَلَامُ كَالَّذِي يَطْلِي الْإِبِلَ الَّتِي أَصَابَهَا الْجَرْبُ فَيَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ. رَاجِعِ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ (ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٢).

(٥) مَثَلُ يَضْرِبُ فِي الْبَلَاغَةِ، إِذْ شَبَّهُوا الْبَلِيغَ الْمَوْجِزَ الَّذِي يُقِلُّ الْكَلَامَ، وَيُصِيبُ الْفُصُولَ وَالْمَعَانِي، بِالْجَزَارِ الرَّفِيقِ يُقِلُّ حَزَّ اللَّحْمِ وَيُصِيبُ مَفَاصِلَهُ. رَاجِعِ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ ص ٢٦١.

وقال حسان فيه:

[طويل]

إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلاً
شفى وكفى ما في النفوس فلم يدع لذي إِرْيَةٍ^(١) في القول جدّاً ولا هزلاً
سموت إلى العليا بغير مشقة فملت ذراها لا ذنباً ولا وغلاً^(٢)

ويقال: الصمت منام والكلام يقظة. ويقال: خير الكلام ما لم يُحتج بعده إلى الكلام.

ذكر العباس بن الحسن الطالبي رجلاً فقال: ألفاظه قوالب معانيه.
ومدح أعرابي رجلاً فقال: كلامه الوبل على المحل^(٣)، والعذب البارد على الظمأ.

وقال الحطيئة:

[كامل]

وأخذت أقطار الكلام فلم أدع ذمّاً يضُر ولا مديحاً ينفعُ

وكان الحطيئة يقول: إنما شعري حسب موضوع؛ فسمع ذلك عمرو بن عبّيد فقال: كذب، ترّحه^(٤) الله، إنما ذلك التقوى.

قيل لعمرو بن عبّيد: ما البلاغة؟ فقال: ما بلغك الجنة، وعدل بك عن النار؛ قال السائل: ليس هذا أريد؛ قال: فما بصرك مواقع رشدك، وعواقب غيئك؛ قال السائل: ليس هذا أريد؛ قال: من لم يحسن الاستماع لم يحسن القول؛ قال: ليس هذا أريد، قال: قال النبي ﷺ: «إنا معشر الأنبياء بكاء»^(٥)

(١) الإربة: الدهاء والحيلة.

(٢) الوغل: الضعيف النذل الساقط المقصر في الأشياء.

(٣) الوبل: المطر الشديد. والمحل: الجذب.

(٤) ترّحه الله: أحزنه ونقصه.

(٥) بكاء: ج بكىء وهو ما قلّ كلامه خلقه.

وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله، قال: ليس هذا أريد قال: كانوا يخافون من فتنة القول ومن سَقَطَات الكلام ما لا يخافون فتنة السكون ومن سَقَطَات الصَّمْت؛ قال: ليس هذا أريد؛ قال: فكأنك إنما تُريدُ تخيُّرَ اللفظ في حسن إفهام قال: نعم؛ قال: إنك إن أردتَ تقرير حُجَّة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المُستمعين، وتزوين تلك المعاني في قلوب المُريدين، بالألفاظ المُستَحْسَنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبةً في سُرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم، بالمَوْعِظَةِ الحسنة من الكتاب والسُّنة، كُنْتَ قد أُوتِيتَ فَضْلَ الخِطَاب، وَاسْتَوْجِبْتَ على الله جَزِيلَ الثواب.

قال بعضهم: ما رأيت زياداً كاسِراً إحدَى عَيْنِيهِ واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يُخاطب رجلاً إلا رَجِمْتُ المُخَاطَبَ. وقال آخر: ما رأيتُ أحداً يتكلم فيُحسن إلا أَحَبَبْتُ أن يصمت خوفاً من أن يُسيءَ إلا زياداً فإنه كلما زاد زاد حُسْناً، وقال^(١):

وقبلَكَ ما أُعْيِيتُ^(٢) كاسِرَ عَيْنِيهِ زياداً فلم تَقْدِرْ عليَّ حَبَائِلُهُ

قال محمد بن سلام: كان عمرُ بن الخطاب إذا رأى رجلاً يُلْجِج في كلامه قال: : خالِق هذا وخالقَ عَمْرُو بن العاص واحد!.

وتكلم عمرو بن سعيد الأشدق، فقال عبد الملك: لقد رَجَوْتُ عَثْرَتَهُ لَمَّا تَكَلَّمَ، فأحسن حتى خَشِيتُ عَثْرَتَهُ إن سكت.

أبو الحسن قال: قال معاوية لصُحَّار العَبْدِيِّ: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيءٌ تَحِيشُ به صدورنا ثم تَقْذِفُهُ على ألسنتنا؛ فقال رجلٌ من

(١) قائل هذا البيت هو الفرزدق، قاله لجبرير من قصيدة تقع في ٩٣ بيتاً، وقد ورد أبيات منها في العقد الفريد (ج ٤ ص ٤٢٩ - ٤٣٠) يمدح فيها سليمان بن عبد الملك أنظر قصيدته هذه في ديوان الفرزدق ص ٧٤٠ وما بعدها.

(٢) لعل «ما» هنا مصدرية أو زائدة.

القوم: هؤلاء بالبُسر^(١) أبصر، فقال صَحَار: أَجَل، واللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ الرِّيحَ تُلْقِيهِ وَأَنَّ البردَ يُعْقِدُهُ^(٢) وَأَنَّ الْقَمَرَ يَصْبِغُهُ وَأَنَّ الْحَرَ يُنْضِجُهُ؛ فقال معاوية: مَا تَعْدُونَ الْبَلَاغَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ: الْإِيْجَازُ؛ قَالَ: وَمَا الْإِيْجَازُ؟ قَالَ: أَنْ تُجِيبَ فَلَا تُبْطِئَ، وَتَقُولَ فَلَا تُخْطِئَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَنَ الْإِيْجَازِ إِلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ.

أبو الحسن قال: وَقَدْ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَى مَعَاوِيَةَ الشَّامَ، فَقَالَ عَمْرُو ابْنِ الْعَاصِ: إِنَّ الْحَسَنَ رَجُلٌ أَفْهٌ^(٣) فَلَوْ حَمَلْتَهُ عَلَى الْمُنْبَرِ فَتَكَلَّمَ فَسَمِعَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِهِ عَابُوهُ؛ فَأَمَرَهُ فَصَعِدَ الْمُنْبَرِ فَتَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ؛ وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ طَلَبْتُمْ أَبْنَاءَ لَنِيِّكُمْ مَا بَيْنَ جَابِرَسَ إِلَى جَابَلَقَ^(٤) لَمْ تَجِدُوهُ غَيْرِي وَغَيْرَ أَخِي وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى جِينٍ. فسَاءَ ذَلِكَ عَمراً وأراد أَنْ يَقْطَعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ تَنْتَعِ الرُّطْبُ؟^(٥) فَقَالَ: أَجَل، تُلْقِيهِ الشَّمَالُ وَتُخْرِجُهُ الْجَنُوبُ وَيُنْضِجُهُ بَرْدُ اللَّيْلِ بِحَرِّ النَّهَارِ؛ قَالَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، هَلْ تَنْتَعِ الْخِرَاءَةُ؟^(٦) قَالَ: نَعَمْ، تُبْعِدُ الْمَمْشَى فِي الْأَرْضِ الصَّخْصَحَ^(٧) حَتَّى تَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ، وَلَا تَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدِيرُهَا، وَلَا تَسْتَنْجِي بِالرُّوْثَةِ وَلَا الْعَظْمِ، وَلَا تَبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ؛ وَأَخَذَ فِي كَلَامِهِ.

(١) البُسر: التمر قبل إرطابه وذلك إذا لَوْنٌ ولم ينضج.

(٢) يُعْقِدُهُ: يغلظه.

(٣) رجلٌ أَفْهٌ: عَيٌّ؛ يُقَالُ: فِيهِ الرَّجُلُ يَفْهَهُ فَهَامَةً: عَيٌّ.

(٤) جَابِرَسَ: مدينة بأقصى المشرق. وجَابَلَقَ: مدينة بأقصى المغرب.

(٥) الرُّطْبُ: جُ رُطْبَةٍ، وهي نضيج البُسر، وجمع الجمع أرطاب ورطاب.

(٦) الخِرَاءَةُ: التخلي والقعود للحاجة؛ يُقَالُ: خَرَى يَخْرَأُ: تَغَوَّطَ وسلح فهو خَارِيٌّ، واسم السِّلحِ الخُرء، والعامة تقول: الخَرَأَ.

(٧) الصَّخْصَحُ: مَا أَسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ مَعَ الْإِتْسَاعِ.

وكان يقال: كل شيء تَنَيْتَه يَقْصُرُ ما خلا الكلام، فَإِنَّكَ كَلَّمَا ثَنَيْتَهُ طَالَ.
قال الحسن: الرجال ثلاثة: رجلٌ بنفسه، ورجلٌ بلسانه، ورجلٌ بماله.

تَكَلَّمَ صَعْصَعَةُ بنُ صُوحَانَ عند معاوية فَعَرِقَ؛ فقال معاوية: بَهَرَكَ
الْقَوْلُ! فقال صعصعة: إِنَّ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ لِلْمَاءِ.
ويقال: أبلغُ الكلام ما سبق معناه لفظه.

وفي كتاب للهند: أَوَّلُ البلاغة اجتماعُ آلةِ البلاغة، وذلك أن يكون
الخطيبُ رابطَ الجأش^(١)، ساكِنَ الجوارح قليلَ اللَّحْظِ مُتَخَيِّرًا للفظ، لا يُكَلِّمُ
سَيِّدَ الأَمة بكلام الأَمة، ولا الملوك بكلام السُّوقَة، ويكون في قُوَاهُ فَضْلٌ
لِلتَّصَرُّفِ في كلِّ طبقة، ولا يُدَقِّقُ المعاني كلَّ التدقيق، ولا يُنَفِّحُ الألفاظ كلَّ
التنقيح ولا يُصَفِّيهَا كلَّ التَّصْفِيَةِ ولا يُهَذِّبُهَا غَايَةَ التهذيب، ولا يفعل ذلك حتَّى
يُصَادِفَ حَكِيمًا أو فيلسوفًا عليمًا ويكون قد تَعَوَّدَ حَذَفَ فُضُولِ الكلام وإسقاطِ
مُشْتَرَكَاتِ الألفاظ، قد نَظَرَ في صناعة المَنَظِّقِ على جِهَةِ الصناعة والمبالغة لا
على جهة الاعتراض والتصفح.

ونحو هذا قول جعفر بن يحيى البرمكي وقيل له: ما البيان؟ فقال: أن
يكون الاسم يُحِيطُ بمعناك وَيَحْكِي عن مَغْزَاكَ، وتُخْرِجُه من الشركة ولا
تَسْتَعِين عليه بالفِكْرَةَ والذي لا بُدَّ له منه أن يكون سَلِيمًا من التكلُّف، بعيدًا
من الصَّنْعة، بريئًا من التعقُّد، غَنِيًّا عن التأويل.

قال الأصمعي: البليغ مَنْ طَبَّقَ المَفْصِلَ وأغناكَ عن المفسِّر.

(١) الجأش: النفس، وعبرة: فلان رابطُ الجأش أي يربط نفسه عن الفرار لشجاعته، والجمع جُؤُوش.

قال المدائني: كتب قُتَيْبَةُ بن مُسلم إلى الحَجَّاج يشكو قِلَّةَ مَرْزُوقَتِهِ (١) من الطعام وقِلَّةَ غَشِيَانِهِ النِّسَاءَ وَحَصْرَهُ على المِنْبَرِ؛ فكتب إليه: اسْتَكَثِرْ من الألوان لتصيب من كُلِّ صَحْفَةٍ (٢) شَيْئًا، وَأَسْتَكَثِرْ من الطَّرُوقَةِ (٣) تَجِدْ بِذَلِكَ قُوَّةً على ما تُريد، وَأَنْزِلِ النَّاسَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ من أَهْلِ بَيْتِكَ وَخَاصَّتِكَ، وَأَرَمِ بِبَصْرِكَ أَمَامَكَ تَبْلُغَ حَاجَتَكَ.

قال بعض الشعراء:

[بسيط]

إِنْ كَانَ فِي الْعِيِّ آفَاتٌ مُقَدَّرَةٌ فِي الْبَلَاغَةِ آفَاتٌ تُسَاوِيهَا
تَكَلَّمَ رَجُلٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَهَذَرَ (٤)، فَلَمَّا أَطَالَ قَالَ: أَأَسْكُتُ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: وَهَلْ تَكَلَّمْتَ!.

ويقال: أَعْيَا الْعِيَّ بِلَاغَةً بَعِيَّ، وَأَقْبَحُ اللَّحْنُ لَحْنُ بِأَعْرَابٍ.

وقال أعرابي: الْحِطُّ لِلْمَرْءِ فِي أُذُنِهِ، وَالْحِطُّ لغيره فِي لِسَانِهِ (٥).

ويقال: رُبُّ كَلِمَةٍ تَقُول: دَعْنِي.

ويقال: الصَّمْتُ أَبْلَغُ مِنْ عِيٍّ بِبِلَاغَةٍ. ونحوه قول الشاعر: [متقارب]

أَرَى الصَّمْتَ أَذْنَى لِبَعْضِ الصَّوَابِ وَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَذْنَى لِعِيٍّ

وقال جعفر البرمكي: إِذَا كَانَ الْإِكْثَارُ أَبْلَغَ كَانَ الْإِيجَارُ تَقْصِيرًا، وَإِذَا كَانَ الْإِيجَارُ كَافِيًا كَانَ الْإِكْثَارُ عِيًّا.

قال ابن السماك: الْعَرَبُ تَقُول: الْعِيُّ النَّاطِقُ أَعْيَا مِنَ الْعِيِّ الصَّامِتِ.

(١) المَرْزُوقَةُ من الطعام: الإِصَابَةُ مِنْهُ.

(٢) الصُّحُفَةُ: قِصْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْبَسُطَةٌ تُشَبِّعُ الْخَمْسَةَ، وَالْجَمْعُ صَحَافٌ.

(٣) الطَّرُوقَةُ: الْمَرْأَةُ؛ نَاقَةٌ مَطْرُوقَةٌ الْفَحْلَ الَّتِي بَلَغَتْ أَنْ يَضْرِبَهَا الْفَحْلُ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ.

(٤) هَذَرَ فِي كَلَامِهِ: خَلَطَ وَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِي.

(٥) يَرِيدُ أَنْ يَخْطُ الرَّجُلُ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ يَسْمَعُ بِهَا يَقَالُ، وَالْخَطُّ فِي لِسَانِهِ لغيره لِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّمَا الْخَطُّ وَالْفَائِدَةُ فِيهِ لغيره.

قال أنو شروان لبزرجمهر: متى يكون العي بليغاً؟ فقال: إذا وصّف حبيباً.

قال يونس بن حبيب: ليس لعي مُروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو بلغ يافوخه أعنان^(١) السماء. قال بعض الشعراء: [طويل]
عجبت لإدلال العي بنفسه وصمت الذي قد كان بالحق أعلما
وفي الصمت ستر للعي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلما
قال سعيد بن العاص: موطنان لا أستحي من العي فيهما: إذا أنا
خاطبت جاهلاً، وإذا أنا سألت حاجة لنفسي.

ذكر أعرابي رجلاً يعياً فقال: رأيت عورات الناس بين أرجلهم، وعورة فلان بين فكّيه.

وعاب آخر رجلاً فقال: ذاك من يتامى المجلس، أبلغ ما يكون في نفسه أعيما ما يكون عند جلسائه.

قال ربعة الرأي: الساكت بين النائيم والأخرس.

تذاكر قوم فضل الكلام على الصمت وفضل الصمت على الكلام، فقال أبو مسهر: كلا! إن النجم ليس كالقمر، إنك تصف الصمت بالكلام، ولا تصف الكلام بالصمت..

وذم قوم في مجلس سليمان بن عبد الملك الكلام، فقال سليمان: اللهم غفراً، إن من تكلم فأحسن قدر أن يصمت فيحسن؛ وليس من صمت فأحسن قادراً على أن يتكلم فيحسن.

(١) اليافوخ: الموضع الذي يلتقي فيه عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره. وأعنان السماء: نواحيها.

قال بكر بن عبد الله طول الصَّمْتِ حُبْسَةً^(١). ونحوه قول عُمَرُ بن الخطاب: تَرَكَ الحِرْكَهَ عُقْلَه.

وكان نُوْفَلُ بن مُسَاجِقٍ إذا دخل على أمراءه صَمَتَ، وإذا خرج من عندها تَكَلَّمَ؛ فقالت له: أَمَا عندي فَتُطْرِقُ، وأَمَا عند الناس فَتَنْطِقُ! فقال: أَدِقُّ عن جَلِيلِكَ وَتَجَلُّنِي عن دَقِيقِي.

وفي حكمة لقمان: يَا بُنَيَّ، قَدْ نَدِمْتُ على الكلام ولم أُنْدَمْ على السكوت.

قال ابن إسحاق: النَّسْنَسُ خَلْقٌ بِالْيَمَنِ لِأَحَدِهِمْ عَيْنٌ وَيَدٌ وَرَجُلٌ يَقْفِزُ بِهَا، وَأَهْلُ الْيَمَنِ يَصْطَادُونَهُمْ؛ فخرج قومٌ في صيدهم فَرَأَوْا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْهُمْ فَأَذْرَكُوا وَاحِدًا فَعَقَرُوهُ وَذَبَحُوهُ وَتَوَارَى اثْنَانِ فِي الشَّجَرِ، فقال الذي ذَبَحَهُ؛ إِنَّهُ لَسَمِينٌ، فقال أَحَدُ الْاِثْنَيْنِ: إِنَّهُ أَكَلَ ضِرْوًا^(٢)، فأخذه فذبحوه، فقال الذي ذَبَحَهُ: مَا أَنْفَعَ الصَّمْتَ! قال الثالث: فَهَإِنَّا الصَّمَيْتُ فَأَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ.

كان يقال: إِذَا فَاتَكَ الْأَدَبُ فَالْزِمِ الصَّمْتَ.

وقال بعضهم: لَا يَجْتَرِيءُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَائِقٌ أَوْ مَائِقٌ^(٣).

وقال الشاعر يمدح رجلاً:

صَمُوتٌ إِذَا مَا الصَّمْتُ زَيْنَ أَهْلِهِ وَفَتَاؤُ أَبْكَارِ الْكَلَامِ الْمُخْتَمِ^(٤)

[طويل]

(١) الحُبْسَةُ: تعذر الكلام عند إراته، وهي أَسْمٌ من الإحتباس.

(٢) الضِرْوُ: الحبة الخضراء أي البطم وهو شجر كالفتق ثمره حَبٌّ مفرطح في عناقيد كالفلفل ويسمى الأخضر منه بالحبة الخضراء، والواحدة بَطْمَةٌ.

(٣) الفائق: الأديب العالم. والمائق: الهالك خُمَقًا وَغِبَاوَةً.

(٤) هذا البيت لعبد الله بن المبارك يرثي مالك بن أنس كما في العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٢١) والبيت البذي يليه.

وعى ما وعى القرآن من كل حكمةٍ وسيطت له الأدابُ باللحم والدم =

قال أبو الدرداء: أَنْصِفْ أُذُنَيْكَ مِنْ فَيْكِ، فَإِنَّمَا جُعِلَ لَكَ أُذُنَانِ أَتَتَانِ وَفَمٌ وَاحِدٌ، تَسْمَعُ أَكْثَرَ مِمَّا تَقُولُ.

حَضَرَ قُشَيْرِيٌّ مَجْلِسًا مِنْ مَجَالِسِ الْعَرَبِ فَأَطَالَ الصَّمْتَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: بِحَقِّ سُمَيْتِمْ خُرْسَ الْعَرَبِ؛ فَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ: يَا أَخِي، إِنَّ حَظَّ الرَّجُلِ فِي أُذُنِهِ لِنَفْسِهِ، وَحَظُّهُ فِي لِسَانِهِ لْغَيْرِهِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَكْثَرُ الصَّمْتِ مَا لَمْ تَكُنْ مَسْئُولًا فَإِنَّ فَوْتَ الصَّوَابِ أَيْسَرُ مِنْ خَطَلِ الْقَوْلِ: وَإِذَا نَازَعْتَكَ نَفْسُكَ إِلَى مَرَاتِبِ الْقَائِلِينَ الْمُصِيبِينَ، فَادْكُرْ مَا دُونَ الصَّوَابِ مِنْ وَجَلِ الْخَطَأِ وَفَضَائِحِ الْمُقْصِرِينَ.

تَكَلَّمَ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِ الْهَيْثَمِ بْنِ صَالِحٍ بِخَطَأٍ، فَقَالَ لَهُ الْهَيْثَمُ: يَا هَذَا، بِكَلَامٍ مِثْلِكَ رُزِقَ أَهْلُ الصَّمْتِ الْمَحَبَّةَ. وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ: [مَجْزُوءُ الرَّمْلِ]

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِرَامٍ وَأَمْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلَّ حَجَمَ فَاهُ بِلِجَامٍ

وقال آخر: [متقارب]

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا^(١)

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا صَاحِبُ لَنَا عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ كَانَتِ الصُّحُفُ مِنْ عِنْدِنَا لَأَقْلَلْنَا الْكَلَامَ.

= وسيطت: خلطت. ولقد تقدمت ترجمة ابن المبارك في الحاشية رقم ٥ من ص ٢٩٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(١) ورد هذا البيت في ص ٣٣٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

وقال الأصمعي: إذا تظَرَّفَ العربيُّ كَثُرَ كلامه، وإذا تظَرَّفَ الفارسيُّ كَثُرَ سكوته.

قال حاتم طي: إذا كان الشيءُ يَكْفِيكَهُ التُّرْكُ فَاتْرِكْهُ.

قال عبد الله بن الحسن لابنه: استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفْسُكَ إلى القول، فإنَّ للقول ساعاتٍ يضرُّ فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب.

وقال إياس بن قتادة: [طويل]

تَعَاقَبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ^(١)

تكلم ابنُ السَّمَاكِ يوماً وجاريةً له تسمع كلامه، فلما دخل إليها قال: كيف رأيتِ كلامي؟ قالت: ما أحسنَه لولا أَنَّكَ تُكثِرُ تَرَدَّادَه! قال: أَرَدَدَه حتَّى يَفْهَمَه مَنْ لَمْ يَفْهَمَه؛ قالت: إلى أن يَفْهَمَه مَنْ لَمْ يَفْهَمَه قد ملَّه مَنْ فُهِمَه!.

قال عيسى بن مريم: مَنْ كَانَ مَنْطِقُهُ فِي غَيْرِ ذِكْرِ فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ كَانَ نَظْرُهُ فِي غَيْرِ أَعْتَابٍ فَقَدْ سَهَا، وَمَنْ كَانَ صَمْتُهُ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا.

كان العباس بن زُفَيْرٍ لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا حتَّى تَنْبَسِطَ الشَّمْسُ، فإذا أَنْفَتَلَ^(٢) عَنْ صَلَاتِهِ ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ وَقَطَعَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ. وَكَانَ جَرِيرٌ لَا يَتَكَلَّمُ حتَّى تَبْزُغَ الشَّمْسُ، فإذا بَزَغَتْ قَذَفَ الْمُحْصَنَاتَ.

قال قتادة: مكتوب في التَّوْرَةِ: لَا يُعَادُ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ.

قال الزُّهْرِيُّ: إِعَادَةُ الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الصَّخْرِ.

(١) ورد هذا البيت في نهاية الأرب (ج ٦ ص ٦) لمعبد بن علقمة وجاء فيه:

«وتجهل أيدينا» بدلاً من «تعاقب أيدينا»

(٢) إنفتل عن صلاته: إنصرف عنها.

وفي كتب العجم: أن أربعة من الملوك اجتمعوا فقالوا كلهم كلمة واحدة كأنها رمية بسهم: ملك فارس، وملك الهند، وملك الروم، وملك الصين. قال أحدهم: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها. وقال آخر: قد ندمت على ما قلت ولم أندم على ما لم أقل. وقال آخر: أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت. وقال آخر: ما حاجتي إلى أن أتكلم بكلمة، إن وقعت علي ضررتني، وإن لم تقع علي لم تنفعني.

قال زبيد اليامي^(١): أسكتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة: من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يؤبخ نفسه.

وفي كتاب كليله ودمنة: ثلاثة يؤمرون بالسكوت: الراقي في جبل طويل، وآكل السمك، والمروئي^(٢) في الأمر الجسيم. قال بعض الشعراء:

[مخلع البسيط]

قد أفلح السالم الصموت كلام واعى الكلام قوت
ما كل نطقي له جواب جواب ما يكره السكوت
يا عجباً لامرئ ظلوم مستيقن أنه يموت

بلغني عن أبي أسامة عن ابن عون عن الحسن قال: جلسوا عند معاوية فتكلموا وصمت الأحنف؛ فقال معاوية: يا أبا بحر، مالك لا تتكلم؟ قال: أخافكم إن صدقتكم، وأخاف الله إن كذبت.

حدثني محمد بن داود قال: حدثنا الحميدي قال: حدثنا أبو الحکم

(١) هو زبيد بن الحارث بن عبد الكريم بن كعب اليامي نسبة إلى يام بطن من همدان. أنظر تاج العروس، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦ هـ.

(٢) المروئي: من روى في الأمر؛ يقال: روى بالهمزة إذا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل بجواب.

(٣) هو محمد بن أبي العتاهية كما في الأغاني (ج ٣ ص ١٧٠ طبع بولاق) وهو مذكور أيضاً في ديوان والده أبي العتاهية ص ١٤ طبع بيروت.

مَرْوَانُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي دَرَهْمٍ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَنْبُهٍ قَالَ: قَالَ
أَبْنُ عَبَّاسٍ: كَفَى بِكَ ظَالِمًا أَلَّا تَزَالَ مُخَاصِمًا، وَكَفَى بِكَ أَثِمًا أَلَّا تَزَالَ
مُمَارِيًا، وَكَفَى بِكَ كَاذِبًا أَلَّا تَزَالَ مُحَدِّثًا بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى:

وقال بعضهم: [طويل]

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَشْرَةِ بِلْسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَشْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَشْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَشْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ^(١)

سُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْبَلَاغَةِ، فَقَالَ: مَنْ أَخَذَ مَعَانِي كَثِيرَةً فَأَذَاهَا
بِالْفَاظِ قَلِيلَةً، أَوْ أَخَذَ مَعَانِي قَلِيلَةً فَوَلَّدَ فِيهَا أَلْفَاظًا كَثِيرَةً.

بَلَّغَنِي عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُطِيلُ السَّكُوتَ، فِإِذَا
تَكَلَّمَ أَنْبَسَ، فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: لَوْ تَكَلَّمْتَ! فَقَالَ: الْكَلَامُ عَلَى أَرْبَعَةِ
وُجُوهِ، فَمِنْهُ كَلَامٌ تَرْجُو مِنْفَعَتَهُ وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ، فَالْفَضْلُ مِنْهُ السَّلَامَةُ؛ وَمِنْهُ
كَلَامٌ لَا تَرْجُو مِنْفَعَتَهُ وَلَا تَخْشَى عَاقِبَتَهُ، فَأَقْلُ مَالِكٍ فِي تَرْكِهِ خِيفَةُ الْمُؤُونَةِ عَلَى
بَدَنِكَ وَلِسَانِكَ؛ وَمِنْهُ كَلَامٌ لَا تَرْجُو مِنْفَعَتَهُ وَتَخْشَى عَاقِبَتَهُ، وَهَذَا هُوَ الدَّاءُ
الْعُضَالُ؛ وَمِنْ الْكَلَامِ كَلَامٌ تَرْجُو مِنْفَعَتَهُ وَتَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ، فَهَذَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ
نَشْرُهُ؛ قَالَ: فِإِذَا هُوَ قَدْ أَسْقَطَ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكَلَامِ.

الاستدلال بالعين والإشارة والنُصبة^(٢)

يقال: رُبَّ طَرْفٍ أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ. قَالَ أَعْرَابِيٌّ: [بسيط]

إِنْ كَاتَمُونَا الْقَلِيَّ^(٣) نَمَّتْ عَيُونُهُمْ وَالْعَيْنُ تَظْهَرُ مَا فِي الْقَلْبِ أَوْ تَصِفُ

(١) هَذَا الْبَيَانُ لَجَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ دَمَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢

ص ٤٧٣).

(٢) النُّصْبَةُ: الْحَالُ النَّاطِقَةُ بِغَيْرِ الْفَلْظِ وَالْمَشِيرَةُ بِغَيْرِ الْيَدِ.

(٣) الْقَلِيُّ: الْبَغِضُ.

وقال آخر:

[سريع]

إذا قلوبٌ أظهرتُ غيرَ مَا تُضمِّره أنبتكَ عنها العُيونُ^(١)

وقال آخر:

[هزج]

أما تُبصِّرُ في عَيْنَيْي عُنْوَانَ الذي أبدي^(٢)؟

وقال ذو الرُّمَّة:

[طويل]

نَعَمْ هاجَبَ الأطلالُ شَوْقاً كَفَى به من الشَّوقِ إلَّا أَنَّهُ غيرُ ظاهِرٍ
فما زِلْتُ أطوي النفسَ حتَّى كأنَّها بذِي الرَّمْثِ لَمْ تَخْطُرْ على بالِ ذَاكِرٍ
حَيَاءً واشْفاقاً من الرُّكْبِ أن يَرَوْا دليلاً على مُستودَعاتِ الضمائرِ

وقال الحارثيُّ يذكرُ مَيْتاً:

[طويل]

أَتَيْنَاهُ زُوراً فأَمَجَدْنَا قَرِي من البَثِّ والدَّاءِ والدَّخِيلِ المُخَامِرِ^(٣)
وأوسَعْنَا عِلْماً برَدِّ جَوَانِنا فأعْجَبَ به من ناطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ

ومثل هذا قولُ القائل^(٤): سَلِ الأَرْضَ فقل لها: من شَقَّ أنهارَكَ،
وَعَرَسَ أشجارَكَ، وَجَنَى ثِمَارَكَ، فإن تُجِيبِ جَوَاراً^(٥)، أجابَتِكَ أعتباراً، قال أبو
العَتَاهِيَّة:

[هزج]

: وللقَلْبِ على القَلْبِ دليلاً حين يَلْقَاهُ

(١) هذا البيت لابن أمية كما في الجزء الرابع من هذا الكتاب ص ٨٦ والجزء الثالث ص ١١٠، وقبله البيت الآتي.

كم فرحة كانت وكم ترحبة تَحَرَّصَتْهَا لِي فِيكَ الطُّنُونُ
(٢) سيذكر هذا البيت في ص ١١٠ من الجزء الثالث من هذا الكتاب وص ٨٦ من الجزء الرابع.

(٣) أطوي النفس: أضمرها على شيء من حب مية. وذو الرَّمْث: اسم وإد لبني أسد.

(٤) أَمَجَدْنَا: أشفعنا. والبَث: الغم والحزن، وقيل: أشدُّه.

(٥) القائل هو الرقاشي كما في كتاب الصناعتين للعسكري ص ١٥ طبعة الأستانة سنة ١٣١٩ هـ.

(٦) الجوار: من حاوره إذا جاوبه وراجعته في الكلام.

وللناس من الناس مقاييس وأشباه^(١)
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ما شاء
وفي العين غنى للعين أن تنطق أفواه

الشعر

يقال: خير الشعر ما رَوَّكَ نفسه. ويقال: خير الشعر الحَوْلِيّ المنقح
المُحكَّك.

سَمِعَ أعرابيُّ رجلاً يُنشدُ شعراً لنفسه، فقال: كيف تَرَى؟ قال: سَكَّرَ لا
حلاوةَ له. قيل لبعض علماء اللغة؛ أَرَأَيْتَ الشاعرين يجتمعان على المعنى
الواحد في لفظ واحد؟ فقال: عَقُولُ رجالٍ تَوَافَتَ على ألسنتها.

قال بَشَّارٌ يَصِفُ نفسه: [منسرح]

زَوْرُ^(٢) مُلُوكٍ عَلَيْهِ أَبْهَةٌ يُعْرِفُ مِنْ شِعْرِهِ وَمِنْ خُطْبِهِ
لِلَّهِ مَا رَاحَ فِي جَوَانِحِهِ مِنْ لَوْلٍ لَا يُنَامُ عَنْ طَلْبِهِ
يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فِي النَّدِيِّ كَمَا يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبِهِ
تَرْتَوِيهِ إِلَيْهِ الْحُدَّانُ غَادِيَةٌ وَلَا تَمْلُ الْحَدِيثَ مِنْ عَجَبِهِ
تَلْعَابَةٌ^(٣) تَعْكُفُ الْمُلُوكُ بِهِ تَأْخُذُ مِنْ جَنْدِهِ وَمِنْ لَعِبِهِ
يَزْدَحِمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ بِيَابِهِ مُسْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

(١) ورد هذا البيت مع الذي سبقه في العقد الفريد (ج ٤ ص ٢٢٤).

(٢) الزَّوْرُ: الزائر.

(٣) رجلٌ تَلْعَابَةٌ: كثير المزح والمداعبة.

وقال الطائي يذكر الشعر:

[كامل]

إِنَّ الْقَوَافِي وَالْمَسَاعِي لَمْ تَزَلْ مِثْلَ النَّظَامِ إِذَا أَصَابَ فَرِيدَا^(١)
 هِيَ جَوْهَرٌ نَشْرُفُ إِنْ أَلْفَتْهُ بِالشَّعْرِ صَارَ قَلَائِدًا وَعُقُودًا
 مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَتْ الْعَرَبُ الْأَلَى يَدْعُونَ هَذَا سُودْدًا مَجْدُودًا
 وَتَبَدُّ عَنْدهُمْ الْعُلَا إِلَّا عُلاَّ جُعِلَتْ لَهَا مِرْرُ الْقَرِيضِ قِيُودَا^(٢)
 وقال أيضاً:

[طويل]

وَلَمْ أَرْ كَالْمَعْرُوفِ تُدْعَى حُقُوقُهُ مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
 وَإِنَّ الْعُلَا مَا لَمْ تَرَ الشَّعْرَ بَيْنَهَا لِكَالْأَرْضِ غُفْلًا^(٣) لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَيَغْتَدِي لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ وَمَوَاسِمُ
 يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ وَهُوَ فُكَاهَةٌ وَيُقْضَى بِمَا يَقْضِي بِهِ وَهُوَ ظَالِمُ
 وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَهِ الشَّعْرِ مَا دَرَى بُغَاةَ الْعُلَا مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ

وقال عمر بن لجب لبعض الشعراء: أنا أشعرُ منك؛ قال: وَلِمَ ذَاكَ؟
 قال: لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ، وَلَأَنَّكَ تَقُولُ الْبَيْتَ وَأَبْنَ عَمَّهُ.

قيل لعقيل بن علفة: أَلَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ؟ فقال: يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا
 أَحَاطَ بِالْعُتُقِ.

وقال بعضهم: خَيْرُ الشَّعْرِ الْمُطْمِعِ.

قيل لكثير: يَا أَبَا صَخْرَ، كَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا عَسَرَ عَلَيْكَ قَوْلُ الشَّعْرِ؟ قال:

(١) النَّظَامُ: الْخِيطُ الَّذِي يُنْظَمُ بِهِ اللَّوْلُو وَنَحْوُهُ، وَالْجَمْعُ نُظْمٌ. وَفَرِيدَا: أَصْلُ الْقَوْلِ: وَفَرِيدَةٌ، وَقَدْ حَذَفَتْ التَّاءَ لَكِي لَا يَنْكَسِرُ الْوِزْنُ، وَالْفَرِيدَةُ هِيَ الْجَوْهَرَةُ النَّفِيسَةُ، وَهِيَ لَفْظَةٌ تَنْزِلُ مَنْزِلَ الْفَرِيدَةِ مِنَ الْعُقْدِ تَدُلُّ عَلَى عِظَمِ فَصَاحَةِ الْكَلَامِ وَقُوَّتِهِ وَجَزَالَةِ مَنْطِقِهِ وَأَصَالَةِ عَرَبِيَّتِهِ، وَالْجَمْعُ فَرَائِدُ.

(٢) تَبَدُّ: تَنَفَّرَ، وَمِرْرٌ: حِمْزٌ، وَمِرَّةُ الْحَبْلِ: طَاقَتُهُ.

(٣) الْغُفْلُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا لَا عِلَاقَةَ بِهِ.

أطوف بالرباع المُخْلِية^(١) والرياض المُعْشِبة، فيسهل عليّ أرضه ويسرع إليّ أحسنه.

ويقال: إنه لم يُستَدْعَ شاردُ الشعر بمثل الماء الجاري، والشرف العالي، والمكان الخضر الخالي^(٢) أو الحالي.

وقال عبدُ الملك بن مروان لأرطاة بن سُهَيْة: هل تقول الآن شعرا؟ قال: ما أشرب، ولا أطرب، ولا أغضب؛ وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه. وقيل لكثير: ما بقي من شعرك؟ فقال: ماتت عزة فما أطرب، وذهب الشَّبَابُ فما أعجب، ومات ابنُ ليلى فما أرغب - يعني عبدُ العزيز بن مروان - وإنما الشعر بهذه الخلال.

وقيل لبعضهم: من أشعرُ الناس؟ فقال: أمرؤ القيس إذا ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء، فقال: إن لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلِمَ، وأحساباً تمنعنا من أن نُظْلَمَ، وهل رأيتَ بانياً لا يُحسِن أن يَهْدِمَ! .

وقلتُ في وصف الشعر: الشعر مَعْدِنُ عِلْمِ العرب، وسِفْرُ حِكْمِهَا، وديوانُ أخبارها، ومستودعُ أيامها، والسُّورُ المضروب على مآثرها، والخندقُ المحجورُ على مفاخرها، والشاهدُ العدلُ يومَ النَّفَارِ، والحُجَّةُ القاطعةُ عند الخصام؛ ومن لم يَقُمْ عندهم على شرفه وما يدَّعيه لسلفه من المناقب

(١) المُخْلِية: الخالية من السكان؛ يقال: خلت الدار وأخلت.

(٢) الخالي: أي الخالي من الضوضاء. والحالي هو المتحلي بالنور، ومنه قول مالك بن أسماء (طويل).

ولمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلًا طَلَّه النَّدَى أنيقاً وبُستاناً من النُّورِ حاليّاً

أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٢٦٢.

الكريمة والفَعَال الحميد بَيْتٌ منه . شَدَّتْ مَسَاعِيه وإن كانت مشهورة، وَدَرَسَتْ على مُرُور الأَيَّام وإن كانت جَسَاماً؛ ومن قَيَّدَها بقوافي الشعر، وأوثقها بأوزانه، وأشهرها بالبيت النادر، والمَثَلِ السائر، والمعنى اللطيف، أخلدها على الدهر، وأخلصها من الجَحْد، ورفع عنها كَيْدَ العدوِّ وَغَضَّ عَيْنِ الحسود.

وما جاء في الشعر كثير. وقد أفرَدْتُ للشعراء كتاباً، وللشعر باباً طويلاً في كتاب العرب. وذكرت هذه التُّفَّةَ في هذا الكتاب كراهية أن أُخْلِيَهُ من فنِّ من الفنون.

حُسْنُ التَّشْبِيهِ فِي الشِّعْرِ

من ذلك قولُ أَبْنِ الزُّبَيْرِ الأَسَدِيِّ في الثُّرَيَّا: [طويل]
وقد لاح في الغُورِ الثُّرَيَّا كأنما به رايةٌ بيضاء تَخْفُقُ لِلطَّعْنِ^(١)

شَبَّهَ الثُّرَيَّا حين تَدَلَّتْ لِلْمَغِيبِ بِرَايَةٍ بِيضَاءَ خَفَقَتْ لِلطَّعْنِ.

ومن ذلك قولُ عَتَرَةَ في الذُّبَابِ: [كامل]

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِنَارِحٍ هَزَجًا كِفْعَلٍ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ^(٢)
غَرِدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعَلَّ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ^(٣)

شَبَّهَ حَكَّهُ يَدَهُ بِيَدِهِ بَرَجُلٍ مَقْطُوعِ الْكَفَيْنِ يَقْدَحُ النَّارَ بِعُودَيْنِ.

(١) ورد هذا البيت في معاهد التنصيص للعباسي ص ١٨٩ طبع مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ، وفي

الأغانى (ج ١٥ ص ١٦٦ طبعة بولاق): «وقد لاح في الغُور» بدل: «وقد لاح في الغُور».

(٢) الضمير في «بها» يعود على الروضة التي تصدَّى عشرة لوصفها في معلقته. والهزج: المصنوع.

(٣) غَرِدَ: من غَرَدَ الطائرُ إذا رفع صوته في غنائه وطرب. والمُكَبِّ: من أكبَّ على الشيء أي أقبل عليه ولزمه. والأجذم: المقطوع اليد؛ وقيل الذاهب الأنامل.

ومن ذلك قول أعرابي في العنب: [كامل]

يَحْمِلْنَ أَوْعِيَةَ السُّلَافِ كَأَنَّمَا يَحْمِلْنَهَا بِأَكَارِعِ^(١) النَّفْرَانِ
أَوْعِيَةَ السُّلَافِ: العنب، جعله ظرفاً للخمر، وشبهه شَعَبُ العناقيد التي
تَحْمِلُ الحَبَّ بِأَرْجُلِ النَّفْرَانِ.

وقال الآخر، وكان غَشِيَّ عَيْنَيْهِ بِيَاضٌ أَوْ نَزَلَ فِيهِمَا مَاءٌ [طويل]

يَقُولُونَ مَاءً طَيِّبٌ خَانَ عَيْنَهُ وَمَا مَاءٌ سُوءٍ خَانَ عَيْنِي بِطَيْبِ^(٢)
وَلَكِنَّهُ أَزْمَانٌ أَنْظَرُ طَيِّبٌ بَعَيْنِي غُدَافِيٍّ عَلَا فَوْقَ مَرْقَبِ^(٣)
كَأَنَّ ابْنَ جَحْلٍ مَدَّ فَضْلَ جَنَاحِهِ عَلَى مَاءِ إِنْسَانِيهِمَا الْمُتَغَيِّبِ^(٤)
شَبَّهَ مَا عَلَا الْحَدَقَةَ بِجَنَاحِ فَرْخٍ مِنْ فِرَاحِ الزَّنَابِيرِ^(٥) قَدْ مَدَّ عَلَى نَازِرِهِ.

ومن ذلك قول امرئ القيس وذكر العقاب: [طويل]

(١) أَكَارِعُ النَّفْرَانِ: أَرْجُلُهَا، وواحدتها كَرَاعٌ وهو مستدق الساق مذكر ومؤنث، والنفران: ج نَفَرٍ وهو الليل؛ وقيل: طير كالعصافير حمر المناقير، والتصغير نُغَيْرُ وَالْأُنْثَى نُغَيْرَةٌ. وقد ورد هذا البيت في لسان العرب مادة (نفر) لرجل يصف كَرُمَ عنب على الوجه التالي.

يَحْمِلْنَ أَزْقَاقَ الْمُدَامِ كَأَنَّمَا يَحْمِلْنَهَا بِأَظَافِرِ النَّفْرَانِ
وأضاف ابن منظور قائلًا: شبه الشاعر معالق العنب بأظافر النفران.

(٢) الْمَاءُ الطَّيِّبُ: رطوبة غريبة في الثَّقْبِ العيني.

(٣) عَيْنَا غُدَافِيٍّ: عينا غراب؛ يقال: أَسْوَدَ غُدَافِيٍّ إِذَا كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ نُسَبَ إِلَى الْغُدَاقِ (الغراب) والجمع غُدَقَان. والمَرْقَبُ والمَرْقَبَةُ: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب، والجمع مراقب.

(٤) الْجَحْلُ: اليعسوب العظيم، وهو في خَلْقِ الْجَرَادَةِ إِذَا سَقَطَ فَإِنَّهُ لَا يَضُمُّ جَنَاحِيهِ، وَالْجَمْعُ جُحُولٌ وَجُحْلَان. ومعنى هذا البيت والبيت الذي سبقه أن الشاعر، عندما كان صحيح العينين خاليًا من ماء السوء، كان نظره قويًا كنظر الغراب وقد راقب فريسته من مكان عال لينقض عليها، أو كنظر اليعسوب الذي، إذا ما رأى الماء من بعيد، سقط عليه سريعًا لتناوله.

(٥) الزَّنَابِيرُ: ج زُنْبُور ذباب اليمِّ اللبيع.

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(١)
 شَبَّهَ الرُّطْبَ بِالْعُنَابِ، وَالْيَابِسَ بِالْحَشَفِ. وَشَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي بَيْتٍ
 وَاحِدٍ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَوْسَ بْنِ حَجَرَ وَذَكَرَ السِّيفُ: [طويل]
 كَأَنَّ مَدَبَّ النَّمْلِ يَلْتَمِسُ الرُّبَى وَمَدْرَجُ ذَرٍّ^(٢) خَافَ بَرْدًا فَأَسْهَلَ
 شَبَّهَ فِرْنَدَ السِّيفِ^(٣) بِمَدْرَجِ الذَّرِّ وَمَدَبَّ النَّمْلِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي الْبَازِي: [سريع]
 وَمَنْسِيرٌ أَكْلَفَ فِيهِ شَغًا كَأَنَّهُ عَقْدُ ثَمَانِينَا^(٤)
 وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ فِي امْرَأَةٍ: [بسيط]

قَامَتْ تَصَدَّى لَهُ عَمْدًا لَتَقْتُلَهُ فَلَمْ يَرَ النَّاسُ وَجْدًا مِثْلَ مَا وَجَدَا
 بِجِدِّ آدَمَ^(٥) لَمْ تُعْقِدْ قَلَائِدُهُ وَنَاهِدٍ مِثْلَ قَلْبِ الظُّبْيِ مَا نَهَدَا
 فَظَّلَ كَالْحَائِمِ^(٦) الْهَيْمَانِ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ وَلَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ إِنْ وَرَدَا
 شَبَّهَ تَذْيِهَا فِي نُهُودِهِ بِقَلْبِ الظُّبْيِ فِي صَلَابَتِهِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا شَبَّهَ التَّذْيَ
 بِقَلْبِ الظُّبْيِ غَيْرَهُ.

(١) الْعُنَابُ: شَجَرٌ مَعْرُوفٌ، حَبَّةُ كَحْبِ الزَّيْتُونِ فِي شَكْلِهِ. وَالْحَشَقُ: أَزْدَا الثَّمَرِ أَوْ الضَّعِيفِ لَا تَوَى لَهُ، أَوْ الْيَابِسِ الْفَاسِدِ.

(٢) الذَّرُّ: صَغَارُ النَّمْلِ، وَاحِدَةُ ذَرَّةٍ.

(٣) فِرْنَدُ السِّيفِ: جَوْهَرُهُ وَوَشْيُهُ وَهُوَ مَا يَرَى فِيهِ شَبَّهَ غِبَارٍ أَوْ مَدَبَّ نَمْلٍ.

(٤) الشَّغَا: زِيَادَةُ فِي الْمُنْقَارِ الْأَعْلَى عَلَى الْأَسْفَلِ مَعَ تَعَقُّفٍ وَأَنْعَاطٍ، وَلِذَا سُمِّيَتْ الْعُقَابُ بِالشَّغْوَاءِ. وَهَنَا يَشَبُّهُ الشَّاعِرُ مَنْسِيرَ الْبَازِي الَّذِي فِيهِ الشَّغَا بِعَقْدِ ثَمَانِينَ عَلَى طَرِيقَةِ حِسَابِ الْعَرَبِ أَيَّامَ جَاهِلِيَّتِهِمْ، وَصِفَةُ عَقْدِ الثَّمَانِينَ: أَنْ يَجْعَلَ رَأْسَ السَّبَابَةِ عَلَى ظَفَرِ الْإِبْهَامِ. أَنْظَرَ بُلُوغَ الْأَرْبِ فِي أَحْوَالِ الْعَرَبِ ج ٣ ص ٣٩٩.

(٥) يُقَالُ: ظُبْيٌ آدَمٌ إِذَا أَشْرَبَ لَوْنُهُ بَيَاضًا.

(٦) الْحَائِمُ: الْعَطْشَانُ الَّذِي يَحُومُ حَوْلَ الْمَاءِ. وَالْهَيْمَانُ: الْعَطْشَانُ.

ومن ذلك قول جَحْدَر^(١) الْعُكْلِيَّ في امرأة: [طويل]

على قَدَمٍ مكنونة اللونِ رَخْصَةً وكَعْبٍ كَذْفَرَى جُوذِرِ الرَّمْلِ أَذْرَمًا^(٢)
شبه كعبها بأصل أذن الجُوذِرِ، وهو الصغير من أولاد البقر.

ومن ذلك قول حُمَيْد بن ثَوْر^(٣) يصف فرخ القطة: [طويل]

كَأَنَّ على أشداقِهِ نَوْرَ حَنَوَةٍ^(٤) إذا هَوَمَدَ الجَيْدَ منه لِيَطْعَمَ

ومن ذلك قول دِعْبِل^(٥) يهجو امرأة: [متقارب]

كَأَنَّ الثَّالِيلَ في وجهها إذا سَفَرَتْ بِدَدُ الْكِشْمِشِ^(٦)
لها شَعْرٌ قَرْدٍ إذا أَرِئْتِ ووجهٌ كَيْبُضُ الْقَطَا الْأَبْرَشِ^(٧)

ومن ذلك قول أبي نُؤَاس في وصف البط: [رجز]

(١) جَحْدَرُ الْعُكْلِيَّ شاعر من أهل اليمامة، كان في أيام الحجاج بن يوسف يقطع الطريق وينهب الأموال ما بين حَجَرٍ واليمامة وحجر قصة اليمامة. توفي نحو ١٠٠ هـ. الأعلام ج ٢ ص ١١٣.

(٢) مكنونة اللون: بيضاء؛ يقال: كَنَّ الشيء: ابيض. والرَّخْصَةُ: الناعمة واللينة الطرية. والذْفَرَى: العظم الشاخص خلف الأذن. وكَعْبٌ أَذْرَمٌ: مُسْتَوٍ.

(٣) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٨٢ من هذا الجزء.

(٤) الحَنَوَةُ: نبات سهلي طيب الريح.

(٥) في ديوان الحماسة لأبي تمام ص ٦٤٥ - ٦٤٦: أن أبا عبيدة أنشد هذا الشعر لأبي الْعُطْمَشِ الْحَنْفِي.

(٦) الثَّالِيلُ: ج ثُلُؤُلٌ وهو الحبة تظهر في الجلد كالحمصة فما دونها. والبِدْدُ: ج بَدَّةٌ وهي القطعة. والكِشْمِشُ: العنب الصغير.

(٧) الأبرش: ما به بَرَشٌ، والبَرَشُ كالْبَرَصِ وَزُنًا ومعنى.

كَأَنَّمَا يَصْفِرُنْ مِنْ مَلَأَعْق^(١)

ومن ذلك قولُ بعض الرُّجَّاز في جارية سوداء: [رجز]

كَأَنَّهَا وَالْكُخْلُ فِي مِرْوَدِهَا تَكْحُلُ عَيْنِهَا بِيَعَضِ جِلْدِهَا^(٢)

ومن ذلك قولُ الجَعْدِيِّ في فرس: [منسرح]

خَيْطٌ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ^(٣)

يقول هو منتفخُ الجَنِينِ، فكأنه زَفَرُ فأنفخ جنباه ثم خَيْطٌ على ذلك.

ومن ذلك قول الطَّرِمَاح يصف الثَّور: [كامل]

يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

ومن ذلك قول النابغة للنعمان: [طويل]

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ جِلَّتْ أَنْ الْمُتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ

ومن ذلك قوله في المرأة^(٤): [كامل]

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا نَظَرَ الْمَرِيضِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ

يقول: نظرتُ إليك ولم تقدر أن تتكلم، كما ينظر المريضُ إلى وجْهِه عَوَّادِهِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ.

(١) هو صَدْرُ بَيْتٍ عَجْزِهِ:

«صَرَصَرَةُ الْأَقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ»

كما في الشعر والشعراء ص ٧٠١ إذ ورد فيه بأن هذا البيت من مستحسنات شعر أبي نواس في التشبيه. والمهاريق: ج مَهْرَق وهو الصحيفة، فارسي معرَّب.

(٢) الجِرْوَدُ: الجَيْلُ يُكْتَحَلُ بِهِ؛ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَدُورُ فِي الْمَكْحَلَةِ مَرَّةً فِي الْعَيْنِ أُخْرَى. وسيذكر هذا البيت في ص ٤١ من الجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٣) زَفْرَةُ الْفَرَسِ: وسطه؛ يُقَالُ لِلْفَرَسِ إِنَّهُ لِعَظِيمُ الزَّفْرَةِ، أي عَظِيمُ الْجَوْفِ. وَالْهَضَمُ: إِسْتِقَامَةُ الضُّلُوعِ وَدُخُولُ أَعَالِيهَا، وَهِيَ مِنْ عِيُوبِ الْخَيْلِ الَّتِي تَكُونُ خِلْقَةً.

(٤) يريد بالمرأة المتجردة زَوْجَ النِّعْمَانِ.

- ومن ذلك قول طرفة:
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَآ لَطُولٌ^(١) الْمُرْخَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ [طويل]
- ومن ذلك قول بعض الضَّبَّيْن يصف أباريق الشراب: [طويل]
كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشُّمُولِ عَشِيَّةً إَوْزٌ بِأَعْلَى الطَّفِّ عُوجُ الْحَنَاجِرِ^(٢)
- ونحوه قول أبي الهندي^(٣):
سَيُغْنِي أَبَا الْهِنْدِيَّ عَنْ وَطْبٍ سَالِمٍ أَبَارِيقٌ لَمْ يَعْلَقْ بِهَا وَصَرُ الزُّبْدِ^(٤)
مُقَدِّمَةٌ قَرَا كَانَ رِقَابُهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ تَفْرَعُ لِلرَّعْدِ^(٥) [طويل]
- ومن ذلك قول نصيب^(٦) في عبد العزيز بن مروان: [متقارب]
وَكَلْبُكَ آتَسُ بِالْمُعْتَقِينَ^(٧) مِنَ الْأُمِّ بِأَبْتِهَا الزَّائِرَةِ
- ومن ذلك قول عدي^(٨) بن الرِّقَاعِ فِي الطَّبِيَةِ: [كامل]
تُرْجِي أَغْنُ كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمُ أَصَابِ مِنَ الدَّوَاءِ مِدَادُهَا^(٩)

- (١) الطُّولُ: الجبل الطويل تُشَدُّ به قائمة الدابة ويمسك صاحبها بطرفه ويتركها ترعى.
- (٢) أَبَارِيقُ الشُّمُولِ: أباريق الخمر، وسميت بالشمول لأنها تجمع شَمْلَ شاربها أو لأنها تشتمل على العقل فتملكه وتذهب به، أو لأن ريح الشمال أصابتها فَبَرَدَتْ. والأباريق: ج إبريق وهو إناء، فارسي معرَّب. والطَّفُّ: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. والمراد بالحناجر عوج الرقاب. وقائل هذا البيت هو شُبْرَمَةُ الضَّبِّي كما في لسان العرب مادة (برق).
- (٣) أبو الهندي هو عبد المؤمن بن عبد القدوس كما في لسان العرب مادة (وضر).
- (٤) الوُطْبُ: زِقُّ اللبن، وهو هنا زِقُّ الخمر. والوُضْرُ: الدَّسَمُ؛ يقال: وَضَرَ الْإِنَاءُ نَوَضَرُ إِذَا أَتَسَخَ.
- (٥) الإبريق المُقَدِّمُ: الذي على فمه فِدام وهو خُرْقَةٌ مِنْ قَرٍ أو غيره. ونبات الماء: الإوز وما يشابهها من طيور الماء.
- (٦) هو نصيب بن رباح، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٢٩٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
- (٧) الْمُعْتَقُونَ: المحتاجون؛ يقال: إعتقى فلاناً: أتاه يطلب معروفه.
- (٨) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٥٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
- (٩) تُرْجِي: تجري وتسوق وتندفع برفق. والأغْنُ من الطباء: ما في صوته غَنَّةٌ. والرَّوْقُ: القرن.

ومن ذلك قولُ بشار: [طويل]
 كَانَ مُشَارٌ^(١) النَّقْعَ فوق رُؤوسِهِمْ وأَسِيفَانَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 ومن ذلك قولُهُ: [وافر]
 جَفْتُ عَيْنِي عن التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عنها قِصَارُ
 ومن ذلك قولُ الآخر: [طويل]
 ومولِيٌّ كَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وبينه إذا مَا أَلْتَقِينَا ليس مِمَّنْ أَعَابَتْهُ^(٢)
 يقول: لا أَقْدِرُ على النظرِ إليه من بُغْضِهِ، فَكَأَنَّ الشَّمْسَ بَيْنِي وبينه.
 ومن ذلك قولُ الآخر: [بسيط]
 كَأَنَّ نِيرَانَهُمْ في كُلِّ مَنْزِلَةٍ مُصَبَّغَاتٌ على أَرْسَانِ قِصَارٍ^(٣)
 الناس يَسْتَحْسِنُونَ هذا، وَأَنَا أَرَى أن أقول: الْأَوَّلَى أن يُشَبَّهَ الْمُصَبَّغَاتُ -
 بالنيران، لا النيران بالمصَبَّغَاتِ.

الآيات التي لا مِثْلَ لها

حَدَّثَنِي أَبُو الْخَطَّابِ قال: حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ عن لَيْثٍ عن طَاوُسٍ عن أَبِي
 عَبَّاسٍ قال: إِنَّهَا كَلِمَةٌ نَبِيٍّ: [طويل]
 سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ^(٤)

(١) النَّقْعُ: الغبار.

(٢) معنى هذا البيت لا أقدر أن أنظر إليه فكأن الشمس بيني وبينه. ومثل هذا المعنى قول آخر (وافر).

إذا أَبْصَرْتَنِي أُعْرِضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ من قِبَلِي تَدُورُ
 أنظر الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ١١٠.

(٣) الْمُصَبَّغَاتُ: الثياب التي صُبِغَتْ وَلَوُنَتْ بِالصَّبْغِ. وَالْأَرْسَانُ: جِ رَسَنٌ وهو الجبل، والقصارُ: الذي يَحْوِرُ الثيابَ وَيُدْقُهَا بِالْقَصْرَةِ (قطعة من خشب).

(٤) هذا البيت من معلقة طرفة بن العبد، واسمه عمرو بن قيس بن ثعلبة؛ وقيل: إسمه عبيد، =

حَدَّثَنِي الرِّيشِيُّ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَبْرَعُ بَيْتَ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ أَبِي^(١)

ذُؤَيْبٍ

[كامل]

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

وَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْكِبَرِ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ^(٢) الْهَلَالِيِّ: [طويل]

أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتِي بَعْدَ صِحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِيحَ وَتَسْلَمَا^(٣)

وَأَحْسَنُ مَنْ أَبْتَدَأَ مَرِثِيَةَ أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ^(٤) فِي قَوْلِهِ: [منسرح]

أَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَكْرَهِي قَدْ وَقَعَا .

وَأَغْرَبُ مَنْ أَبْتَدَأَ قَصِيدَةَ النَّابِغَةِ فِي قَوْلِهِ: [طويل]

كَلَيْتِي لِيَهْمٌ، يَا أُمَيْمَةَ، نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

حَدَّثَنِي الْخَثْعَمِيُّ الشَّاعِرُ قَالَ: أَحْسَنُ بَيْتٍ قِيلَ فِي الْجُبْنِ قَوْلُ نَهْشَلِ

أَبْنِ حَرْيٍ^(٥): [طويل]

فَلَوْ كَانَ لِي نَفْسَانِ كُنْتُ مُقَاتِلًا بِإِحْدَاهُمَا حَتَّى تَمُوتَ وَأُسْلِمَا

قَالَ: وَبَيْتُ الْمُخْبَلِ فِي قَسَاوَةِ الْقَلْبِ: [بسيط]

= وَلَقَبَ طَرَفَةُ بَيْتَ قَالَهُ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَسْتَرَا الْخَبَرَ تَمَثَّلَ بِعَجَزِ هَذَا الْبَيْتِ؛ قِيلَ: أُنْشِدَ النَّبِيُّ هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ: هَذَا مِنْ كَلَامِ النَّبِوةِ. رَاجِعَ مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ ص ٢٠١-٢٠٢، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ (ج ٥ ص ٢٧١).

(١) هُوَ أَبُو ذُؤَيْبِ الْهَذَلِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ١ مِنْ ص ١٨٠ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَبَيْتُهُ الْمَذْكُورُ مِنْ مَرِثِيَةِ قَالَهَا فِي أَوْلَادِهِ السَّتَّةِ الَّذِينَ مَاتُوا فِي عَامٍ وَاحِدٍ بِمَرَضِ الطَّاعُونِ. وَهَذَا الْبَيْتُ قَالَهُ فِي الْطِفْلِ السَّابِعِ الَّذِي بَقِيَ لَهُ. وَلَقَدْ عُلِّقَ عَلَيْهِ الْأَصْمَعِيُّ بِقَوْلِهِ: هَذَا أَبْدَعَ بَيْتَ قَالَتْهُ الْعَرَبُ. أَنْظَرْ هَذَا الْبَيْتَ وَالْأَبْيَاتَ الَّتِي قَبْلَهُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٣ ص ٢٥٤-٢٥٣).

(٢) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٤ مِنْ ص ٨٢ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٣) سَيَذْكُرُ هَذَا الْبَيْتَ فِي صَفْحَةِ ٣٢١ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٤) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ مِنْ ص ٣٤ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(٥) تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ مِنْ ص ٣٣ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

يُنْكِي عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَاداً مِنَ الْإِبْلِ

قال: وبيت عبيد^(١) في الإستعفاف: [مخلع البسيط]

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ

قال: وبيت منجوف بن مرة السلمي في الإحتفاظ بالمال: [طويل]

وَأَدْفَعُ عَنْ مَالِي الْحَقُوقَ وَإِنَّهُ لَجَمٌّ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ مَصَائِبُهُ

قال: وبيت الحطيئة في إكرام النفس: [طويل]

وَأَكْرِمُ نَفْسِي الْيَوْمَ عَنْ سُوءِ طَعْمَةٍ وَيَقْنَى الْحَيَاءُ الْمَرْءَ وَالرَّمْحُ شَاجِرَةٌ^(٢)

قال: وقول كعب^(٣) في الإقدام: [كامل]

نَصِلُ السِّیُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدُمًا وَنُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

قال: وبيت عمرو^(٤) بن الإطنابة في الصبر: [وافر]

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأْتُ^(٥) وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تُحَمِّدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

وأحسن من هذا عندي قول قطري^(٦): [وافر]

(١) هو عبيد بن الأبرص، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٧٢ من هذا الجزء.
ولقد ذكر هذا البيت في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٨٤ وج ٣ ص ٣٩) كما سيذكر في ص ١٨٨ من الجزء الثالث من كتابنا هذا.

(٢) قَنَى الْحَيَاءُ: لزمه. والبيت من قصيدة يذكر فيها الشاعر الزُّبَيْرِقَانُ بن بدر ويمدح آل شماس.
أنظر ديوان الحطيئة.

(٣) هو كعب بن مالك كما في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٤٠٣) وجاء في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٠) «يوماً» بدل «قُدُمًا».

(٤) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ١٢٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٥) جَشَأَتْ نَفْسُهُ تَجَشَّأُ جُشُوءًا: نهضت وجاشت من حزن أو فزع واثارت للقيء.

(٦) هو قطري بن الفجاءة، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٢٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب. كما مرَّ بيتاه المذكوران في الصفحة المذكورة من الجزء الأول وشُرِّحا في الحاشية رقم ٢ منه.

وَقَوْلِي، كَلِمَا جَشَّاتُ، لِنَفْسِي مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي
قال: وَبَيْتُ مَسْكِينٍ^(١) الدارمي في الجود: [طويل]

طَعَامِي طَعَامُ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ الْغَزَالُ الْمُقْنَعُ
قال: وَفِي حَسَنِ الْجَوَارِ قَوْلُهُ^(٢): [كامل]

نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَإِلَيْهِ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ
مَا ضَرَّ جَارًا لِي أَجَاوِرُهُ إِلَّا يَكُونُ لِإِبَاهِ سِتْرُ

قال: وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ جَمِيلٌ، قال: [طويل]
أَقْلَبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ تَنْظُرُ
وقول الآخر^(٣): [وافر]

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يُلْبِسُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِنَّا، فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي؟
تَرَى وَضَحَ النَّهَارِ كَمَا أَرَاهُ وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي
قال: وَبَيْتَ عَمْرٍو بَنَ كُلْثُومٍ فِي الْجَهْلِ: [وافر]

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهِلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
قال: وَبَيْتُ النَّابِغَةِ فِي تَرْكِ الْإِلْحَاحِ: [كامل]

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٣٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) أي قول الشاعر مسكين الدارمي.

(٣) هو المملوط كما في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٥٤ ويروى فيه صدر البيت الثاني هكذا:

«بَلَى، وَتَرَى السَّمَاءَ كَمَا أَرَاهَا»

وقد تقدمت ترجمة المملوط في الحاشية رقم ٣ من ص ١٤٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

فَاسْتَبَقِ وَدُكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَكُنْ قَتْبًا يَعْصُ بِغَارِبٍ مِلْحَاحًا^(١)

قال: وفي إدراك الثَّارِ قول مُهْلَهْلٍ:

[بسيط]

لَقَدْ قَتَلْتُ بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِمْ حَتَّى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُمْ أَحَدٌ^(٢)

قال: وبيت عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ فِي تَبْلِيغِ الْعَذْرِ فِي الطَّلَبِ:

[طويل]

لِتُبْلِغْ عُدْرًا أَوْ تُفِيدَ غَنِيمَةً وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُدْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

قال: : وبيت جميل في إنفاق المال والتوكل على الله تعالى: [طويل]

كُلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقُكُمْ غَدًا

قال: وفي الشجاعة قول العباس^(٣) بن مَرْدَاسٍ:

[وافر]

أَشَدُّ عَلَى الْكَتِيبَةِ لَا أَبَالِي أَحْتَفِي كَانَ فِيهَا أَمٌ سِوَاهَا

قال: وبيت المِثْلَمَسِ فِي الْمَالِ وَتَثْمِيرِهِ:

[وافر]

قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ فَيَنْقَى وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ عَلَى الْفَسَادِ

وَأَخْبَرَنَا دَعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّاعِرُ قَالَ: أَهْجِي بَيْتَ قَيْلٍ قَوْلَ الطَّرْمَاحِ^(٤) فِي

تَمِيمٍ:

[طويل]

تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللَّوْمِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَ طُرُقَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

(١) الْقَتْبُ: رَحْلٌ صَغِيرٌ عَلَى قَدْرِ السَّامِ، وَالسَّامُ حَدْبَةٌ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ. وَالْغَارِبُ: مَا بَيْنَ السَّامِ. وَفِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ لِلزَّمَخْشَرِيِّ فِي مَادَّةِ (قَتْبُ): «وَمِنْ الْمَجَازِ قَوْلُهُمْ لِلْمَلْحِ: هُوَ قَتْبٌ يَعْصُ بِالْغَارِبِ، وَقَتْبٌ: مِلْحَاحٌ» ثُمَّ سَاقَ بَيْتَ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِيِّ مَسْتَشْهِدًا بِهِ عَلَى ذَلِكَ.

(٢) وَرَدَ هَذَا الْبَيْتُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٥ ص ٢٢٠) وَالْبَيْتُ الَّذِي يَلِيهِ هُوَ: أَلَيْتُ بِاللَّهِ لَا أَرْضَى بِقَتْلِهِمْ حَتَّى أَبْهَرَجَ بِكَرٍّ أَيْنَمَا وَجَدُوا

(٣) تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٥ مِنْ ص ٢٩٢ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(٤) وَرَدَ بَيْتُ الطَّرْمَاحِ مَعَ بَيْتَيْنِ آخَرَيْنِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ١٤٥) وَالْبَيْتُ التَّالِي هُوَ:

وَلَوْ أَنَّ بُرْعُوئًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ رَأَتْهُ تَمِيمٌ يَوْمَ رَحْفٍ لَوَلَّتْ

قال؛ وكذلك قول الأخطل:

[بسيط]

قومٌ إذا استنبَحَ الأضيافَ كَلَبَهُمْ قالوا لأُمَّهُم بُؤلي على النار^(١)

قال: وكذلك قول الحطيئة للزُّبَيْرِ قَان^(٢) في قَصَرِ الهِمَّةِ:

[بسيط]

دَعِ المَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِيُغَيِّتَهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي^(٣)

قال غيره: وقول الطَّرِمَاحِ فِي الْقِلَّةِ والخُمُولِ:

[بسيط]

لو كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ

ونحوه قول الآخر^(٤):

[مقارب]

وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلِّحِ الحُوَا رِ لَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ^(٥)

(١) ذكر ابن رشيق هذا البيت في العمدة (ج ٢ ص ١٧٥) وقال: «ويقال: إن أحمي بيت قاله شاعرٌ قول الأخطل في بني يربوع رهط جرير» وذكر البيت وأضاف قائلاً: «لأنه قد جمع فيه ضرورياً من الهجاء، فنسبهم إلى البخل بوقود النار لئلا يهتدي بها الضيفان، ثم البخل بإيقادها إلى السائرين والسابلة، ورماهم بالبخل بالحطب، وأخبر عن قتلها وأن بؤلة تطفئها، وجعلها بؤلة عجوز، وهي أقل من بؤلة الشابة. . .».

(٢) يروي ابن رشيق في العمدة (ج ٢ ص ١٧٠) أن عمر بن الخطاب لما أطلق الحطيئة من حبسه إياه بسبب هجائه الزُّبَيْرَانَ بن بدر قال له: إياك والهجاء المُقْدَع.

(٣) ورد هذا البيت في صحيفة ٢٣٦ من الجزء الأول من هذا الكتاب فأنظره مشروحاً هناك. كما وردت ترجمة الحطيئة في الحاشية رقم ١ من نفس الصفحة من الجزء الأول.

(٤) الشاعر هو الأشعر الرقبان الأسدي كما في المؤلف والمختلف ص ٤٧ و ١٣٣ ومعجم الشعراء ص ١٢٠. وأسمه عمرو بن حارثة بن ناشب بن سلامة بن الحارث بن دودان بن أسد. شاعر جاهلي خبيث.

(٥) المليخ من اللحم: الذي لا طعم له، والمليخ من الإبل الذي يلقح وهو كالعياياء الذي لا يحسن الضراب. والحَوَا: ولد الناقة ساعة تضعه. لا أنت حلُوٌّ ولا أنت مُرٌّ: أي لا يوجد لك طعم. وقد ذكر هذا البيت في الجزء الثالث من هذا الكتاب ص ٢٦٩. وهذا البيت من جملة أبيات قالها الشاعر يخاطب رجلاً أسمه رضوان الأسدي كان نزل عنده فلم يُقره. كما ورد في المؤلف والمختلف للأمدي ص ٤٧ و ١٣٣، ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٠، ولسان العرب مادة (مسخ) نذكر منها:

وقد علم المعشر الطارقوك بأنك للضيف جُوعٌ وقُرٌّ =

[وافر]

وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمَا الْعَبِيدُ
وَلَا يُسْتَاذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ^(١)

وكذلك قول جرير في التيم^(١):
وَأَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَبِيدَ تَيْمٍ
وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ

[بسيط]

فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

وأحسن ما قيل في الهية:
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ

وأغرب ما قيل في مصلوب قول محمد بن أبي حمزة مؤلفي

[طويل]

طَوِيلُ تَعْقِيكَ الرِّيحَ مَعَ الْقَطْرِ
وَعُوفِيَتِ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ
وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرٍ؟

الأنصار:
لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَدَّبٍ^(٢)
لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُرَّرًا^(٣)
وَأَفْلَتَ مِنْ ضَيْقِ الثَّرَابِ وَغَمِّهِ

[مقارب]

وَأَنَّكَ بَحْرٌ جَوَادٌ خِضَمٌ

وأغرب ما قيل في مجوسي قول أعرابي:
شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْمُشَاشِ^(٤)

= إذا ما أنتدى القوم لم يأتهم
كإنك قد ولدتك الحُمُرُ
وجاء في اللسان مادة (مسخ):

مَسِيخٌ مَلِيخٌ الْحُورُ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌ
وفي المثل: هو أَمَسَخَ مِنْ لَحْمِ الْحُورِ أَي لَا طَعْمَ لَهُ.
(١) التيم: المستعبد؛ يقال: تيم الله أي عبد الله.

(٢) ورد البيتان في ديوان جرير ص ٣٣٢ ضمن قصيدة طويلة من ٧٧ بيتاً ومطلعها:
أَلَا زَارَتْ وَأَهْلُ بَيْتِي هُجُودٌ وَلَيْتَ خِيَالَهَا بِمَنْىَ يَعُودُ
وفي الأغاني (ج ٧ ص ١٧٧ طبعة بولاق) عزا الأصفهاني البيت الأول مع بيت آخر من
القصيدة إلى الأخطل.

(٣) جذعٌ مُشَدَّبٌ: مقشّر مما عليه من الشوك.

(٤) مُرَّرًا: كريم يصيب الناس خيره.

(٥) قال الزمخشري في أساس البلاغة مادة (مشش): «ومن المجاز: فلان طيب المُشَاش، وإنه
لَكَرِيمُ الْمُشَاشِ إِذَا كَانَ بَرًّا».

وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْجَحِيمِ إِذَا مَا تَرَدَّدْتَ فِيمَنْ ظَلَمَ

وَمَنْ أَغْرَبَ مَا قِيلَ فِي دَعْيٍ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ

البنوي :

[بسيط]

لَوْ أَنَّ مَوْتِي تَمِيمٌ كُلُّهَا نُشِرُوا وَأَثْبَتُوكَ لَقِيلَ الْأَمْرُ مَصْنُوعٌ

مِثْلَ الْجَدِيدِ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقٍ تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الشُّوبَ مَرْقُوعٌ

ونحوه قول الآخر :

[طويل]

أَجَارَتْنَا بَنَاتُ الْخَلِيطِ^(١) فَأَبْشِرِي فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ يَبِينَ خَلِيطُ

أَعَاتِبُهُ فِي عَرْضِهِ لِيَصُونَهُ وَلَا عِلْمَ لِي أَنَّ الْأَمِيرَ لَقِيطُ^(٢)

ونحوه قول دُعْبَلٍ^(٣) فِي مَالِكِ بْنِ طَوُوقٍ :

[بسيط]

النَّاسُ كُلُّهُمْ يُسْعَى لِحَاجَتِهِ مَا بَيْنَ ذِي فَرْحٍ مِنْهُمْ وَمَهْمُومٍ

وَمَالِكَ ظَلَّ مُشْغُولًا بِنَسَبَتِهِ يَرْمُ^(٤) مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ

يَبْنِي بَيْوتًا خَرَابًا لَا أُنِيسَ بِهَا مَا بَيْنَ طَوُوقٍ إِلَى عَمْرُو بْنِ كُثُومٍ

الْتَلُطُّفُ فِي الْكَلَامِ وَالْجَوَابِ وَحَسَنُ التَّعْرِيفِ

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : تَرَكَ عَقِيلٌ عَلِيًّا وَذَهَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ ؛

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، مَا ظَنُّكُمْ بِرَجُلٍ لَمْ يَصْلُحْ لِأَخِيهِ ؟ فَقَالَ عَقِيلٌ : يَا

(١) الخليط : القوم الذين أمرهم واحد ، وابن العم .

(٢) اللقيط : اسم لما يُطْرَحُ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَغَارِ بَنِي آدَمَ فَرَارًا مِنْ تَهْمَةِ الزُّنَا أَوْ خَوْفًا مِنَ الْعَبَلَةِ .

(٣) هُوَ دُعْبَلُ الْخَزَاعِيِّ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَرْجَمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٧ مِنْ ص ٥١ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ .

(٤) رَمَ الْحَائِطَ وَغَيْرَهُ : أَصْلَحَهُ .

أهل الشام، إِنَّ أَخِي خَيْرٌ لِنَفْسِهِ وَشَرٌّ لِي، وَإِنْ مُعَاوِيَةُ شَرٌّ لِنَفْسِهِ وَخَيْرٌ لِي. قال: وقال مُعَاوِيَةُ يوماً: يَا أَهْلَ الشَّامِ، إِنَّ عَمَّ هَذَا أَبُو لَهَبٍ؛ فقال عَقِيلٌ: يَا أَهْلَ الشَّامِ، إِنَّ عَمَّةَ هَذَا حَمَّالَةُ الْحَطَبِ؛ وكانت أُمُّ جَمِيلٍ أَمْرَأَةً أَبِي لَهَبٍ وَهِيَ بِنْتُ حَرْبٍ.

وَحَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ لِقَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ: مَا تَقُولُ فِيَّ وَفِي الْحُسَيْنِ؟ فَقَالَ: أَغْفِي أَعْفَاكَ اللَّهُ! فَقَالَ: لَتَقُولَنَّ؛ قَالَ: يَجِيءُ أَبُوهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَشْفَعُ لَهُ، وَيَجِيءُ أَبُوكَ فَيَشْفَعُ لَكَ؛ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ غَشَّكَ وَخُبُّكَ، لَنْ فَارَقْتَنِي يَوْمًا لِأَصْنَعَنَّ بِالْأَرْضِ أَكْثَرَ شَعْرًا.

قِيلَ لِمَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ: كَيْفَ رِضَاكَ عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى^(١)؟ قَالَ: نَعَمْ الْمَرْءُ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ.

مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالنَّبِيِّانِ وَفِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، فَفَرَّوْا وَوَقَفَ؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا لَكَ لَمْ تَفِرَّ مَعَ أَصْحَابِكَ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَمْ أَجْرِمُ فَأَخَافُكَ، وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّرِيقِ ضَيْقٌ فَأَوْسَعَ لَكَ.

حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَنْصُورٍ عَنْ زِيَادِ كَاتِبِ الْبَرَامِكَةِ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ أَمْرَهُ بِعَمَلٍ: إِحْذَرُ أَنْ تُخْطِئَ فَأَعَاقِبَكَ بِكَذَا. (لَأَمْرٍ عَظِيمٍ) قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، مَنْ كَانَتْ هَذِهِ عَقُوبَتُهُ عَلَى الْخَطَا فَمَا ثَوَابُهُ عَلَى الْإِصَابَةِ!.

رَأَى رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلًا لَهُ هَيْئَةٌ رَثَّةٌ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: مِنْ تَغْلِبٍ، فَوَقَفَ لَهُ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقَالَ لَهُ: أَرَى رَجُلَيْنِ قَلَّمَا وَطَّئَا الْبَطْحَاءَ؛ فَقَالَ

(١) عبد الأعلى هذا هو ابن ميمون أخو عمرو.

له: البطحاوات ثلاث: بطحاء الجزيرة^(١)، وهي لي دونك؛ وبطحاء ذي قار^(٢)، وأنا أحقُّ بها منك؛ وهذه البطحاء^(٣) وسواء العاكف فيه والبادي.

حدَّثني سَهْل عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أو غيره: أن مُعاوية عَرَضَ فرساً على عبد الرحمن بن حَسَّان فقال: كيف تراه؟ قال: أراه أَجَشُّ هَزِيمًا^(٤)، يريد قول النجاشي^(٥): [طويل]

وَفَجَى أَبَنَ حَرْبٍ سَابِحٌ ذُو عُلَالَةٍ أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرَّمَاخُ دَوَانِي

حدَّثني محمد بن عبد العزيز قال:؛ حدَّثنا أبو سَلَمَةَ عن حَمَّاد بن سلمة قال: أَخْبَرَنَا داود بن أبي هند عن محمد بن عَبَّاد المَخْزُومِي أن قريشاً قالت: قَيِّضُوا^(٦) لأبي بكر رجلاً يأخذه، فَيَقِضُوا له طَلْحَةَ بن عُبيد الله؛ فأتاه وهو في القوم فقال: يا أبا بكر، قم إليّ؛ قال: إلَّامَ تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللَّاتِ والعُزَّى^(٧)؛ قال أبو بكر: من اللَّات؟ قال بناتُ الله، قال: فمن أَمَهم؟ فسكت طلحة وقال لأصحابه: أجيئوا صاحبكم، فسكتوا؛ فقال طلحة: قم يا

(١) الجزيرة هي التي بين دجلة والفرات.

(٢) بطحاء ذي قار: موضع قريب من ذي قار، فيه كانت الوقعة المشهورة بين العجم والعرب وكان النصر فيها لجانب العرب.

(٣) يريد بطحاء مكة.

(٤) الهزيم من الخيل: الشديد الصوت.

(٥) أنظر ترجمته وبيته المذكور الذي شرح مفصلاً من الجزء الأول من هذا الكتاب ص ١٦٣، الحاشيتان ٦ و ٧.

(٦) قَيِّضُوا له: هَيَّئُوا وأَتَخَبَّوْا له.

(٧) اللَّاتُ والعُزَّى: من أصنام عرب الجاهلية؛ كان الأول بالطائف لثقيف، مبنياً على صخرة هدمه خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة. والعُزَّى كان عبارة عن شجرة، عندها وَثْنٌ، يعبدها غَطَفَان، وكانت قريش تعظمها، فقطع خالد بن الوليد الشجرة وهدم البيت وكسر الوثن. راجع جمهرة أنساب العرب ص ٤٩١.

أبا بكر، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله؛ فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي ﷺ فأسلم.

حدّثني محمد بن عُبَيْد عن مُعاوية عن أبي إسحاق عن عُبَيْد الله بن عمر أن عمر قال: من يُخبرنا عن قَنْدَائِيل^(١)؟ فقال رجل: يا أمير المؤمنين، ماؤها وَشَلٌ^(٢)، وَتَمْرُهَا دَقْلٌ^(٣)، وَلِصْبُهَا بَطْلٌ؛ إن كان بها الكثيرُ جاعوا، وإن كان بها القليلُ ضاعوا؛ قال عمر: لا يسألني الله عن أحدٍ بَعَثْتُهُ إليها أبداً.

حدّثني أبو حاتم قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: مَرِضَ زِيَادٌ فدخل عليه شُرَيْحٌ، فلما خرج بعث إليه مسروق بن الأجدع يسأله: كيف تركتَ الأمير؟ قال: تركتهُ يَأْمُرُ وَيَنْهِي، فقال مسروق: إن شريحاً صاحبُ تعريض فسألوه فسألوه؛ قال: تركته يَأْمُرُ بِالْوَصِيَّةِ وَيَنْهِي عَنِ الْبُكَاءِ. وماتَ ابْنُ لَشُرَيْحٍ ولم يشعرُ به أحدٌ، فغدا عليه قوم يسألون به، وقالوا: كيف أصبحَ مَنْ تَصِلُ يا أبا أمية؟ فقال: الآن سكن عِلْزُهُ^(٤) ورجاه أهله.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثني بعض الأعراب قال: هَوِيَ رجلٌ امرأةً ثم تزوّجها، فأهدى إليها ثلاثين شاةً وزقاً من خَمَرٍ، فشرب الرسولُ في الطريق بعض الخمر وذبح شاةً؛ فقالت للرسول لِمَا أراد الانصراف: اقرأ على مولاك السلام، وقل له إن شَهْرَنا نَقَصَ يوماً، وإنَّ سُحَيْمًا راعِي شائِنَا أَتَانَا

(١) قَنْدَائِيل: مدينة بالسُّند، وهي قصبة لولاية يقال لها الندهة كانت فيها وقعة لهلال بن أخوَز

المازني على آل المهلب. معجم البلدان ومعجم ما استعجم للبكري.

(٢) الْوَشَلُ: الماء القليل والكثير ضدّ. والمراد هنا الماء القليل.

(٣) الدَّقْلُ: أردأ التمر.

(٤) الْعِلْزُ: القلق والكرب عند الموت.

مرثوماً^(١). فلما أتى مولاه فأخبره ضربه حتى أقرّ.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: خَطَبَ أعرابي إلى قوم، فقالوا: ما تبذل مِنَ الصَّدَاقِ؟ وأرتفع السَّجْفُ^(٢) فرأى شيئاً كَرِهَهُ، فقال والله ما عندي نَقْدٌ، وإنِّي لأكره أن يكون عليّ دَيْنٌ.

حدّثني عبد الرحمن عن الأصمعي قال: قال سَلَمُ بن قُتَيْبَةَ للشَّعْبِيِّ: ما تشتهي؟ قال: أعزُّ مفقود، وأهونُ موجود؛ قال: يا غلام، إسقه ماء.

المدائني قال: كان لابن عَوْنٍ ابْنُ عَمٍّ يُؤْذِيهِ، وَلَاحَاهُ^(٣) يوماً فقال له آبن عون لَمَّا بلغ منه: لَتَسْكُتَنَّ أو لَأَشْتَمَنَّ مُسَيِّلِمَةً. فشهد بعد ذلك عند عُبيد الله ابن الحسن، فردَّ شهادته.

المدائني: قال المغيرة بن شُعْبَةَ: ما خَدَعَنِي أَحَدٌ قَطُّ غير غلام من بلحارث بن كعب، فإني ذَكَرْتُ امرأةَ منهم، فقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها، إني رأيت رجلاً قد خلا لها يَقبُلُها، ثم بلغني بعدُ أنه تزَوَّجها، فأرسلت إليه فقلت: ألم تعلمني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ فقال: بلى! رأيت أباهَا يقبلُها.

قال المدائني: أتى شُريحاً القاضي قومٌ برجل، فقالوا: إن هذا خَطَبَ إلينا: فسألناه عن حرفته فقال: أبيع الدوابَّ؛ فلما زَوَّجناه، فإذا هو يبيع السنانير؛ قال: أفلا قلتُم أيَّ الدوابِّ تبيع! وأجاز ذلك.

المدائني قال: دخل رجل على عيسى بن موسى وعنده آبن شُبْرُمَةَ،

(١) مَرْتُومٌ: مكسور؛ يقال: رُثِمَ أنفُ فلان أو فوه إذا كُسِرَ حتى تقطر بالدم.

(٢) السَّجْفُ بفتح السين وكسرها: السَّتر.

(٣) لاحاه: نازعه.

فقال له: أتعرفه؟ وكان رُمي عنده بريبة قال: نعم، إِنَّ له بيتاً وشرفاً وقَدَمًا، فخلّى سبيله فلما خرج قال له أصحابه: أعرَفْتُهُ؟ قال: لا، ولكني أعلم أَنَّ له بيتاً يأوي إليه، وشرفه أذناه ومَنْكِباه، وقَدَمه هي قدمه التي يمشي عليها.

المدائني قال: سئل الشعبي عن رجل، فقال: إنه لنافذ الطَّعنة، رَكِين القَعْدَة، يعني أنه خَيَّاط فأتوه فقالوا: غَرَرْتَنَا؛ فقال: ما فعلت! وإنه لَكَمَا وصفت.

المدائني قال: أُتِيَ العُريَانُ بن الهيثم بشابٍّ سَكَران، فقال له: من أنت؟ فقال^(١):

أنا آبنُ الذي لا ينزلُ الدهرَ قِدرُهُ وإنْ نَزَلَتْ يوماً فسوف تعودُ
تري الناسَ أفواجاً إلى ضَوْءِ نارِهِ فمنهم قِيامٌ حولَهَا وقُعودُ
فظنَّ أنه من بعضِ أشراف الكوفة فخلَّاه، ثم نديم على ألا يكون سألَهُ
مَنْ هو، فقال لبعضِ الشُّرَط: سَلْ عن هذا، فسأل، فقالوا: هو آبنُ يِّباعِ
الباقلي.

دخل حارثَةُ بن بدر الغُدَّاني على زياد، وكان حارثة صاحب شرابٍ
وبوجهه أثر، فقال له زياد: ما هذا الأثر يوجهك؟ فقال حارثة: أصلح الله
الأمير، رَكِبْتُ فرساً لي أشقرَ فَحَمَلَنِي حتى صَدَمَ بين الحائط، فقال زياد: أَمَا
إِنَّكَ لو رَكِبْتَ الأشهبَ لم يُصِيبْكَ مكروه؛ عَنَى زيادُ اللَّبَنَ، وعنى حارثَةُ
النبيذ.

(١) ورد هذا القول مع البيتين في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٦) والتاء في «نَزَلَتْ» تعود على القِدر، لأن القدر مؤنث، وهي إناء يطبخ فيه. وهنا يفتخر قائل البيتين بكرم أهله. ومعنى البيت الأول: إن قِدرهم لا ينزل عن النار لحظة واحدة، وإذا ما نزلت عن النار فإنها ستعود في اليوم التالي لتقوم بواجبها تجاه الضيفان.

قعد قوم على نبذ فسَقَطَ دُبابٌ في قَدَحٍ أحدهم، فقال رجل منهم: غُطُّ التَّمِيمِي، فقال آخر: غُطُّهُ فَإِنْ كَانَ تَمِيمِيًّا رَسَبَ، وَإِنْ كَانَ أُرْدِيًّا طَفَا؛ قَالَ رَبُّ الْمَنْزَلِ: مَا يَسْرُنِي أَنَّهُ كَانَ قَالَ بَعْضُكُمْ حَرْفًا. وَإِنَّمَا عَنِيَ أَنَّ أُرْدَ عُمَانَ مَلَّاحُونَ..

المدائني قال: رأى رجل في يد امرأة كانت تأتيه خاتَمَ ذهب، فقال لها: إُدْفِعِي إِلَيَّ خَاتَمَكَ أَذْكُرْكَ بِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ ذَهَبٌ، وَأَخَافُ أَنْ تَذْهَبَ، وَلَكِنْ خُذْ هَذَا الْعُودَ لَعَلَّكَ تَعُودُ.

حَدَّثَنِي الزِّيَادِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ مُرْدِفًا أَبَا بَكْرٍ شَيْخًا يُعْرَفُ، وَرَسُولُ اللَّهِ شَابٌّ لَا يُعْرَفُ، فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فيقول: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فيقول: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ؛ فَيَحْسِبُ السَّامِعُ أَنَّهُ يَهْدِيهِ الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الْخَيْرِ.

كَانَ سِنَانٌ^(١) بَنَ مُكَّمَلِ النَّمِيرِيِّ يُشَايِرُ أَبْنَ هُبَيْرَةَ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى بَغْلَةٍ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ: غَضُّ مِنْ بَغْلَتِكَ؛ قَالَ: كَلَّا! إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ. أَرَادَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَوْلَ الشَّاعِرِ^(٢):
[وَأَفَر]

(١) فِي نَهَايَةِ الْأَرْبِ (ج ٣ ص ١٦١): «أَيُّوبُ بْنُ ظَبْيَانَ النَّمِيرِيُّ» بَدَلَ «سِنَانُ بْنُ مُكَّمَلِ النَّمِيرِيِّ».

(٢) الشَّاعِرُ هُوَ جَرِيرٌ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي ص ٨٥ مِنَ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ؛ وَكَمَا ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ ص ٤٦٨) حَيْثُ قَالَ: «وَكَانَ سِنَانُ بْنُ مُكَّمَلِ النَّمِيرِيِّ يَسَايِرُ عَمْرُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْغَزَارِيَّ يَوْمًا عَلَى بَغْلَةٍ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ: غَضُّ مِنْ عَنَانِ بَغْلَتِكَ؛ فَقَالَ: إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ، أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ، أَرَادَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَوْلَ جَرِيرٍ. وَذَكَرَ الْبَيْتَ.

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَ كَغَباً بَلَّغْتَ وَلَا كَلَاباً^(١)

وأراد سنان قول الآخر^(٢): [بسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيّاً خَلَوْتَ بِهِ عَلَى قُلُوصِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ^(٣)

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: قال معاوية للأحنف: يا أحنف، ما الشيء المملّف في الجّاد^(٤)؟ فقال: هو السّخينة^(٥) يا أمير المؤمنين. أراد معاوية قول الشاعر:

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءَ بِزَادٍ
بِخُبْزٍ أَوْ بِتَمَرٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوِ الشَّيْءِ الْمَلْفُفِ فِي الْجَادِ^(٦)

(١) سيرد هذا البيت في ص ٨٥ من لجزء الرابع من هذا الكتاب.

(٢) الشاعر هو سالم بن دارة كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣١٥ ونهاية الأرب (ج ٣ ص ١٦٢) وقال الأمازي في المختلّف والمؤتلف ص ١١٦: هو سالم بن مسافع بن يربوع بن غطفان، ويربوع هو دارة، سمي بذلك لأنه كان جميلاً فشبهه بدارة القمر. وقيل: دارة أمه وهي امرأة من بني أسد سُميت بذلك لأنها كانت جميلة فشبهها بدارة القمر، ولأن سالمًا يقول (بسيط).

أَنَا أَبْنَى دَارَةً مَعْرُوفاً بِهَا نَسَبِي وَهَلْ بَدَارَةٌ بِأَنَّ لِنَاسٍ مِنْ عَارٍ؟
وهذا البيت من نفس القصيدة التي ينتمي إليها بيت ابن دارة المذكور.

(٣) الْقُلُوصُ: الناقة الشابة بمنزلة الجارة من النساء أو الناقة الطويلة القوائم، والجمع قلائص وقُلُص. وهنا يشير ابن دارة إلى ما كانت تُعير به بنو فزارة من إتيانها الإبل. وسيذكر هذا البيت في ص ٢١٤ من هذا الجزء وفي العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٨).

(٤) الْجَادُ: كساء مخطط من أكسية الأعراب.

(٥) السخينة: طعام يتخذ من دقيق وسمن. وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٢): السخينة طعام كانت قريش تعمله من دقيق، فكانت تُسبُّ به (لأنها كانت تكثر من أكلها حتى عُيرت بها وُسُموا سخينة) وذكر قول حسان بن ثابت فيهم (كامل).

رَزَمَتْ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبَ رَيْهَا وَلِيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغُلَابِ

(٦) ورد هذان البيتان مع بيت آخر في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٢) والبيت الثالث متمم للمعنى كما ترى.

تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْأَفَاقِ جِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ

وأراد الأحنف^(١) أن قریشاً تُعَيَّرُ بأكل السخينة .

المدائني قال: سأل الحرَّسيُّ أبا يوسف القاضي عن السواد؛ فقال: النور في السواد. يعني نور العينين في سواد الناظر.

المدائني قال: لقي شيطانَ الطَّاقِ^(٢) خارجيًّا فقال: ما أفارقك أو تَبَرَّأ من عليٍّ، فقال: أنا من عليٍّ ومن عثمان بريء. يريد أنه من عليٍّ، وبريء من عثمان.

سمع عمر بن الخطَّاب امرأةً في الطَّوَّاف تقول: [طويل]

فمنهنَّ مَنْ تُسْقَى بِعَذْبٍ مُبَرَّدٍ نُقَاحٌ^(٣) قتلُكُمْ عند ذلك قَرَّتْ
ومنهنَّ مَنْ تُسْقَى بِأَخْضَرِ آجِنٍ أَجَاجٍ ولولا خَشْيَةُ اللهَ قَرَّتْ^(٤)

فعلم ما تشكو، فبعث إلى زوجها فوجده متغيَّر الفم، فخيَّره بين خمسمائة درهم أو جارية من الفَيء على أن يطلقها فأختار خمسمائة، فأعطاه وطلَّقها^(٥).

حدثني أحمد بن محمد أبو نصر الكاتب قال: كنت واقفاً بهذا المكان، وأقبلت امرأة من هذه الناحية، وغلَّامٌ من الناحية الأخرى أبيض الوجه

(١) هو الأحنف بن قيس كما في نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

(٢) الطَّاق: خِصْنٌ بطبرستان سكن به أبو جعفر محمد بن النعمان، الملقب بشيطان الطَّاق؛ وإليه تنسب الطائفة النعمانية من غلاة الشيعة. ولقد ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٥): «ولقي شيطان الطَّاق رجلاً من الخوارج وبيده سيف، فقال له الخارجي: والله لأقتلنك أو تبرأ من عليٍّ. فقال له: أنا من عليٍّ ومن عثمان بريء».

(٣) النُّقَاح: الماء البارد العذب الصافي.

(٤) الأَجِن: الماء المتغيَّر الطعم واللون. والماء الأَجَاج: الشديد الملوحة والمرارة. وقد ورد البيتان في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٣).

(٥) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٦٣): «ففهم شكواها، فبعث إلى زوجها، فوجده متغيَّر الفم، فخيَّره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها، فأختار الدراهم، فأعطاه وطلَّقها».

رائعه، ونظرت إليه المرأة، فلما آلتقيا قالت له: ما أسمك يا فتى؟ قال: محمد؛ قالت: ابن من؟ قال: ابن زانة، وتبسم عن ثغر أفلج^(١) مختلف قبيح؛ فقالت: واحرباه على ما قال! فقلت لها: قد وقعت لك عليها؛ قالت: من أين؟ قلت: من كنية أبي الخير النصراني كاتب سعيد الحاجب، أراد أن الياء إذا نُقلت عن أبي الخير إلى زانة، صار هذا أبا الخير، وصار هذا ابن زانية. مر ابن أبي علقمة بمجلس بني ناجية^(٢) فكَبَا حمارُه لوجهه فضحكوا؛ فقال: ما يضحككم! إنه رأى وجوه قُرَيش فسَجَد.

قال عمرو^(٣) بن بحر: قال أبو الهذيل لمحمد بن الجهم وأنا عنده: يا أبا جعفر، إني رجلٌ مُنْخَرِقُ الكَفِّ لا أُلِيقُ^(٤) درهما، ويدي هذه صَنَاعٌ في الكَسْب ولكنّها في الإنفاق خَرْقَاء، كم من مائة ألف درهم قَسَمْتُهَا على الإخوان في مجلس وأبو عثمان يعلم ذلك! أسألك بالله يا أبا عثمان، هل تعلم ذلك؟ قال: يا أبا الهذيل، ما أشك فيما تقول؛ قال: فلم يَرْضْ أَنْ حَضَرْتُ حتى آستشهدني، ولم يَرْضْ إِذْ آستشهدني حتى آستحلفني.

قال المدائني: بعث يزيد بن قيس الأرحبي، وكان والياً لعلّي، إلى الحسن والحسين رضي الله عنهم بهدايا بعد أنصرافه من الولاية وترك ابن الحنفية، فضرب عليّ - عليه السلام - على جنب ابن الحنفية وقال: [وافر]

(١) أفلج: متباعد ما بين الأسنان.

(٢) بنو ناجية قبيلة قتلهم عليّ رضي الله عنه، على الرّدة وسباهم، وهم من بني سامة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن معد بن عدنان. انظر جهمرة أنساب العرب ص ١٢ - ١٣.

(٣) هو الجاحظ، وقد ورد هذا الخبر في كتابه البلاء (ص ١٣٥ - ١٣٦) باختلاف بسيط عما هنا.

(٤) يقال: فلان ما يُلِيقُ درهماً: أي ما يمسك.

وما شَرُّ الثلاثة أَمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تَصْبَحِينَا^(١)

فَرَجَعَ يزيد إلى منزله وبعث إلى ابن الحنفية بهدية سنية.

حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي قال: حدَّثني موسى بن محمد قاضي المدينة، قال: مرَّ رجل بأعرابي يوقد في أصل ميلٍ، فقال: كم على الميل؟ فقال: لست أقرأ، ولكن كتابه فيه؛ قال: وما كتابه؟ قال: مُحَجَّنٌ وَخَلْقَةٌ سِمَطٌ وثلاثة أطباء وَخَلْقَةٌ مُدْنَبَةٌ^(٢) (يعني صورة خمسة).

قال أبو اليقظان: إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه:

[طويل]

لذي الحِلْمِ قبل اليوم ما تُقَرِّعُ العصا وما عُلِّمَ الإنسانُ إلَّا لِيَعْلَمَا
وذلك أنَّ سعد بن مالك كان عند بعض الملوك^(٣)، فأراد الملك أن
يبعث رائداً يرتاد له منزلاً ينزله، فبعث بعمره فأبطأ عليه، فألى الملك لئن جاء
ذاماً أو حامداً ليقتلته؛ فلما جاء عمرو وسَعَدُ عنده، قال سعد للملك؛ أتأذن
لي فأكلّمه؟ قال: إذا أقطع لسانك؟ قال: فأشير إليه؛ قال: إذا أقطع يدك؛
قال: فأومئ إليه؛ قال: أقطع جنوّ^(٤) عينك؛ قال: فأقرع له العصا؛ قال:
إقرع فأخذ العصا فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزّها بين

(١) مرَّ هذا البيت في ص ٤٩ من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

(٢) المُحَجَّنُ: العصا المنعطفة الرأس كالصولجان، والمراد رأس حرف الخاء. والسَّمَطُ: خيط النّظْمِ ما دام فيه الخرز واللؤلؤ، والمراد حرف الميم. والأطباء: ج طيبي وهو حَلَمَات الضَّرْع التي من حُفٍ وظَلْفٍ وحافر وأكثر ما يكون للسباع، والمراد بالأطباء الثلاثة حرف السين. والمراد بالخلقة المذنبة حرف الهاء المنقلبة عن تاء التأنيث. وهكذا تكون صورة الكتابة صورة «خمس».

(٣) هو النعمان الأكبر كما في الأغاني (ج ٢١ ص ٢٠٧).

(٤) جنوّ العين: حجاجها وهو العظم الذي ينبت عليه الحاجب.

يديه، فَلَقِنَ^(١) عمرو، فقال: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! أَتَيْتُكَ مِنْ أَرْضٍ زَائِرُهَا واقِفٌ، وساكنُهَا خائفٌ، والشُّبْعَى بها نائمة، والمهزولة ساهرةٌ جائعة، ولم أرَ خَضْباً محلاً، ولا جَذْباً هزلاً.

لما حُكِّمَ أبو موسى وَقَدِمَ لِيَحْكُمَ، دَسَّ معاويةً إلى عمرو رجلاً ليعلم علمه وينظر كيف رأيته؛ فَأَتَاهُ الرجلُ فكلَّمه بما أمره به، فَعَضَّ عمرو على إبهامه ولم يُجِبْهُ؛ فَتَهَضَّ الرجلُ فَاتَى مُعاويةَ فَأخبره؛ فقال: قاتله الله! أراد أن يُعلمني أنني فررتُ قارحاً^(٢).

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ عَمْرِو قَالَ: سَأَلَ الْحِجَاجُ جَبْرِ بْنَ حَبِيبٍ عَنْ رَجُلٍ، وَكَرِهَ أَنْ يَعَاقِبَهُ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ وَاللَّهِ جَسِداً يُحَرِّكُ رَأْسُهُ يُصَبُّ فِي حَلْقِهِ الْمَاءُ، وَاللَّهُ لَثَنٌ حُمِلَ عَلَى سُرِيرٍ لِيَكُونَ عَلَيْهِ عَوْرَةً؛ قَالَ: فَتَرَكَهُ.

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ عَنْ خَالِدِ بْنِ خِدَاشٍ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ مُجَالِدٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ رُوذَى قَالَ: خَطَبْنَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: لَثَنٌ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ قَتَلَ عَثْمَانَ لَا أَدْخَلَهَا وَلَثَنٌ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ إِلَّا مَنْ قَتَلَ عَثْمَانَ لَا أَدْخَلَهَا؛ فَقِيلَ لَهُ: مَا صَنَعْتَ! فَرَّقْتَ النَّاسَ فَخَطَبْتَهُمْ فَقَالَ: إِنَّكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي قَتْلِ عَثْمَانَ، أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُ وَأَنَا مَعَهُ؛ قَالَ: فَحَدَّثَنَا خَالِدٌ عَنْ حَمَّادٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ لَهَا وَجْهَانِ. أَوَّلُهَا وَسَيَقْتُلُنِي مَعَهُ.

سَأَلَ زِيَادٌ رَجُلًا بِالْبَصْرَةِ: أَيْنَ مَنَزْلُكَ؟ فَقَالَ: وَاسِطٌ، قَالَ: مَا لَكَ مِنْ الْوَلَدِ؟ قَالَ: تِسْعَةٌ. فَلَمَّا قَامَ، قِيلَ لَزِيَادَ: كَذَبَكَ فِي كُلِّ مَا سَأَلْتَهُ، مَا لَهُ إِلَّا

(١) لَقِنَ الرَّجُلُ: فَهِمَ.

(٢) قَرَّ الدَّائِبَةُ قَرّاً وَقَرَّاراً: كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهَا لِيَعْرِفَ مَا سُتُّهَا. وَالْقَارِخُ مِنْ ذِي الْحَافِزِ: الَّذِي طَلَعَ نَابَهُ وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْبَازِلِ مِنَ الْإِبِلِ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ اخْتَبِرَ مُحْتَكِماً.

ابن واحد، وإن منزله بالبصرة، فلما عاد إليه، قال: ذكرت أن لك تسعة من الولد، وأن منزلك بواسط؟ قال: نعم؛ قال: خُبرتُ بغير ذلك؛ قال: صدقتُ وصدّقوك، دفنتُ تسعة بنين فهم لي، ولي اليوم ابن واحد ولست أدري أيكون لي أم لا: وأما منزلي فإلى جانب الجَبَان^(١) بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، فأَيّ منزلٍ أوسط منه! قال: صدقت.

حدّثني أبو حاتم عن الأصمعيّ عن عيسى بن عمر قال: قال المختار لجنده: يا شُرْطَةُ الله، لِيُخْرِجَنَّ إلى قريبٍ على الكعبة الحرام دَابَّةً^(٢) له ست قوائم وله رأسٌ بلا عُنُق، ثم آلتفت إلى رجل إلى جانبه فقال: أعني اليَعْسُوب.

كان إبراهيم إذا لم يُعجبه الرجل قال: ما هو بأعجب الناس إليّ.

بلغني عن معاوية بن حَيَّان عن المبارك بن فضالة عن عبد الله بن مسلم ابن يسار، قال: كان أبي إذا غَضِبَ على البهيمة، قال: أَكَلْتُ سَمًّا قَاضِيَا

حدّثني زيد بن أخزم قال: حدّثنا أبو قُتَيْبَةَ قال: حدّثنا أبو المِنْهَالِ الْبَكْرَاوِيُّ قال: كان الحسن إذا أُخِذَ من لِحْيَتِهِ شيء، قال: لا يكن بك السنوء.

وقيل للحسن؛ أتى رجلٌ صاحباً له في منزله وكان يصلي، فقال:

(١) الجَبَان والجَبَانَةُ: المقبرة.

(٢) تقع الدابة على المؤنث والمذكر؛ فيقال هذا دابة وهذه دابة.

أدخل؟ فقال في صلاته: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾^(١)؛ فقال: لا بأس.

كان محمد بن عليٍّ إذا رأى مُبْتَلًى أخفى الاستعاذة. وكان لا يسمع من داره يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هذا؛ ويقول: سَمُّوهم بالحسن الجميل عباد الله، فتقولون: يا عبد الله، بورك فيك.

قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ قال: دعوة مستجابة. قيل: فكيف بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم (يعني للشمس).

كان رَشْمُ^(٢) عمر بن مهران الذي يرشَّم به على طعامه: اللهم أَحْفَظْهُ ممن يَخْطُفُه.

خرج رجل من بني أَسَدٍ يَابِلَ له يسقيها، ومعه ابنة له جميلة عاقلة، حتى دفع إلى ماء لبني فَزَارَةَ، فسألهم أن يأذنوا له في سقي إبله؛ فقالوا: على ألا تجأجىء^(٣) بها، قال: فإذا لا تشربُ شُرْبَ خير؛ قالوا: إن رَضِيتَ وإلا فأنصرف؛ فقالت له الجارية: أشرطُ لهم ما طلبوا وأنا أكفيك؛ فأخذ الدلو، وجعلت الجارية ترتجز وتقول:

[رجز]

جارية شَبَّتْ شَبَابَ العُسْلُجِ ذاتٌ وشاحينِ وذاتٌ دُمْلُجِ^(٤)
وذاتٌ ثَغَرٍ أَشْنَبٍ مُفْلَجِ وذاتٌ خَلَقٍ مُسْتَبَبِّ مُدْمَجِ^(٥)

(١) سورة الحجر ١٥، آية ٤٦. والمعنى: أدخلوا الجنة فإنها دار الغنى عن كل شيء والأمان من كل خوف.

(٢) الرَّشْمُ: خَتَمٌ بيدر الحنطة بالرَّوْشَمِ فيبقى أثره فيه، والرَّوْشَمُ لوح منقوش تختم به البيادر.

(٣) جَأَجَأَ بِالْإِبِلِ: دعاها لورد الماء لتشرب قائلاً لها: جىء جىء.

(٤) العُسْلُجُ: الغصن الناعم. والدُمْلُجُ: ما يشدُّ على العَصْدِ من الحلي.

(٥) المقصود بالثغر أسنانها. والشَّنْبُ في الأسنان عذوبتها. والأسنان المُفْلَجَةُ: التي فيها تباعد. وقد يعني بالثغر الأشب رقة وصفاه شفتيها. ومُسْتَبَبِّ: مستقيم. ومدمج: حُكْمُ أي مكتنز غير مُسْتَرَخٍ.

في أبيات كثيرة، فشربت الإبل حتى رويت من غير أن جأجا بها.

وتبايع أعرابيان على أن يشرب أحدهما لبنا حازرا^(١) ولا يتنحج، فلما شربه وتَقَطَّعَ في حَلْقِهِ؛ قال: كَبَشُ أَمْلَح؛ فقال صاحبه؛ فَعَلَهَا وَرَبُّ الكَعْبَةِ! فقال: مَنْ فَعَلَهَا فلا أفلح. وكان ما تبايعا عليه كبشا.

قال الأصمعي: قلت لأعرابي معه شَاء: لمن هذه الشاء؟ فقال: هي لله عندي.

حدَّثني أبو الخطَّاب قال: حدَّثنا أبو داود عن عَمارة بن زاذان قال: حدَّثنا أبو الصهباء قال: قال الحجاج لسعيد بن جبير: اختر أي قتلة شئت؛ فقال له: بل اختر أنت لنفسك، فإن القصاص أملك.

ولي هَرْتَمَةُ الحرس مكان جعفر بن يحيى، فقال له جعفر: ما آتت قلت عني نعمة صارت إليك.

أمر الحجاج ابن القرية أن يأتي هند بنت أسماء فيطلقها بكلمتين، ويُمَتِّعها بعشرة آلاف درهم؛ فأتاها فقال لها: إن الحجاج يقول لك: كُنْتُ فَبِنْتُ، وهذا عشرة آلاف مُتَّةً لك؛ فقالت: قل له: كنا فما حَمِدْنَا، وبنا فما نَدَمْنَا؛ وهذه العشرة الآلاف لك بشارتك إياي بطلاقي.

سئل سُفيان بن عُيينة عن قول طاوُس في ذكاة السمك أو الجراد؛ فقال أبنه عنه: ذَكَأَتْهُ صَيْدُهُ.

اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة،

(١) اللين الحازر: الحامض.

فقام رجل من عُذْرَةَ يقال له يزيد بن المقنَّع، وأخترط^(١) من سيفه شُبْرًا، ثم قال: أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية، فإنَّ يَهْلِكَ فهذا، وأشار إلى يزيد، فمن أبي فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: أنت سيّد الخطباء.

قال رجل من أهل الحجاز لابن شُبْرَمَةَ: مِنْ عندنا خَرَجَ العلمُ؛ قال ابن شُبْرَمَةَ: ثم لم يَعُدْ إليكم.

قال المدائني: قال معاوية لابن عَبَّاسٍ؛ أنتم، يا بني هاشم، تُصابون في أَبْصَارِكُمْ؛ فقال ابن عباس؛ وأنتم، يا بني أمية، تصابون في بصائرکم. وقال له معاوية: ما أبينَ الشُّبُقَ^(٢) في رجالكم! فقال: هو في نسائكُم أبين.

أبو اليقظان قال: قال ابن ظَبْيَانَ التَّيْمِيّ لَزُرْعَةَ بنِ ضَمْرَةَ: لقد طلبتك يوم الأهواز ولو ظَفِرْتُ بك لَقَطَعْتُ مِنْكَ طَابِقًا سَخْنًا؛ قال: أفلا أدُلُّكَ على طابق هو أسخن وأحوج إلى القطع؟ قال: بلى! قال: بَطَرُ بَيْنَ إِسْكَتِي^(٣) أَمَك.

أبو اليقظان قال: بعث الحجاج إلى الفضيل بن بَزَوَانَ العَدَوَانِي، وكان خيرًا من أهل الكوفة، فقال: إني أريد أنْ أَوَّلِيكَ، قال: أَوْ يُعْزِنِي الأمير؟ فأبى وكتب عهدَه، فأخذه وخرج من عنده فرمى بالعهد وهَرَبَ، فأخَذَ به الحجاج، فقال: يا عدوّ الله؛ فقال: لستُ لله ولا للأمير بعدو؛ قال: ألم أكرمك؟ قال: بل أردت أن تهينني؛ قال: ألم أستعملك؟ قال: بل أردت أن

(١) أي آسَلَهُ من غِمْدِهِ بمقدار شُبْرٍ.

(٢) الشُّبُقُ: شِدَّةُ الشَّهْوَةِ.

(٣) الإِسْكَتَانِ: شُقْرَا الرِّجَمِ أو جانباه مما يلي شُفْرَتِهِ.

تستعبدني؛ قال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) الآية؛ قال: ما أستوجبُ واحدةً منهن؛ قال: كل ذلك قد أستوجبته بخلافك. وأمر رجلاً من أهل الشام أن يضرب عنقه.

سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثني حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك ابن عُمَيْر قال: كان في مجلس زياد، الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زواياه كتاب بقلم جليل: الوالي شديد في غير عنف، لئِنْ في غير ضعف؛ الأَعْطِيَةُ لِإِبَائِهَا^(٢)، والأَرْزَاقُ لأَوْقَاتِهَا؛ البُعُوثُ لَا تُجَمَّرُ^(٣)؛ المحسن يُجْزَى بإحسانه والمسيء يُؤْخَذُ على يديه كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها.

قال سليمان: وحدّثنا أبو سفيان الحميري قال: أبلى أبو جهم بن كنانة يوم الرواية، فقال له الحجاج: من أنت؟ قال: أنا أبو جهم بن كنانة، قال له الحجاج: قد زدناك في أسمك ألفاً ولما فانت أبو جهم، وزدنا في عطائك ألفاً.

العباس بن بكار عن عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي قال: قال معاوية لشداد بن أوس: يا شداد، أنا أفضل أم علي؟ وأينا أحب إليك؟ فقال: علي أقدّم هجرةً، وأكثر مع رسول الله إلى الخير سابقةً، وأشجع منك قلباً، وأسلم منك نفساً، وأما الحب فقد مضى علي، فأنت اليوم عند الناس أرجى منه.

(١) سورة المائدة ٥، آية ٣٣. والمعنى: إن جزاء أهل البغي والعدوان علي عباد الله وعباله هو القتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل كما ورد في إتمام الآية الكريمة. التفسير المبين.

(٢) أي في أوقاتها وأيامها.

(٣) تجمير البُعُوث: جَمْعُهُم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم.

قال الأحنفُ لمعاوية في كلام: أنت أعلمنا بيزيد في ليله ونهاره، وسره وعَلَانِيَتِهِ، فلا تُلْقِمه الدنيا وأنت تذهب إلى الآخرة.

خطب^(١) الحجاجُ فشكا سوء طاعة أهل العراق؛ فقال جامعُ المحاربِي^(٢): أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ أَحْبَبُوا لَأَطَاعُواكَ، عَلَى أَنَّهُمْ مَا شَتُّوكَ لَنَسَبَكَ وَلَا لِبَلَدِكَ وَلَا لذَاتِ نَفْسِكَ، فَدَعَ مَا يَبَاعِدُهُمْ مِنْكَ إِلَى مَا يَقْرِبُهُمْ إِلَيْكَ، وَأَلْتَمَسَ الْعَافِيَةَ فِيمَنْ دُونَكَ تُعْطَاهَا مِمَّنْ فَوْقَكَ، وَلِيَكُنْ إِيقَاعُكَ بَعْدَ وَعِيدِكَ، وَوَعِيدُكَ بَعْدَ وَعْدِكَ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ: وَاللَّهِ مَا أُرَانِي أَرَدْتُ بَنِي اللَّكِيْعَةِ إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسَّيْفِ؛ فَقَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنْ السَّيْفُ إِذَا لَاقَى السَّيْفَ ذَهَبَ الْخِيَارُ؛ قَالَ الْحَجَّاجُ: الْخِيَارُ يَوْمُئِذٍ لِلَّهِ؛ قَالَ: أَجَلْ! وَلَكِنَّكَ لَا تَدْرِي لِمَنْ يَجْعَلُهُ اللَّهُ؛ فَقَالَ: يَا هَنَاهُ^(٣)، إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ! فَقَالَ جَامِعٌ: [طَوِيل]

وَلِلْحَرْبِ سُمِّيْنَا وَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا أَلْقَيْنَا أَمْسَى مِنَ الطَّعْنِ أَحْمَرًا^(٤) فَقَالَ الْحَجَّاجُ^(٥): وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَخْلَعَ لِسَانَكَ فَأَضْرِبَ بِهِ وَجْهَكَ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا حَجَّاجُ، إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ أَغْضَبَنَا اللَّهُ، فَغَضِبُ الْأَمِيرِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ.

(١) ورد هذا الخبر كاملاً في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٠) ولكن باختلاف يسير عما هنا.
(٢) كان جامع المحاربِي آنذاك شيخاً صالحاً خطيباً لبيباً جريئاً على السلطان، وهو الذي قال للحجاج إذ بنى مدينة واسط: بَنَيْتُهَا فِي غَيْرِ بَلَدِكَ، وَتَوَرَّثُهَا غَيْرٌ وَلَدِكَ. انظر ذلك في نفس المصدر السابق والصفحة.

(٣) هُنْ: كلمة يكنى بها عن أسم الإنسان، فإذا ناديتَ مذكراً بغير التصريح بأسمه قلت: يَا هُنْ، أقبل. وقد تزايد الألف والهاء فيقال للرجل: يَا هَنَاهُ، أقبل، بضم الهاء على تقدير أنه آخر الاسم، وبكسرهما لإجتماع الساكنين. ونقول: يَا هَنَانِ، أقبلا وَيَا هَنُونْ، أقبلوا، ونقول: يَا هَنَّةَ (الهاء هنا هاء السكت كما تقول لِمَهْ. راجع لسان العرب مادة (هنا)).

(٤) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٨٠).

(٥) الخبر هنا ناقص وذلك حسبما قرأناه في نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

قال الأصمعيّ: أخبرنا شيخ من قُضاعة قال: ضَلَلْنَا مرّةً الطريقَ فاسترشدنا عجوزاً؛ فقالت: استبطني الواديّ وكن سيلاً حتى تبلغَ.

ابن الكلبيّ قال: كتب معاوية إلى قيس بن سعد^(١): أما بعد، فإنما أنت يهوديّ ابن يهوديّ، إن ظَفِرَ أحبُّ الفريقين إليك عَزَلَك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضُهما إليك قتلك ونكل بك، وقد كان أبوك وتَرْقُوسُهُ ورمى غَرَضَهُ، فأكثر الحَزَّ وأخطأ المَفْصِل، فخذله قومُهُ، وأدركه يومُهُ؛ ثم مات طريداً بنحوران؛ والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد: أما بعد، فإنما أنت وثنّ ابن وثنّ^(٢)، دخلت في الإسلام كرها وخرجت منه طوعاً، ولم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك، وقد كان أبي وتَرْقُوسُهُ ورمى غَرَضَهُ، وشَغَب^(٣) عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشقَّ غباره، ونحن أنصار الدين الذي خرجت منه، وأعداء الدين الذي خرجت إليه؛ والسلام.

قال يحيى بن سعيد الأمويّ: سمعت الأعمش يقول لخالد بن صفوان: شَعَرْتُ أَنَّ منزلك لا يُعرف إلا بي. حتى يقال عند منزل الأعمش؛ فقال خالد: صدقت، مثل حمام عترة، ويقال وردان وبيطار (حيان).

قال الربيع لشريك بين يدي المهديّ: بلغني أنك خُنْتَ أمير المؤمنين؛ فقال شريك: لو فعلنا ذلك لأتاك نصييك.

قال رجل من العرب: أُرِيتُ البارحةَ في منامي كأنني دخلت الجنةَ فرأيت

(١) هو قيس بن سعد الأنصاري الخزرجي، صحابي وأحد الأجواد المشهورين. استعمله علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على مصر سنة ٣٦ - ٣٧ هـ. كانت وفاته سنة ٦٠. راجع الأعلام ج ٥ ص ٢٠٦.

(٢) نسبة إلى الوثن وهو الصنم.

(٣) شَغَبَ عليه: هَيَّجَ عليه الشر.

جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟ فقيل: للعرب؛ فقال رجل عنده من الموالي: أَصْعَدْتُ الغُرف؟ قال: لا؛ قال: فتلك لنا.

وكتب قُتَيْبَةُ بن مسلم إلى عُبيد الله بن زياد بن ظَبْيَان: أما بعد، فإن عشمشم أعشى الشجر. فكتب إليه آبن ظَبْيَان: من ذلك الشجر كان بَرَبْتُ^(١)، أهلك. يعني مسلم بن عمرو، وكان مغنياً ليزيد بن معاوية.

قال بَحْر بن الأحنف لجارية أبيه زُبْرَاء: يا فاعلة: فقالت: لو كُنْتُ كما تقول أَتَيْتُ أَبَاكَ بمثلِكَ.

وقال رجل لابنه: يابن الفاعلة؛ فقال: والله لئن كُنْتُ صَدَقْتُ ما فعلْتُ حتى وَجَدْتُكَ فَحَلَّ سَوْء.

أَتَتْ أَبْنَةُ الْخُسِّ عُكَاطَ، فَأَتَاهَا رَجُلٌ يَمْتَحِنُ عَقْلَهَا وَيَمْتَحِنُ جَوَابَهَا، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ؛ قَالَتْ: هَاتِ. قَالَ: كَادَ؛ فَقَالَتْ: الْمَتَعِلُّ يَكُونُ رَاكِبًا. قَالَ: كَادَ؛ قَالَتْ: الْفَقْرُ يَكُونُ كُفْرًا. قَالَ: كَادَ؛ قَالَتْ: الْعُرُوسُ تَكُونُ مِلْكَاءَ. قَالَ: كَادَ؛ قَالَتْ: النَّعْمَةُ تَكُونُ طَائِرًا. قَالَ: كَادَ؛ قَالَتْ: السَّرَارُ^(٢) يَكُونُ سَحْرًا. ثُمَّ قَالَتْ لِلرَّجُلِ: أَسْأَلُكَ؟ قَالَ: هَاتِي، قَالَتْ: عَجِبْتُ؛ قَالَ: لِلسَّبَاحِ لَا يَنْبِتُ كُلُّوْهَا وَلَا يَجْفُ ثَرَاهَا. قَالَتْ: عَجِبْتُ؛ قَالَ: لِلْحِجَارَةِ لَا يَكْبُرُ صَغِيرُهَا وَلَا يَهْرَمُ كَبِيرُهَا. قَالَتْ: عَجِبْتُ؛ قَالَ: لَشَفْرِكَ^(٣) لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ وَلَا يُمَلَأُ حَفْرُهُ.

(١) الْبَرَبْتُ: العود من آلات الموسيقى، وقيل: هو معرَّب «بَرَبْتُ بكسر الراء ومعناه بالفارسية: صدر الإوز، أطلق على العود لشبهه به.

(٢) السَّرَارُ: السَّيَاب وهو البلع أو البسر، ومحض النسب وأفضله.

(٣) الشُّفْرُ: أصل منبت الشعر في حرف الفرج، يقال لناحيتي فرج المرأة الشُّفْران.

المدائني قال: كان عُرَام بن شَتِير عند عمر بن هُبَيْرَة، فألقى إليه أبْنُ هُبَيْرَة خَاتَمَةً وَفَضَّهُ أَخْضَرَ، فَعَقَدَ عُرَامُ فِي الْخَاتَمِ سَيْرًا. أراد عمر قول الشاعر:

لَقَدْ زَرَقْتُ عَيْنَاكَ يَا أَبْنُ مُكْعَبِرٍ كَمَا كُلُّ ضَبِيٍّ مِنَ اللَّؤْمِ أَرْقُ^(١)

وأراد عُرَامُ:

لَا تَأْمَنْنَ فَزَارِيَا خَلَوْتُ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَأَكْتَبَهَا بِأَسْيَارِ^(٢)

قال جرير للأخطل: أَرَقْتُ نَوْمَكَ، وَأَسْتَهْضَمْتُ قَوْمَكَ؛ قَالَ الْأَخْطَلُ: قَدْ أَرَقْتُ نَوْمِي، وَلَوْ نِمْتُ كَانَ خَيْرًا لَكَ.

أراد معاوية أن يخطب بصفين فقال له عمرو بن العاص: دَعْنِي أَتَكَلِّمُ فَإِنِ اتَّيْتُ عَلَى مَا تَرِيدُ وَإِلَّا كُنْتُ مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ، فَأَذِنَ لَهُ؛ فَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، قَالَ: قَدِّمُوا الْمُسْتَلْتِمَةَ^(٣) وَأَخْرُوا الْحُسْرَ، كُونُوا مِقْصَصَ الشَّارِبِ، أَعِيرُونَا أَيْدِيَكُمْ سَاعَةً، قَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْصِلَهُ، إِنَّمَا هُوَ ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ.

حدَّثني^(٤) أبْنُ أَبِي سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الرَّقَاعِ، قَالَ: دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ؛ فَقَالَ لَهُ: يَا أَعْرَابِيَّ، صِفِ الْخَمْرَ فَقَالَ: [طويل]

(١) أورد ابن منظور هذا البيت في لسان العرب مادة (زرق) لسويد بن أبي كاهل. والمُكْعَبِرُ: مَنْ كَعَبَرَ. والكعبرة من النساء الجافية العليجة.

(٢) تقدم هذا البيت في ص ٢٠٣ من هذا الجزء لسالم بن دارة فأنظره مشروحاً.

(٣) الْمُسْتَلْتِمَةُ: الطائفة التي عليها اللَّأْمُ وهي الدروع.

(٤) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٥ - ٣٦) هكذا: «قال سليمان بن عبد الملك لِعَدِيِّ بْنِ الرَّقَاعِ: أَنَشِدْنِي قَوْلَكَ فِي الْخَمْرِ: (وذكر البيتين) فأنشده. فقال له سليمان: شَرِبْتَهَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ؛ قَالَ عَدِيٌّ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَئِنْ رَأَيْتُكَ وَصَفِي لَهَا فَقَدْ رَأَيْتُ مَعْرِفَتَكَ بِهَا. فَتَضَاحَكَا وَأَخَذَا فِي الْحَدِيثِ». وعدي بن الرقاع وردت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٥٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

شَمُولٌ إِذَا شُجَّتْ وَفِي الْكَأْسِ مُزَّةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَبِيبٌ^(١)
تُرِيكَ الْقَدَى مِنْ دُونِهَا وَهِيَ دُونَهُ لَوَجْهِ أَخِيهَا فِي الْإِنَاءِ قُطُوبٌ

فقال: ويحك يا أعرابي! لقد آتَهمك عندي حسنُ صفتك لها: يا
أمير المؤمنين، وآتَهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها:

مقطّعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام

لو أخطأتُ سبيلَ إرشادك، لما أخطأتُ سبيلَ حسن النية فيما بيني
وبينك.

لو خطر ذلك ببالي من فعلك، ما عرضتُ سترَ الإخاء للهتك بيني
وبينك.

قد أحسنت في كذا قديماً. وفعلك كذا إحدى الحُسْنَيْنِ بل أطفهما
موقعا.

أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك وذكاؤك فوق حزمك. فقدم على نفسك
مَنْ قَدَمَكَ على نفسه. الله يعلم أنك ما خطرتُ ببالي في وقتٍ من الأوقات إلا
مَثَلُ الذِّكْرِ منك لي محاسنٌ تزيدني صبابَةً إليك وضناً بك واعتباطاً بإخائك.
لعل الأيام أن تُسهِّلَ لأخيك السبيلَ إلى ما تقتضيه نفسك من بَرَكَ ومُعَاوَضَتِكَ
ببعض ما سَلَفَ لك.

ما هذا الغَبَا العجيب الذي إلى جانبه فِطْنَةٌ لطيفة. حكمُ الفَلَتَاتِ خلافُ
حكم الإصرار.

من أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يُؤخذ بالعين، كان حَرِيّاً أن يُخطيء في

(١) ورد صدر هذا البيت في العقد الفريد (ج ٤ ص ٣٦) هكذا:

كُمِيتٌ إِذَا شُجَّتْ وَفِي الْكَأْسِ وَرْدَةٌ

باطن دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

ومن أول ما أحب أن أوثرَكَ به وأَقْضِيَ فيه واجبَ حقِّك، تنبيهُكَ على عظيم ما لله عندك، وحثُّكَ على الإزدياد مما يزيدك .

من كان بمثل موضعك فجميع له حمدُ إخوانه ورضا مُعامليه والإستقصاء مع ذلك لمن أستكفاه، فقد عَظُمَت النعمةُ عليه، ولا أعلم بما أسمع فيك إلا أنك كذلك والحمد لله .

ما أغنى الفقيرَ عن الحمد، وأحوجَه إلى ما يجد به طعمَ الحمد! .
قد حَسَدَك من لا ينام دون الشفاء، وطلبك من لا يُقَصِّر دون الظفر،
فأشدُّ حَيَازِيمَك^(١) وكن على حَذَر .

أنت تَتَجَنَّى على مالك لتُتلفه بأسباب العِلَل، كما يدفع عن ماله البخيلُ بوجوه الاعتلال . أنت طالبُ مَغْنَم، وأنا دافع مَغْرَم، فإن كنتَ شاكراً لما مَضَى، فأعذرُ فيما بقي . مكرك حاضِر، ووفائك متأخِر . أنا راضٍ بعفوك، باذِلٌ لمجهودي .

نوائب الأيام رَمَتْ به ناحيتك، وإذا رأيتَه أنباكَ ظاهرُهُ عن باطنه ودعاكَ إلى محبته قبولُهُ، وهو في الأدب بحيث المستغني عن النسب .

قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم وإلَّا يكون غيرُك فيما يُبلغك أوثَق من نفسك فيما تعرفه .

هذا فلان قد أتاكَ على رِقَّةٍ من حاله وبُعْدٍ من شُقَّتِه، فَشَدْتُكَ الله أن

(١) الحَيَازِيم: ج حَيَزُوم وهو الصدر لأنه موضع الحزم أو وسطه وما أَسْتَدَار بالظهر والبطن .

وشدَّ الحَيَازِيم كناية عن الصبر . قال رجل حميري (منسرح) .

لما راوا أن يومهم أَسْب شدوا حَيَازِيمَهُمْ على أَمَلِيَّة
أنظر محيط المحيط مادة (حزم) .

تَقْدَمُ شَيْئاً عَلَى تَصْدِيقِ ظَنِّهِ وَسَدِّ خَلَّتِهِ وَبَلِّ مَا يَبْسُتُ هَذِهِ النُّكْبَةُ مِنْ أَدِيمِهِ،
فَإِنَّهُ غَذِيٌّ نَعْمَةٌ وَخَدِينٌ^(١) مُرْوَةٌ.

أَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنْجِزَ لِي مَا لَمْ تَزَلِ الْفِرَاسَةُ تَعْدُنِيهِ فَيْكَ. الْحَرِّيَّةُ نَسَبٌ.
فَهَمْتُ مَا أَعْتَذَرْتُ بِهِ فِي تَأْخُرِكَ، وَغَضَضْتُ بِهِ مِنْ طَرْفًا طَامِحًا إِلَيْكَ وَنَفْسًا
تَوَاقَّةً إِلَى قُرْبِكَ.

وَصَلَّ كِتَابُكَ فَكَانَ مَوْقِعُهُ مَوْقِعَ الرُّوحِ مِنَ الْبَدَنِ. فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
يَحِبُّ أَلَا يَدْعَ سَبِيلاً مِنْ سُبُلِ الْبَرِّ وَإِنْ عَفَا وَذَثَرَ إِلَّا أَنْارَهُ وَأَوْضَحَ مَحَاجَّتَهُ، وَلَا
خَلَّةَ مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ لَا أَوَّلَ لَهَا إِلَّا أَهْتَبِلُ^(٢) الْفُرْصَةَ فِي إِنْشَائِهَا، وَاخْتِيَارَ
مَكْرَمَةِ أَبْتِدَائِهَا، لِتَجِبَ لَهُ مَسَاهِمَةُ الْفَارِطِ^(٣) فِي أَجْرِهِ، وَيَكُونَ أُسْوَةً الْغَابِرِ فِي
تَوَابِهِ.

لَوْلَا وَجُوبُ تَقْدِيمِ الْعُذْرِ لِمُصَاحِبِ السُّلْطَانِ، فِي الذَّهُولِ عَنْ مُوَاصَلَةٍ مِنْ
يَجِبُ عَلَيْهِ مُوَاصَلَتَهُ، بِمَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ مِنَ الشُّغْلِ بِعَمَلِهِ، إِذَا لَكُنَّ الْعُتْبُ.

إِنَّكَ لِكُلِّ حَسَنِ أَبْلِيَّتِهِ، وَمَعْرُوفِ أُسْدِيَّتِهِ، وَجَمِيلِ أُتَيْتِهِ، وَبَلَاءِ كَانَ لَكَ
رَبِّيَّتِهِ، أَهْلٌ فِي الدِّينِ وَالْحَسَبِ الْقَدِيمِ.

لَكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - عِنْدِي أَيَادٍ تَشْفَعُ لِي إِلَى مُحِبَّتِكَ، وَمَعْرُوفٌ يُوْجِبُ
عَلَيْكَ الرَّبَّ^(٤) وَالْإِتِمَامَ.

(١) الْخَدِينُ: الْخِذْنُ وَهُوَ الْمُصَاحِبُ وَالرَّفِيقُ وَالصَّدِيقُ.

(٢) إِهْتَبَلُ الْفُرْصَةَ: إِغْتَنَمَهَا.

(٣) الْفَارِطُ: السَّابِقُ.

(٤) الرَّبُّ: الزِّيَادَةُ.

أفعال الأمير مختارة كالأماني، متصلة عندنا كالأيام؛ ونحن نختار الشكر
لكريم فعله، ونواصل الدعاء والذكر مواصلة برّه.

أبدأ بذكر يدك التي أجارتني على صرف الزمان، ووقتني نوائب الأيام،
وثمرت لي بقية النعمة، وصانت وجهي عن استعباد مَن الرجال، وبَسَطَتْ لي
الأمْلَ في بلوغ ما ناله بك مَحَنَ رَفَعَتْ خَسِيسَتَهُ ونَوَّهَتْ بذكره، وأعانتني على
اتباع مذهب الماضين من سلفي في الوفاء لكم، وحماية النعمة عليهم بكم
عن أيدي غيركم، حتى خَلَصْتُ لهم منكم فَعَزُّوا، ولم يشغلوا شكرهم بغيركم
حين شكروا، ولم يحتملوا صنيعه لسواكم لما أَعْتَدُوا، ولم تتشعبهم الدنيا
عنكم إذا أَصْطَرُّوا.

إِنَّ اللهَ أَحْلَكَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ مُحَلًّا نَرَاكَ بِهِ عِوَضًا مِنَ الْغَائِبِ، وَخَلَفًا مِنَ
الْهَالِكِ، وَنَجْدَكَ مَخْصُوصًا بِضَرَائِنَا إِذْ كُنْتَ وَلِيَّ سَرَائِنَا، وَكُنَّا لَكَ كَالْجَوَارِحِ
نَأْلُمُ لَكَ مَا أَلَمَ مِنْهَا.

نحن نعوذ بالله من سَخَطِكَ، ونستجير به من غَضَبِكَ، ونسألك النظر
فيما كتبنا به صادقين، كما سَمِعْتَ قَصَصَ الْكَاذِبِينَ، فإنا على سلامةٍ مما
رَفَّقَهُ^(١).

كتبي - أعزك الله - تأتيك، في الوقت بعد الوقت، على حسب
الدواعي، وإن كان حَقُّكَ يُلْزِمُنِي أَلَّا تُعَبِّكَ، لولا ما أتذكر من زيادتها في
شُغْلِكَ.

أنت الحامل لكل إخوانه، الناهض بأعباء أهل مودته، الصابر على ما
ناب من حقوقهم.

(١) أي مما رفعوه إليك من الأخبار الكاذبة.

كنتُ أمس - أكرمك الله - عليلاً، وركبتُ اليوم على ظَلْع^(١) ظاهر ورقة شديدة، فلما أنصرفتُ أمرتُ بإغلاق الباب للمتودّع، ووافق ذلك من سوء نيتك وإرصادك صديقك بما يستدعي عَتَبَكَ عليه وعَتَبَهُ عليك ما وافق.

لا أزال - أبقاك الله - أسأل الكتابَ إليك في الحاجة، فأتوقف أحياناً توقف المبقي عليك من المؤونة، وأكتب أحياناً كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتدِّ منك على المَقَّة؛ لا أعدَمنا الله دوام عزك، ولا سَلَب الدنيا بَهْجَتَها بك، ولا أخلانا من الصَّنْع لله على يدك وفي كَنَفك، فإننا لا نَعْرِف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعماً ونَدَى إلا في ظِلِّكَ.

إن كان هذا مما ترضاه لي، فلستُ أَلتمس أكثر منه، وقوفاً بنفسي عند الحظ الذي رَضِيته لي.

أنا، والله، أراك في رتبة المنعم إجلالاً، وبمحل الشقيق من القلب محبةً وإخلاصاً.

أما شكري فمقصورٌ على سالف أياديك، وبه قصور عنه فكيف يتسع لما جَدَّدته!

الله عندك نِعَمٌ جِسامٌ تتقاضاك الشُّكر. وَقَاكَ الله شرَّ نفسك، فإنها أقرب أعدائك إليك.

ولم أزل وَجِلاً من حادثة كذا عليك، إذ كان ما ينالك - لا أنالك الله سوءاً - متصلاً بي ومُدخلاً الضرر عليّ في رُكنٍ منك أعتمد عليه، وكَنَفٍ لك أَسْتَدْرِي به.

(١) الظَّلْع: بفتح الظاء واللام هو المَيْلُ عن الحقِّ وَضَعُفُ الإيمان، وقيل: الذَّنْب، وأصله داء في قوائم الدابة تَغْمِرُ منه.

وصل إليّ كتاب منك، فما رأيتُ كتاباً أسهلَ فنوناً، ولا أملسَ متوناً،
ولا أكثرَ عيوناً، ولا أحسنَ مقاطعَ ومطالع، ولا أشدَّ على كلِّ مَفْصِلٍ حَزّاً منه؛
أنجزتَ فيه عِدَّةَ الرأي وبشرى الفِرَاسة، وعاد الظنَّ بك يقيناً، والأملُ فيك
مبلوغاً.

لا غِيْبِكَ الله عن مواطنِ العز والصنع، وأشهدك إياها بعلو يدك، وهُبوب
ريحك، واستقادة جميع أهلها بزمام طاعتك.

قد رَمَيْتَ غَرَضَ الباطلِ بسهم الحق وحللتَ عِقالَ الشر بيد الخير. كنتُ
سالماً إن سَلِمْتُ من عَتَبِكَ.

أنا أتوسل إليك بحسن ظني بك، وأسألك بحق صبري على ظلمك لَمَّا
سَعَفْتَ بما سألتُك.

ليس ينبغي لك أن تستبطنَ فهمي وقد أسأتَ إفهامي.

مَنْ أبعَدُ من البرِّ من مريضٍ لا يُؤْتَى من دائه إلا من جهة دوائه، ولا
في علته إلا من قِبَلِ حِمِيَّتِهِ!

لستُ في حالٍ يقيم عليها حرٌّ أو يرضى بها كريم، وليس يرضى بهذا
الأمر إلا من لا ينبغي لك أن ترضى به.

قد شِخْتُ في ذَرَاكَ وَهَرِمْتُ في ظَلِّكَ، فإِذَا رددتَ عليّ شبابي وأعدتَ
إليّ قوّتي، وإِذَا دَفَعْتَ إليّ ما ينوبُ عن الشباب ويجبُرُ الضعف، ولا بدَّ من
أحدهما، فأخترَ لنفسك وأخْرُجْ إلينا من هذا الدِّينِ؛ فقد أَمْسَكْنَا عن
التقاضي ما أمكن، وصَبَرْنَا على المواعيد ما صَلَحَ؛ ودَعْنَا من الحَوَالَةِ فَإِنَّ
الصَّنِيعَةَ لا تَتِمُّ بِالْحَوَالَةِ؛ وإن جاز أن تقيم لنا زعيماً بالنعمة، جاز أن نقيم لك
زعيماً بالشكر؛ وإن جاز أن نُؤَمِّلَكَ ويَحَقِّقَ آمالنا غيرك، جاز أن نشكر غير
الْمُنْعَمِ ونَأْمُلَ غيرَ المصْطَنعِ.

أما أستعظم أن تسبق إلى حسن بل أستعظم أن تسبق إليه وتغلب عليه.
لئن كنت جاوزت بي قدرتي عندك لما بلغت بك أملي فيك.
لا يقبضك عن الأنس بي تقصيرك في البر.

بلغتني علتك فنالني من ألمها، وغالني مما مسك فيها حسب حقك وما
يخصني من كل حال تصرفت بك.

أعتذر إليك من تأخر كتبي عنك بترامي النقلة وتقاضف الغربة وعدم
الطمأنينة، فإني منذ فارقتك كما قال القائل:

[طويل]

وكنْتُ قذاة الأرض والأرض عينها تلججُ شخصي جانباً بعد جانبٍ^(١)
إني - أعزك الله - على تشوقك متزيد، فما أحاشي بك أحداً، ولا أقف
لك على حسنة يوماً إلا أنستنيها لك فضلة غده.

الحمد لله الذي جعل الأمير معقود النية بطاعته، مطوي القلب على
مناصحته، مشحود السيف على عدوه؛ ثم وهب له الظفر، ودوخ له البلاد،
وشرّد به العدو، وخصّه بشرف الفتوح العظام شرقاً وغرباً، وبراً وبحراً.

إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك، وفرط الجزع من فراقك، وظلمة
الأيام بعدك؛ وأقول كما قال حبيب بن أوس^(٢):

[خفيف]

بينَ البينِ فقدها، قلّما تعرّفُ فقداً للشمس حتى تغيباً
ورد كتابك، فيا له وارداً بالرّي على ذي ظمأ! ما أنقعه للغليل، وأعدّل

(١) القذاة: ما يقع في العين ويوجعها. ولجج في الكلام: تردّد، ولجج في صدره شيء: تردّد،
وتلجج: تردّد في الكلام.

(٢) هو أبو تمام الشاعر المشهور، وسيرد بيته المذكور في ص ٣٢ من الجزء الثالث من هذا
الكتاب.

شهادته لك بكرم العقد، وصدق الود، وحسن المغيب، ورعاية حق التحرم،
وبعد الشيمة من شيم أهل الزمان إلا من عصم الله، وقليل ما هم، والله أبواك
لقد أوجدك.

قد أجل الله خطرَكَ عن الاعتذار، وأغناكَ في القول عن الاعتلال،
وأوجب علينا أن نقنع بما فعلت، ونرضى بما أتيت وصلّت أو قطعت، إذ وثقنا
بحسن نيتك ونقاء طويتك، والزمان أن نأخذ أنفسنا لك بما لا نحملك مثله،
ولا نلتمس منك مقابلة به.

ما آخرَ كُتبي عنكَ إلا ما أنا عليه من إشار التخفيف بقطع الكتب، إلا
عند حقّ يقع فأقضيه، أو نعمة تحدث فأهنيء بها، والقصد للزيادة في البرّ
بالزيارة في الغيب، وأستدعاء دوام الوداد بانتهاز فرص الوصل.

وكتبتُ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر:

أما شكري للأمير على سالف معروفيه فقد غارَ وأنجد. وأما أبتها لي إلى
الله في جزائه عني بالحسنى فأخلص النية عند مظانّ القبول. وأما أملي
فأحياه على بُعد العهد بلاؤه عندي، إذ كان ما تقدّم منه شافعاً في المزيد،
وفسحة وعده إياي عند مفارقتي له، إذ كان مؤذناً بالإنجاز. وأما زللي في
التأخر عما أوجب الله عليّ له، فمفرون بالعقوبة فيما حرّمته من عزّ رياسته،
ونباهة صحبته، وعلو الدرجة به، وإن كنت سائر أيام أنقطاعي عنه معتلقاً
بسبب لا خيار معه. مكاتبك - أعزّك الله - وأنا مُجاورك ببلد دون السعي إليك
مُجلاً لقدرك مما أكبر. لا ييك بكتابي هذا فلان، وله عليّ حقّ عمّ
المسلمين فلزمني بلزومه لهم، وحق خصني بالحرمة والعشرة. فرأيك في كذا
إن سهل السبيل إلى ذلك ورّحّب، وإن يعق عائق فلست على جميل رأي
عندي بمُتهم.

للمتفضل أن يُخصَّ بفضلِه من يشاء؛ والله الحمدُ ثم له فيما أعطي، ولا حجة عليه فيما منع.

مستغنى السلطان أحدُ ثلاثة: رجلٌ أثر الله وما عنده، وأسأل الله توفيقَه؛ ورجلٌ عَجَزَ عن عمله فخاف بعجزه عواقبَ تقصيره، وأستعينُ الله؛ ورجلٌ سَمَتْ به نفسه عن قليل هو فيه إلى كثير أمله. وأعوذُ بالله من أن أُدْنِسَ نعمةَ الله بك عليّ وعلى سَلَفِي قبلي بالتصدّي لمن لا يُشبهه دهرُه يومك، ولا أكثرُ جهده في المعروف أقلَّ عَفْوِكَ.

كُنْ كيف شِئْتَ، فَإِنِّي واحدٌ أمري خالصةٌ سَرِيرَتِي، أرى ببقائِ بقاءِ سُروري، وبتمام النعمة عليك تمامها عندي، فإنه ليس من نعمة يُجدّدها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصةً إلا أتصلت برعيته عامّة، وشملت المسلمين كافة، وعظم بلاء الله عندهم فيها، ووجب عليهم شكره عليها؛ لأنَّ الله جعل بنعمته تمامَ نعمتهم، وبسلامته هدوءهم وأستقامتهم، وتبديره صلاحَ أمورهم وأمنهم، وبذبّه عن دينهم حفظَ حريمهم، وبحياطته حقنَ دمائهم وأمنَ سُبُلهم، وبرعيته آتساقهم وانتظامهم؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين مؤيِّداً بالنصر، مُعزِّزاً بالتمكين، موصولَ الطلب بالظفر، ومُدَّةَ البقاء بالنعيم المقيم.

فهَمْتُ كتابك ولم تَعُدْ في وعدك ووعيدك سبيلَ الراغب في رَبِّ عارفته، المحامي على سالف بلائه، المؤثر لاستتمام صنيعته، وإني لأرجو أن أكون على غاية ما عليه ذُو نِيَّةٍ حسنةٍ في شكر مُصْطَنَعه، وعناية بأداء ما يلزمه لوليّ نعمته، ومراقبة لرئيسه في سرّ أمره وعَلَانِيَتِهِ، وإيثارٍ للقليل من جميل رأيه على كثيرِ المنافع مع سَخَطِهِ. وليس مذهبي فيما أشرحه من العذر وأطيل بذكره الكتب، مذهب مَنْ يَمُوّه بالاحتجاج ويَحْتالُ في الاعتذار، ومَنْ تُطْمَعُه نفسه في سلامة النعمة مع فساد النية، وفي محمود العاقبة منع شرِّه النفس،

وفي زيادة الحال مع التفريط في العمل. ولو كنت ممن سَوَّلَتْ له نفسه ذلك سائرَ دهره، لقد وجب إلي أن يضطرني إلى النزوع عنه تأديبك وتقويمك. وإنني لمجتهد أن يكون أثرُ فعلي هو المخبر عني دون قولي، وأن يكون ما أُمْتُ به إليك ظاهرَ كفايتي دون ذمّامي.

لولا ما أنا بسبيله من العمل، وما في الإخلال به من تعريضه للانتشار ودخول الخلل، وعلمي بأن طاعةَ السلطان مقرونةً بطاعة الأمير، وأنه لا فرقَ عنده بين الجاني على السلطان وعليه، لكنّ الجوابَ راجلاً معظماً لأمره، مُكبراً لُسُخطه؛ وإن كان الله قد جعل عند الأمير من إثارة الحق والعمل به، وتقديم الروية قبل الإيقاع، والاستثناء^(١) بمن وَضَحَ ذَنْبَهُ وظهرَ جُرْمُهُ دون من وقعت الشبهة في أمره، ما أمني بادرةَ غَضَبِهِ ونازلَ سَطْوَتِهِ.

لم أكن أحسبني أحلَّ عندك محلَّ مَنْ جَهِلَ حَظَّهُ، وَعَدِمَ تَمييزَهُ، وَغَبِيَ عَمَّا عليه وَعَمَّا له؛ إذ تَوَهَّمْتُ عَلَيَّ أَنِّي أبيعُ خطيراً من رضاك، ونفيساً من رأيك، وشرفاً باقياً على الأيام بطاعتك، وَعُدَّةً للنوائب أستظهر بها من نصرتك، بالثمن البخس الحقيق من كذا، أو أن أستبدلَ بما أنا ذو فاقةٍ إليه من عزِّ كَنَفِكَ ومنيعِ ذَرَاكَ، ما قد وهب الله الغنى عنه بحمده.

كان ورودُك وشخصُك في وقتين أنظويًا عني، وكان مُقامك في حالِ شغلٍ منك ومني، ولذلك فقدتني في القاضيين لحقك والمشايرين على لقاءك.

ورد كتابك مضمناً من برك وتَطَوُّلِكَ ما حَسَنَ شكري، وأثقلَ ظهري، وأرتج عن مضاهاتك بمثله قولِي؛ فذكرت به - إذ تحيرت دون تأمله، وَضَعْتُ

(١) - الاستثناء: الإنتظار، من آستاني أي ترفق وتمهل وأتأد وانتظر.

عن تحمُّله، وعَجَزْتُ عن الشكر عليه عند تمَحُّله - قول القائل : [كامل]

أَنْتَ أَمَرُوا أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا أَوْهَتْ قُوَى شَكْرِي، فَقَدْ ضَعُفَا
لَا تُحَدِّثُنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا^(١)

ألفاظ تقع في كتب الأمان

هذا كتاب من فلان لفلان: إن أَمُنْتُكَ على دَمَك ومالك ومَوَالِيكَ وأتباعك، لك ولهم ذِمَّةُ الله المُوَفَّى بها، وعهده المسكُونُ إليه، ثم ذِمَّةُ الأنبياء الذين أرسلهم برسالاته وأكرمهم بوحيه، ثم ذِمَّةُ النجباء من خلائفه: بحقن دمك ومَنْ دَخَلَ أَسْمُهُ مَعَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وسلامةِ مالك وأموالهم وكذا وكذا؛ فأقبلوا معروضه، وآسكنوا إلى أمانه، وتعلَّقوا بحبل ذمته، فإنه ليس بعدما وَكَّدَ مِنْ ذَلِكَ مُتَوَقِّتٌ لِدَاخِلٍ فِي أَمَانٍ إِلَّا وَقَدْ أَعْتَلَقْتُمْ بِأَوْثَقِ عُرَاهِ، ولجأتكم إلى أحرز كهوفه، والسلام.

وفي كتاب آخر:

هذا كتاب من فلان: إن أمير المؤمنين، لِمَا جَعَلَ اللهُ عَلَيْهِ نَيْتَهُ فِي إِقَالَةِ الْعَاثِرِ وَأَسْتَصْلَاحِ الْفَاسِدِ، رَأَى أَنْ يَتَلَفَّاكَ بِعَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدَ زَلَّاتَكَ بِرُحْمِهِ، وَيَسْطُرَ لَكَ الْأَمَانَ عَلَى مَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ: عَلَى دَمِكَ وَشَعْرِكَ وَبَشْرِكَ وَأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَمَالِكَ وَعَقَارِكَ؛ فَإِنْ أَنْتِ أَتَيْتَ وَسَمِعْتَ وَأَطَعْتَ، فَأَنْتِ آمِنٌ بِأَمَانِ اللهِ عَلَى مَا أَمَّنَكَ عَلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكَ بِذَلِكَ

(١) هذان البيتان لأبي نواس. وجاء في ديوانه (ص ٤٣٣).

«جَلَّلْتَنِي» بدلاً من «أَوْلَيْتَنِي» «وَلَا تُسَدِّدُنَّ» بدلاً من «لَا تُحَدِّثُنَّ»

كما ورد هذان البيتان في ص ١٦٤ - ١٦٥ من الجزء الثالث من هذا الكتاب. والعارفة: المعطية. وجلَّلْتَنِي: كسوتني.

ذمة الله وذمة رسوله، إلا ما كان من حق قائم بعينه لمسلم أو معاهد، والله بذلك راع وكفيل، وكفى بالله وكيلًا.

وفي كتاب آخر:

إن فلاناً أستوهب أمير المؤمنين ذنبك، وسأله أن يقبل توبتك وإنابتك، ويؤمّنك على دمك وشعرك وبشرک وأهلك وولدك ومالك وعقاراتك، على أن تسمع وتطيع وتُشايع، وتوالي أوليائه، وتُعادي أعداءه؛ فأجابه أمير المؤمنين إلى ذلك، لرأيه في العفو والصفح وما يحتسب في ذلك من الثواب والأجر، فأنت آمن بأمان الله على كذا لا تؤخذ بشيء مما سلف من أحداثك، ولا تُتبع فيه بمكروه ما أقمت على الوفاء ولم تُحدث حدثاً تفسخ به أمانك وتجعل به سبيلاً على نفسك، والله لك بذلك راعٍ كفيل؛ وكفى به شهيداً.

ألفاظ تقع في كتب العهود

أمره بتقوى الله فيما أسند إليه وجعله بسبيله، وأن يؤثّر الله وطاعته آخذاً ومُعطيًا، وأعلمه أن الله سائله عما عمل به وجاز عليه، وأنه خارج من دنياه خروجه من بطن أمه إما مغبوطاً محموداً، وإما مذموماً مسلوباً، فليعتبر بمن كان قبله من الولاة الذين ولّوا مثل ما ولي، أين صار بهم مرّ الليل والنهار، وما أنقلبوا به من أعمالهم إلى قبورهم! ويتزوّد لنفسه الزاد النافع الباقي: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١).

(١) سورة آل عمران ٣ آية ٣٠. والمعنى: لن يفوز بالخير غداً إلا عامل الخير ولا يجزى جزاء الشر إلا فاعله، وكلٌّ مفرط نادم لا محالة. راجع التفسير المبين لمحمد جواد معنية. ولقد وردت هذه الآية الكريمة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦١) في إحدى خطب أبي بكر.

وفي فصل آخر:

وقد ولّاك أمير المؤمنين ما ولّاك من أمور رعيّته، وأشركك فيما أشركك فيه من أمانته، ثقةً بك، ورجاءً لمتابعتك وإيشارك الحقّ وأهله، ورفضك الباطل وأهله؛ وعهد إليك في ذلك بما إن أخذت به أعانك الله وسدّدك، وإن خالفته خذلك وعاقبك.

وفي الحج:

فإن أمير المؤمنين قد اختارك من إقامة الحج لوفد الله وزور بيته، للأمر العظيم قدره، الشريف منزلته؛ فعليك بتقوى الله؛ وإيثار مراقبته، ولزوم الهدى المحمود والطريقة المثلى والسيرة الجميلة التي تُشبه حالك.

فصل - فإن الله نزه الإسلام عن كل قبيحة، وأكرمه عن كل رذيلة، ورفعَه عن كل دنية، وشرّفه بكل فضيلة، وجعل سيماء أهله الوقار والسكينة.

فصل - وإن أحق الناس بالازدياد في طاعته ومناصحته وأداء الأمانة في عمله مَنْ عَظُمَ حقُّ الأمير عليه في الخاصّة بفضل الصنيعة من الأمير عنده، مع حق الله عليه في العامّة بحقّ الولاية.

فصل - وكنت سيفاً من سيوف الله، ونكلاً^(١) من أنكاله لأهل الشقاق، وشجياً لمن أبتغي غير سبيل المؤمنين، قد أحكمتك التجارب وضرّستك الأمور، وفُرِرتَ عن الذكاء وحلّبت^(٢) الدهرَ أشطّره.

فصل - أنت ابن الحرّية والمرّوة، ومن لا يلحقه عارُ أبوة ولا بُنوة.

(١) النكّل (بكسر النون) القيد الشديد أو قيد من نار، والجمع أنكال.

(٢) حلّب الدهرَ أشطّره: حلب ضروب أحواله أي مرّ به خبره وشرّه وجربّ أموره، والأشطر: ج شطر.

فصل - قد آلمستُ مواجَهتك بشكرِكَ ووصفِ ما أُجِنُّ^(١) لك وأخلص من ودك وأجلَّ من قدرِكَ وأعتدَّ من إحسانِكَ، فَلَقْتَنِي عن ذلك تَعَدُّرُ الخُلوةِ مع أنقباضٍ وحشمةٍ.

فصل - قد أغنى الله بكرمكَ عن ذريعةٍ إليك؛ وما تُنازعني نفسي إلى استعانةٍ عليك إلا أبى ذلك حُسْنُ الظنِّ بالله فيكَ، وتأميلُ نُجَحِ الرغبةِ إليك دون الشفعاء عندكَ.

فصل - مثلك تقرب إلى الله بالتواضع لنعمته، والإغاثة لمستغيثه، والعائدة^(٢) على راجيه بفضلِهِ.

فصل - تَبَّأ لمن يأتي رأيكَ! وقبحاً لِعُزُوب^(٣) عقلِكَ، وأقن^(٤) تدبيرِكَ! ما أبعدَ مذهبَكَ في الخطأ، وأسوأَ أثَرَكَ على السلطان، وأقصرَ باعَكَ عن النهوض! جزالة تعقدكَ، ومهانة تُضَرِّعُكَ، وزهو يُعلوك، ونخوة يَشْمَخُ لها عِرْنينِكَ. لقد أنصرف رأيُ أمير المؤمنين عنكَ، ودعوتَ له عَتَبُكَ، وكشفتَ له عن قِنَاعِ سترك، وأجتررتَ إليك سَخَطَهُ وعَطَفْتَ نحوكَ مَوْجَدَتَهُ، وكنتَ على نصيبِكَ منه والضنَّ بمنزلتك عنده أولى تقدماً وأقربَ رُشداً. والله الغني الحميد.

أصحاب السلطان ثلاثة: رجلٌ يجعل الدنيا نُصَبَ عينه، ينصب فيها للخاصة مكائده، ويرفع عن مصلحة العامة همته، يذهله عن التقوى الهوى، وتُنْسِيهِ أيامُ القدرة العثرة، حتى تنصرِمَ مدته وتنقضي دولته، لم يرتهن بدينه

(١) ما أُجِنُّ لك: ما أضمرُّ لك من محبة؛ يقال: جُنَّ الشيء عنه: إستر.

(٢) العائدة: اسم من عادة بمعروفه إذا أقبل.

(٣) عُزُوبُ العقل: غيابه؛ يقال عَزَبَ الشيء عنه يَعُزُّبُ: غاب وخفي.

(٤) الأقن: ضعف الرأي والتدبير.

شُكْرًا وَلَا قَدَمَ بِهَا إِلَى مَعَادِهِ ذُخْرًا. وَرَجُلٌ لَا يَحْفِلُ^(١) مَعَ صَلَاحِ الْخَاصَّةِ مَا دَخَلَ مِنَ الْخَلَلِ فِي أُمُورِ الْعَامَّةِ، وَلَا مَعَ وَفُورِ حَظِّهِ مَا أَدْخَلَ النِّقْصَ فِي حَظِّ رَعِيَّتِهِ. وَرَجُلٌ حَاقِلٌ فِي وَلَايَتِهِ إِرْضَاءً مِنْ وَلِيِّهِ، وَأَعَانَتِهِ النَّيَّةَ وَخَذَلْتَهُ الْكُفَايَةُ. وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ الثِّقَةَ وَالرِّضَا مِنْ فَوْقِكَ، وَالْإِنْقِيَادَ وَالْمَحَبَّةَ مِنْ دُونِكَ، وَأَعَادَ إِلَى النَّاسِ بِكَ عَهْدَ السَّلَفِ الْمَاضِي وَعَمَّرَ بِكَ آثَارَهُمْ، حَتَّى كَانَهُمْ بِكَ أَحْيَاءَ لَمْ تَخْتَرِمَهُمْ مَنِيَّةً، وَجَمِيعٌ لَمْ تَنْصَدِغْ بَيْنَهُمْ فُرْقَةً، فَلْيَهْنِئْكَ أَنَّ مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي السَّيْرِ غَيْرُ مُتَقَدِّمٍ لَكَ، وَمَنْ مَعَكَ مُقَصِّرٌ عَنْكَ، وَمَنْ دُونَكَ مُقْتَفٍ لِأَثَرِكَ. فَلَا زَالَتِ الْأَيَّامُ لَكَ، وَلَا زَالَتِ النِّعَمُ عَنْكَ، وَلَا آتَنْتَ عُرَى الْأُمُورِ وَأَزَمَّتْهَا عَنْ يَدِكَ.

فصل - أَبَى طَبِيعُ الزَّمَانِ أَنْ يَسْمَحَ لَنَا بِكَ، كَمَا أَبَى ذَلِكَ فِي مِثْلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَعْتَرَضَ بِمَكْرُوهِهِ دُونَكَ، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ ذَهَلَتْ عَنْهَا النَّفْسُ حِينَ أَدْبَرْتَ بِخَيْرِكَ، فَإِنَّ تَعَلُّقَ الْقَلْبِ بِكَ عَلَى قَدْرِكَ فِي مَوَاهِبِ اللَّهِ وَقَدْرِهَا عِنْدَكَ.

فصل - وَلَمْ تَأْتِ فِي جَمِيعِ مَا عَدَدْتُ مِنْ أَيَادِيكَ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِتْنَاهِيًّا إِلَى الْغَايَةِ، مَخْتَارًا كَالْأَمْنِيَّةِ، مُتَجَاوِزًا لِلْإِسْتِحْقَاقِ، إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ وَالْمَأْمُولُ لِلزِّيَادَةِ فِيهِ.

وفي كتاب - إِنْ كَانَ مَا خَبَّرَنِي بِهِ فَلَانٌ عَنْ هَزَلٍ فَقَدْ أَحْجَوْنَا هَزْلُكَ إِلَى الْجَدِّ، وَوَقَفْنَا مَوْقِفَ الْمَعْتَذِرِينَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، وَإِنْ كَانَ عَنْ حَقِيقَةٍ فَقَدْ ظَهَرَ لَنَا مِنْ ظُلْمِكَ وَتَحْرِيفِكَ مَا دَلَّ عَلَى زُهْدِكَ مِنَّا فِي مِثْلِ الَّذِي رَغَبْنَا مِنْكَ فِيهِ.

فصل في كتاب العيد - كِتَابِي إِلَى الْأَمِيرِ يَوْمَ كَذَا بَعْدَ خُرُوجِي فِيهِ وَمَنْ قَبَلِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمُصَلَّى وَقَضَائِنَا مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ صَلَاةِ الْعِيدِ،

(١) لَا يَحْفِلُ: لَا يَبَالِي.

ونحن بخير حالٍ آتجمع عليها فريقٌ من المسلمين في عيدٍ من أعيادهم ومجمعٍ من مجامعهم؛ وكان مَخْرُجُنَا إلى المصلَّى أفضلَ مَخْرَجٍ، ومُنْصَرَفُنَا عنه أفضلَ مُنْصَرَفٍ، بما وهبَ الله من سكونِ العامةِ وهُدُوئِهَا وَالْفَتْهَاءِ، وَاَحْتِشَادِ الْجَنْدِ وَالشَّاكِرِيَّةِ^(١) بِأَحْسَنِ الزَّيِّ والهِئَةِ، وأظهرِ السلاحِ والعُدَّةِ. فالحمد لله على كذا، وَهَذَا اللهُ الأَمِيرُ كَذَا.

فصل - القلب قرينٌ وَلَهُ حَلِيفٌ خَيْرٌ، أَنْظِرْ بَعِينَ كَلِيلَةً وَأَحْضِرْ بَقْلِبٍ غَائِبٍ: إلى ورودِ كتابك بما تعتزمه. فَأَمَّا النُّومُ فَلَوْ مَثَلٌ لِعَيْنِي لَنَفَرْتُ إِلْفًا لِلْسَّهَادِ.

فصل في كتاب بَيْعَةٍ - فَبَايَعُوا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِفُلَانٍ بَعْدَهُ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ وَبَرَكَتِهِ وَصُنْعِ اللَّهِ وَحُسْنِ قَضَائِهِ لِدِينِهِ وَعِبَادِهِ، بَيْعَةً مَنِسِبَةً لَهَا أَكْفُكُمْ، مَنْشُرَحَةً بِهَا صُدُورُكُمْ، سَلِيمَةً فِيهَا أَهْوَاؤُكُمْ، شَاكِرِينَ لِلَّهِ عَلَى مَا وَقَّقَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

عَدَدَ مَعَاوِيَةَ عَلَى الْأَحْنَفِ ذَنْبًا؛ فَقَالَ الْأَحْنَفُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لِمَ تُرَدُّ الْأُمُورَ عَلَى أَعْقَابِهَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبَّيْنَ جَوَانِحَنَا، وَإِنَّ السُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا لَعَلَى عَوَاتِقِنَا؛ وَلَثْنٌ مَدَدَتْ لَنَا بَشِيرٌ مِنْ غَدَرٍ، لَنَمُدَّنَّ إِلَيْكَ بَاعًا مِنْ خُتْرٍ^(٢)، وَلَثْنٌ شَتَّتْ لَتَسْتَصْفِينَ كَدَرَ قُلُوبِنَا بِصَفْوِ حَلْمِكَ؛ قَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنِّي أَفْعَلُ.

تَقَدَّمَ رَجُلٌ إِلَى سَوَّارٍ، وَكَانَ سَوَّارٌ لَهُ مُبْغَضًا، فَقَالَ سَوَّارٌ فِي بَعْضِ مَا يَكْلِمُهُ بِهِ: يَا أَبْنَ اللَّخْنَاءِ^(٣)! فَقَالَ: ذَاكَ خَصْمِي؛ فَقَالَ لَهُ الْخَصْمُ: أَعْدَنِي

(١) الشَّاكِرِيَّةُ: ج شَاكِرِيٍّ، مَعْرَبٌ جَاكِرٌ بِالْفَارْسِيَةِ وَمَعْنَاهُ الْأَجِيرُ وَالْمُسْتَعْدِمُ.

(٢) الْخُتْرُ: الْخَدِيعَةُ وَالْغَدَرُ.

(٣) اللَّخْنَاءُ: الْمَتَنَّةُ الْمَغَابِنُ؛ يُقَالُ: لَخَنَ الشَّيْءُ: أَنْتَنَ. وَاللَّخْنُ: قُبْحُ رِيحِ الْفَرْجِ.

عليه^(١)، فقال له الرجل: خذ له بحقه وخذ لي بحقي؛ ففهم، وسأله أن يغفر له ما فرط منه إليه، ففعل.

الأوزاعي قال: دخل خُرَيْم بن فاتك على معاوية، فنظر إلى ساقيه فقال: أي ساقين، لو كانتا على جارية عاتق^(٢)! فقال له خُرَيْم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين.

الخطب

تَبَعْتُ خُطْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فوجدتُ أوائلَ أكثرها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلِّل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له». ووجدت في بعضها: «أوصيكم، عباد الله، بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته». ووجدتُ في خطبة له بعد حمد الله والثناء عليه: أيها الناس، إنَّ لكم مَعَالِمَ فَاَنْتَهُوا إلى معالِمكم، وإنَّ لكم نِهَايَةً فَاَنْتَهُوا إلى نهايتكم؛ إن المؤمنَ بين مخافتين: بين أجلٍ قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ به، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه؛ فليأخذ العبدُ لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت؛ والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت مُسْتَعْتَبٌ ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة أو النار، ووجدتُ كلَّ خطبة مفتاحها الحمدُ إلا خطبة العيد فإن مفتاحها التكبير. وتكبير الإمام قبل أن ينزل عن المنبر أربع عشرة تكبيرة.

(١) أعذني عليه: أنصرتني عليه وقوّني.

(٢) العاتق: الجارية أول إدراكها، وقيل هي التي لم تنزّوج.

خطبة^(١) لأبي بكر الصديق رضي الله عنه

حدَّثني أبو سَهْل قال: حدَّثني الطَّنَافِسي عن محمد بن فضَّيل قال: حدَّثنا عبد الرحمن ابن إسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن عُكَيْم قال: خطبنا أبو بكر رضي الله عنه فقال:

أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله وحده وأن تُثَنُّوا عليه بما هو أهله، وتَحْلِطُوا الرغبة بالرهبة، والإلحاف بالمسألة؛ فإنَّ الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(٢). ثم أعلموا أن الله قد آرتهم بحقه أنفسكم، وأخذَ على ذلك موثيقكم، وأشترى منكم القليلَ الفاني بالكثير الباقي. هذا كتابُ الله فيكم لا تَقْنَى عجائبه ولا يُطفأ نوره، فصَدَّقوه وأَنْتَصِحُوهُ وآسْتَضِيحُوا منه ليوم الظُّلْمة. ثم أعلموا أنكم تغدُون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ علمه عنكم، فإنَّ أَسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَنْقُضِيَ إلَّا وأنتم في عملٍ لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله. فسابقوا في مهَلٍ؛ فإنَّ قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، والوَحَى الوَحَى^(٣) والنجاء النجاء! فإنَّ من ورائكم طالباً حثيثاً مرَّه، سريعاً سَيرُهُ.

وفي غير هذه الرواية: أين مَنْ تعرِفون من أبنائكم وإخوانكم! قد أنتهت بهم آجالهم فورَدُّوا على ما قدَّموا فحلُّوا عليه وأقاموا للشقوة والسَّعادة فيما بعد الموت. أينَ الجَبَّارون الذين بَنَوْا المداثنَ وحَصَّنُوها بالحوائط! قد صاروا تحتَ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦١ - ٦٢) باختلاف يسير عما هنا.

(٢) سورة الأنبياء ٢١، آية ٩٠. والمعنى: هذه هي هوية الأنبياء: ليسوا سحرة أو منجمين ولا

ملائكة أو سلاطين، إنهم أناسٌ يطيعون الله في كل شيء رغبة في ثوابه وخوفاً من عقابه، ومن

أجل هذا جعلهم الله حفظة دينه وحجة على عباده. راجع التفسير المبين.

(٣) الوَحَى الوَحَى: البدارِ البدارِ، أي السرعة السرعة.

الصَّخْر والآكام.

خطبة^(١) لأبي بكر أيضاً رضي الله عنه

رواها إبراهيم بن محمد من ولد أبي زيد القاريء.

حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

إِنَّ أَشْقَى النَّاسِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُلُوكُ. فَرَفَعَ النَّاسَ رُؤُوسَهُمْ؛ فَقَالَ: مَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ النَّاسِ! إِنَّكُمْ لَطَعَانُونَ عَجِلُونَ، إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا مَلَكَ زَهَدَ اللهُ فِيْمَا فِي يَدِهِ، وَرَغِبَ فِيْمَا فِي يَدَيْ غَيْرِهِ، وَأَنْتَقَصَهُ شَطْرَ أَجَلِهِ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ، فَهُوَ يَحْسَدُ عَلَى الْقَلِيلِ، وَيَتَسَخَّطُ الْكَثِيرَ، وَيَسْأَمُ الرِّخَاءَ، وَتَنْقَطِعُ عَنْهُ لَذَّةُ الْبِهَاءِ^(٢)، لَا يَسْتَعْمِلُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثِّقَةِ، فَهُوَ كَالدَّرْهِمِ الْقَسِيِّ^(٣) وَالسَّرَابِ الْخَادِعِ، جَذَلَ الظَّاهِرَ، حَزِينَ الْبَاطِنِ، فَإِذَا وَجِبَتْ نَفْسُهُ وَنَضَبَ عَمْرُهُ وَضَحَا ظِلُّهُ^(٤)، حَاسَبَهُ اللهُ فَأَشَدَّ حِسَابَهُ وَأَقْلَّ عَفْوَهُ. أَلَا إِنَّ الْفُقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ، وَخَيْرَ الْمُلُوكِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَحَكَمَ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ. وَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى خِلَافَةِ نَبْوَةٍ، وَمَقَرِّقِ مَحَجَّةٍ، وَسَتَرُونَ بَعْدِي مَلَكًا عَضُوضًا، وَأُمَّةً شَعَاعًا، وَدَمًا مُفَاحًا^(٥). فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ نَزْوَةٌ، وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوْلَةٌ؛ يَعْفُو لَهَا الْأَثَرُ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ، فَالزَّمُوا الْمَسَاجِدَ، وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ، وَالزَّمُوا الْجَمَاعَةَ. وَلِيَكُنِ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاوُرِ، وَالصَّفْقَةُ بَعْدَ طُولِ التَّنَاطُرِ، أَيُّ بِلَادِكُمْ^(٦) خُرْسَةٌ فَإِنْ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩ - ٦٠) وفي البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٥) باختلاف يسير عما هنا.

(٢) في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩): «لذة البقاء».

(٣) الدرهم القسي: الرديء الزائف.

(٤) ضحاً ظله، ونضب عمره، ووجب نفسه: كل منها كناية عن الموت.

(٥) الدم المفاح: المراق. وشعاع: متفرقة. وملك عضوض: ملك فيه استبداد وعسف.

(٦) خُرْسَةٌ: مُحْتَبَسَةٌ، وَالْخُرْسَةُ أَيْضاً: طَعَامٌ. وَالْمُرَادُ: إِنَّ بِلَادَكُمْ مَعْرُضَةٌ لِلْخَطَرِ. وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٤ ص ٥٩): «خُرْسَنَةٌ» وَهِيَ بِلَدٌ قَرِبَ مَلْطِيَةِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ.

الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أديانها.

خطبة^(١) أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة

أراد عُمر الكلام، فقال له أبو بكر: على رَسْلِكَ. نحنُ المهاجرون أولُ الناسِ إسلاماً، وأوسطُهم داراً، وأكرمُهم أحساباً، وأحسنُهم وجوهاً، وأكثرُ الناسِ ولادةً في العرب، وأمَّسُهم رَجِماً برسول الله ﷺ، أسَلَمْنَا قبلكم، وقَدَّمْنَا في القرآن عليكم^(٢)، فأنتم إخواننا في الدين، وشرُّ كاؤنا في الفِئء، وأنصارنا على العَدُو؛ أويُتُم وواسيُتُم، فجزاكم الله خيراً؛ نحنُ الأمراءُ، وأنتم الوزراءُ؛ لا تَدِينُ العربُ إلا لهذا الحَيِّ من قُرَيْشٍ، وأنتم محقوقون ألا تَنفُسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم.

خطبة^(٣) لأبي بكر رضي الله عنه

الهَيْثُم عن مُجالِد عن الشَّعْبِيِّ قال: لما بُويع أبو بكر الصَّدِيق رضي الله عنه، صَعِدَ الْمِنْبَرُ فَتَزَلَّ مِرْقَاةً^(٤) مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي وَلَيْتُ أَمْرَكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَسَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. اْعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْبَسَ الْكَيْسِ التَّقَى، وَأَنَّ أَحْمَقَ الْحُمَقِ الْفُجُورُ، وَأَنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ، وَأَضْعَفُكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقُّ، إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ زُغْتُ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٨ - ٥٩) باختلاف في النص عما هنا.

(٢) ورد في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩) بعد عبارة «في القرآن عليكم» الآية الكريمة التالية:

«والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان» سورة التوبة ٩، آية

١٠٠.

(٣) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٥٩) مع اختلاف في العبارات عما هنا.

(٤) نَزَلَ مِرْقَاةً بكسر الميم وفتحها: نزل درجة.

فقوموني. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

خطبة^(١) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال: ولما ولي عمر صعد المنبر وقال:

ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكر، ثم نزل عن مجلسه مِرْقَاة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إقرءوا القرآن تُعرفوا به، وأعملوا به تكونوا من أهله. إنه لم يبلغ حقَّ ذي حقٍّ أن يطاع في معصية الله. ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة والي اليتيم: إِنْ آسْتَعْنَيْتُ عَفَفْتُ وَإِنْ آفْتَقَرْتُ أَكَلْتُ بِالْمَعْرُوفِ تَقَرُّمَ الْبَهْمَةِ الْأَعْرَابِيَّةِ. الْقَضَمَ لَا الْخَضَمَ^(٢).

خطبة^(٣) لعثمان بن عفان رضي الله عنه

قال: ولما ولي عثمان صعد المنبر فقال:

رحمهما الله، لو جلسا هذا المجلس ما كان بذلك من بأس، فجلس على ذُرْوَةِ المنبر فرماه الناس بأبصارهم، فقال: إِنْ أَوَّلَ مَرَكِبٍ صَعَبٌ، وَإِنْ مَعَ الْيَوْمِ أَيَّامًا، وَمَا كُنَّا حُطَبَاءَ، وَإِنْ نَعِشْ لَكُمْ تَأْتِيَكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٢) باختلاف في بعض العبارات عما هنا.
(٢) الْخَضَمُ: الأكل بأقصى الأضراس. والقَضَمُ: الأكل بأطراف الأسنان. والتَقَرُّمُ: الأكل أكلاً ضعيفاً أو تعلم الأكل؛ يقال: قَرَّمَهُ: علَّمَهُ الأكل. والبهمة: أولاد الضأن والمعز والبقر، والجمع بهم وبهم وبهم وبهم. والمراد الأكل الخفيف الذي تدفع إليه حاجة الحياة.
(٣) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٦) باختلاف كبير عما هنا.

خطبة^(١) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

خطب فقال:

أما بعد، فإن الدنيا قد أذبرت وأذنت^(٢) بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت فآشرفت بأطلاع، وإن المِصْمارَ^(٣) اليومَ وغداً السَّباقَ. ألا وإنكم في أيام أَمَلٍ^(٤) من ورائه أَجَلٌ، فمن قَصَّرَ في أيام أمله قبل حضور أَجله فقد خَسِرَ عمله. ألا فاعملوا لله في الرُّغْبَةِ كما تعملون له في الرُّهْبَةِ^(٥). ألا وإني لم أر كالجنة نامَ طاليها، ولا كالنار نام هاربيها. ألا وإنه من لم ينفعه الحقُّ ضرَّه الباطل^(٦)، ومن لم يَسْتَقِم به الهدى جار به الضلال، ألا وإنكم قد أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ^(٧)، ودُلِّمْتُمْ عَلَى الزَّادِ^(٨)؛ وإنَّ أخوف ما أخاف عليكم آتباعُ الهوى وطولُ الأمل.

خطبة^(٩) علي عليه السلام بعد مقتل عثمان رضي الله عنه

أيها الناس، كتاب الله وسنة نبيكم. لا يدعي مدع إلا على نفسه. شغل

- (١) وردت هذه الخطبة في المصدر السابق ص ٦٩ باختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا. كما أنها جاءت كاملة في نهج البلاغة (ج ١ ص ٧١ - ٧٣) والذي في كتابنا، فقد طرأ عليه نقصان عما في نهج البلاغة، وانظرها كذلك في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٤٠).
- (٢) أذنت: أعلمت، وإيذانها بالوداع إنما هو بما أودع في طبيعتها من التقلب والتحول.
- (٣) المِصْمار: الموضع والزمن الذي تُضْمَرُ فيه الخيل.
- (٤) يريد الأمل في البقاء واستمرار الحياة.
- (٥) أي أعمالوا لله في السَّراء كما تعملون له في الضَّراء، لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه.
- (٦) النفع الصحيح كله في الحق، فإن قال قائل إن الحق لم ينفعه فالباطل أشدَّ ضرراً له.
- (٧) الظُّعْن: الرحيل عن الدنيا، أي أَمَرْنَا اللَّهَ أَنْ نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر في الأخرى.
- (٨) المقصود بالزاد: عمل الصالحات وترك السيئات.
- (٩) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٦) باختلاف في بعض الكلمات وزيادات عما هنا؛ قال ابن عبد ربه: أنها أول خطبة خطبها علي - رضي الله عنه - فحمد الله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أيها الناس... الخ وفي نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٩ - ٥٠): «ومن هذه الخطبة: =

مَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارُ أَمَامَهُ^(١) سَاعٍ^(٢) نَجَا، وَطَالَبٌ يَرْجُو، وَمَقْصَرٌ فِي النَّارِ: ثَلَاثَةٌ؛
وَأَثْنَانِ: مَلَكٌ طَارَ بِجَنَاحَيْهِ، وَبَنِيٌّ أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِهِ، لَا سَادِسَ. هَلَكَ مَنْ أَقْتَبَحَمَ،
وَرَدِّي مَنْ هَوَى. الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالْوُسْطَى الْجَادَّةُ^(٣): مَنَهَجٌ عَلَيْهِ بَاقِي
الْكِتَابِ وَأَثَارُ النُّبُوَّةِ. إِنْ اللَّهُ أَدَبَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِأَدْبَيْنِ: السُّوْطُ وَالسَّيْفُ؛ فَلَا هَوَادَةَ
فِيهِمَا عِنْدَ الْإِمَامِ. فَاسْتَبْرُوا بِبَيوتِكُمْ، وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ؛ وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ.
مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ^(٤). قَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مِلْتَمٌ عَلَيَّ فِيهَا مِثْلَةٌ لَمْ تَكُونُوا
عِنْدِي مَحْمُودِينَ وَلَا مُصِيبِينَ. وَاللَّهُ أَنْ لَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ. عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ. أَنْظَرُوا، فَإِنْ أَنْكَرْتُمْ فَأَنْكِرُوا، وَإِنْ عَرَفْتُمْ فَارْزُؤُوا. حَقٌّ وَبَاطِلٌ، وَلِكُلِّ
أَهْلٍ. وَاللَّهُ لَنْ أُمَرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ؛ وَلَنْ أُمَرَ^(٥) الْحَقُّ لَرُبِّ وَلَعَلَّ. مَا أَدْبَرَ
شَيْءٌ فَأَقْبَلَ.

خطبة^(٦) أَيْضاً لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

خَطَبَ عَلِيٌّ حِينَ قُتِلَ عَامِلُهُ بِالْأَنْبَارِ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ:

= شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارُ أَمَامَهُ... الخ أي من هذه الخطبة التي قالها علي عليه السلام لما بُويع
بالمدينة (نفس المصدر ص ٤٦) ولقد وردت هذه الخطبة في المصدر المذكور باختلاف عما
في كتابنا. كذلك أنظرها في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨).

(١) شُغِلَ: فعل مبني على المجهول، ومن نائب فاعل له، والجنة مبتدأ خبره: أمامه.
(٢) هنا يقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: الأول هو الساعي إلى ما عند الله. والثاني هو الطالب الذي
قلبه تعمره الخشية ولكنه قد يخلط العمل الصالح بالسيء، لذا يرجو أن يغفر الله تعالى له
والثالث هو المقصّر الذي يقول بلسانه أنه مؤمن ويشارك الناس الصوم والصلاة وما شابههما
ظناً منه أن ذلك هو كل ما يطلب منه، وهو في الحقيقة لا يميل له هواه إلى أمر إلا أنهى
إليه، فذلك جدير أن يكون في النار هوى.

(٣) اليمين والشمال مثال لما زاع عن جادة الشريعة، والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة.

(٤) أي مَنْ كَاشَفَ الْحَقَّ مَخَاصِمًا لَهُ هَلَكَ.

(٥) أُمَرَ الْحَقُّ: سُلِّطَ.

(٦) هي الخطبة التي تحدث على الجهاد وتذم القاعدين. وقد وردت في نهج البلاغة (ج ١ ص ٦٧ - ٧٠) كاملة وأولها: «أما بعد، فإن الجهاد بابٌ من أبواب الجنة...» والذي في كتابنا، =

يا عَجَباً مِنْ جِدِّ هَؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشْلِهِمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فُقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحُّاً^(١) حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى، يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلَا تُغْزَوْنَ، وَيُعَصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ. إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي الحَرِّ قُلْتُمْ: حَمَارَةٌ^(٢) القَيْظِ، أَمِهْلُنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ الحَرُّ، وَإِنْ أَمَرْتُكُمْ بِالمَسِيرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: أَمِهْلُنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ الشِّتَاءُ هَذَا أَوْ أُنْ قُرٌّ^(٣)؛ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الحَرِّ وَالْقُرِّ، فَأَنْتُمْ وَاللَّهُ مِنَ السَّيْفِ أَفْرَ، يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالاً! أَحْلَامُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رِبَاتِ الْجِبَالِ^(٤)؛ أَفَسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى قَالَتْ قَرِيشُ: ابْنُ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالحَرْبِ. اللَّهُ أَبُوهُمْ! هَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً^(٥) وَأَطْوَلُ تَجَرِبَةً مِنِّي؟ لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ فَهَئَانَا الْآنَ قَدْ نَيْفْتُ عَلَى السِّتِينَ، وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ.

= فقد طرأ عليه بعض التغيير عما في نهج البلاغة. كذلك وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٦٩ - ٧١) كاملة ولكن باختلاف بسيط عما في نهج البلاغة. قال ابن عبد ربه ما نصه: قال عليّ هذه الخطبة عندما أغار سُفْيَانُ بْنُ عُوفٍ الْأَسَدِيُّ عَلَى الْأَنْبَارِ فِي خِلَافَةِ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَلَيْهَا حَسَنُ الْبَكْرِيِّ، فَقَتَلَهُ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ حَتَّى جَلَسَ عَلَى بَابِ السُّدَّةِ فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: «أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ... الخ» كذلك أنظرها في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩).

(١) تَرَحُّاً بِالتَّحْرِيكِ أَيَّ هَمّاً وَحْزناً أَوْ فَقْراً. وَغَرَضاً يُرْمَى: أَيَّ مَا يُنْصَبُ لِيُرْمَى بِالسَّهَامِ وَنَحْوِهَا، وَالمَعْنَى: صَارُوا بِمَنْزِلَةِ الْهَدَفِ يَرْمِيهِمُ الرَّامُونَ وَهُمْ لَا يَدْفَعُونَ. وَيُعَصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ: يُشِيرُ هُنَا إِلَى مَا كَانَ يَفْعَلُهُ قَوَادِ جَيْشٍ مُعَاوِيَةَ مِنَ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالْقَتْلِ فِي الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ، وَأَهْلَ الْعِرَاقِ رَاضُونَ بِذَلِكَ، إِذْ لَوْ غَضِبُوا لَهَمُّوا بِالمَدَافَعَةِ.

(٢) حَمَارَةُ الْقَيْظِ: شِدَّةُ الحَرِّ.

(٣) الْقُرُّ: البَرْدُ الشَّدِيدُ.

(٤) الْجِبَالُ: جُ حَجَلَةٌ وَهِيَ مَوْضِعٌ يُزَيَّنُ بِالسُّتُورِ، وَالثِّيَابِ لِلْعُرُوسِ، أَوْ هِيَ سِتْرٌ يَضْرِبُ لِلْعُرُوسِ فِي جَوْفِ الْبَيْتِ. وَرِبَاتِ الْجِبَالِ: النِّسَاءُ.

(٥) مِرَاساً: مُصَدَّرٌ مَا رَسَهُ مِمَّا رَسَتْهُ وَمِرَاساً: أَيَّ عَالَجِهِ وَزَاوِلِهِ وَعَانَاهُ.

خطبة^(١) لمعاوية رحمه الله

بلغني عن شُعَيْب بن صَفْوَانَ قال: خطب معاوية فقال:

أيها الناس، إنا قد أصبحنا في دَهرٍ عَنُودٍ، وزَمنٍ شديدٍ، يُعَدُّ فيه المحسِنُ مُسيئًا، ويزدادُ الظالمُ فيه عُتُوًّا، لا ننتفعُ بما عَلِمنا، ولا نَسألُ عما جَهِلنا، ولا نتخوَّفُ قارِعَةً حتَّى تَحُلَّ بنا. فالناسُ أربعةُ أصنافٍ: منهم مَن لا يمنعه من الفسادِ في الأرضِ إلا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلالُ حَدِّهِ وَنُضِيضُ وَفَرِهِ^(٢)؛ ومنهم المُصْلِتُ لِسيفِهِ والمُجْلِبُ بخيلِهِ وَرَجْلِهِ والمُعْلِنُ بشِرِّهِ، قد أَشْرَطَ^(٣) نَفْسَهُ وأوبقَ دينَهُ لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ^(٤) يَقُودُهُ أَوْ مَنبَرٍ يَقْرَعُهُ^(٥)، وَلَيْسَ المَتَجَرَّانُ تَراهما لِنَفْسِكَ ثَمَنًا ومما عند الله عِوَضًا. ومنهم مَن يطلبُ الدُّنيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ ولا يطلبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنيا قد طامَنَ^(٦) من شَخْصِهِ وقَارَبَ من خَطْوِهِ، وشَمَّرَ من ثوبِهِ، وَزَخَرَفَ نَفْسَهُ لِلْأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ الله ذَرِيعَةً إلى المَعْصِيَةِ. ومنهم من أَقْعَدَهُ عن طَلَبِ المَلِكِ ضُؤْلَةً^(٧) في نَفْسِهِ وَأَنْقَطَعَ من سَبَبِهِ، فَقَصَّرَ به الحالُ عن أَمَلِهِ، فَتَحَلَّى بِأَسْمِ القِنَاعَةِ وتَزَيَّنَ بِلباسِ الزُّهَادِ، وليس من ذلك في مَرَاحٍ ولا مَغْدَى. وبقي رَجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ المَرْجِعِ، وأراقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ المَحْشَرِ فهِمَ بَيْنَ شَرِيدٍ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٨٨ - ٨٩) مع اختلاف في العبارات وزيادات ونقصان؛ قال ابن عبد ربه إنها قيلت عندما مرض معاوية مرض وفاته. وأنظرها أيضاً في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٤١ - ٢٤٢).

(٢) نَضِيضٌ وَفَرُهُ: قلة ماله.

(٣) أَشْرَطَ نَفْسَهُ: أعلمها. وَأَوْبَقَ دينَهُ: أهلكه.

(٤) المِقْنَبُ: الجماعة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

(٥) يَقْرَعُهُ: يعلوه.

(٦) طامَنَ من شَخْصِهِ: خفض.

(٧) الضُّؤْلَةُ: الضَّالَّة؛ يقال: ضُوكَ الرجلُ يَضُولُ ضَالَّةً وضُؤْلَةً: كان ضيلاً.

نَادَ^(١)، وخَائِفٍ مُنْقِمٍ^(٢)، وساكَتٍ مَكْمُومٍ^(٣)، ودَاعٍ مُخْلِصٍ، ومُوجِعٍ ثَكْلَانٍ، قد أَحْمَلْتُهُمُ التَّقِيَّةَ، وَشَمِلْتُهُمُ الذَّلَّةَ، فَهَمَّ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ^(٤)، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا. فَلَتَكُن الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرْظِ وَقُرَاضَةِ^(٥) الْجَلَمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا دَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.

خطبة^(٦) ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية

خطب فقال: إِنْ مَعَاوِيَةَ كَانَ حَبَلًا مِنْ حَبَالِ اللَّهِ، مَدَّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَمُدَّهُ، ثُمَّ قَطَعَهُ حِينَ شَاءَ أَنْ يَقْطَعَهُ؛ وَكَانَ دُونَ مَنْ قَبْلَهُ وَهُوَ خَيْرٌ مِمَّنْ بَعْدَهُ، وَلَا أَرْكَيْهِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَقَدْ صَارَ إِلَيْهِ فَإِنْ يَعْفُ عَنْهُ فَبِرَحْمَتِهِ، وَإِنْ يِعَاقِبُهُ فَبِذَنْبِهِ، وَقَدْ وَلِيْتُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ، وَلَسْتُ أَعْتَذِرُ مِنْ بَهْلٍ وَلَا أَشْتَغِلُ بِطَلَبِ عِلْمٍ. وَعَلَى رِسْلِكُمْ^(٧)! إِذَا كَرِهَ اللَّهُ أَمْرًا غَيَّرَهُ.

(١) النَّادُ: النافر الذاهب على وجهه. وفي العقد الفريد (ج ٤ ص ٨٩): «باد».

(٢) مُنْقِمٌ: مستخف.

(٣) المكموم من الإبل: الذي يُشَدُّ لثلاً يعض أو يأكل، شبه به الساكت.

(٤) أجاج: مالح مر. والأجاج من الماء: المر من الماء كماء البحر أو الملح.

(٥) الحُثَالَةُ: الزوان ونحوه يكون في الطعام وما يسقط من قشر الشعير والأرز، وحُثَالَةُ الْقَرْظِ: بقيته. والقَرْظُ: حب السَّلَمِ ويعتصر منه الأفاقيا وهي ما يُتداوى به عند الأطباء، والسَّلَمُ: شجر يُذْفَعُ بِهِ. والقُرَاطَةُ: ما سقط بالقرض كقُرَاضَةِ الثوب. والجَلَمُ: الذي يُجْزُّ بِهِ الشَّعْرُ والصوف.

(٦) أنظر هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٨٩).

(٧) عَلَى رِسْلِكُمْ: أَيِ اتَّيَدُوا وَلَا تَعْجَلُوا.

خطبة لعُتْبَةَ بن أبي سُفْيَان

أبو جاتم عن العُتْبِيِّ قَالَ: إحتبستُ كُتُبَ معاويةَ حتى أُرْجَفَ^(١) أهل مصر بموته ثم ورد كتابه بسلامته، فصعد عتبة المنبر والكتابُ في يده فقال: يا أهل مصر، قال طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرِّماح وطبَّات السيوف حتى صرنا شجِيَّ في لهَوَاتِكُمْ^(٢) ما تُسيغنا حلوقكم، وأقْدَاءٌ في أعينكم ما تطرف عليها جفونكم. فحين أشتدت عُرَى الحق عليكم عقداً، وأسترخت عقدُ الباطل منكم حلاً، أرجفتُم بالخليفة وأردتُم توهينَ السلطان، وخُضتم الحقَّ إلى الباطل، وأقدمُ عهدكم به حديث! فأرْبَحُوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم، فهذا كتابُ أمير المؤمنين بالخبر السارِّ عنه والعهد القريب منه. وأعلموا أنَّ سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم؛ فأصلحوا لنا ما ظهر، نكلُكم إلى الله فيما بطن؛ وأظهروا خيراً وإن أسررتُم شراً؛ فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون. وعلى الله نتوكل وبه نستعين.

خطبة^(٣) لعُتْبَةَ أيضاً

وبهذا الإسناد أنَّ عتبة خطب أهل مصر حين هاجوا فقال: يا أهل مصر، خَفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه، وذمُّ الباطل وأنتم تأتونهُ، كالجمارِ يحْمِل أسفاراً أثقله حمْلُها ولم ينفعه عِلْمُها. وإني والله لا

(١) أُرْجَفَ: خاض في الأخبار التي تُحدثُ اضطراباً وفتنة.

(٢) اللّهَوَاتُ: ج لَهَاء وهي اللحمة المشرفة على الخلق في أقصى سقف الفم، والعامّة تسميها الطنظلة، والمراد باللهوات الألسنة.

(٣) وردت في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٠) باختلاف في العبارات عما هنا.

أداوي أدواءكم بالسيف ما آكتفيت بالسَّوْط، ولا أبلغ السَّوْط ما كَفَتَنِي الدَّرَّة^(١)، ولا أبطيء عن الأولى إن لم تصلحوا عن الأخرى، ناجزاً يناجز، ومَنْ حَذَرَ كمن بَشَّرَ فدعوا قال ويقول من قبل أن يقال فعل ويفعل؛ فإن هذا اليوم ليس فيه عِقَاب، ولا بعده عِتَاب.

خطبة^(٢) لعبد الله بن الزبير

خطب عبد الله بن الزبير حين قُتِلَ أخوه مُصْعَب^(٣) فقال:

الحمد لله الذي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ. إنه لن يذلَّ مَنْ كان الحقُّ معه وإن كان فرداً، ولن يعزَّ من كان أولياء الشيطان حزبه وإن كان معه الأنام. أأتانا خبرٌ من قِبل العراق أجَزَعَنَا وأَفْرَحَنَا: قتلُ مُصْعَبِ رحمه الله. فأما الذي أَحْزَنَنَا من ذلك فإنَّ لفراق الحميم لَذْعَةً يَجِدُهَا حَمِيمُهُ عند المُضِيبة به ثم يَرْعَوِي بعدها ذُوو الرأي إلى جميل الصبرِ وكريم العزاء. وأما الذي أفرحنا من ذلك فعلمنا أنَّ قتله شهادةٌ، وأن ذلك لنا وله الخَيْرَةُ. ألا إن أهل العراق أهلُ الشقاق والنفاق باعوه بأقلِّ ثمن كانوا يأخذونه به. إنا والله ما نموت حَبَجاً^(٤) ولا نموت إلا قتلاً، قَعَصاً^(٥) بالرماح تحت ظلال السيوف، ليس كما تموت بنو مروان؛

(١) الدَّرَّة: السَّوْط والمراد هنا سَوْط صغير.

(٢) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٩ - ١١٠) مع اختلاف كبير عما هنا.

(٣) قتله عبد الملك بن مروان سنة ٧١ هـ، وقد تقدمت ترجمة مصعب بن الزبير في الحاشية رقم ٢ من ص ١٠٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) مَا نَمُوتُ حَبَجاً: ما نموت بالتَّخمة؛ يقال: حَبَجَ البعيرُ يَحْبُجُ حَبَجاً: إنتفخ بطنه من أكل العَرَفَج (شجر سهلي) لأنه يتعقد فيه ويبس حتى يتمرغ من وجعه ويَزْحَرُ. وهنا يعرض بيني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتَّخمة.

(٥) قَعَصاً: قَتلاً، أي أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه؛ يقال: قعصه: قتله مكانه.

وَاللَّهِ إِنْ قُتِلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ . أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَارِيَّةٌ مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَا يَبِيدُ ذِكْرُهُ وَلَا يَذِلُّ سُلْطَانُهُ فَإِنْ تُقْبِلَ عَلَيَّ لَا أَخْذُهَا أَخْذَ الْبَطْرِ الْأَشِيرِ، وَإِنْ تُدْبِرْ عَنِّي لَا أَبْكُ عَلَيْهَا بُكَاءَ الْخَرِفِ الْمُهْتَرِ^(١) . ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة زياد البتراء^(٢)

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ بَعْضُهَا، وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ زِيَادٌ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ فَنَظَرَ إِلَى أَيْبَاتِهَا، قَالَ: رَبُّ فَرَحٍ بِإِمَارَتِي لَنْ تَنْفَعَهُ، وَكَارِهِ لَهَا لَنْ تَضُرَّهُ؛ فَدَخَلَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ أَبْيَضٌ وَرِدَاءٌ صَغِيرٌ، فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَةً بَتْرَاءً: لَمْ يَصِلْ فِيهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَهَا، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ قَالَ مُعَاوِيَةُ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ، وَشَهِدَتِ الشُّهُودُ بِمَا قَدْ سَمِعْتُمْ، وَإِنَّمَا كُنْتُ أَمْرًا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهُ مَا ضَيَّعَ النَّاسُ، وَوَصَّلَ مَا قَطَعُوا . أَلَا وَإِنَّا قَدْ وَلَّيْنَا وَوَلَّيْنَا الْوَالُونَ، وَسُئْنَا وَسَاسْنَا السَّائِسُونَ، وَإِنَّا وَجَدْنَا هَذَا الْأَمْرَ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ غُفٍّ، وَلَيْنَ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ . وَأَيُّمٌ^(٣) اللَّهُ مَا مِنْ كَذِبَةٍ أَكْبَرَ شَاهِدًا مِنْ كَذِبَةِ إِمَامٍ عَلَى مَنْبَرٍ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَأَعْتَمِرُوهَا فِيَّ، وَاعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثَالَهَا، وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَمْرَ فَيَكُمُ بِالْأَمْرِ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ^(٤) . وَأَيُّمَ اللَّهِ إِنْ لِي

(١) الخريف: الذي فسد عقله من الكبر . والمُهْتَرُ: من ذهب عقله من كبر أو مرض أو حزن .

(٢) وردت خطبة زياد بن أبي سفيان في ذيل الأمالي والنوادر لأبي علي الفاي ص ١٨٥ - ١٨٦ باختلاف يسير عما هنا . وردت في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١٠ - ١١٣) بزيادات كثيرة عما هنا بتقديم وتأخير في بعض الجمل والكلمات، كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٥) .

(٣) أَيُّمُ اللَّهِ وإيمِ اللَّهِ: قسمٌ، وفيه لغات وهي: أَيُّمُنُ اللَّهِ والتقدير: أَيُّمَنَ اللَّهُ قَسَمِي، ويقال: أَيُّمُنُ اللَّهِ .

(٤) على أذلاله: على طريقه ووجوهه، واحده: ذُلٌّ بكسر الهمزة، وذُلُّ الطريق: ما مهد منه ودُلِّل .

فيكم لَصْرَعِي كثيرة، فليحذر كل أمرئ منكم أن يكون من صرعاي. وأيم الله لأخذن البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدير، حتى تستقيم لي قناتكم، وحتى يقول القائل: أنج سعد، فقد قُتل سعيد^(١). فقام إليه عبد الله بن الأَهم التميمي، فقال: أيها الأمير، أشهد أنك أوتيت الحكمة وفُصل الخطاب؛ فقال له: كَذَبْتُ، ذاك نبي الله داود. ثم قام إليه الأحنف، فقال: إنما المرء بجده، والسيف بحده، والجواد بشده؛ وقد بلغك جدك أيها الأمير ما ترى؛ وإنما الحمد بعد البلاء، والثناء بعد العطاء، وإنا لا نُثني حتى نُبتي. ثم قام إليه مُرداس بن أدية، فقال: قد سمعنا مقاتلك أيها الأمير، وإن خليل الله إبراهيم عليه السلام أدى عن الله غير الذي أدَّيته، قال الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾^(٢)؛ وأنت تزعم أنك تأخذ البريء بالسقيم، والمطيع بالعاصي، والمقبل بالمدير؛ فقال له: أَسَكَت، فوالله ما أجد إلى ما أريد سبيلاً، إلا أن أخوض إليه الباطل خوضاً. ثم نزل.

وقال في خطبة له أخرى^(٣):

حَرَامٌ عَلَيَّ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ حَتَّى أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَذْمًا وَإِحْرَاقًا. إِيَّايَ

(١) ذكر ابن منظور في لسان العرب مادة (سعد) هذا المثل وقال: «هذا مثل سائر؛ وأصله أنه كان لضبة بن أدٍ أبنان: سَعْدٌ وسَعِيدٌ، فخرجا يطلبان إبلًا لهما فرجع سَعْدٌ ولم يرجع سعيد، فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال: سَعْدٌ أم سعيد؟ هذا أصل المثل؛ فأخذ ذلك اللفظ منه وصار مما يتشام به، وهو يضرب مثلاً في العناية بذِي الرَّجْم. ويضرب في الاستخبار عن الأمرين: الخير والشر أيهما وقع. وقال الجوهري في هذا المكان: وفي المثل، أسعد أم سعيد إذا سئل عن الشيء «أهو مما يُحِبُّ أو يُكْرَهُ».

(٢) سورة النجم ٥٣، آية ٣٨. والمعنى: كل إنسان مسؤول عن ذنبه لا عن ذنب سواه. راجع التفسير المبين.

(٣) وردت خطبة زياد هذه في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١١ - ١١٢) في ثنايا خطبة البتراء، مع اختلاف كبير عما هنا.

وَدَلَجَ اللَّيْلَ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلَجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ، وَإِيَّايَ وَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ. وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَاثًا، وَأَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنْبٍ عَقُوبَةً؛ فَمَنْ غَرَّقَ قَوْمًا غَرَقْتُهُ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقْتُهُ، وَمَنْ نَقَبَ بَيْتًا نَقَبْتُ عِزَّ قَلْبِهِ، وَمَنْ نَبَشَ قَبْرًا دَفَنْتُهُ فِيهِ حَيًّا؛ فَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَالسِّتَكُمْ أَكْفُ عَنْكُمْ. وَقَدْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَقْوَامٍ مِنْكُمْ أَشْيَاءٌ قَدْ جَعَلْتُهَا ذَبْرَ أُذُنِي وَتَحْتَ قَدَمِي، فَمَنْ كَانَ مُحْسِنًا فَلْيَزِدْ، وَمَنْ كَانَ مُسِيئًا فَلْيَنْزِعْ. إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ السُّلَّ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكْشِفْ لَهُ قِنَاعًا وَلَمْ أَهْتِكْ لَهُ سِتْرًا، حَتَّى يُبْدِيَ لِي صَفْحَتَهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنَاظِرْهُ؛ فَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا أَمْرَكُمْ.

خطبة^(١) للحجاج حين دخل البصرة

دخل وهو متقلد سيفاً متنكب قوساً عربية، فعلا المنبر فقال: [وافر]

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٢)
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكَبَ^(٣) عِيدَانَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُودًا وَأَصْلَبَهَا

(١) انظر هذه الخطبة في المصدر السابق ١١٩ - ١٢٢ مع بعض الاختلاف عما هنا، كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٦٤) أكثر تفصيلاً عما في كتابنا، وفيه بيت سحيم بن وثيل المذكور.

(٢) هذا البيت لسحيم بن وثيل كما في لسان العرب مادة (جلا) وابن جلا هو الواضح الأمر، وأسم رجل كان صاحب فتك يطلع في الغارات من ثبئة الجبل على أهلها. وقال ثعلب: العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم. وقال غيره: كأنه قال: أنا ابن الذي يقال له جلا الأمور وكشفها. وقال ابن بري: أي أنا الظاهر الذي لا يخفى وكل أحد يعرفني. وقال سيبويه: جلا الأمور: أوضحها وكشفها. كذلك ورد هذا البيت من جملة أبيات في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٠) كما مرّت ترجمة سحيم في الحاشية رقم ٥ من ص ٢٥٩ من الجزء الأول من كتابنا هذا.

(٣) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢١): «وإن أمير المؤمنين نشر كنانته [بين يديه] ثم عجم عيدانها». والكنانة هي الجعبة تُجعل فيها السهام تكون من جلد لا من خشب فيها. أو من خشب لا جلد فيها. وعجم عيدانها: خبرها. ونكَبَ عيدانها: طرحها.

مَكْسِراً، فوجَّهني إليكم. أَلَا فوالله لأُعْصِبَنَّكُمْ^(١) عَصَبَ السَّلْمَةِ، وَلَأَلْحُونَكُمْ^(٢) لَحْوَ الْعُودِ وَلَأُضْرِبَنَّكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ^(٣)، حتى تستقيمَ لي قَنَاتُكُمْ، وحتى يقولَ القائل: أُنْجُ، سعدُ، فقد قُتِلَ سَعِيدُ^(٤). أَلَا وإياي وهذه الشُّفَعَاءُ^(٥) والزَّرَافَاتُ، فَإِنِّي أُوتِي بِأَحَدٍ مِنَ الْجَالِسِينَ فِي زَرَّافَةٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ. هكذا حدَّثني أحمد بن سعيد عن أبي عُبيد في كتاب غريب الحديث. وقال لي غيره: هو إِيَّاي وهذه الشُّفَعَاءُ والزَّرَافَاتُ. وقد فَسَّرْتُ الحديثَ في كتابي المؤلف في غريب الحديث.

خطبة^(١) للحجاج أيضاً

أَرْجَفَ النَّاسَ بِمَوْتِ الْحَجَّاجِ، فخطب فقال:

إِنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، أَهْلَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ، نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ، فقالوا: مات الحجاج ومات الحجاج! فمه! وهل يرجو الحجاج الخير إلا بعد الموت! والله ما يسرُّني أَلَّا أَمُوتَ وَأَنْ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا! وَمَا رَأَيْتُ اللَّهَ رَضِيَ بِالتَّخْلِيدِ إِلَّا لِأَهْوَنِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ إِبْلِيسَ. وَلَقَدْ دَعَا اللَّهَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾^(٢)، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ إِلَّا الْبَقَاءَ.

(١) عَصَبُهُ: قَطْعُهُ. وَالسَّلْمَةُ: وَاحِدَةُ السَّلْمِ وَهُوَ شَجَرٌ مِنَ الْعِضَاءِ يُتَّخَذُ مِنْهُ الْقِرْطُ الَّذِي يُدْبَغُ بِهِ.

(٢) لَحَا الْعُودَ: قَشَرَهُ.

(٣) كَانَتِ الْإِبِلُ الْغَرِيبَةُ إِذَا وَرَدَتْ مَعَ إِبِلِ قَوْمٍ ضَرِبَتْ وَطُرِدَتْ. ضَرَبَهُ الْحَجَّاجُ مَثَلًا فِي التَّهْدِيدِ وَالْإِنْذَارِ.

(٤) تَقْدِمُ شَرْحَ هَذَا الْمَثَلِ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٢ مِنْ ص ٢٤٢ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ.

(٥) الشُّفَعَاءُ: جُ شَفِيعٍ. وَهَذَا يُحْبِرُ الْحَجَّاجَ مِنْ اجْتِمَاعِ الشُّفَعَاءِ عِنْدَهُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْتَمِعُونَ إِلَى السُّلْطَانِ فَيُشْفَعُونَ فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ فَتُهَامُ الْحَجَّاجُ عَنْ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ يَشْفَعُ لِلْآخَرِ.

(٦) وَرَدَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٤ ص ١٢٣) بِاخْتِلَافٍ عَمَّا هُنَا.

(٧) سُورَةُ ص ٣٨، آيَةُ ٣٥. وَتَفْسِيرُ الْآيَةِ: طَلَبَ سُلَيْمَانُ مُلْكًا لَا مِثْلَ لَهُ فِي الْكِيفِ لَا فِي الْكَمِّ كَتَسْخِيرِ الرِّيحِ وَالطَّيْرِ وَالْجِنِّ، فَاسْتَجَابَ سُبْحَانَهُ لِدَعْوَتِهِ.

فما عسى أن يكون أيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل! . كأني والله بكل حي منكم ميتاً، وبكل رطب يابساً، ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاث أذرع طولاً في ذراع عرضاً، وأكلت الأرض لحمه ومصت صديده، وأنصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله؛ إن الذين يعقلون يعلمون ما أقول، ثم نزل.

خطبة^(١) أخرى للحجاج حين أراد الحج

خطب فقال: أيها الناس إني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم أبني هذا^(٢)، وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسول الله ﷺ في الأنصار؛ إن رسول الله أوصى أن يقبل من محسنهم، وأن يتجاوز عن مسيئهم؛ وإني أمرته ألا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم. ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا مخافتي، ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة! ألا وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله لكم الخلافة، ثم نزل.

خطبة^(٣) للحجاج أيضاً

خطب فقال في خطبته: سوطي سيفي، فيجأده^(٤) في عنقي، وقائمه في يدي، وذبابه قِلادة لمن اغتر بي! فقال الحسن: بُوساً لهذا! ما أغره بالله!

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج في النار، ثم أتى امرأته فمنعته نفسها؛ فأتى ابن سيرين^(٥) يستفتيه؛ فقال: يا ابن أخي، امض فكن مع أهلك، فإن

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١٩) مع بعض الاختلاف.

(٢) في المصدر السابق والصفحة: محمداً.

(٣) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٤) مع اختلاف يسير عما هنا.

(٤) نجاد السيف: حمائله. وقائمه: مقبضه. وذبابه: طرفه الذي يضرب به.

(٥) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٢٤): «ابن شبرمة».

الحجاج إن لم يكن في النار لم يضربك أن تزني.

خطبة^(١) لعمر بن عبد العزيز رحمه الله عليه:

حدثني أبو سهل عن إسحاق بن سليمان عن شُعَيْب بن صفوان عن رجل من آل سَعِيد بن العاص، قال:

كان آخر^(٢) خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حَمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقُوا عَبَثًا، وَلَنْ تُتْرَكُوا سُدىً، وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَنْزِلُ اللَّهُ فِيهِ لِلْحَكَمِ فِيكُمْ وَالْفَصْلِ بَيْنَكُمْ، فخاب وخسر من خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَحَرَّمَ جَنَّةَ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ غَدًا إِلَّا مَنْ حَذَرَ الْيَوْمَ وَخَافَ، وَبَاعَ نَافِدًا بِبَاقٍ، وَقَلِيلًا بِكَثِيرٍ، وَخَوْفًا بِأَمَانٍ؟ أَلَا تَرَوْنَ أَنْكُمْ فِي أَسْلَابِ الْهَالِكِينَ، وَتَسْتَكُونُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْبَاقِينَ كَذَلِكَ، حَتَّى تُرَدَّ إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ؟ ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشِيعُونَ غَادِيًا وَرَاحِيًا إِلَى اللَّهِ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ، حَتَّى تُغَيِّبُوهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ فِي بطنٍ صَدْعٍ غَيْرِ مُوسَدٍ وَلَا مَمْهَدٍ، قَدْ فَارَقَ الْأَجْبَابَ وَبَاشَرَ التَّرَابَ وَوَاوَجَهُ الْحَسَابَ، فَهُوَ مُرْتَهَنٌ بِعَمَلِهِ، غَنِيٌّ عَمَّا تَرَكَ فَقِيرٌ إِلَى مَا قَدَّمَ. فَاتَّقُوا اللَّهَ قَبْلَ أَنْقِضَاءِ مَوَاقِيْتِهِ وَنَزُولِ الْمَوْتِ بِكُمْ! أَمَّا إِنِّي أَقُولُ هَذَا وَمَا أَعْلَمُ أَنَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الذُّنُوبِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي، فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ. ثُمَّ رَفَعَ طَرَفَ رِدَائِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ.

خطبة لخلد بن عبد الله يوم عيد

خطب فذكر الله وجلاله ثم قال: كُنْتُ كَذَلِكَ مَا شِئْتُ أَنْ تَكُونَ، لَا يَعْلَمُ

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٥) والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٥) بزيادة ونقص وتغيير بعض الكلمات.

(٢) قال في نفس المصدرين السابقين ونفس الصفحة إن عمر خطب بخصاصة. (بلد بالشام من أعمال حلب) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات.

كيف أنت إلا أنت، ثم آرتأت أن تخلُق الخلق، فماذا جئت به من عجائب صنْعك، والكبير والصغير من خلقك، والظاهر والباطن من ذرّك: من صنوف أفواجه وأفراده وأزواجه؟ كيف أدمجت قوائم الذرّة والبُعوضة إلى ما هو أعظم من ذلك من الأشباح التي أمتزجت بالأرواح؟.

وخطب^(١) يوماً فسقطت جرادة على ثوبه فقال: سبحان من الجرادّة من خلقه، أدمج قوائمها، وطوّقها^(٢) جناحها، ووَشى جلدها، وسلّطها على ما هو أعظم منها.

خطبة للحجاج

خطب فقال: أيها الناس، احفظوا فروجكم، وخذوا الأنفس بضميرها، فإنها أسوْك^(٣) شيء إذا أعطيت، وأعصى شيء إذا سُئِلت. وإني رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله.

خطبة^(٤) سليمان بن عبد الملك

خطب فقال: إنّ الدار دارُ غرورٍ ومنزلٌ باطلٍ، تُضحك باكياً وتُبكي ضاحكاً، وتُخيف آمناً وتؤمن خائفاً، وتُفقّر مُثرياً وتُثري مُقتيراً، مِيلة غرارة لَعابة بأهلها. عباد الله، اتّخذوا كتاب الله إماماً، وارتضوا به حكماً، وأجعلوه لكم قائداً، فإنه ناسخٌ لما كان قبله ولم ينسخه كتاب بعده. اعلموا، عباد الله، أنّ هذا القرآن يجلو كَيْدَ الشيطان كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس ظلامُ الليل إذا عَسَس^(٥).

(١) وردت هذه الخطبة القصيرة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٤) باختلاف يسير عما هنا.

(٢) في نفس المصدر والصفحة: «وطرفها وجناحيها».

(٣) أسوْك: أضعف؛ من ساك الرجل إذا مشى مشياً ضعيفاً.

(٤) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩١-٩٢) باختلاف يسير عما هنا.

(٥) تنفّس الصبح: تلبّج وأسفر. وعسس الليل: أظلم.

خطبة^(١) يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد

حَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللهُ مَا خَرَجْتُ أَشْرًا وَلَا بَطَرًا^(٢) وَلَا حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا وَلَا رَغْبَةً فِي الْمُلْكِ، وَمَا بِي إِطْرَاءُ نَفْسِي، وَإِنِّي لَطَلُّومٌ لَهَا إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي اللهُ، وَلَكِنْ خَرَجْتُ غَضَبًا لَهِىَ اللهِ وَدِينِهِ، دَاعِيًا إِلَى اللهِ وَإِلَى سُنَّةِ نَبِيِّهِ، لَمَّا هُدِمَتْ مَعَالِمُ الْهَدْيِ، وَأُطْفِئَ نَوْرُ أَهْلِ التَّقْوَى، وَظَهَرَ الْجَبَّارُ^(٣) الْعَنِيدُ، الْمُسْتَحِلُّ لِكُلِّ حُرْمَةٍ، وَالرَّاكِبُ لِكُلِّ بَذْعَةٍ، الْكَافِرُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَإِنَّهُ لَا بِنُ عَمِّي فِي النَّسَبِ وَكَفَيْتِي^(٤) فِي الْحَسَبِ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَسْتَحْرْتُ اللهُ فِي أَمْرِهِ وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يَكِلَنِي إِلَى نَفْسِي، وَدَعَوْتُ إِلَى ذَلِكَ مَنْ أَجَابَنِي مِنْ أَهْلِ وَلايَتِي، حَتَّى أَرَاهُ اللهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَطَهَّرَ مِنْهُ الْبِلَادَ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ أَلَا أَضْعَ حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ، وَلَا لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ، وَلَا أَكْرِي^(٥) نَهْرًا، وَلَا أَكْتِرُ مَالًا، وَلَا أُعْطِيهِ زَوْجًا وَلَا وَلَدًا، وَلَا أُنْقِلُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ حَتَّى أَسُدَّ فَقَرَّ ذَلِكَ الْبَلَدُ وَخَصَاصَةً^(٦) أَهْلِهِ، فَإِنْ فَضَّلَ فَضْلُ نَقْلَتِهِ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ. وَلَا أَجْمَرُكُمْ^(٧) فِي بُعُوثِكُمْ فَأَفْتِنَكُمْ وَأَفْتِنَ أَهْلِيكُمْ، وَلَا أُغْلِقُ بَابِي دُونَكُمْ فَيَأْكُلُ قَوِيَّكُمْ ضَعِيفَكُمْ، وَلَا أَحْمِلُ عَلَى أَهْلِ جِزْيَتِكُمْ مَا أَجْلِيهِمْ بِهِ عَنْ

(١) قَالَ يَزِيدُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ لَمَّا قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَلَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ٢ ص ٢٨٤ - ٢٨٥) وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٤ ص ٩٥ - ٩٦) بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ أَوْ تَغْيِيرٍ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ عَمَّا هُنَا.

(٢) يُقَالُ: أَشْرًا أَشْرًا أَشْرًا: بَطَرٌ فَهُوَ أَشْرٌ بِكَسْرِ الشَّيْنِ وَضَمِّهَا. وَيُقَالُ: بَطَرَ الرَّجُلُ يَبْطَرُ بَطَرًا: حَارَ وَطَغَى بِالنِّعْمَةِ.

(٣) يَرِيدُ الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ، مُشِيرًا إِلَى رَمِيهِ الْمَصْحَفَ بِالنَّشَابِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي عُنْوَانِ خُطْبَةِ يَزِيدَ.

(٤) الْكَفْيُ: الْمِمَاتِلُ.

(٥) كَرَى النَّهْرُ: حَفَرَهُ.

(٦) الْخَصَاصَةُ: ضَيْقُ الْحَالِ.

(٧) جَمَرُ الْجَيْشِ: حَبْسُهُ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ وَلَمْ يَقْفِلْهُ، أَيْ دُونَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

بلادهم وأَقَطَّعُ به نَسْلَهُمْ. ولكم عليّ إِدْرَارُ العَطَاءِ في كل سنةٍ والرِّزْقِ في كل شهرٍ، حتّى يستويَ بكم الحال فيكونَ أَفْضَلُكُمْ كَأَدْنَاكُمْ. فَإِنَّا أَنَا وَفَيْتُ لَكُمْ فعليكم السَّمْعَ والطَّاعَةَ وحسن المُؤَاوِزَةِ والمُكَانِفَةِ^(١)، وَإِن لَمْ أَفِ لَكُمْ فلكم أَن تَخْلَعُونِي إِلَّا أَن تَسْتَيَّبُونِي، فَإِن أَنَا تَبْتُ قَبْلْتُمْ مِنِّي، وَإِن عَرَفْتُمْ أَحَدًا يَقُومُ مَقَامِي مِمَّنْ يُعْرِفُ بِالصَّلَاحِ يُعْطِيكُمْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلَ الَّذِي أُعْطِيتُكُمْ فَأَرَدْتُمْ أَن تُبَايِعُوهُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ بَايَعَهُ وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ.

أيها الناس، إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ. وَأَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ.

فلما بُويعَ مَرْوَانُ نَبَشَهُ وَصَلَبَهُ. وَكَانُوا يَقْرَءُونَ فِي الْكُتُبِ: يَا مَبْذَرُ الْكُنُوزِ وَيَا سَجَاداً بِالْأَسْحَارِ، كَانَتْ وَلَايَتُكَ لَهُمْ رَحْمَةً وَعَلَيْهِمْ حَجَّةٌ، أَخَذُوكَ فَصَلَّبُوكَ.

خطبة^(٢) أَبِي حَمْزَةَ الْخَارِجِيِّ

خَطَبَ أَبُو حَمْزَةَ الْخَارِجِيُّ بِمَكَّةَ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَا هُمَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: وَوَلِيَّ عُثْمَانَ فَسَارِ سِتِّ سَنِينَ بِسِيرَةِ صَاحِبِيهِ وَكَانَ دُونَهُمَا، ثُمَّ سَارَ فِي السِّتِّ الْأَوَاخِرِ بِمَا أَحْبَطَ بِهِ الْأَوَائِلَ، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ. وَوَلِيَّ عَلِيٍّ فَلَمْ يَبْلُغْ مِنَ الْحَقِّ قَصْداً وَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ مَنَاراً، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ، ثُمَّ وَلِيَّ مُعَاوِيَةَ لَعِينُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَبْنُ لَعِينِهِ، اتَّخَذَ عِبَادَ اللَّهِ حَوَالاً^(٣)، وَمَالَ اللَّهِ دُوَلًا، وَدِينَهُ دَغَلًا، ثُمَّ مَضَى لِسَبِيلِهِ، فَالْعَنُوهُ لَعْنَةُ اللَّهِ. ثُمَّ وَلِيَّ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، يَزِيدَ الْخُمُورِ، وَيَزِيدَ الْقُرُودِ، وَيَزِيدَ الْفُهُودِ، الْفَاسِقُ فِي بَطْنِهِ وَالْمَأْيُونُ

(١) المَكَانِفَةُ: المُعَاوَنَةُ.

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ الْخُطْبَةُ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٤ ص ١٤٤) بِأَخْتِلَافٍ كَبِيرٍ عَمَّا هُنَا. كَذَلِكَ وَرَدَتْ

فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيِّنِ (ج ٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٧).

(٣) الْحَوَالُ: الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ، وَمُفْرَدُهَا حَوَالِيٌّ.

في فَرْجِه. ثم اقْتَصَمَهُمْ خَلِيفَةُ خَلِيفَةٍ. فلما أَنْتَهَى إلى عمر بن عبد العزيز أَعْرَضَ عن ذكره. ثم ذكر يَزِيدَ بْنَ عبد الملك فقال: يَأْكُلُ الْحَرَامَ، وَيَلْبَسُ الْحُلَّةَ بِالْفِ دِينَارٍ، قَدْ ضُرِبَتْ فِيهَا الْأَبْشَارُ، وَهَتِكَتِ الْأَسْتَارُ، حَبَابَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَسَلَامَةٌ^(١) عَنْ يَسَارِهِ تَغْنِيَانِهِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَ الشَّرَابُ فِيهِ كُلَّ مَا خَذَ قَدْ ثَوَّبَهُ ثُمَّ أَلْتَفَتْ إِلَى أَحَدَاهُمَا فَقَالَ: أَلَا أَطِيرُ؟ نَعَمْ! طَرُّ إِلَى النَّارِ. ثُمَّ ذَكَرَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: شَبَابٌ وَاللَّهِ مُكْتَهِلُونَ فِي شَبَابِهِمْ، غَضِيضَةٌ عَنِ الشَّرِّ أَعْيُنُهُمْ، ثَقِيلَةٌ عَنِ الْبَاطِلِ أَرْجُلُهُمْ، أَنْضَاءُ عِبَادَةٍ، وَأَطْلَاحُ سَهَرٍ^(٢)، يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مُنْحَنِئَةً أَصْلَابُهُمْ عَلَى أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، قَدْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ رُكَبَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ، وَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ فِي جَنْبِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ^(٣)، وَالرَّمَاحَ قَدْ أُشْرِعَتْ، وَالسِّيُوفَ قَدْ أَنْتَضِيَتْ، وَأَرْعَدَتِ الْكَتِيئَةُ بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ، مَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدُمًا، حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُتْقِ فَرْسِهِ، وَتَخَضَّبَتْ مُحَاسِنُ وَجْهِهِ بِالدِّمَاءِ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاغُ الْأَرْضِ وَأَنْحَطَّتْ إِلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مَنَاقِرِ طَائِرٍ طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ! وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَايَلَتْ مَعْصَمَهَا طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسَّجُودِ لِلَّهِ! ثُمَّ قَالَ: أَوْهَ أَوْهَ^(٤) وَبَكَى ثُمَّ نَزَلَ.

خطبة^(٥) لِقَطَرِيَّ الْخَارِجِيِّ

ذَكَرَ فِيهَا الَّذِينَ قَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً، فَقَالَ: حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا

(١) حَيَاةٌ وَسَلَامَةٌ مَغْنِيَانِ كَانَتَا تَطْرِبَانِ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي مَجَالِسِ أَنْسِهِ.

(٢) الْأَنْضَاءُ: جِ نَضَوُ وَهُوَ الْمَهْزُولُ. وَالْأَطْلَاحُ: جِ طَلَحَ وَهُوَ الْمَهْزُولُ أَيْضًا.

(٣) فُوقَ السَّهْمِ: جَعَلَ لَهُ فُوقًا، وَالْفُوقُ مَوْضِعُ الْوَتَرِ مِنَ السَّهْمِ.

(٤) أَوْهَ: كَلِمَةٌ مَعْنَاهُ التَّحْزَنُ، وَفِيهَا لُغَاتٌ وَهِيَ: أَوْهَ (بِالْمَدِّ وَكَوْنِ الْهَاءِ) وَأَوْهَ (بِضَمِّ الْهَاءِ) وَأَوْوَهَ (بِالْمَدِّ مَعَ وَائِينَ) وَأَوْوَهَ (بِكَسْرِ الْهَاءِ) وَأَوْهَ (بِفَتْحِ الْهَاءِ وَكَوْنِ الْوَاوِ) وَأَوْهَ (بِكَسْرِ الْهَاءِ) أَنْظِرْ لِسَانَ الْعَرَبِ مَادَّةَ (أَوْهَ).

(٥) هُوَ قَطَرِيٌّ بْنُ الْفَجَّاءِ، أَحَدُ بَنِي مَازَنَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمٍ، وَقَدْ وَرَدَتْ خُطْبَتُهُ هَذِهِ كَامِلَةً فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٤ ص ١٤١ - ١٤٣) وَالْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ (ج ٢ ص ٢٧٧ - ٢٧٩).

يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأُنْزِلُوا^(١) فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا، وَجَعَلُوا لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَجْنَانًا^(٢)، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانًا، وَمِنَ الرِّفَاقَاتِ جِيرَانًا؛ فَهَمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، أَوْ أَقْحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا؛ جَمِيعٌ أَوْحَادٌ، وَجِيرَةٌ أَبْعَادٌ، لَا يُزَوِّرُونَ وَلَا يُزَارُونَ^(٣). فَأَحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ، وَأَنْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ.

وفي خطبة^(٤) ليوسف بن عمر:

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ! فَكُم مِّنْ مُّؤَمِّلٍ أَمَلًا لَا يَلُغُهُ، وَجَامِعٍ مَّالًا لَا يَأْكُلُهُ، وَمَانِعٍ مَا سَوْفَ يَتَرَكُهُ، وَلَعَلَّهُ مِّنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، وَمِنْ حَقٍّ مَّنَعَهُ، أَصَابَهُ حَرَامًا وَرَثَهُ عَدُوًّا، إِحْتَمَلَ إِضْرَهُ^(٥) وَبَاءَ بَوْزُهُ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ آسَفًا لَا هِفَاً، قَدْ خَبِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.

وفي خطبة^(٦) للحجاج:

قال مالك بن دينار: سَمِعْتُهُ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: أَمْرًا^(٧) زَوَّرَ عَمَلَهُ، أَمْرًا حَاسَبَ نَفْسَهُ، أَمْرًا فَكَّرَ فِيمَا يَقْرُؤُهُ فِي صَحِيفَتِهِ وَيَرَاهُ فِي مِيزَانِهِ، وَأَمْرًا كَانَ عِنْدَ

(١) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٣): «وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ».

(٢) الأجنان: ج جنن وهو القبر.

(٣) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٤٣): «إِنْ أَخْصَبُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ أَقْحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَمْعٌ وَهُمْ أَحَادٌ، جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مَتَنَافُونَ يُزَارُونَ وَلَا يُزَوِّرُونَ».

(٤) وردت هذه الخطبة في المصدر السابق ص ١٣٤ - ١٣٥ باختلاف يسير عما هنا.

(٥) الإضر: الثقل والذنب كذلك وردت في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٨٥).

(٦) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١١٧): باختلاف يسير عما هنا، وانظرها أيضاً في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٣٠٠).

(٧) في المصدر السابق: «أمرؤ...» بالرفع. وزوّر عمله: حسنه.

هواه زاجراً، وعند همّة امرأ، أخذ بعنان قلبه كما يأخذ بخطام^(١) جمّله، فإنّ قاده إلى طاعة الله تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفّه.

خطبة للمنصور^(٢)

خطب المنصور بمكة فقال: أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسيديده وتأييده وتبصيره، وخازنه على فيئه أعمل فيّه بمشيئته، وأقسمه بإرادته، وأعطيه بإذنه، قد جعلني عليه قفلاً إذا شاء أن يفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم فتحني، وإذا شاء أن يقفلني عليها أقفلني. فأرغبوا إلى الله وأسألوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم في كتابه، إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣) أن يوفّقني للصواب والرشاد، ويُلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم، ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم.

خطبة لداود بن علي

خطب فقال: أحرز لسان رأسه، اتعظ أمرؤ بغيره، اعتبر عاقل قبل أن يُعتبر به، فأمسك الفضل من قوله وقدم الفضل من عمله. ثم أخذ بقائم سيفه فقال: إنّ بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيم لكم بشفاؤه، وما بعد الوعيد إلا الإيقاع.

(١) الخطام: حبل يُجعل في عنق البعير ويثنى في خطمه أي في أنفه، والجمع خُطَم.

(٢) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ٩٩) باختلاف يسير عما هنا.

(٣) سورة المائدة ٥، آية رقم ٣. ومعنى الآية: اتفق المسلمون بشئ فرقمهم ومذهبهم على أن هذه الآية دون سائر آيات «المائدة» نزلت في مكة السنة العاشرة للهجرة التي فيها حجّ رسول الله ﷺ حجة الوداع، وأنه لما رجع جمع الناس وخطب فيهم خطبته التي ذكر فيها علي بن أبي طالب من دون الصحابة وأمر المسلمين بموالاته. أنظر التفسير المبين.

خطبة لداود بن علي أيضاً

لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر قام بوجه كورقة المصحف فاستحيا فلم يتكلم؛ فنهض داود بن علي حتى صعد المنبر؛ فقال المنصور: فقلت في شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه فلا يختلف عليه آثان، فانتضيت سيفي وغطيت ثوبي وقلت: إن فعل ناجزته؛ فلما رقي عتباً استقبل الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولأثر الفعل عليكم أجدى من تشقيق^(١) المقال، وحسبكم بكتاب الله مُمَثِّلاً فيكم، وأبى عم رسول الله خليفة عليكم. والله قسماً براً لا أريد إلا الله به ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا، فليظن ظانكم وليهمس هامسكم. قال أبو جعفر: ثم نزل وشمت^(٢) سيفي.

خطبة^(٣) لأعرابي

أما بعد، فإن الدنيا دار بلاء والآخرة دار بقاء، فخذوا أيها الناس لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، ففي الدنيا أحييتهم ولغيرها خلقتهم. أقول قولي هذا. والمستغفر الله، والمدعو له الخليفة ثم الأمير جعفر بن سليمان.

(١) تشقيق المقال أو الكلام: إخراجه أحسن مخرج.

(٢) شام سيفه: أغمده، ويستعمل بمعنى سل.

(٣) وردت هذه الخطبة بزيادة عما هنا في الأمالي لأبي علي القالي (ج ١ ص ٢٥٠) والعقد الفريد

خطبة^(١) المأمون يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه، ومستوجب على خلقه، أحمدُه وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده، والتنجز لوعده، والخوف لوعيده؛ فإنه لا يسلم إلا من آتاه ورجاه، وعمل له وأرضاه. فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم، وأتبعوا ما يبقى بما يزول عنكم، وترحلوا^(٢) فقد جدَّ بكم^(٣)، وأستعدوا للموت فقد أظلمكم، وكونوا قوماً صيَّح بهم فأنتهوا، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا؛ فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سُدىً؛ ما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به. وإن غاية تقصُّها اللحظة وتهديمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة، وإن غائباً يحذوه الجديدان الليل والنهار لحري^(٤) بسرعة الأوبة، وإن قادماً يحل بالفوز أو بالشقوة لمُستحق لأفضل العدة، فاتقوا عبد ربِّه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب شهوته، فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشیطان مُوَكَّل به: يُزَيِّنُ له المعصية ليركباها، ويُمَيِّنُ التوبة لیسوّفاها، حتى تهجم عليه منيته أغفل ما يكون عنها. فيا لها حسرة على ذي غفلة: أن يكون عمره عليه حُجَّة، أو تؤدِّيهِ أيامه^(٥) إلى شقوة! نسأل الله أن

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٤ - ١٠٥) كما هنا ولكن باختلاف يسير جداً سنشير إليه.

(٢) في المصدر السابق ص ١٠٤: «وترحلوا عن الدنيا».

(٣) جدَّ بكم: أي جدَّ بكم السير؛ يقال: جدَّ في سيره: اجتهد.

(٤) في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٥): «لجديرة».

(٥) نفس المصدر السابق والصفحة: «منيته».

يَجْعَلُنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقْصَرُ بِهِ عَنْ طَاعَتِهِ غَفْلَةٌ، وَلَا تُحَلَّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ فُرْقَةٌ؛ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَإِنَّهُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ.

وفي خطبة^(١) المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول:

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ أَبَانَ اللَّهُ فَضْلَهُ، وَأَوْجَبَ تَشْرِيفَهُ، وَعَظَّمَ حُرْمَتَهُ، وَوَفَّقَ لِمَنْ خَلَقَهُ صِفَوْتَهُ، وَأَبْتَلَى فِيهِ خَلِيلَهُ، وَفَدَى فِيهِ مِنَ الذَّبْحِ نَبِيَّهُ، وَجَعَلَهُ خَاتَمَ الْأَيَّامِ الْمَعْلُومَاتِ مِنَ الْعَشْرِ، وَمَتَقَدَّمَ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ مِنَ النَّفْرِ^(٢)؛ يَوْمٌ حَرَامٌ مِنْ أَيَّامِ عِظَامٍ، فِي شَهْرِ حَرَامٍ، يَوْمُ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، يَوْمٌ دَعَا اللَّهُ إِلَى مَشْهَدِهِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَعْظِيمِهِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^(٣) الْآيَاتِ؛ فَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِذِبَائِحِكُمْ، وَعَظَّمُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَاجْعَلُوهَا مِنْ طَيِّبِ أَمْوَالِكُمْ وَبِصَحَّةِ تَقْوَى مِنْ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾^(٤)، ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: عَظَّمَ قَدْرَ الدَّارَيْنِ وَارْتَفَعَ جَزَاءُ الْعَمَلَيْنِ^(٥) وَطَالَتْ مَدَّةُ الْفَرِيقَيْنِ. اللَّهُ اللَّهُ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَإِنَّهُ الْحَقُّ لَا الْكَذِبَ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ وَالبَعْثُ وَالمِيزَانُ وَالحِسَابُ وَالقِصَاصُ وَالصَّرَاطُ ثُمَّ الْعِقَابُ وَالثَّوَابُ، فَمَنْ نَجَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فَازَ،

(١) أَنْظَرْ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٤ ص ١٠٥ - ١٠٦).

(٢) يَوْمُ النَّفْرِ: يَوْمٌ يَنْفِرُ النَّاسُ مِنْ مَنَى.

(٣) سُورَةُ الْحَجِّ ٢٢، آيَةُ ٢٧. وَالْمَعْنَى: نَادِ أَيُّهَا النَّاسُ حُجُّوا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ. رَاجِعِ التَّفْسِيرِ الْمُبِينِ.

(٤) نَفْسُ السُّورَةِ، آيَةُ ٣٧. وَالْمَعْنَى: لَنْ يَنَالَهُ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ يَفْتَقِرُ كُلُّ شَيْءٍ. وَلَكِنْ يَنَالُهُ تَعَالَى الرِّضَى عَنْكُمْ لِأَنَّهُ يُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَكُونَ مَرْضِيًّا لَدَيْهِ كَمَا يُرِيدُ الْوَالِدُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْ يَكُونَ نَاجِحًا فِي دُرُوسِهِ وَسُلُوكِهِ، وَيُرِيدُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا. التَّفْسِيرِ الْمُبِينِ.

(٥) الْمُرَادُ بِالْعَمَلَيْنِ عَمَلُ الْخَيْرِ وَعَمَلُ الشَّرِّ.

ومن هَوَى يومئذ فقد خاب. الخيرُ كُلُّه في الجنة، والشرُّ كُلُّه في النار.

وفي خطبة^(١) المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول:

إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنَّةٌ وَابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَفْتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، فَجَعَلَهُ خَاتَمَةَ الشَّهْرِ وَأَوَّلَ أَيَّامِ شَهْرِ الْحَجِّ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَنَفِّلًا قِيَامَكُمْ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ؛ فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ لَتَفْرِيطِكُمْ، فَإِنَّهُ يُقَالُ، لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتَغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ. ثُمَّ التَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَذَكَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى. ثُمَّ قَالَ: فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي أَعْتَدَلُ فِيهِ يَقِينُكُمْ، لَمْ يَحْتَضِرْ^(٢) الشُّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّهُ لَا تَسْتَقِلُّ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ، وَلَا تُحْطَرُّ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ. وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ إِلَّا دُونَهُ وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ. وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَلَزِهِ^(٣) وَكُرْبِهِ، وَلَا يُعِينُ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلُمَتِهِ وَضِيقِهِ وَوَحْشَتِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ. فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نِدَامَتُهُ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقَالَتُهُ، وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يَجَابُ إِلَيْهِ، وَبَذَلَ مِنَ الْفَدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ. فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ! وَكُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأَعْطَوْهَا إِذْ مُبْعَاثُهَا الَّذِينَ حَذَّرَكُمْ اللَّهُ، وَأَتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ اللَّهُ فِيهِ لَوْضَعِ مَوَازِينِكُمْ، وَنَشْرِ صُحُفِكُمْ الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ. فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ، وَمَا يُبَلِّغُ^(٤) فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ؛

(١) وردت هذه الخطبة في العقد الفريد (ج ٤ ص ١٠٦ - ١٠٧) باختلاف بسيط عما هنا.

(٢) في المصدر السابق ص ١٠٦: «وَلَمْ يَحْضُرْ» وحضر مثل أحضر.

(٣) الْعَلَزُ: ما يصيب المريض عند حشجة الموت من رعدة وأضطراب.

(٤) يُبَلِّغُ: يُبْلِي.

فقد حَكَّى الله لكم ما قال المفرطون عندها إذ طال إعراضهم عنها، قال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾^(١) الآية. وقال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٢). ولست أنْهَاكُمْ عن الدنيا بأعظم مما نَهَتْكُمْ الدنيا عن نفسها، فإنه كُلُّ ما لها ينْهَى عنها، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها. وأعظم مما رآته أعينكم من عجائبها ذمُّ كتابِ الله لها ونَهْيُ الله عنها، فإنه يقول: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٣) وقال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾^(٤) الآية. فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها، وأعلموا أن قوماً من عباد الله أَدْرَكْتَهُمْ عَصْمَةُ الله فحذروا مَصَارِعَهَا، وجانبوا خدائعها، وآثروا طاعة الله فيها، فأدركوا الجنة بما تركوا منها.

كَلَامٌ مِّنْ أُرْتِجَ عَلَيْهِ

حدَّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال: حدَّثنا عيسى بن عمر قال: خَطَبَ أميرٌ مرّةً فأنقطع فخيّل، فبعث إلى قومٍ من القبائل عابوا ذلك ولَفَّهْمُ^(٥) وفيهم يَرْبُوعِيٌّ جَلْدٌ، فقال: اخْطُبُوا؛ فقام واحدٌ فمرّ في الخطبة، حتى إذا بلغ أما بعد قال: أما بعد أما بعد، ولم يدرِ ما يقول، ثم قال: فَإِنَّ أَمْرَاتِي طَالِقٌ ثَلَاثًا، لم أُرِدْ أن أجمع اليوم فمَنَعَتْنِي. وخطب آخر، فلما بلغ أما بعد بقي ونَظَرَ فإذا

(١) سورة الكهف ١٨، آية ٤٩. والمعنى: فترى المجرمين خائفين مما يعطي سبحانه كل مجرم صحيفة أعماله. انظر التفسير المبين.

(٢) سورة الأنبياء ٢١، آية ٤٧. وليس المراد بالموازين هنا ما لكل واحد منها كفتان وعمود ولسان، بل المراد أحكام الله وشريعته.

(٣) سورة لقمان ٣١، آية ٣٣. والغُرُورُ: الشيطان. والمعنى أحذروا كل شيطان رجيم يغريكم بمعصية الله ونقمته التفسير المبين.

(٤) سورة محمد ٤٧، الآية رقم ٣٦. والمعنى: الويل لمن أنصرف إلى الدنيا وأشتغل بها وتورط في الشهوات والمحرمات وإلا فدين الله ودينه شيء واحد. التفسير المبين.

(٥) لَفَّهْمُ: جمعهم.

إنسان ينظر إليه، فقال: لعنك الله! ترى ما أنا فيه وتلمّحني ببصرك أيضاً! قال: وقال أحدهم: رأيت القَراقير^(١) من السفن تجري بيني وبين الناس. قال: وصعد اليربوعي فخطب فقال: أما بعد، فوالله ما أدري ما أقول ولا فيم أقمتوني، أقول ماذا؟ فقال بعضهم: قل في الزيت؛ فقال: الزيت مبارك، فكلوا منه وآدِهِنُوا. قال: فهو قول الشُّطار^(٢) اليوم إذا قيل: لم فعلت ذا، فقل في شأن الزيت وفي حال الزيت.

ولما أتى يزيد بن أبي سُفيان الشام والياً لأبي بكر رضي الله عنه، خطب فأرتج^(٣) عليه، فعاد إلى الحمد لله فأرتج عليه، فعاد إلى الحمد لله ثم أرتج عليه، فقال: يا أهل الشام، عسى الله أن يجعل من بعد عُسرٍ يُسرًا، ومن بعد عيٍّ بيانًا، وأنتم إلى إمامٍ عادلٍ أخوجُ منكم إلى إمامٍ قائلٍ. ثم نزل. فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه.

صعد ثابتٌ قُطنة^(٤) منبراً بسجستان فحمد الله ثم أرتج عليه، فنزل وهو يقول:

فإلاً أكن فيكم خطيباً فلانني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب
فقل له: لو قلتها على المنبر كنت أخطب الناس.

وارتج على عبد الله بن عامر بالبصرة يوم أضحى، فمكث ساعة ثم

(١) القراقير: السفن العظيمة، واحدها قُرْقُور.

(٢) الشُّطار: ج شاطر وهو من أعيا أهله خُبثاً، والمراد بالشطار هنا: أهل الدعارة والفتك وأصحاب النوادر والتكتيك والمضحكات.

(٣) أرتج عليه: أصابه اضطرابٌ وغي.

(٤) ثابت قُطنة هو ثابت بن كعب بن جابر العتكي، من شجعان العرب وأشرفهم في العصر المرواني. شهد الوقائع في خراسان سنة ١٠٢ هـ. وأصيب عينه فجعل عليها قُطنة فعرف بها. توفي سنة ١١٠ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٩٨.

قال: واللَّهِ ولا أَجْمَعُ عليكم عِيًّا ولُؤْمًا، من أَخَذَ شاةً من السُّوق فهي له وثمنها عليّ.

وارتج على خالد بن عبد الله القَسْرِيّ فقال: إِنَّ هذا الكلامَ يَجِيءُ أحياناً ويعزُّبُ^(١) أحياناً، وربما طُلِبَ فَأَبَى وكُوْبِرَ فَعَسَا^(٢)، فالتَّأَنَّى لمَجِيهٍ، أَيْسَرُ من التَّعَاطِي لأَبِيهٍ؛ وقد يَخْتَلِطُ من الجريءِ جَنَانُهُ^(٣)، وينقُطِعُ من الذَّرْبِ^(٤) لسانُهُ، فلا يُبْطِرُهُ ذلك ولا يَكْسِرُهُ؛ وسأعودُ إن شاء الله.

وارتج على مَعْن بن زائدة فضرب المنبر برجله ثم قال: فَتَى حُرُوبٍ لا فَتَى مَنَابِرٍ.

وكان عبد ربّه اليَشْكُرِيّ عاملاً لعيس بن موسى على المدائن، فصعد المنبرَ فحمد الله وارتج عليه فسكت، ثم قال: والله إني لأكون في بيتي فتجِيءُ على لساني ألفُ كلمة، فإذا قمتُ على أعوادكم هذه جاء الشيطانُ فمحاها من صَدْرِي، ولقد كنتُ وما في الأيامِ يومٌ أحبُّ إليّ من يوم الجمعة، فصيرتُ وما في الأيامِ يومٌ أبغضُ إليّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخُطبتكم هذه.

صَعِدَ رَوْحُ بن حاتم المنبر، فلما رأى جَمَعَ الناسِ حَصِرَ^(٥)، فقال: نَكَّسُوا

(١) عَزَبَ الشَّيْءُ يَعَزُبُ: خفي وغاب.

(٢) عَسَا: اشتدَّ وصعب.

(٣) الْجَنَانُ: القلب أو رُوعه، والجمع أجنان. وأختلط قلبُ الرجل: إرتبك. يقال: إختلط الرجلُ: فسَدَ عقله.

(٤) الذَّرْبُ: إزْمِيلُ الإسكاف أي حديدته التي يقطع بها؛ يقال: ذَرَبَ لسانُ الرجلِ يَذْرُبُ إذا فسَدَ، ورجلٌ ذَرَبَ اللسانَ: حديدة أي فيه جِدَّةٌ، والجمع دُرْبٌ.

(٥) حَصِرَ: عَجِيَ في المنطق.

رؤوسكم وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، فَإِنَّ أَوَّلَ مَرْكَبٍ صَعَبٌ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُفْلَ تَيْسَرٍ.

وَدُعِيَ رَجُلٌ لِيَخْطُبَ فِي نِكَاحِ فَحَصِيرٍ، فَقَالَ: لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ فَقَالَتْ أَمْرَأَةٌ حَضَرَتْ: أَلْهَذَا دَعْوَانَا! أَمَاتَكَ اللَّهُ!.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: نِعَمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ وَالتَّشْرِفُ لِلْخُطْبِ.

قِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ: عَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبُ؛ فَقَالَ: كَيْفَ لَا يُعَجِّلُ عَلَيَّ وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ.

وَوَلِيَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ يُعْرِفُ بِالذَّنْدَانِ بَحْرَ الْيَمَامَةِ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبَرَ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: حَيَّا اللَّهُ هَذِهِ الْوَجُوهَ وَجَعَلَنِي فِدَاءَهَا، إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ طَائِفِي بِاللَّيْلِ أَلَّا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَتَانِي بِهِ وَلَوْ كُنْتُ أَنَا إِيَّاهُ ثُمَّ نَزَلُ.

المنابر

قَالَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾^(١) إِنَّهُ الْمَنْبَرُ، وَقَالَ: الشَّاعِرُ:

[بسيط]

لَنَا الْمَسَاجِدُ تَبْنِيهَا وَنَعْمُهَا فِي الْمَنَابِرِ قَعْدَانُ لَنَا ذُلُّ
فَلَا نَقِيلُ عَلَيْهَا حِينَ نَرْكَبُهَا وَلَا لَهْنٌ لَنَا مِنْ مَعْشَرٍ بَدَلُ

وَقَالَ الْكُمَيْتُ يَذْكُرُ بَنِي أُمَيَّةَ:

[طويل]

مُصِيبٌ عَلَى الْأَعْوَادِ يَوْمَ رُكُوبِهِ لَمَّا قَالَ فِيهَا، مُخْطِئٌ حِينَ يَنْزِلُ
يُشَبِّهُهَا^(٢) الْأَشْيَاءَ وَهِيَ نَصِيْبُهُ لَهُ مَشْرَبٌ مِنْهَا حَرَامٌ وَمَأْكُلُ

(١) سورة الشعراء ٢٦، آية ٥٨. وكنوز: أموال ظاهرة من الذهب والفضة. والمقام الكريم: هو مجلس حسن للأمرء والوزراء.

(٢) الضمير عائد للدنيا.

[طويل]

وقال بعض المُحدّثين

فَمَا مَنَّبَرٌ دَسَّسَتْهُ بَاسَتِ أَفْكَلٌ^(١) بِزَاكِ وَلَوْ طَهَّرَتْهُ بِأَبْنِ طَاهِرٍوَمَرَّ الْأَقْيَشِرُ^(٢) بِمَطَرِ بْنِ نَاجِيَةِ الْيَرْبُوعِيِّ حِينَ غَلَبَ عَلَى الْكُوفَةِ فِي أَيَّامِ

[كامل]

الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسِ الشَّارِيِّ وَمَطَرٌ يَخْطُبُ، فَقَالَ:

إِبْنِي تَمِيمٌ مَا لِمَنْبَرٍ مُلْكُكُمْ لَا يَسْتَمِرُّ قَعُودُهُ يَتَمَرَّمُ^(٣)

إِنَّ الْمَنَابِرَ أَنْكَرَتْ أَشْبَاهَكُمْ فَادْعُوا خُزَيْمَةَ يَسْتَقِرَّ الْمَنْبَرُ

خَلَعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَايَعُوا مَطَرًا لَعَمْرُكَ بَيْعَةٌ لَا تَظْهَرُ

وَأَسْتَخْلَفُوا مَطَرًا فَكَانَ كَقَائِلٍ بَدَلُ بَعْمُرِكَ مِنْ أُمَيَّةِ أَعُورُ

خَطَبَ^(٤) قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ عَلَى مَنْبَرِ خُرَاسَانَ فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ،

فَتَفَاءَلَ لَهُ عَدُوُّهُ بِالْشَّرِّ وَأَغْتَمَّ صَدِيقُهُ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ فَقَالَ: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى

مَا ظَنَّ الْعَدُوُّ وَخَافَ الصَّدِيقُ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: [طويل]

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ^(٥) بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وقال واثلة بن خليفة السدوسي يهجو عبد الملك بن

[طويل]

المُهَلَّبِ^(٦):

(١) الْأَفْكَلُ: الذي ترتعد فرائضه.

(٢) الْأَقْيَشِرُ هو المغيرة بن عبد الله الأسدي، الشاعر المشهور وأحد مُجَانِ الكوفة. هجا عبد

الملك ورثي مصعب بن الزبير. انظر المؤلف والمختلف ص ٥٦ ومعجم الشعراء ص ٣٦٩ -

٣٧٠.

(٣) يَتَمَرَّمُ: يتحرك.

(٤) ورد في العقد الفريد (ج ٢ ص ٣٠٣) ما يلي: «لَمَّا قَدِمَ قُتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ وَالْيَأَى عَلَى خُرَاسَانَ قَامَ

خَطِيبًا فَسَقَطَتِ الْمِخْصَرَةُ مِنْ يَدِهِ فَتَطَيَّرَ بِهَا أَهْلُ خُرَاسَانَ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَيْسَ كَمَا ظَنَنْتُمْ:

ولكنه كما قال الشاعر» وأورد البيت المذكور.

(٥) في المصدر السابق: «وَأَسْتَقَرَّتْ».

(٦) عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي من شجعان العرب وأشرفهم. خرج مع أخيه =

لقد صَبَرْتُ للذُّلِّ أَعْوَادُ مَنْبِرٍ تقوم عليها في يديك قضيبُ
 بكى المنبرُ الغربيُّ إذ قُمْتَ فوقَه وكادتُ مساميرُ الحديدِ تذوبُ
 تم كتاب العلم وهو الكتاب الخامس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه
 الله، ويتلوه في الكتاب السادس كتاب الزهد.
 والحمد لله رب العالمين، وصلاته على سيدنا محمد النبي وآله
 أجمعين.

صورة ما كتبه الناسخ بخطه في آخر النسخة الفتوغرافية

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي
 الواعظ الجزري، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة.
 وقال بعضهم: بُني الإسلام على خمسة؛ التواضع عند الدولة، والعفو
 عند القدرة، والسخاء مع القلة، والعطية من غير مئة، والنصيحة للعامة.

وقال بعض الشعراء في الصبر:
 وإذا ابتليتَ بِمُحَنَةٍ فَالْبَسْ لَهَا ثوبَ السكوتِ فإنَّ ذلكَ أَسْلَمُ
 لا تشكُونَنَّ إلى العبادِ فإنما تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يَرْحَمُ
 ويُروَى للشافعي رضي الله عنه:
 [كامل] [وافر]

نَعِيبُ زَمَانِنَا وَالْعَيْبُ فِينَا وما لزماننا عيبٌ سِوَانَا

= يزيد على بني مروان وشهد الوقائع في العراق. قتل على أبواب قنديل (مدينة بالسند تقدمت
 ترجمتها في الحاشية رقم ٢ من ص ١٩٩ من هذا الجزء) وتوفي سنة ١٠٢ هـ. الأعلام ج ٤
 ص ١٦٥.

<p>ولو نطق الزمانُ بنا هجانا ونحن به نُخادع من يرانا ويأكلُ بعضنا بعضاً عيانا</p>	<p>وقلّد نهجوا الزمانَ بغير جُرمٍ فدُنينا التّصنُّعَ والتّرائي وليس الذئبُ يأكل لحم ذئبٍ</p>
-------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الزهد

ما أوحى الله جل وعز الى
أنبيائه عليهم السلام

حدّثني محمد بن عُبيد قال : حدّثنا خَلَف بن تَمِيم عن أَبِي عِصْمَةَ الشَّامِيِّ عن أَبِي أَخْت وهب بن منبّه عن وهب قال : أوحى الله إلى نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له أرمياء حين ظهرت فيهم المعاصي : أَنْ قُمْ بَيْن ظَهْرَانِي قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ لَهُمْ قُلُوبًا وَلَا يَفْقَهُونَ ، وَأَعْيُنًا وَلَا يَبْصُرُونَ ، وَأَذَانًا وَلَا يَسْمَعُونَ ، وَأَنْتِي تَذَكَّرْتُ صَلَاحَ آبَائِهِمْ ، فَعَطَّفَنِي ذَلِكَ عَلَى أَبْنَائِهِمْ ، سَلِّهُمُ كَيْفَ وَجَدُوا غِبَّ طَاعَتِي ، وَهَلْ سَعِدَ أَحَدٌ مِمَّنْ عَصَانِي بِمَعْصِيَتِي ، وَهَلْ شَقِيَ أَحَدٌ مِمَّنْ أَطَاعَنِي بِطَاعَتِي ! إِنَّ الدُّوَابَّ تَذَكَّرُ أَوْطَانَهَا فَتَنْزِعُ إِلَيْهَا ، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ تَرَكَوا الْأَمْرَ الَّذِي أَكْرَمْتُ عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ ، وَآلَتَمَسُوا الْكِرَامَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا . أَمَّا أَحْبَابُهُمْ فَأَنْكَرُوا حَقِّي ؛ وَأَمَّا قُرَاؤُهُمْ فَعَبَدُوا غَيْرِي ؛ وَأَمَّا نُسَاكُهُمْ فَلَمْ يَتَنَفَعُوا بِمَا عَلَّمُوا مِنْ حِكْمَتِي ؛ وَأَمَّا وَلَاتُهُمْ فَكَذَّبُوا عَلَيَّ وَكَذَّبُوا رَسُلِي ، خَزَنُوا الْمَكْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَعَوَّدُوا الْكَذْبَ أَلْسِنَتَهُمْ ؛ وَإِنِّي أَقْسَمُ بِجَلَالِي وَعِزَّتِي لَا هَيَّجَنَ عَلَيْهِمْ جُنُودًا لَا يَفْقَهُونَ أَلْسِنَتَهُمْ ، وَلَا يَعْرِفُونَ وَجُوهَهُمْ ، وَلَا يَرْحَمُونَ بَكَاءَهُمْ ؛ وَلَا يَتَبَعَثْنَ فِيهِمْ مَلِكًا جَبَّارًا قَاسِيًا ، لَهُ عَسَاكِرُ كَقِطْعِ السَّحَابِ ، وَمَوَاكِبُ كَأَمْثَالِ الْعَجَاجِ ، كَأَنَّ خَفَقَانَ رَايَايَهِ طَيْرَانُ النُّسُورِ ، وَكَأَنَّ حَمْلَ فُرْسَانِهِ كُرٌّ

العِقبان، يعيدون العُمران خراباً، ويتركون القرى وحشةً. فيا ويلَ إيلياء^(١) وسُكَّانها! كيف أذلَّهم للقتل، وأسلطُ عليهم السَّباء، وأعيدُ بعد لَجِبِ الأعراس صُراخَ الهام، وبعد صهيل الخيل عواءَ الذئاب، وبعد شُرفات القصور مساكنَ السباع، وبعد ضوء الشُّرج رَهَجَ العَجَاج. ولأبدلنَّ رجالهم بتلاوةِ الكتابِ انتَهَارَ الأرباب، وبالعزَّ الذلَّ، وبالنعمةِ العبوديةَ. ولأبدلنَّ نساءهم بالطَّيبِ التراب، وبالمشي على الزَّرَّابِيِّ الحَبَبِ^(٢)؛ ولأجعلنَّ أجسادهم زُبْلاً للأرض، وعظامهم ضاحيةً للشمس. وفي رواية أخرى: ولأدوسنَّهم بالوان العذاب، حتى لو كان الكائنُ خاتماً في يميني لوصلتِ الحربُ إليه؛ ثم لأمرنَّ السماءَ فلتكوننَّ طبقةً من حديد، والأرضَ فلتكوننَّ سبيكةً من نحاس، فإن أمطرت السماءَ وأنبتت الأرضُ شيئاً في خلال ذلك فبرحمتي للبهائم، ثم أحبسهُ في زمن الزرع وأرسلهُ في زمن الحِصاد، فإن زرعوا خلال ذلك شيئاً سلطتُ عليه الآفة، فإن خلصَ منه شيءٌ نزعْتُ منه البركة، فإن دعَوني لم أجبه، وإن سألوا لم أعطهم، وإن بكوا لم أرحمهم، وإن تضرَّعوا صرفتُ وجهي عنهم.

حدَّثني عبد الرحمن عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب: أن الله، عزَّ وجلَّ، أوحى إلى موسى بن منسى بن يوسف أن قلَّ لقومك: إني بريء ممن سَحَر أو سَجَر له، أو تَكْهَن أو تُكْهَن له، أو تَطْيِّر أو تُطْيِّر له؛ من آمن بي صادقاً فليتوكَّل عليَّ صادقاً، فكفى بي مثيباً؛ ومن عدل عني ووثق بغيري فإني

(١) إيلياء بهمزة مكسورة ثم ياء ثم لام مكسورة ثم ياء أخرى ثم ألف ممدود وهذا هو الأشهر، وقيل بالقصر، وقيل ألياء بحذف الياء الأولى وسكون اللام والمد. وإيليا بيت المقدس ومعناه بيت الله. انظر تهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي (ج ١ ق ٢ ص ٢٠).

(٢) الزَّرَّابِيُّ: البُسْط. والحَبَبُ: الخَلْف من الثياب.

خير شريك أردُّ عليه ما توَّسل به إليّ، وأكله إلى مَنْ توكل عليه؛ ومن وكلته إلى غيري فليستعدَّ للفتنة والبلاء.

وحدَّثني بهذا الإسناد قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام في الزُّبور: يا عبدي الشكور، إني قد وهبْتُ لك الزُّبورَ، وأتبعْتُه بنصح مَنِّي من أعين السُّطور، ومَن الوحي المحفوظ المحجوب من وراء الستور، فأعبدني به في الأيام والليالي والشهور؛ وأحبِّني من كلِّ قلبك، وحبِّني إلى خلقي، وأبغض من عبادي كلَّ منافقٍ جهول، قال: يا ربِّ كيف أُحبِّبك إلى خلِّقك؟ قال: تُذكِّرهم آلائي.

وبهذا الإسناد قال: أنزل الله على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، وكانت صُحفه أمثالاً وعبراً وتسييحاً وتمجيذاً وتهليلاً، فكان فيها؛ أيها الملك المسلَّط المغرور المبتلى، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضُها على بعض ولتبنى المدائن والحصون، ولكن بعثتك لتردَّ عني دعوة المظلوم، فإني لا أردها ولو كانت من كافر.

وبهذا الإسناد أن الله تعالى قال لشُعيا: قُمْ في قومك أوحِ على لسانك؛ فلما قام شُعيا أنطق الله لسانه بالوحي، فقال: يا سماءُ أستمعي، يا أرضُ أنصتي، فأَنْصتت الأرضُ وأستمعت السماءُ؛ فقال: إن الله يقول لكم: إني أَسْتَقْبَلْتُ بني إسرائيلَ بالكرامةِ وهم كالغنم الضائعة لا راعي لها، فأَوَيْتُ شاذَّتها، وجمعتُ ضالَّتها، وجبرتُ كسيرها، وداوَيْتُ مريضها، وأسمَنْتُ مهزولها؛ فبطِرتُ فتناطحت، فقتل بعضها بعضاً حتى لم يَبْقَ منها عظمٌ صحيح يُجبر إليه آخرُ كسير. إنَّ الحمارَ مما يتذكر آريه^(١) الذي شبع عليه

(١) الأريُّ: محبس الدواب وحبلٌ تشد به في محبسها.

فيراجعه، وإن الثور مما يتذكر مَرَجَه الذي يمن فيه فينتابه، وإن البعير مما يتذكر وطنه الذي تُنَج فيه فينزِع إليه، وإن هؤلاء القوم لا يذكرون أنني جاءهم الخير وهم أهل الألباب وأهل العقول، ليسوا بابل ولا بقر ولا حمير، وإنني ضاربٌ لهم مثلاً فأسمعوه: قل لهم: كيف تَرَوْنَ في أرضٍ كانت زماناً من زمانها خربةً مواتاً لا حَرثَ فيها، وكان لها ربٌّ قويٌّ حليم، فأحاط عليها سياجاً وشيّد فيها قصراً وأنبت فيها نهراً وصنّف فيها غراساً من الزيتون والرمان والنخيل والأعناب واللوزان الثمار، وولّى ذلك ذا رأيٍ وهمّةٍ حفيظاً قوياً أميناً؛ فلما جاء إِبَّانُ إثمارها أثمرت خروباً، ما كنتم قائلين له ومشيرين عليه؟ قالوا: كنا نقول: : بُشَّتِ الأرضُ أرضُك، ونشير عليه أن يقلّع سياجها، ويهدِم قصرها، ويدفِن نهرها، ويحرق غرسها حتى تعود خربةً مواتاً لا عُمرانَ فيها؛ قال الله تعالى: قل لهم، إن السياجَ ذمتي، وإنَّ القصرَ شريعتي، وإن النهرَ كتابي، وإن القيمَ نبيّ، وإن الغرسَ مثلٌ لهم، والخروبُ أعمالُهُم الخبيثة؛ وإنني قد قضيتُ عليهم قضاءهم على أنفسهم، يتفَرَّبون إليّ بذبح الغنم والبقر وليس ينالني اللحم ولا آكله . ويدعون أن يتقربوا إليّ بالتقوى والكفِّ عن ذبح الأنفس التي حرّمها ويُشيّدون لي البيوتَ ويزوِّقون لي المساجدَ؛ وأيّ حاجةٍ بي إلى تشييد البيوت ولستُ أسكنها، وإلى تزويق المساجد ولست أدخلها؛ إنما أمرتُ برفعها لأذكرَ فيها وأُسَبِّح، ويُنجِّسون أنفسهم وعقولهم وقلوبهم ويخربونها، يقولون: لو كان يقدرُ على أن يجمعَ أَلَفَتَنَا لجمعها، ولو كان يقدرُ على أن يُفَقِّهَ قلوبنا لفَقَّهها. فأعمِدْ إلى عودين يابسَيْن فأكتبَ فيهما كتاباً ثم آتِ نادِيَهُم أجمعَ ما يكونون، فقل للعودين: إن الله يأمرُكم أن تعودا عوداً واحداً؛ فقال لهما ذلك، فأختلطا فصارا عوداً واحداً، وصار الكتاب في طَرَفَي العودِ كتاباً واحداً: يا معشر القبائل، إن الله يقول لكم: إنني قدرتُ على أن أفقِّهَ العيدانَ اليابسةَ وعلى أن أُؤَلِّفَ بينهما؛ فكيف لا أقدرُ على أن أجمعَ

أُفْتِكُمْ إِنْ شِئْتُ؟ أَمْ كَيْفَ لَا أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أُولِّفَ قُلُوبَكُمْ؟ يَقُولُونَ: صُمْنَا فَلَمْ يُرْفَعْ صِيَامُنَا وَصَلَّيْنَا فَلَمْ تُنَوِّرْ صَلَاتُنَا وَزَكَّيْنَا فَلَمْ تَزَكِّ زَكَاتُنَا، وَدَعَوْنَا بِمِثْلِ حَنِينِ الْحَمَامِ، وَبَكَيْنَا بِمِثْلِ غَوَاءِ الذَّنَابِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ كَلَّا يُسْمَعُ مِنَّا وَلَا يُسْتَجَابُ لَنَا؛ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: سَلُّهُمْ لِمَ ذَلِكَ؟ وَمَا الَّذِي مَنَعَنِي أَنْ أَجِيبَهُمْ؟ أَلَسْتُ أَسْمَعَ السَّامِعِينَ وَأُبْصِرَ النَّاطِرِينَ وَأَقْرَبَ الْمُجِيبِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ؟ أَلَا أَنْ خِرَازِنِي فَنَيْتُ؟ كَيْفَ وَبِذَايِ مَبْسُوطَتَانِ بِالْخَيْرِ أَتَفِيقُ كَيْفَ أَشَاءُ؟ أَمْ لِأَنَّ ذَاتَ يَدَيَّ قَلَّتْ؟ كَيْفَ وَمِفَاتِيحَ الْخَيْرِ بِيَدَيَّ لَا يَفْتَحُهَا وَلَا يُغْلِقُهَا غَيْرِي؟ أَمْ لِأَنَّ رَحْمَتِي ضَاقَتْ؟ كَيْفَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟ وَإِنَّمَا يَتَرَاخَمُ بِفَضْلِهَا الْمَتَرَاخِمُونَ! أَمْ لِأَنَّ الْبَخْلَ يَعْترِينِي؟ كَيْفَ وَأَنَا النِّفَاحُ بِالْخَيْرَاتِ أَجُودُ مَنْ أَعْطَى وَأَكْرَمُ مَنْ سُئِلَ؟ وَلَكِنْ كَيْفَ أَرْفَعُ صِيَامَهُمْ وَهُمْ يَلْبَسُونَهُ بِقَوْلِ الزُّورِ وَيَتَقَوَّوْنَ عَلَيْهِ بِطُعْمَةِ الْحَرَامِ؟ كَيْفَ أَنْوِّرَ صَلَاتَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ صَاغِيَةً إِلَيَّ مِنْ يُحَادِّثُنِي وَيَنْتَهِكُ مُحَارِمِي؟ أَمْ كَيْفَ أَسْتَجِيبُ دَعَاءَهُمْ وَإِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَالْعَمَلُ مِنْ ذَلِكَ بَعِيدٌ؟ أَمْ كَيْفَ تَزْكُو صَدَقَاتُهُمْ وَهِيَ مِنْ أَمْوَالِ غَيْرِهِمْ؟ إِنَّمَا أُجْزِي عَلَيْهَا الْمَغْضُوبِينَ. وَإِنَّ مِنْ عِلَامَةِ رِضَايَ رِضَا الْمَسَاكِينِ.

قال وهب: وفيما ناجى الله به موسى عليه السلام: لا تُعْجِبْكُمْ زِينَةُ وَلَا مَا مُتَّعَ بِهِ، وَلَا تَمُدَّ إِلَى ذَلِكَ أَعْيُنَكُمْ فَإِنَّهَا زَهْرَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَةُ الْمُتَرَفِّينِ. وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُزَيِّنْكُمْ بِزِينَةِ يَعْلَمُ فِرْعَوْنُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا أَنَّ مَقْدَرَتَهُ تَعْجِزُ عَمَّا أُوتِيْتُمْ فَعَلْتُ، وَلَكِنِّي أَرْغُبُ بِكُمْ عَنْ ذَلِكَ وَأُزَوِّيه^(١) عَنْكُمْ؛ وَكَذَلِكَ أَفْعَلُ بِأَوْلِيَائِي، إِنِّي لِأَذُودُهُمْ عَنْ نَعِيمِهَا وَرِخَائِهَا كَمَا يَذُودُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ غَنَمَهُ عَنْ مَرَاتِعِ الْهَلَكَةِ. وَإِنِّي لِأَحْمِيهِمْ عَيْشَهَا وَسُلُوتَهَا^(٢) كَمَا يَجْنُبُ الرَّاعِي الشَّفِيقُ إِبِلَهُ مَبَارَكِ الْعَرَّةِ^(٣)، وَمَا ذَاكَ لَهْوَانِهِمْ عَلَيَّ، وَلَكِنْ لِيَسْتَكْمِلُوا نَصِييَهُمْ مِنْ كِرَامَتِي

(١) أُزَوِّيه: أَصْرِفُهُ وَأَمْنَعُهُ. (٢) السُّلُوةُ: رِخَاءُ الْعَيْشِ. (٣) الْعَرَّةُ: جِاعَرٌ وَهُوَ الْجَمَلُ الْأَجْرَبُ.

سالمًا موفرًا لم يَكَلِّمْهُ الطَّمَعُ ولم يَطْبَعُهُ^(١) الهوى. وأعلم أنه لن يَتَزَيَّنَ العبَادُ بِزِينَةِ
أَبْلَغَ فِيمَا عِنْدِي مِنَ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا، إِنَّمَا هِيَ زِينَةُ الْأَبْرَارِ عِنْدِي، وَأَنْقَى مَا تَزَيَّنَ بِهِ
الْعِبَادُ فِي عَيْنِي عَلَيْهِمْ مِنْهَا، لِبَاسٌ يُعَرَفُونَ بِهِ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْخُشُوعِ، سِيَمَاهُمْ
النُّحُولُ وَالسُّجُودُ، أُولَئِكَ أَوْلِيَايَ حَقًّا. فَإِذَا لَقَيْتَهُمْ فَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَذَلِّلْ
لَهُمْ قَلْبَكَ وَلِسَانَكَ.

وأعلم أنه من أهان لي وليًّا أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة وبادأني
وعرَّضني لنفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نُصْرَةِ أَوْلِيَايَ، أَفِيظَنَ الَّذِي
يُحَارِبُنِي فِيهِمْ أَنَّهُمْ يَقُومُ لِي؟ أَمْ يَظُنُّ الَّذِي يُعَادِينِي فِيهِمْ أَنَّهُ يُعْجِزُنِي؟ أَمْ يَظُنُّ
الَّذِي يُبَادِرُنِي إِلَيْهِمْ أَنَّهُ يَسْبِقُنِي أَوْ يَفُوتُنِي؟ كَيْفَ وَأَنَا الشَّائِرُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، لَا أَكُلُ نَصْرَهُمْ إِلَى غَيْرِي؟

وفي التوراة: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء: يا
موسى. بن عمران صاحب جبل لُبنان، أنت عبيد وأنا إلهك الديان؛ لا
تستذلُّ الفقير، وَلَا تَغِيْطُ الْغَنِيَّ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ؛ وَكُنْ عِنْدَ ذِكْرِي خَاشِعًا، وَعِنْدَ
تِلَاوَةِ وَحْيِي طَائِعًا؛ أَسْمَعُنِي لِدَاذَةِ التَّوْرَةِ بِصَوْتِ حَزِينٍ.

وفيما أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أَنْزِلْنِي مِنْ نَفْسِكَ كَهَمِّكَ،
وَأَجْعَلْنِي ذُخْرَكَ فِي مَعَادِكَ، وَتَقَرَّبْ إِلَيَّ بِالنَّوْفَلِ أَذْنِكَ، وَتَوَكَّلْ عَلَيَّ أَكْفِكَ،
وَلَا تَوَلَّ غَيْرِي فَأَخْذَلْكَ؛ اصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ، وَارْضَ بِالْقَضَاءِ، وَكُنْ كَمَسْرَتِي
فِيكَ، فَإِنَّ مَسْرَتِي أَنْ أَطَاعُ، وَأَخِي ذِكْرِي بِلِسَانِكَ، وَلِيَكُنْ وَدِّي فِي قَلْبِكَ؛
تِيَقُظْ لِي فِي سَاعَاتِ الْغَفْلَةِ، وَكُنْ رَاهِبًا لِي وَرَاغِبًا إِلَيَّ. أَمِيتْ قَلْبَكَ بِالْخَشْيَةِ؛
رَاعِ اللَّيْلَ لِتَحْرِيَّ مَسْرَتِي، وَأَظْمَأْ لِي نَهَارَكَ لِلْيَوْمِ الَّذِي عِنْدِي؛ نَافِسْ فِي

(١) يَطْبَعُهُ: يَنْجَسُهُ.

الخيرات جُهِدَكَ. قُمْ فِي الْخَلِيقَةِ بَعْدَلِي، وَاحْكَمْ فِيهِمْ بِنَصِيحَتِي، فَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ شِفَاءٌ وَسَاوِسُ مَا فِي الصَّدُورِ مِنْ مَرَضِ الشَّيْطَانِ، وَجَلَاءُ الْأَبْصَارِ مِنْ غِشَاءِ الْكَلَالِ؛ وَلَا تَكُنْ جُلْسًا^(١) كَأَنَّكَ مَقْبُورٌ وَأَنْتَ حَيٌّ تَتَنَفَّسُ. إِكْحَلْ عَيْنَكَ بِمُلْمُولٍ^(٢) الْحُزْنَ إِذَا ضَحِكَ الْبَطَّالُونَ. إِبْكْ عَلَى نَفْسِكَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ بِكَاءٍ مَنْ قَدْ وَدَّعَ الْأَهْلَ وَقَلَى الدُّنْيَا، وَتَرَكَ اللَّذَاتِ لِأَهْلِهَا، وَارْتَفَعْتَ رَغْبَتُهُ فِيمَا عِنْدَ إِلَهِهِ. طُوبَى لَكَ إِنْ نَالَكَ مَا وَعَدْتُ الصَّابِرِينَ! تَرَجَّ مِنْ الدُّنْيَا يَوْمًا فَيَوْمًا، وَأَرْضَ بِالْبُلْغَةِ، وَلِيَكْفِكَ مِنْهَا الْخِشْنُ. تَذُوقْ مَذَاقَهُ مَا قَدْ خَلَا أَيْنَ طَعَمَهُ! وَمَا لَمْ يَأْتِ أَيْنَ لَذَّتْهُ! لَوْرَأَتْ عَيْنَاكَ مَا أَعْدَدْتُ لِأُولِيَائِي لَذَابَ قَلْبِكَ وَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقًا إِلَيْهِ.

وفيما قال للحواريين: بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ شَجَرَ الْأَرْضَ بِمَطَرِ السَّمَاءِ تَعِيشَ وَتَزْكُو، وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ بِنُورِ الْحِكْمَةِ تُبْصِرُ وَتَهْتَدِي؛ بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ مَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ دِينَ أَرْوَحُ وَأَقْلُ هِمًّا مِمَّنْ عَلَيْهِ دِينٌ وَإِنْ حَسَنَ قَضَاؤُهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ لَمْ يَعْمَلِ الْخَطِيئَةَ أَرْوَحُ وَأَقْلُ هِمًّا مِمَّنْ عَمِلَ بِهَا وَإِنْ حَسَنَتْ تَوْبَتُهُ. إِنَّ الدَّابَّةَ تَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ الرِّيَاضَةِ خَيْرًا، وَقُلُوبُكُمْ لَا تَزْدَادُ عَلَى كَثْرَةِ الْمَوْعِظَةِ إِلَّا قِسْوَةً. إِنَّ الْجَسَدَ إِذَا صَلَحَ كَفَاهُ الْقَلِيلُ مِنَ الطَّعَامِ، وَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا صَحَّ كَفَاهُ الْقَلِيلُ مِنَ الْحِكْمَةِ. كَمْ مِنْ سَرَّاجٍ قَدْ أَطْفَأَتْهُ الرِّيحُ، وَكَمْ مِنْ عَابِدٍ قَدْ أَفْسَدَهُ الْجُحُوبُ. يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، اسْتَمْعُوا قَوْلِي، فَإِنَّ مَثَلَ مَنْ يَسْتَمِعُ قَوْلِي ثُمَّ يَعْمَلُ بِهِ مَثَلُ رَجُلٍ حَكِيمٍ أَسَّسَ بَنِيَانَهُ عَلَى الصِّفَا^(٣)، فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ وَضَرَبَتْهُ الرِّيحُ فَثَبَّتَ بَنِيَانَهُ وَلَمْ يَخِرَّ، وَمَثَلُ الَّذِي يَسْتَمِعُ قَوْلِي

(١) الْجُلْسُ: الَّذِي يُلْزَمُ بَيْتَهُ فَلَا يَبْرَحُهُ.

(٢) الْمُلْمُولُ: الْمِكْحَالُ أَيْ الْمِرْوَدُ.

(٣) الصِّفَا: جِ الصِّفَاةِ، سَرَيَانِي وَمَعْنَاهُ الصَّخْرَةُ.

ثم لا يعمل به مثل رجلٍ سفيهٍ أسس بنيانه على الرمل، فمطرت السماء وسالت الأودية وهاجت الرياح فضربته فسقط بنيانه. يا بني إسرائيل، ما يُغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها! وما يغني عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به!. بحق أقول لكم: إنَّ قائل الحكمة وسامعها شريكان، وأولاهما بها من حققتها بعمله. بحق أقول لكم: لو وجدتم سراجا يتوقد بالقطران في ليلة مظلمة لاستضاءتم بنوره ولم يمنعكم منه نتن قطرانه، فكذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده.

بلغني عن محمد بن فضيل عن عمران بن سليم قال: بلغني أن عيسى ابن مريم قال لأصحابه: إن كنتم إخواني وأصحابي فوطّئوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الناس؛ إنكم لا تدركون ما تطلبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون. إياكم والنظرة، فإنها تزرع في القلب الشهوة. طوبى لمن كان بصره في قلبه ولم يكن قلبه في بصره!

قال: وبلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء وتبان^(١) حافياً مجزوراً الرأس والشاربين باكياً شعثاً مصفراً اللون من الجوع يابس الشفتين من العطش، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين؛ فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلها، ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيتي؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيتي المساجد، وطبي الماء، وإدامي الجوع، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمر، وصيلائي^(٢) في الشتاء مشارق الشمس، وطعامي ما تيسر، وفاكهي وريحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري الخوف، وجلسائي الرّمني^(٣) والمساكين، أصبح

(١) التبان: سراويل صغيرة مقدار شبر يستتر العورة المغلطة يكون للملاحين والمصارعين، معرب تَبَان بالفارسية.

(٢) الصلاء: الوقود أو النار العظيمة. (٣) الرّمني: ج الرّمين وهو ذو الرّمانة أي العاهة.

وليس لي شيء، وأمسي وليس لي شيء، وأنا طيب النفس غنيّ مكثّر، فمن أغنى وأريح مني!

وقرأت في بعض الكتب: عبدي! ما يزال ملكك كريمٌ قد صعد إليّ منك بعمل قبيح؛ أتقرب إليك بالنعم، وتتمقّت إليّ بالمعاصي؛ خيرني إليك نازلٌ، وشركٌ إليّ صاعدٌ.

وفي التوراة: لعلك يا إسرائيل إذا أنت خرجت من البرية فدخلت الأرض المقدسة، أرض بني آبائك إبراهيم وإسحاق، فإنها تفيضُ برّاً وشعيراً ولبناً وعسلًا، فورثت بيوتاً بناها غيرك وعصرت كروماً غرسها غيرك، فأكلت وشربت وتغنمت بشحم لباب القمح، ضربت بيدك إلى صدرك ورمحت كما ترمح الدابة برجليها، وقلت: بشدتي وبقوتي وبأسي ورثت هذه الأرض وغلبت أهلها، ونسيت نعمتي عليك! فأقذف الرعب في صدرك إذا أنت لقيت عدوك، وإذا هبّ الريح فتقعق لها ورق الشجر أنهزمت، فأقل رجالك، وأرمل نساءك، وأيتّم أبناءك، وأجعل السماء عليك نحاساً والأرض حديدًا، فلا السماء تُمطر ولا الأرض تُنبِت، وأقل لك البركة حتى تجتمع نسوة عشر يختبزن في تنورٍ واحدٍ.

بلغني عن عبد الرحمن المحاربّي عن جعفر بن بُرقان قال: بلغني عن وهب بن منبه قال: أجد في الكتاب أن قومًا يتدبّنون لغير العبادة، ويختلون^(١) الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون مُسوك^(٢) الضأن على قلوب الذئاب، ألسنتهم

(١) أي يطلبون الدنيا بعمل الآخرة. قال في لسان العرب مادة (ختل): جاء في الحديث: «من أشرط الساعة أن تعطل السيوف من الجهاد وأن تحتل الدنيا بالدين» أي تطلب بعمل الآخرة، من ختله إذا خدعه.

(٢) المُسوك: ج مسك وهو الجلد.

أحلى من العسل وأنفسهم أمر من الصبر، أبى يغترون! أم إياي يخادعون! أقسمت لأبعثن عليهم فتنة يعود الحليم فيها حيران.

وقرأت في الإنجيل: «لا تجعلوا كنوزكم في الأرض حيث يفسدها السوس والدود وحيث ينقب السراق، ولكن اجعلوا كنوزكم في السماء فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم. إن العين هي سراج الجسد فإذا كانت عينك صحيحة فإن جسدك كله مضيء. وإنه لا يستطيع أحد أن يعمل لرتين اثنين إلا أن يحب أحدهما ويغض الآخر، ويوقر أحدهما ويهين الآخر، فكذلك لا يستطيعون أن يعملوا لله وللمال. ولا يهتمكم ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون، أليست النفس أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طير السماء فإنهن لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن في الأهراء^(١)، وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهن، أفلستم أفضل منهن؟ وأيكم الذي إذا جهد قدر أن يزيد في طوله ذراعاً واحداً فلم تهتمون باللباس؟ اعتبروا بسوس^(٢) البرية فإنه لا يعمل ولا يغزل، أنا أقول: إن سليمان بوقاره^(٣) لم استطع أن يلبس كواحدة منه؛ فإذا كان الله يلبس عشب الأرض الذي ينبت اليوم ويلقى في النار غداً أفلستم يا قليلي الإيمان أفضل منه؟ ولا نهتموا فتقولوا: ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نلبس، فإنه إنما يهتم لذلك ابن الدنيا؛ وإن أباكم الذي في السماء يعلم أن ذلك ينبغي لكم؛ فأبدأوا فآلتمسوا ملكوت الله وصديقيته^(٤)، فإنكم سوف تكفون. ولا يهتمكم ما في غد، فإن غداً مكتف بهم، وحسب اليوم شره. وكما تدينون تدانون، وبالمكيال الذي

(١) الأهراء: ج هري وهو بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان.

(٢) البسوس: الناقة التي لا تدرك إلا على الإساس أي التلطف بأن يقال لها: بس بس تسكيناً لها.

(٣) الوقار: العظمة.

(٤) الصديقية: درجة أعلى من الولاية وأدنى من النبوة.

تكيلون يُكال لكم . وكيف تُبصر القذاة في عين أخيك ولا تُبصر السارية في عينك؟ لا تُعطوا الكلاب القدس ، ولا تُلَقُوا لؤلؤكم للخنازير . سَلُوا تُعْطُوا ، وآبَتُوا تَجِدُوا ، وآسَفْتَحُوا يُفْتَحْ لكم ، وآنظروا الذي تُحِبُّون أن يَأْتِيَ النَّاسُ إِلَيْكُمْ فَآتُوا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُ . أَدْخِلُوا الْبَابَ الضَّيِّقَ ، فَإِنَّ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ إِلَى الْهَلَكَةِ عَرِضَانِ ، وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُمَا كَثِيرٌ . وَمَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَالطَّرِيقَ لِلَّذِينَ يَبْلُغَانِ إِلَى الْحَيَاةِ ! وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُمَا قَلِيلٌ .»

وقال له رجل : أَتَبْعُكَ حَيْثُ ذَهَبْتَ ؟ فقال له عيسى : لِلشَّعَالِ جَحْرَةٌ ، وَلطير السماء كِتَانٌ ، وَليس لابن الإنسان مَكَانٌ يُسَيِّدُ فِيهِ رَأْسَهُ .

وقال له رجلٌ من الْحَوَارِيِّينَ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَدْفِنَ أَبِي ؟ فقال له : دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَآتَبِعْنِي . وقال للحواريين : لَا تَتَزَوَّدُوا شَيْئاً ، فَإِنَّ الْعَائِلَ مُحَقَّقٌ أَنْ يُطْعَمَ قُوَّتُهُ ، وَإِنِّي أُرْسِلُكُمْ كَالْخِرْفَانِ بَيْنَ الذَّنَابِ ، فَكُونُوا حُلَمَاءَ كَالْحَيَاتِ وَبُلْهًا كَالْحَمَامِ . وَإِذَا دَخَلْتُمُ الْبَيْتَ فَسَلِّمُوا عَلَى الْبَيْتِ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْبَيْتُ أَهْلًا لِسَلامِكُمْ فَلْيُصِيبْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِسَلامِكُمْ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَمَنْ لَمْ يُؤْوِكُمْ وَيَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ ، فَإِذَا أَخْرَجْتُمْ مِنْ قَرْيَتِهِ فَانْقُضُوا الْغَبَارَ عَنْ أَرْجُلِكُمْ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبٍ قَالَ : كَانَ فِيمَا نَاجَى بِهِ عُزَيْرٌ^(١) رَبَّهُ : اللَّهُمَّ فَإِنَّ لَكَ مِنْ كُلِّ خَلْقٍ خَلْقَتَهُ خَيْرَةً أَخْتَرْتُهَا ، وَإِنَّكَ أَخْتَرْتَ مِنَ النَّبَاتِ الْحُبْلَةَ^(٢) ، وَمِنَ الْمَوَاشِيِّ الضَّائِنَةَ ، وَمِنَ الطَّيْرِ الْحَمَامَةَ ، وَمِنَ

(١) عُزَيْرٌ : اسم نبي ؛ قال في قاموس الكتاب المقدس : «عزرا أَسْمُ عِبْرِيٍّ مَعْنَاهُ عَوْنٌ ، وَالاسْمُ نَشَأُ كَاخْتِصَارَ لَأَسْمِ عُزْرِيَا ، وَهُوَ كَاهِنٌ عَادَ مِنْ بَابِلَ إِلَى الْقُدْسِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ أَبْنَى اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ أَبْنَى اللَّهِ» سورة التوبة ٩ ، آية رقم ٣٠ وَأَنْظَرُ كَذَلِكَ التفسير المبين لمحمد جواد مغنّية .

(٢) الْحُبْلَةُ : الْكُرْمُ أَوْ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِهِ ، وَثَمَرُ السَّلْمِ ، وَالْجَمْعُ حُبْلٌ وَحُبْلٌ .

البيوت بيتَ إيلياء، ومن إيلياء بيتَ المقدس، ومن جميع الخلائق آدم، ومن وَلَدَ آدم نوحا، ومن وَلَدَ نوح إبراهيم، ومن وَلَدَ إبراهيم إسماعيل وإسحاق، ومن وَلَدَ إسحاق إسرائيل؛ اللهم فاصبَحْتَ خَيْرْتُكَ قد تَمَّتْ ونفَذْتُ في كُلِّ ما آخَرْتُ إِلَّا ما كان من وَلَدِ خليلك إبراهيم، فإنَّهم أصبحوا أَعْبُدًا لأهل معصيتك وَخَوَلًا لأعدائك، فما الذي سَلَطَ علينا ذلك؟ أَمِنْ أَجَلِ خطايانا؟ فالحاظئون وَلَدونا، أو مِنْ أَجَلِ ضعفنا؟ فمن ضعفِ خُلُقنا؟ قال: فجاءني المَلَكُ فكلَّمَنِي، فبينما أنا كذلك سمِعْتُ صوتاً هالني فَنَظَرْتُ، فإذا امرأةٌ حاسرةٌ عن رأسها، ناشرةٌ شعرها، شاقَّةٌ جَنِيها، تَلَطُّمٌ وجهها . وتصرُّخٌ بأعلى صوتها، وتحثو الترابَ على رأسها، فأقبلْتُ عليها وتركتُ ما كنتُ فيه، فقلتُ لها: ما بِالكِ أيتها المرأةُ وما الذي دهاك؟ أخبريني خبركِ، فقد أصابت المصائبُ غيرَك؛ قالت: إليك عني أيها الرجلُ، فإن ربي هو الذي أبكاني، ومصيتي أعظمُ مما ترى؛ فقلتُ: فإنَّ في الله عَزَاءً من كُلِّ مصيبةٍ، وخَلَفًا من كُلِّ هالكٍ، وعوضاً من كُلِّ فائتٍ، فإياه فاستعيني، وإلى نظره لك فأنظري؛ قالت: إني كنتُ امرأةً كثيراً مالي، عظيماً شرفي، وكنت عاقراً لا وَلَدَ لي، وكنتُ عند بعلٍ له نِسوةٌ معي وكلُّهن ولد له غيري، فملنَ به لحبِّ الولد فصرفت وجهه عني، فحزنتُ وحزن أهلي وصديقي، فلما رأيتُ هواني عليه وسقوطَ منزلتي عنده، رَغِبْتُ إلى ربي ودَعَوْتُهُ فأجابني، وأستوهبته غلاماً فوهبه لي، فقرَّرتُ به عيني، وفرح أهلي، وعطف اللُّهُ به زوجي، وقطع عني ألسنةُ ضرائري، فربَّيتُ غلاماً لم تحمِلْ أثنى مثله حُسناً وجمالاً ونَصرةً وتاماماً، فلما بَلَغَ أشدَّهُ وكَمَلَ به سروري خطبْتُ عليه عظيمةً قومي، وبذلتُ دونه مالي، وخرَجْتُ من خُلعتي^(١)، وجمعتُ رجالَ قومي، فخرج يمشي بينهم حتَّى دخلَ

(١) الخُلعةُ بضم الخاء وكسرها: المال وخيار ما يخلع على الإنسان.

بيته، فلما قعد على سريريه، خرَّ منه فاندقت عنقه فمات أبني وضلَّ عملي وبطل نصيبي وتلف مالي، فخرجتُ إلى هذه البرية أبكيه فيها لا أريدُ أن أرى أثراً من آثاره ولا أحداً من أصحابه، ولن أبرح أبكيه حتى ألحق به. قال عزير: أذكري ربك وراجعيه، فقد أصابت المصائب غيرك أما رأيت هلاك إيلياء وهي سيّدة المدائن وأم القرى؟ أو ما رأيت مصيبة أهلها وهم الرجال؟ قالت: إي، رَحِمَكَ اللَّهُ! إن هذا ليس لي بعزاء وليست لي بشيء منه أسوء، إنما تبكي مدينة خربت، ولو تعمّر عادت كما كانت، وإنما تبغي قوماً وعدّهم الله الكثرة على عدوهم، وأنا أبكي على أمرٍ قد فات، وعلى مصيبة لا أستقيها^(١)؛ قال عزير: فإنه خُلِقَ لما صار إليه، وكل شيء خُلِقَ للدنيا فلا بد أن سيّفى، أما رأيت مدينتنا أصبحت خاوية على عروشها بعد عمارتها، وأوحشت بعد أنسها وأثاثها؟ أو ما رأيت مسجدنا كيف غير حسنه، وهدم حصنه، وأطفئ نوره؟ أو ما رأيت عز أهلها كيف ذلّ، وشرفهم كيف خمل، ومجدهم كيف سقط، وفخرهم كيف بطل؟ أو ما رأيت كتاب الله كيف أحرّق، ووليّ الله كيف رُفع، وتابوت السكينة^(٢) كيف سبي؟ أو ما رأيت نساء الملوك وبناتهم في بطون الأسواق حاسراتٍ عن السوق والوجوه والأشعار؟ أو ما رأيت الأشياء الذين على وجوههم النور والسكينة مُقرّنين في الجبال والقطار^(٣)! أو ما رأيت

(١) لا أستقيها: لا أطلب منها آقاة؛ لأن الطلب فيها غير مُجدٍ.

(٢) ورد في دائرة المعارف للبيستاني عند الكلام على التابوت ما ملخصه: وتابوت العهد أو الشهادة هو صندوق من الخشب مُصَفَّح من الداخل ومُذهَّب من الخارج، وكان موضعه في قدس الأقداس وكان اليهود يعتبرون ذلك مُقدَّساً وكانوا يحملونه بالاحتفال أمامهم مسافرون إلى أرض الميعاد. والظاهر أنه فُقدَ عندما هدم بختنصر الهيكل في القدس بإتلافه إياه أو نقله إلى بابل. ومن أراد الوقوف على تفاصيل وصف هذا التابوت فليراجع ذلك في التوراة وفي دائرة المعارف للبيستاني (ج ٦ ص ٣).

(٣) القطار: ج قَطَر وهو مصدر قَطَرَ؛ يقال: قَطَرَ الثوب: خاطه.

الأخبارَ والرهبانَ مصفّدين في الإسار؟ أو ما رأيتُ أبناءَ موسى وهارونَ تُضرب عليهم السّهامُ ويقتسمهم الأشرارُ، وولدانَ الملوكَ خدماً للكفار؟ أو ما رأيتُ قتلتنا لم يوارِ أحداً منهم قبرٌ، ولم يَعْهدْ أحدٌ منهم إلى ولد؟ فالحكماء مبهوتون، والعلماء يموجون، والحلماء متحيّرون، وأهلُ الرأي مُلقون بأيديهم مُستسلمون. قال: فيينا أنا أكلّمها غشّى وجهها نورٌ مثلُ شعاعِ الشمس حال بيني وبينَ النظرِ إليها، فخمّرتُ من شدّته وجهي ورددتُ يدي على بصري، ثم كشفتُ وجهي فإذا أنا لا أجدُها ولا أرى مكانها، وإذا مدينةٌ قد رُفعتُ لي حصينةٌ بسورها وأبوابها، فلما نظرتُ إلى ذلك خَرَرْتُ صَعيقاً، فجاءني المَلِكُ فأخذ بضبعي ونَعَشَنِي^(١) وقال لي: ما أضعفك يا عَزِيرُ! وقد زعمتُ أن بك من القوّة ما تخاطبُ به ربّك وتُدلي بالعدر عن الخاطئين من بني إسرائيل؛ قال له عَزِيرُ: مثل الذي رأيتُ وعانيتُ أضعفني وأذهب رُوحِي؛ قال المَلِكُ: فإنّ المرأةَ التي كلّمتك هي المدينة التي تبكي عليها، صوّرها الله لك في صورة أنثى فكلّمتك، فأفقّه عنها: أما قولها: أنها عُمّرتُ زماناً من دهرها عاقراً لا ولد لها، فكذلك كانت إيلياءَ صعيداً من الأرض خراباً لا عُمرانَ فيها أكثر من ثلاثة آلاف سنة. وأما قولها: إنّ الله وهبَ لها غلاماً عند اليأس، فذلك حين أقبل الله عليها بالعُمران فآبَتِ اللّهُ منها أنبياءه وأنزل كتابه. وأما قولها: إنه هلك ولدها حين كمل في سرورها، فذلك حين غيّرَ أهلُها نَعَمَ الله وبدّلوها ولم يزدادوا بالنعم عليهم إلا جُرأة على الله وفساداً، فغيّرَ الله ما بهم وسلطَ عليهم عدوهم حتى أفناهم، وقد شَفَعَكَ الله في قومك وكتابك ومدينتك، وسيُعيدُها الله عامرة كما رأيت: عليها حيطانها وأبوابها، وفيها مساجدُها وأنهارها

(١) الضَّبْعان: مثني ضَبَع وهو العَصْد كلها أو بين الإبط إلى نصف العَصْد من أعلان. ونَعَشَنِي: رفعتني وأقامني.

وأشجارها.

وحدّثني بهذا الإسناد قال: لما أمر الله إبراهيم أن يذبح إسحاقَ عليهما السلام ويجعله قرباناً، أسرَّ ذلك إلى خليل له يقال له: العازر؛ فقال له الصديق: إن الله لا يبتلي بمثل هذا مثلك، ولكنه يريد أن يُجربك ويختبرك، وقد علمت أنه لم يبتلك بهذا ليفتنك ولا ليضلّك ولا ليُعنتك ولا لينقصَ به بصيرتك وإيمانك ويقينك، ولا يُروّعنك هذا ولا تسوّن بالله ظنك، وإنما رفع الله أسمك في البلاء على جميع أهل البلاء، حتى كنت أعظمهم في نفسك وولدك، ليرفعك بقدر ذلك عليهم في المنازل والدرجات والفضائل؛ فليس لأهل الصبر في فضيلة الصبر إلا فضلُ صبرك، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك، وليس لأهل البلاء في جسيم شرف البلاء إلا فضلُ شرفك. وليس هذا من وجوه البلاء الذي يبتلي الله به أوليائه، لأن الله أكرم في نفسه وأعدل في حكمه وأعدل في عباده من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المصطفى؛ وأنا أعوذ بالله من أن يكون هذا مني حتماً على الله أو رداً لأمره أو سُخْطاً لحكمه على عباده، ولكن هذا الرجاء فيه والظن به. فإن عزم ربك على ذلك فكن عبداً أحسن علمه بك؛ فإنني أعلم أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء العظيم إلا لحسن علمه بك وبصدقك وبصبرك، ليجعلك للناس إماماً؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وحدّثني بهذا الإسناد أن يوسف عليه السلام لما لبث في السجن سبع سنين أرسل الله عز وجلّ إليه جبريل عليه السلام بالبشارة بخروجه، فقال له: أتعرفني أيها الصديق؟ قال له يوسف: أرى صورةً ظاهرةً وروحاً طيباً لا يشبه أرواح الخاطئين؛ قال جبريل: أنا الروح الأمين، رسول رب العالمين؛ قال يوسف: فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين؟

قال جبريل: أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَنَّ اللَّهَ يَطْهِّرُ الْبُيُوتَ بِطَهْرِ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّ الْبُقْعَةَ الَّتِي يَحْلُونَ بِهَا هِيَ أَطْهَرُ الْأَرْضِينَ، وَأَنَّهُ قَدْ طَهَّرَ بِكَ السَّجْنَ وَمَا حَوْلَهُ يَا أَبْنَ الطَّاهِرِينَ؛ قَالَ يَوْسُفُ: كَيْفَ تَشْبَهَنِي بِالصَّالِحِينَ، وَتَسْمِيَنِي بِأَسْمَاءِ الصَّدِيقِينَ، وَتَعْدَنِي مَعَ آبَائِي الْمَخْلُصِينَ، وَأَنَا أَسِيرٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْمَجْرَمِينَ! قَالَ جَبْرِيلُ: لَمْ يَكَلِّمْ قَلْبَكَ الْجَزْعُ، وَلَمْ يَغَيِّرْ خُلُقَكَ الْبَلَاءُ، وَلَمْ يَتَعَاطَمَكَ السَّجْنُ، وَلَمْ تَطَأْ فِرَاشَ سَيِّدِكَ، وَلَمْ يُنْسِكَ بَلَاءُ الدُّنْيَا بَلَاءَ الْآخِرَةِ، وَلَمْ تُنْسِكَ نَفْسُكَ أَبَاكَ وَلَا أَبُوكَ رَبَّكَ؛ وَهَذَا الزَّمَانُ الَّذِي يَفُكُّ اللَّهُ بِهِ عُقُوكَ^(١). وَيُعْتِقُ بِهِ رِقَّكَ، وَيُبَيِّنُ لِلنَّاسِ فِيهِ حَكَمَتَكَ، وَيُصَدِّقُ رُؤْيَاكَ وَيُنْصِفُكَ مِمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَجْمَعُ إِلَيْكَ أَجَبَّتَكَ، وَيَهْبُ لَكَ مُلْكٌ مَصْرٌ: يَمْلِكُكَ مُلُوكُهَا، وَيُعَبِّدُ لَكَ جَبَابِرَتَهَا، وَيُذِلُّ لَكَ أَعَزَّتَهَا، وَيُصَغِّرُ لَكَ عِظَمَاءَهَا، وَيُخْدِمُكَ سُوقَتَهَا، وَيَخَوِّلُكَ خَوْلَهَا، وَيَرْحَمُ بِكَ مَسَاكِينَهَا، وَيُلْقِي لَكَ الْمَوَدَّةَ وَالْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَجْعَلُ لَكَ الْيَدَ الْعَلِيَا عَلَيْهِمُ وَالْأَثَرَ الصَّالِحَ فِيهِمْ، وَيُرِي فِرْعَوْنَ حُلْمًا يَفْزَعُ مِنْهُ وَيَأْخُذُهُ لَهُ كَرْبٌ شَدِيدٌ حَتَّى يُسْهَرَهُ وَيُذْهَبَ نَوْمُهُ، وَيُعْمَى عَلَيْهِ تَفْسِيرُهُ وَعَلَى السَّحَرَةِ وَالْكَهْنَةِ وَيَعْلَمُكَ تَأْوِيلَهُ.

وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْكُنَ مَعِيَ غَدًا فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ فَكُنْ فِي الدُّنْيَا وَحِيدًا فَرِيدًا مَهْمُومًا حَزِينًا، كَالطَّائِرِ الْوَحْدَانِيِّ يَظُلُّ بِأَرْضِ الْفَلَاةِ وَيَرُدُّ مَاءَ الْعَيُونِ وَيَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِ الشَّجَرِ، فَإِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَوَى وَحْدَهُ أَسْتِيحَاشًا مِنَ الطَّيْرِ وَأَسْتِثْنَاءً بِرَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ.

لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَجَدَ الْحَجَّاجُ فِيمَا تَرَكَ صُنْدُوقًا عَلَيْهِ فَقَالَ

(١) الْعُنُوتُ: الذَّلُّ؛ يُقَالُ: عَنَّا لَهُ يَغْنُو غُنُوًّا وَعَنَاءٌ (وَوَايَ) خَضَعَ وَذَلَّ فَهُوَ عَانٍ وَعَيْنِي. وَعَنَّا فِي الْقَوْمِ: صَارَ أَسِيرًا فِيهِمْ.

حديد، فتعجب منه وقال: إن في هذا شيئاً، ففتحه، فإذا صندوق آخر عليه قفل ففتحه فإذا سَفَطٌ^(١) فيه دُرَج، ففتحه فإذا صحيفة فيها: إذا كان الحديث خلفاً^(٢)، والميعاد خلفاً، والمقنب^(٣) ألفاً، وكان الولد غيظاً، والشتاء قيظاً، وغاض الكرام غيظاً، وفاض اللثام فيضا، فأعزَّز عُفْرَةً^(٤)، في جبل وعر، خير من مُلْك بني النضر. حدَّثني بذلك كعب الجبر.

الدعاء^(٥)

حدَّثني أبو مسعود الدارمي قال: حدَّثنا جرير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «قال ربُّكم، عزَّ وجلَّ، ثلاثة: واحدة لي، واحدة لك يا ابن آدم، واحدة بيني وبينك، فأما التي لي فتخلص لي لا تُشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأحوج ما تكون إلى عملك أوفيكه، وأما التي بيني وبينك فمَنك الدعاء وعليَّ الإجابة».

حدَّثني عبدة بن عبد الله قال: أخبرنا زيد بن الحُبَاب قال: حدَّثنا معاوية قال: حدَّثني أزهر بن سعيد عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله عنها، ما كان يفتح به رسول الله ﷺ به صلاته في قيام الليل؟ قالت: كان يُكَبِّرُ عَشْرًا وَيَحْمَدُ عَشْرًا وَيَسْبِّحُ عَشْرًا وَيَهْلُلُ عَشْرًا وَيَسْتَغْفِرُ اللهَ عَشْرًا، ثم

(١) السَفَطُ: وعاء كالقَفَّة أو ما يُعَبَّأ فيه الطَّيِّب وما أشبهه من أدوات النساء كما يستعار للتأبوت الصغير.

(٢) الحَلْفُ: يمين يُؤخذ بها العهد ثم سمي به كل يمين.

(٣) المقنب: وعاء للصائد يُجعل فيه ما يصيده، ومن الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء ثلاثمائة، والجمع مقانب.

(٤) العُفْرَةُ: البيض، ج أعفر وأعفراء، والعُفْرَةُ: بياض ليس بالخالص.

(٥) انظر باب الدعاء في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢١٨ - ٢٢٧) إذ ورد فيه الكثير مما نراه هنا.

يقول: «اللهم أغفر لي وأهدني وأرزقني وعافني»، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة.

حدَّثنا حسين بن حسن المروزي قال: حدَّثنا الحُفَافُ عن أبي الورقاء عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملكُ والكبرياءُ والعظمةُ والخلقُ والأمرُ والليلُ والنهارُ وما يسكنُ فيهما لله ربُّ العالمين وحده لا شريك له. اللهم اجعل أوَّلَ هذا النهار صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً. اللهم إني أسألك خيرَ الدنيا وخير الآخرة يا أرحمَ الراحمين».

حدَّثنا إسحاق بن راهويته^(١) قال: أخبرنا حسين بن عليّ الجُعفي عن إسرائيل عن الحسين أنه كان إذا استسقى قال: «اللهم أسقنا سقياً واسعةً وادعةً عامةً نافعةً غيرَ ضارةٍ تعمُّ بها حاضرتنا وبأدينا وتزيد بها في رزقنا وشكرنا. اللهم أجعله رزقاً إيمان وعطاءً إيماناً إنَّ عطاءك لم يكن محظوراً. اللهم أنزل علينا في أرضنا سكناً^(٢)»، وأُنبت فيها زيتتها ومرعاها.

روى الكلبي عن أبي صالح أن العباس قال يوم استسقى عمر رضي الله عنه: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولا يُكشَف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة، فأسقنا الغيث». فأرخت السماء شأبيب مثل الجبال بديمة^(٣) مطقة.

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن مرة الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويته بفتح الراء وسكون الهاء وفتح الواو وبعدها ياء ساكنة ثم هاء ساكنة، وهو لقب أبيه إبراهيم، لقب بذلك لأنه ولد في طريق مكة، والطريق بالفارسية «راه» و«ويه» معناه: «وُجِدَ» فكانه وُجِد في الطريق. جمع إسحاق بين الحديث والفقه والورع، وكان أحد أئمة الإسلام، وله مسند مشهور. توفي سنة ٢٠٨ هـ، وقيل: ٢٣٧ هـ، وقيل: ٢٣٠ هـ. راجع وفيات الأعيان (ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠١).

(٢) السَّكَنُ: الرحمة والبركة وكل ما يُسَكَنُ إليه، والمراد هنا الغيث.

(٣) الدَّيْمَةُ: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. والشأبيب: ج شؤبوب وهو الدفعة من المطر.

وروى سفيان بن عيينة عن أبي عبد الملك قال: سمعتُ عمر بن عبد العزيز عشية عرفة بعرفة وهو يقول: اللهم زد في إحسان محسنهم، وراجع بمسيئتهم إلى التوبة، وحط من ورائهم بالرحمة.

حدَّثنا حسين بن حسين قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عبد الله بن عمر قال: «كان رسول الله ﷺ لا يكاد يقوم من مجلس إلا دعا بهؤلاء الدعوات: «اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلغنا به إلى رحمتك، ومن اليقين ما تهونُ به علينا مصيبات الدنيا، ومتّعنا بأسماعنا وأبصارنا، وأجعل ذلك الوارث منا، وأنصرنا على من ظلمنا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همًّا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا».

بلغني عن يونس عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر، فنزلنا منزلاً فقال لغلّامه: إئتنا بالسفرة نعبث بها؛ فأنكرت منه، فقال ما تكلمت بكلمة مذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها عني، وأحفظوا عني ما أقول لكم: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فآكزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

بلغني عن الوليد بن مسلم قال: حدَّثنا أبو سلمة الدوسي عن سالم بن عبد الله قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم أرزقني عينين هطالتين

تبكيان بذروف الدموع وتشفياني من خشيتك قبل أن تكون الدموع دماً والأضراس حمراً».

حدّثني أبو سفيان الغنويّ قال: حدّثنا عمر بن عمران قال: حدّثني الحارث بن عتبة عن العلاء بن كثير عن أبي الأسقع: أنه كان يحفظ من دعاء النبي ﷺ: «يا موضع كل شكوى ويا شاهد كل نجوى بكل سبيل أنت مقيم ترى ولا ترى وأنت بالمنظر الأعلى».

حدّثنا عبد الرحمن^(١) عن عبد المنعم عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كان دعاء عيسى الذي يدعوه للمرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم: «اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك، وأنت حكيم من في السماء وحكيم من في الأرض لا حكيم فيهما غيرك، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك؛ قُدْرَتُكَ في الأرض كقُدْرَتِكَ في السماء، وسلطانُكَ في الأرض كسلطانِكَ في السماء؛ أسألك باسمِكَ الكريم ووجهِكَ المنير ومُلْكِكَ القديم، إنك على كل شيء قدير». قال وهب: هذا يُقرأ للفرع على المجنون ويكتب له ويُغسل ويُسقى، فيبرأ بإذن الله أي ذلك شاء فعل.

وحدّثني أيضاً بهذا الإسناد قال: كان من دعاء المسيح حين أخذه اليهود ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله إليه: «اللهم أنت القريب في علوك، المتعالي في دنوك الرفيع على كل شيء من خَلْقِكَ؛ أنت الذي نفذ بصرك في خَلْقِكَ، وحسرت الأبصار دون النظر إليك وعشيت دونك، وشمخ بك العلو في النور؛

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ابن أخي الأصمعي، ولعل المراد من عبد المنعم عبد المنعم بن إدريس بن مناف بن أبة وهب بن منبه.

أنت الذي جَلَّيْتَ الظُّلَمَ بنورك فتباركت اللهم خالقُ الخلقِ بقُدْرَتِكَ، مقدِّرُ الأمور بحكمتِكَ، مبتدِعُ الخلقِ بعظمتِكَ، القاضي في كل شيء بعلمِكَ؛ أنت الذي خلقتَ سبعاً في الهواء بكلماتِكَ، مستوياتِ الطباقي مدعناً لطاعتِكَ، سما بهنَّ العلوِّ بسلطانِكَ، فأجبنَ وهنَّ دخانٍ من خوفِكَ، فأتينَ طائعاتٍ بأمرِكَ، فيهنَّ ملائكتُكَ يسبحونَ قُدْسَكَ بتقديسِكَ، وجعلتَ فيهنَّ نوراً يجلو الظلامَ، وضياءً أضوا من شمسِ النهار، وجعلتَ فيهنَّ مصابيحَ يُهتدى بها في ظلماتِ البحر والبر ورجوماً للشياطين، فتباركتَ اللهم في مفطورِ سمواتِكَ، وفيما دَحَوْتَ^(١) من أرضِكَ، دَحَوْتَهَا على الماء، فأذَلَّتْ لها الماءَ المتظاهراً^(٢) فذلَّ لطاعتِكَ وأدعنَ لأمرِكَ، وخضعَ لقوَّتِكَ أمواجُ البحار، ففَجَرَتْ فيها بعد البحار الأنهارَ، وبعد الأنهار العيونَ الغِزارَ والينابيعَ؛ ثم أخرجتَ منها الأشجارَ بالثمار، ثم جعلتَ على ظهرها الجبالَ أوتاداً فأطاعتكَ أطوادُها، فتباركتَ اللهم في صنعِكَ، فمن يبلغُ صِفَةَ قُدْرَتِكَ ومن يُنَعْتُ نعتَكَ. تُنَزِلُ الغيثَ وتُشِيءُ السحابَ، وتُفَكُّ الرقابَ وتقْضِي الحقَّ وأنتَ خيرُ الفاصلين. لا إله إلا أنتَ سبحانَكَ أُمِرْتُ أَنْ يَسْتَغْفِرَكَ كُلُّ خَاطِئٍ. لا إله إلا أنتَ إنما يخشاك من عبادِكَ العلماءُ الأكياس. أشهدُ أنكَ لستَ بآلهِ آستحدثناه، ولا ربُّ يبيدُ ذِكْرَهُ، ولا كانَ لك شركاءُ يقضونَ معكَ فندعوهم وندعُكَ، ولا أعانَكَ أحدٌ على خَلْقِكَ فنشكُّ فيكَ. أشهدُ أنكَ أحدٌ صمدٌ لم تَلِدْ ولم يكنْ لك كفواً أحدٌ، ولم تتَّخِذْ صاحبةً ولا ولداً. إجعلْ لي من أُمري فرجاً ومخرجاً؛ قال وهب: وهذا الدعاءُ عُوْذَةٌ للشَّيْطَانَةِ وغيرها من قولِكَ: أشهدُ أنكَ لستَ بآلهِ آستحدثناه، إلى آخره.

(١) دَحَوْتَ من أرضِكَ: بَسَطْتَ؛ يقال: دَحَا اللَّهُ الْأَرْضَ: بَسَطَهَا.

(٢) المتظاهر: من تظاهر بمعنى تساند وتعاون، يراد بذلك الماء الكثير المجتمع يدفع بعضه بعضاً لقوَّته.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «الْإِخْلَاصُ هَكَذَا، وَبَسَطَ يَدَهُ الْيَمْنَى وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى، وَالدُّعَاءُ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِرَاحَتِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَالْإِبْتِهَالُ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَوْقَ رَأْسِهِ ظَهْرُهُمَا إِلَى وَجْهِهِ».

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعَمِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ وَهْبِ بْنِ مَثَبٍ قَالَ: كَانَ دَاوُدُ إِذَا دَعَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ قَالَ: «اللَّهُمَّ نَامَتِ الْعَيُونُ وَغَارَتِ النُّجُومُ وَأَنْتَ حَيٌّ قَيُّومٌ أَغْفِرْ لِي ذَنْبِي الْعَظِيمَ إِنَّكَ عَظِيمٌ وَإِنَّمَا يَغْفِرُ الْعَظِيمَ الْعَظِيمُ، إِلَيْكَ رَفَعْتُ رَأْسِي عَامَرَ السَّمَاءِ نَظَرَ الْعَبِيدِ إِلَى أَرْبَابِهِا. اللَّهُمَّ تَسَاقَطَتِ الْقُرَى وَأَبْطُلَ ذِكْرُهَا وَأَنْتَ ذَائِبُ الدَّهْرِ مُعَدُّ كُرْسِيِّ الْقَضَاءِ».

قال: وكان من تحميده: الحمد لله عددَ قطر المطر، وورق الشجر، وتسبيح الملائكة، وعدد ما في البر والبحر. والحمد لله عدد أنفاس الخلق ولقظهم وطرفهم وظلالهم، وعدد ما عن أيمنهم وشمالهم، وعدد ما قهره ملكه، ووسعه حفظه، وأحاطت به قدرته، وأحصاه علمه. والحمد لله عدد ما تجري به الرياح، وتحمله السحاب، وعدد ما يختلف به الليل والنهار، وتسير به الشمس والقمر والنجوم. والحمد لله عدد كل شيء أدركه بصره، ونفذ فيه علمه، وبلغ فيه لطفه. والحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني. والحمد لله الذي أستعفيه فيعافيني، وإن كنت متعرضاً لما يهلكني. والحمد لله الذي حلّم في الذنوب عن عقوبي حتى كأني لا ذنب لي، ولو يؤاخذني لم يظلمني سيدي. والحمد لله الذي أرجوه أيام حياتي، وهو ذخري في آخرتي، ولو رجوت غيره لانقطع رجائي. والحمد لله الذي تُمسي أبواب الملوك مغلقةً دوني، وبأبه مفتوحاً لكل ما شئت من حاجاتي بغير شفيع

فيقضيها لي . والحمد لله الذي أخلو به في كل حاجاتي ، وأضع عنده سرِّي في أي ساعة شئت من ساعاتي . والحمد لله الذي يتجَبَّب إليّ وهو عني غنيٌّ فرَّبِي أحمدُ شيءٍ عندي وأحقُّه بحمدي » .

وكان من دعاء يوسفَ : « يا عُدَّتِي عند كُرْبَتِي ، ويا صاحبي في وَحْدَتِي ، ويا غِيَاثِي عند شِدَّتِي ، وَمَفْرَعِي عند فِاقَتِي ، ورجائي إذا آنقَطَعَتْ حِيلَتِي ، يا إلهي وإله آبائي إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ ، اجعل لي فرجاً ومخرجاً وأقصر حاجتي » .

وكان بكاء بني إسرائيل يقول : « اللهم لا تؤدِّبني بعقوبتك ، ولا تمكِّر بي في حيلتك ، ولا تؤاخذني بتقصيري عن رضاك ، عظيمَ خطيئتي فأغفر ، ويسير عملي فتقبل ، كما شئت تكون مشيئتك ، وإذا عزمْتَ يمضي عزمك ؛ فلا الذي أحسنَ استغنى عنك وعن عونك ، ولا الذي أساء استبدَّ بشيءٍ يخرج به من قدرتك ؛ فكيف لي بالنجاة ولا توجدُ إلا من قِبَلِكَ ! إله الأنبياء ، ووليُّ الأنبياء ، وبديعُ مرتبة الكرامة ، جديداً لا يبلَى ، حفيظٌ لا ينسى ؛ دائمٌ لا يبسد ، حيٌّ لا يموت ، يقظانٌ لا ينام ؛ بل عَرَفْتُكَ ، وبك أهديتُ إليك ، ولولا أنت لم أذر ما أنت ؛ فتباركت وتعاليت » .

قال الأزديُّ حَدَّثْتُ عن محمد بن النضر الحارثي أنَّ النبي ﷺ قال : « لا تقطعوا الشهادة على أهل القبلة فإنه من يقطع الشهادة عليهم فأنا منه بريء إنَّ الله كتماننا ما يصنع بأهل القبلة » . وقال : « من علَّم آيةً من كتاب الله أو كلمةً من سُنَّةِ في دين الله حثاً^(١) الله له من الثواب حثوا » .

قال : وقال الأوزاعيُّ : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إني أسألك

(١) حثاً له : أعطاه .

التوفيق لمحبائك من الأعمال وحسن الظن بك وصدق التوكل عليك» .

محمد بن بشر العبدي قال: حدثنا بعض أشياخنا قال: اعتمر علي عليه السلام فرأى رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول: يا من لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه^(١) المسائل، ولا يُسرّمه^(٢) إلحاح الملحّين؛ أذقني برّد عفوك وحلاوة مغفرتك؛ فقال علي: والذي نفسي بيده، لو قلتها وعليك ملء السموات والأرضين ذنباً لغفر لك.

دعا أعرابي عند الملتزم^(٣) فقال: اللهم إن لك عليّ حقوقاً فتصدّق بها عليّ، وللناس قبليّ تبيعات فتحملها عني، وقد أوجبت لكلّ ضيف قرى، وأنا ضيفك فأجعل قراري الليلة الجنة.

وقال آخر: اللهم إليك خرجت، وما عندك طلبت، فلا تحرمني خيراً ما عندك لشرّ ما عندي. اللهم وإن كنت لم ترحم نصبي وتعبّي فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته.

وقرأت في كتاب لشيخ لنا: اللهم إنه من تهياً أو تعباً، وأعدّ وأستعدّ لوفادة مخلوق رجاء رفده وطلب نيّله، فإن تهياً وتعباً وإعدادي وأستعدادي لك رجاء رفدك وطلب نائلك الذي لا خطر^(٤) له ولا مثل. اللهم إني لم آتِكَ بعملٍ صالح قدّمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته، أتيك مُقِرّاً بالظلم والإساءة على نفسي، أتيك بأنّي لا حجة لي، أرجو عظيم عفوك الذي عدت به على

(١) لا تُغلِظُه: لا تُوقِعُه في الغلط؛ وهو من قولهم: أغلظه إذا أوقعه في الغلط.

(٢) لا يُسرّمُه: لا يملّه ولا يضجره.

(٣) الملتزم: من التزمته أي اعتنقته فهو ملتزم ومنه يقال لما بين الكعبة والحجر الأسود الملتزم لأن الناس يعتنقونه أي يضمونه إلى صدورهم.

(٤) الخطر: المثل في العلو؛ يقال: ليس لك خطر؛ أي مثل وعديل في العلو.

الخطّائين، ثم لم يمنحك عكوفهم على عظيم الجرم أن جُذتَ لهم بالمغفرة.
فيا مَنْ رحمته واسعة، وفضله عظيم أغفر الذنب العظيم.

ابن عائشة قال: قال الفضل بن عيسى الرّقاشيّ: اللهم لا تدخلنا النار
بعد إذ أسكنت قلوبنا توحيدك؛ وإني لأرجو ألا تفعل، ولئن فعلت لتجمعين
بيننا وبين قوم عاديناك فيك.

بلغني عن ابن عُيَيْنَةَ عن أبي حازم قال: لأنا من أن أمنع الدعاء أخوف
مني من أن أمنع الإجابة.

أنشدنا محمد بن عمر لبعض الشعراء في وصف دعوة^(١): [طويل]

وسارية لم تَسِرْ في الأرض تبتغي	مَحَلًّا ولم يقطع بها اليَدَ قاطع
سَرَتْ حيث لم تَسِرِ الرُّكَّابُ ولم تُنَخ	لِوَرْدٍ ولم يَقْصُرْ لها القَيْدَ مانع
تَحَلَّ وراء الليل والليل ساقط	بأرواقه ^(٢) فيه سميرٌ وهاجع
تَفْتَحُ أبواب السماء ودونها ^(٣)	إذا قَرَعَ الأبوابَ منهنَّ قارع
إذا أَوْفَدَتْ لم يَرُدِّدِ اللَّهُ وفدها ^(٤)	على أهلها واللَّهُ راءٍ وسامع
وإني لأرجو اللَّهَ حتّى كأنني ^(٥)	أرى بجميل الظنِّ ما الله صانع

وقال آخر: [طويل]

وإني لأدعو اللَّهَ والأمرُ ضيقٌ عليّ فما ينفكُّ أن يتفرّجاً

(١) وردت هذه الأبيات جميعاً في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٢٧) وينسبها ابن عبد ربه لأعرابي
يصف دعوة دون أن يذكر اسمه.

(٢) في نفس المصدر السابق: «تظلُّ».

(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «بأرواقه» وأوراق الليل: ظلمته.

(٤) في نفس المصدر السابق والصفحة: «لَوْفِدَها».

(٥) في نفس المصدر السابق والصفحة: «إذا سألت لم يَرُدِّدِ اللَّهَ سُؤْلَها... الخ».

(٦) في نفس المصدر السابق والصفحة: «حتّى كأنما».

وَرُبُّ فِتْنٍ سُدَّتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ أَصَابَ لَهُ فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجًا
وَنَحْوَهُ: [بسيط]

إِذَا تَضَاقَقَ أَمْرٌ فَاَنْتَظِرْ فَرَجًا فَأَضِيقُ الْأَمْرَ أَذْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ
أُخِذَ لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ مَالٌ فَكَتَبَ إِلَى أَخِيهِ: يَا هَذَا، إِنَّ الرَّجُلَ يَنَامُ
عَلَى الثُّكُلِ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرَبِ^(١)؛ فَإِمَّا رَدَدْتَهُ، وَإِمَّا عَرَضْتَ أَسْمَكَ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ.

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زِيَادٍ: اشْتَكَى أَبِي فَكَتَبَ إِلَى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَسْأَلُهُ
أَنْ يَدْعُوَ لَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ بَكْرٌ: يَحَقُّ لِمَنْ عَمِلَ ذَنْبًا لَا عُذْرَ لَهُ فِيهِ، وَتَوَقَّعَ مَوْتًا
لَا بَدَّ لَهُ مِنْهُ، أَنْ يَكُونَ وَجَلًا مُشْفِقًا، سَادَعُوكَ، وَلَسْتُ أَرْجُو أَنْ يُسْتَجَابَ
لِي بِقُوَّةٍ فِي عَمَلٍ، وَلَا بِرَاءَةٍ مِنْ ذَنْبٍ، وَالسَّلَامُ.

خَلَفَ بَنُ تَمِيمٍ عَنْ عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ كُلَيْبٍ قَالَ: قَالَ لَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ
حِينَ عَرَضَ لَنَا السَّيْعُ: قُولُوا: اللَّهُمَّ آخِرُسْنَا بَعِينِكَ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَاجْعَلْنَا فِي
كَفِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَارْحَمْنَا بِقُدْرَتِكَ عَلَيْنَا، لَا نَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا؛ قَالَ
خَلَفٌ: فَمَا زِلْتُ أَقُولُهَا مَذْ سَمِعْتُهَا، فَمَا عَرَضَ لِي قَطُّ لِصٍّ وَلَا غَيْرُهُ.

قَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِنَا فَلْيُكْثِرْ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ مَعَ الْإِسْتِغْفَارِ
الْقَطَارَ^(٢).

بَلَّغَنِي عَنْ مُوسَى بْنِ مَسْعُودِ النَّهْدِيِّ عَنْ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ قُدَّامَةَ بْنِ
حَمَاطَةَ الضُّبِيِّ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَنُجَابٍ عَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرِ الْأَسَدِيِّ أَنَّ الْعَلَاءَ بْنَ

(١) الْحَرَبُ: مُصْدَرُ حَرَبَ؛ يُقَالُ: حَرَةً يَحْرُبُهُ حَرْبًا: أَخَذَ مَالَهُ أَيْ سَلَبَهُ وَتَرَكَهُ بِلَا شَيْءٍ.

(٢) الْقَطَارُ بِضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ الطَّاءِ: السَّحَابُ الْعَظِيمُ الْقَطَرُ.

الحَضْرَمِيِّ عَبْرَ إِلَى أَهْلِ دَارِينَ^(١) الْبَحْرَ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ : يَا حَلِيمُ يَا حَكِيمُ يَا عَلِيَّ يَا عَظِيمُ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ هِشَامِ الدُّسْتَوَائِيِّ^(٢) عَنْ حَمَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ فِي الرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي أُرِيدُهُ - وَتُسَمِّيهِ - خَيْرًا لِي فِي دِينِي وَخَيْرًا لِي فِي مَعِيشَتِي وَخَيْرًا لِي فِيمَا أَبْتَغِي فِيهِ الْخَيْرَ فَيَسِّرْهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا لِي فِي دِينِي وَشَرًّا لِي فِي مَعِيشَتِي وَشَرًّا لِي فِيمَا أَبْتَغِي فِيهِ الْخَيْرَ فَأَصْرِفْهُ عَنِّي وَيَسِّرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ .

وَمِنْ دَعَاءِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوِيَ عَلَيْهِ بَدَنِي بِعَافِيَتِكَ ، وَنَالَتهِ يَدِي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ ، وَانْبَسَطْتُ إِلَيْهِ بِسَعَةِ رِزْقِكَ ، وَاحْتَجَبْتُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ بِسِتْرِكَ ، وَاتَّكَلْتُ فِيهِ عَلَى أَنْاتِكَ وَحِلْمِكَ ، وَعَوَّلْتُ فِيهِ عَلَى كَرِيمِ عَفْوِكَ .

الْأَوْزَاعِيُّ قَالَ : مَنْ قَالَ : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عَدْتُ فِيهِ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا وَعَدْتُكَ مِنْ نَفْسِي وَأَخْلَفْتُكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا أَرَدْتُ بِهِ وَجْهَكَ فَخَالَطَهُ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلنَّعْمِ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ فَتَقَوَّيْتُ

(١) دارين : قريضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان . وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ٣ ص ٤١) : دارين موضع الطيب ، والنسبة إليه الداري .

(٢) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله البكري البصري الدُّسْتَوَائِيُّ بفتح الدال وسكون السين وفتح التاء نسبة إلى دَسَّوْا بالقصر وتُمدُّ أيضاً . ودستوا كورة من كور الأهواز كما في معجم ياقوت .

بها على معصيتك، وأستغفرك لكل ذنبٍ أذنبته أو معصيةٍ ارتكبتها» غفر الله له ولو كانت ذنوبه عَدَدَ ورق الشجر، ورمِلَ عالِج^(١)، وَقَطَّرَ السماءَ.

وكان مُطَرَّفٌ يقول: اللهم إني أعوذُ بك من شرِّ السلطان، ومن شرِّ ما تجرِّي به أقدامُهم، وأعوذُ بك أن أقولَ قولاً حقّاً فيه رضاك ألتمسُ به أحداً سواك، وأعوذُ بك أن أتزيّن للناس بشيءٍ يَشِينُنِي، وأعوذُ بك أن أكونَ عِبرةً لأحدٍ من خَلْقِكَ، وأعوذُ بك أن يكونَ أحدٌ من خَلْقِكَ أسعدَ بما علّمتني مِنِّي، وأعوذُ بك أن أَسْتَغِيثَ بمعصيةٍ لك من ضُرٍّ يُصِيبُنِي.

الأزدِيّ عن عبد الواحد بن زيد قال: شهدتُ مالِكَ بن دينار يوماً وقيل له: يا أبا يحيى، ادْعُ اللهَ أن يَسْقِيَنَا، قال: تستبِطون المطرَ! قالوا: نعم؛ قال: إني والله أستبِطُ الحِجَارَةَ.

قال أبو كعب: سمعتُ عطاءَ السُّلَمِيِّ يقول: اللهم أَرَحِمْ غُرْبَتِي في الدنيا، ومَصْرَعِي عند الموت، ووَحْدَتِي في القبور، ومُقَامِي بين يديك.

حدَّثني محمد بن عبد العزيز قال: حدَّثنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدَّثنا زهير عن زُبَيْد اليامي^(٢) عن مُرَّة عن عبد الله قال: إن الله تعالى قَسَمَ بينكم أخلاقكم كما قَسَمَ بينكم أرزاقكم، إنَّ الله يُؤْتِي المالَ مَنْ يُحِبُّ ومن لا يُحِبُّ، ولا يُؤْتِي الإيمانَ إلا مَنْ يُحِبُّ. فمن ضَنَّ بالمال أن يُنفقه، وهابَ العدو أن يُجاهده، والليل أن يكابذه فليُكثِرْ من سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

(١) رَمَلُ عالِج: جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء (الفلاة وأرض نجد لبني تميم). ويُسَمَّى

أَتَسَاعاً كثيراً حتى يقال: رَمَلُ عالِج يحيط بأكثر أرض العرب.

(٢) تقدّمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٧٩ من هذا الجزء.

ومن جامع الدعاء: اللهم أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وجملني بالعافية، وأكرمني بالتقوى.

وكان من دعاء أبي المجيب: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز، ولا إلى الناس فنضيع، اللهم أجعل خير عملي ما قارب أجلي.

ومن دعاء عمرو بن عبيد: اللهم أغني بالافتقار إليك، ولا تُغني بالإستغناء عنك.

ابن عائشة عن سلام بن أبي مطيع قال: سمعت ابن عون يقول: كانوا يستحبون من الدعاء: اللهم عبدك وأبن عبدك وأبن أمك لعبيدك وإمائك، أنا الذليل ولا أنتصر، وأنا الظالم، ولا أعتذر، عملت سوءاً وظلمت نفسي وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين، فما أتمها ابن عون حتى أجهد^{٢١} بالبكاء.

ومن دعاء النبي ﷺ: «اجعلني لك سكاراً، لك ذكّاراً، لك رهّاباً، لك مطيعاً، إليك مَخْبِئاً، لك أواهاً مُنِيئاً، ربّ تقبل توبتي وأغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبّت حجّتي وأهد قلبي وسدّد لساني».

المناجاة

حدّثني عبد الله بن هارون عن سُليم بن منصور عن أبيه قال: كنت بالكوفة فخرجت في بعض الليل لحاجة وأنا أظنّ أنّي قد أصبحت فإذا عليّ ليل فملتُ إلى بعض أبوابها أنتظر الصبح فسمعتُ من وراء الباب كلام رجل وهو يقول: فَوَعَزَّتْكَ وَجَلَالُكَ ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ

(٢) أجهد بالبكاء: همّ به وتهيأ له.

عصيتك وأنا بنكالك جاهلٌ، ولا بعقوبتك ولا بنظرك مُستخِفٌ، ولكن سَوَّلْتُ لي نفسي، وأعانني على ذلك شِقَوَتِي، وغَرَّنِي سِتْرُكَ المَرَحَى عليّ، فعصيتك بجهلٍ وخالفْتُك بجهلٍ، فالآن من عذابك مَنْ يَسْتَقْدُنِي وبجبلٍ مَنْ أَعْتَصِمُ إن قَطَعْتَ حَبْلَكَ عَنِّي، فواسواتاه من الوقوف بين يديك غدا! إذا قيلَ لِلْمُخَفِّينَ: جُوزُوا وَلِلْمُثْقَلِينَ: حُطُّوا؛ أَمْعِ المَثْقَلِينَ أَحْطُ أم مع المَخَفِّينَ أَجُوز؟ ويلي! كُلِّمَا كَبُرَتْ سِنِّي كَثُرَتْ ذُنُوبِي؛ ويلي! كُلِّمَا طَالَ عَمْرِي كَثُرَتْ مَعَاصِيٌّ فَمِنْ كَمْ أَتُوبُ! وفي كم-أَعُودُ! أما آن لي أن أَسْتَحِيَ من رَبِّي؟

بلغني عن الوليد بن مُسلم عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان داودُ النبي عليه السلام يقول في مُناجَاة: سُبْحَانَكَ إِلَهِي! إذا ذَكَرْتُ خَطِيئَتِي ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، وإذا ذَكَرْتُ رَحْمَتَكَ أَرْتَدُّ إِلَيَّ رُوحِي، سُبْحَانَكَ إِلَهِي! أَتَيْتُ أَطِبَّاءَ عِبَادِكَ لِيَدَاوُوا لِي خَطِيئَتِي فَكَلَّهْمَ عَلَيْكَ يَدُلُّنِي.

حدَّثني بعضُ أَشْيَاخِنَا قال: كان داودُ الطائِي يقول: هُمُكَ عَطَّلَ عَلَيَّ الِهْمُومَ، وَحَالَفَ بَيْنِي وَبَيْنَ السُّهَادِ، وَشَدَّةُ الشَّقِّقِ من لِقَائِكَ أُوبَقُ^(١) عَلَيَّ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْعَنِي اللَّذَاتِ، فَأَنَا فِي طَلَبِكَ أَيُّهَا الْكَرِيمُ مَطْلُوبٌ. وقال: تَعَبَّدَ ضَيْعَمٌ قَائِمًا حَتَّى أَقْعَدَ، وَقَاعِدًا حَتَّى أَسْتَلْقَى، وَمُسْتَلْقِيًا حَتَّى أَفْجِمَ؛ فَلَمَّا جَهَّدَ رَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ، عَجِبًا لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ أَرَادَتْ بِكَ بَدَلًا؟ وَسُبْحَانَكَ، عَجِبًا لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ آسْتَنَارَتْ قُلُوبُهَا بِذِكْرِ غَيْرِكَ؟ وَعَجِبًا لِلْخَلِيقَةِ كَيْفَ أُنِسَتْ بِسَوَاكِ؟

عُتْبَةُ أَبُو الْوَلِيدِ قَالَ: كَانَتْ أَمْرَاءُ مِنَ التَّابِعِينَ يَقُولُ:

سُبْحَانَكَ، مَا أَضِيقُ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ لَمْ تَكُنْ دَلِيلَهُ! سُبْحَانَكَ مَا أَوْحَشَ

(١) أُوبَقَ عَلَيَّ الشَّهَوَاتِ: حَبَسَهَا.

الطريق على من لم تكن أنيسه!.

أبو الحسن قال: كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد أن قُطِعَتْ رجله ومات أبوه: كانوا أربعة، يعني بنيه، فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، وكن أربعة يعني يديه ورجليه، فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً، لَيْمُنُكَ^(١) لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت آبتليت لقد عافيت.

وفي حديث بني إسرائيل أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام: دُلّني على أعبد أهل الأرض فدله على رجلٍ قد قَطَعَ الجُذامُ يديه ورجليه، وذهب ببصره، فسمعه يقول: مَتَّعَنِي مَا شِئْتَ، وَسَلَبْتَنِي حِينَ شِئْتَ، وَأَبَقَيْتَ لِي فِيكَ الْأَمَلَ يَا بَارُّ يَا وَصُولُ.

ومن دعاء بعض الصالحين: اللَّهُمَّ اقْطَعْ حَوَائِجِي مِنَ الدُّنْيَا بِالشُّوقِ إِلَى لِقَائِكَ، وَاجْعَلْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي عِبَادَتِكَ، وَارْزُقْنِي غَمَّ خَوْفِ الْوَعِيدِ، وَشَوْقَ رَجَاءِ الْمَوْعُودِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا يَصْلِحُنِي فِي دَهْيَايَ وَآخِرَتِي فَكُنْ بِي خَفِيًّا^(٢).

بَابُ الْبُكَاءِ

حَدَّثَنِي أَبُو مَسْعُودٍ الدَّارِمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي جَدِّي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: إِنَّ أُمِّي تُكْثِرُ الْبُكَاءَ وَأَخَافُ عَلَى بَصَرِهَا أَنْ يَذْهَبَ؛ فَلَوْ أَتَيْتَهَا فَوَعَّظْتُهَا! فَذَهَبَ مَعَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ لَهَا فِي ذَلِكَ؛ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ذَهَبَ بَصْرِي فِي الدُّنْيَا ثُمَّ صِرْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، أَيُبَدِّلُنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَتْ: فَإِنْ ذَهَبَ بَصْرِي فِي الدُّنْيَا

(١) لَيْمُنُكَ: تستعمل في المخاطبة بمعنى قولهم: يمين الله.

(٢) الْخَفِيُّ: اللطيف البارُّ الْمُبَالِغُ فِي الْإِكْرَامِ.

ثم صرْتُ إلى النار؛ أَفَيُعِيدُ اللَّهُ بَصْرِي؟ فقال النبي عليه السلام للفتى: «إِنَّ أَمَّكَ صَدِيقَةٌ».

حدَّثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبي إسحاق عن الأوزاعي عن ثابت بن سعيد قال: ثلاثُ أَعْيُنٍ لا تَمْسُهَا النار؛ عَيْنُ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ وَعَيْنُ سَهَرَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؛ وَعَيْنُ بَكَتْ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

أبو حاتم عن العُتْبِيِّ قال: حدَّثنا أبو إبراهيم قال: لا يكون البكاء إلا من فضلٍ فإذا أَشْتَدَّ الحزنُ ذهب البكاء، وأنشد:

[كامل]

فَلَيْتُنْ بِكَيْنَاهُ يَحِقُّ لَنَا وَلِتَنْ تَرْكُنَا ذَاكَ لِلْكِبَرِ

فَلَمَثْلُهُ جَرَّتِ الْعْيُونُ دَمًا وَلَمَثْلُهُ جَمَدَتْ فَلَمْ تَجْرِ

بلغني عن أبي الحارث الليث بن سعد عن أبيه عن ابن لهيعة عن أبي قَبِيلٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابنُ ثمانِي حِجَجٍ، فنظر إلى عُبَادِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَدْ لَبَسُوا مَدَارِعَ الشَّعْرِ، وَبَرَأْنَ الصُّوفَ، ونظر إلى متَهَجِّدِيهِمْ أَوْ قَالَ مُجْتَهِدِيهِمْ قَدْ خَرَقُوا التَّرَاقِي، وِسَلَكُوا فِيهَا السَّلَاسِلَ، وَشَدَّوْهَا إِلَى حَنَائِيَا بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَهَالَهُ ذَلِكَ؛ فَرَجَعَ إِلَى أَبَوَيْهِ فَمَرَّ بِصَبِيَّانٍ يَلْعَبُونَ فَقَالُوا: يَا يَحْيَى، هَلُمَّ فَلْنَلْعَبْ قَالَ: إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِلْعَبِّ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١) فَأَتَى أَبَوَيْهِ فَسَأَلَهُمَا أَنْ يُدَرِّعَاهُ الشَّعَرَ فَفَعَلَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَكَانَ يَخْذُمُهُ نَهَارًا وَيَصِيحُ فِيهِ لَيْلًا، حَتَّى أَتَتْ لَهُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَأَتَاهُ الْخَوْفُ فَسَاحَ وَلَزِمَ أَطْرَافَ الْأَرْضِ وَغَيْرَانَ^(٢) الشُّعَابِ، وَخَرَجَ أَبَوَاهُ فِي طَلْبِهِ فَوَجَدَاهُ

(١) سورة مريم ١٩، الآية رقم ١٢. أي أتيناها التَّفَقُّه في الدين رحمة بعباد الله. راجع التفسير

المبين.

(٢) غَيْرَان: ج غار وهو الكهف أو الحُجْرَ يَأْوِي إِلَيْهِ الْوَحْشِيُّ أَوْ مَا يَنْحِتُ فِي الْجِبَلِ كَالْمَغَارَةِ إِذَا =

حين نزلا من جبال التَّيِّه على بُحيرة الأردن وقد قعد على شَفِير البُحيرة وأنقَعَ قدميه في الماء، وقد كاد العطش يذبحُه وهو يقول: وعزَّتْكَ لا أذوقُ باردَ الشراب حتى أعلم أين مكاني منك! فسأله أبواه أن يأكلَ قُرْصاً كان معهما من شعير، ويشرب من الماء ففعل وكفَّر عن يمينه فمُدِّح بالبِرِّ؛ قال الله عز وجل: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾^(١) وردَّه أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام في صلاته بكى، ويبكي زكرياً لبكائه حتى يُغْمَى عليه، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعُه لَحْمَ خَدَّيه، وبدت أضراسُه، فقالت له أمه: يا يحيى، لو أذنت لي آتخذت لك لِبْدًا^(٢) ليواري إضراسك عن الناظرين؛ قال: أنتِ وذاك، فعمدَتْ إلى قِطْعَتَي لُبودٍ فالصقتهما على خَدَّيه، فكان إذا بكى استنقعت دموعُه في القطعتين فتقومُ إليه أمُّه فتعصرُهما بيديها، فكان إذا نظر إلى دموعه تجري على ذراعَي أمِّه قال: اللهم، هذه دموعي وهذه أُمِّي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين.

بلغني عن أبي معاوية عن أبي إسحاق الخُمَيْسِيِّ قال: كان يزيدُ الرِّقَاشِيُّ يقول: ويحك يا يزيدُ! مَنْ يصومُ عنك! مَنْ يصليُ عنك! ومن ذا يترضى لك ربُّك من بعدك! ثم يقول: يا معشرَ مِنَ الموتِ موعِدُه، والقَبْرِ بَيْتُه ألا تبكون؟ قال: فكان يبكي حتى تسقط أشْفَارُ^(٣) عينيه.

بلغني عن محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيَّب عن الحسن قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَةٍ دَمٍ فِي سَبِيلِهِ وَقَطْرَةٍ دَمْعٍ فِي

= أُنْسَع قيل له: كهف. والشُعَاب: ج شُعْب وهو الطريق في الجبل.

(١) سورة مريم ١٩، الآية رقم ١٤. وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ أي محسناً إليهما. وجَبَّارًا: مكْتَبَرًا، وعَصِيًّا: عاصياً لربه.

(٢) اللَّبْدُ: كل شعر أو صوف متلبَّد سُمِّي به لِلصُّوقِ بعضه ببعض والجمع ألباد ولُبُود.

(٣) الأشفار: ج شَفَر وهو أصل منبت الشعر في حرف الجفن، مذكَّر.

جوف الليل من خشيته، وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة مصيبة موجهة ردها بصبر وحسن عزاؤه، وجرعة غيظ كظم عليها.

مُعْتَمِر بن سليمان عن رجلٍ قال: كان في وَجَّتِي ابن عباس خَطَّان من أثر الدموع.

حدَّثني مُحَمَّد بن داود عن سعيد بن نُصَيْر قال: حَدَّثَنَا سَيَّار عن جعفرٍ قال: كُنْتُ إِذَا أَحْسَسْتُ من قلبي بقسوةٍ أَتَيْتُ مُحَمَّد بن واسعٍ فنَظَرْتُ إليه نظرةً: قال: وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ وَجْهَهُ حَسْبَتْهُ وَجْهَ ثَكْلَى.

وكان يقال: أخوك مَنْ وَعَظَكَ برؤيته قبل أن يعظَكَ بكلامه.

تَكَلَّمَ الْحَسَن يَوْمًا حَتَّى أَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: عَجِيجٌ^(١) كعجيج النساء ولا عزم، وخدعة كخدعة إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاءً يكون.

أَبُو عَاصِمٍ قَالَ: فَقَدْ مَالَكُ بن دينار مصحفه في مجلسه؛ فنظر إليهم كلُّهم ييكون؛ فقال: كُلُّكُمْ ييكي! فمن سَرَق المصحف؟.

قال عبد العزيز بن مرزوق: الكمد أَبْقَى للحزن؛ وكانت له شَعِيرَاتٌ في مُقَدِّمِ صُدْغِهِ فَإِذَا رَقَّ نَتَفَها أو مَدَّها إلى فوق فتَقَلَّصَ دَمْعُهُ.

قِيلَ لَغَالِبِ بن عُبَيْدِ اللَّهِ: إِنَّا نَخَافُ عَلَى عَيْنِكَ الْعَمَى من طول البكاء؛

فَقَالَ: هُوَ لَهَا شَهَادَةٌ؛ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ: [طويل]

سَابِكِيكَ حَتَّى تُنْفِدَ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَيَشْفِي مَنِي الدَّمْعِ مَا أَتَوَّجَعُ

وَقَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ فِي مِثْلِهِ: [سريع]

إِنَّكَ فَمِنْ أَنْفَعِ مَا فِي الْبُكَاءِ أَنَّهُ لِلْأَحْزَانِ تَسْهِيلُ

(١) العجيج: الصياح ورفع الصوت.

وَهُوَ إِذَا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ حُزْنَ عَلَى الْخَذَّيْنِ مُحَلُولٍ

قيل لَعُقَيْرَةَ الْعَابِدَةِ: أَلَا تَسْأَلِينَ مِنْ طَوْلِ الْبُكَاءِ؟ فَبَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: كَيْفَ يَسَامُ ذُو دَاءٍ مِنْ شَيْءٍ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ مِنْ دَاءِهِ شِفَاءٌ؟

قال ابن أبي الحَوَارِيِّ: رَأَيْتُ أَبَا سَلِيمَانَ الدَّارَانِيَّ يَبْكِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَبْكِي لِذَلِكَ الْغَمِّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ فَرَحٌ، وَذَلِكَ الْأَمَدِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَنْقِطَاعٌ.

قال بعضهم: أَتَيْتُ الشَّامَ، فَمَرَرْتُ بِدِيرِ حَرَمَلَةَ، وَبِهِ رَاهِبٌ كَأَنَّ عَيْنِيهِ عَذْلًا مَزَادًا^(١)؛ فَقُلْتُ؛ مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: يَا مُسْلِمُ، أَبْكِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِيهِ مِنْ عَمْرِي، وَعَلَى يَوْمٍ مَضَى مِنْ أَجَلِي لَمْ يَتَبَيَّنْ فِيهِ عَمَلِي. قال: ثُمَّ مَرَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فَسَأَلْتُ عَنْهُ؛ فَقَالُوا: أَسْلَمَ وَغَزَا فَقُتِلَ فِي بِلَادِ الرُّومِ.

أَشْعَثُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ فَقَالَ لِي: يَا أَشْعَثُ، تَعَالَ حَتَّى نَبْكِيَ عَلَى الْمَاءِ الْبَارِدِ فِي يَوْمِ الظَّمَا، ثُمَّ قَالَ: وَالْهَفَاهُ! سَبَقَنِي الْعَابِدُونَ وَقُطِعَ بِي؛ وَكَانَ قَدْ صَامَ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

زَيْدُ الْحَمِيرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لثَوْبَانَ الرَّاهِبِ: أَخْبِرْنِي عَنْ لُبْسِ النَّصَارَى هَذَا السَّوَادَ، مَا الْمَعْنَى فِيهِ؟ قَالَ: هُوَ أَشْبَهَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الْمَصَائِبِ؛ قَالَ: فَقُلْتُ: وَكُلَّكُمْ مَعَشَرَ الرُّهْبَانِ قَدْ أَضِيبَ بِمَصِيبَةٍ؟ فَقَالَ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ! وَأَيُّ مَصِيبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ مَصَائِبِ الذُّنُوبِ عَلَى أَهْلِهَا؟ قَالَ زَيْدٌ: فَلَا أَذْكَرُ قَوْلَهُ ذَلِكَ إِلَّا أَبْكَانِي.

ابن أبي الحَوَارِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي سَلِيمَانَ وَهُوَ يَبْكِي؛ فَقُلْتُ: مَا

(١) الْعَذْلُ: نَصْفُ الْجُمْلِ. وَالْمَزَادُ: الْفُرْدَةُ الَّتِي يَحْتَقِبُهَا الرَّاهِبُ بِرَحْلِهِ، وَالْجَمْعُ الْمَزَايِدُ.

يُيكيك؟ قال: يا أحمد، إنه إذا جَنَّ الليلُ وهدأتِ العيونُ وأنسَ كلُّ خليلٍ بخليله، فرش أهلُ المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم يُسمع لها وقعٌ على أقدامهم، وقد أشرف الجليلُ عليهم فقال: بعيني مَنْ تَلَذَّذَ بكلامي وأستراح إليّ، فما هذا البكاء الذي أراه منكم؟ هل أخبركم أحدٌ أنَّ حبيباً يُعَذَّبُ أجباء؟ أم كيف أُبَيِّتُ قوماً، وعند البيات أجدهم وقوفاً يتملقوني! فبي حلفتُ أن أكشفَ لهم يومَ القيامة عن وجهي ينظرون إليّ.

قالت خنساء: كنتُ أبكي لصخرٍ من القتل، فأنا أبكي له اليوم من

النار.

قال عمر بن ذرٍّ لأبيه: يا أبت، مالك إذا تكلمت أبكيت الناس، وإذا تكلم غيرك لم يُيكهم؟ فقال: يا بني، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة.

وفي بعض ما أوحى الله إلى نبيٍّ من أنبيائه: هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدئك الخضوع، ومن عينك الدموع، وأدعني، فإني قريب. وكان عمر يقول: استغزروا العيون بالتذكّر.

التهجد

حدّثنا حسين بن حسن المروزيّ قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرني معمر والأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير^(١) عن أبي سلمة عن أبي زَمْعَةَ بن كعب الأسلمي قال: كنتُ أُبَيِّتُ عند حُجْرة النبي ﷺ فكنت أسمع، إذا قام من الليل، «سبحان الله رب العالمين» الهويّ^(٢) من الليل، ثم يقول:

(١) الهويّ من الليل: الهزيع منه.

«سبحانَ اللهَ وبِحَمْدِهِ» الهَوِيُّ.

حدَّثنا حسين قال: حدَّثنا سفيان بن عُيينة عن زياد بن عِلَاقَةَ قال: سمعتُ المُغِيرَةَ بن شُعْبَةَ يقول: قام رسول الله ﷺ حتى تورَّمت قدماه؛ فقليل: يا رسول الله، قد غَفَرَ اللَّهُ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؛ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

حدَّثنا حسين قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا حمَّاد بن سَلَمَةَ عن ثابت البناني عن مُطَرِّف بن عبد الله عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ.

بلغني عن رَبَاح عن مُعْتَمِر عن رجلٍ قد سَمَّاهُ قال: قال يزيد الرقاشي: إذا أنا نمتُ ثم استيقظتُ ثم نمتُ فلا نامت عيناي، وعلى الماءِ الباردِ السلامُ. يعني بالنهار.

وروى جرير عن عطاء بن السائب قال: قال عبيدة بن هلال الثَّقَفِي: لا يشهد عليَّ ليلٌ بنومٍ ولا شمسٌ بإفطارٍ؛ فبلغ ذلك عمرَ فأقسم عليه لِيُفْطِرَنَّ العيدين.

وروى حمَّاد بن سَلَمَةَ عن أبي جعفر الخطمي عن جدِّه عُمَيْر بن حبيب قال: كان يقول لأهله: يَا هَلَاهُ، الدُّلْجَةُ الدُّلْجَةُ، إنه من يسبق إلى الماءِ يظمأ؛ يَا هَلَاهُ، الدُّلْجَةُ الدُّلْجَةُ، إنه من يسبق إلى الظلِّ يَضْحَى.

قال أبو سليمان الداراني: أهلُ الليلِ في ليْلِهِمُ الدُّمُ من أهلِ اللّهُو في لهُوهِم، ولولا الليلُ ما أُحْبِيتُ البقاء.

خرج عيسى عليه السلام على الحواريين، وعليهم العَبَاءُ^(١) وعلى

(١) العَبَاءُ بفتح العين والباء معاً: كساءٌ من صوف مفتوح من قدام يلبس فوق الثياب.

وجوههم النور، فقال: يا أبناء الآخرة، ما تنعم المتنعّمون إلا بفضل نعيمكم.
وقيل للحسن: ما بال المتهجّدين من أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: إنهم
خلّوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره.

حُصَيْن بن عبد الرحمن عن إبراهيم قال: كان رجلٌ يقال له هُمَامٌ
يقول: اللهمّ أشفني من النوم باليسير، وأرزقني سهرًا في طاعتك. وكان
يُصبح وجُمته^(١) مُرَجَلَةً؛ فيقول بعضهم لبعض: إن جُمّة همام تخبركم أنه لم
يتوسّدّها الليلة.

قال عبد الله بن داود: كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه.
وكان بعضهم يُحيي الليل، فإذا نظر إلى الفجر قال: «عند الصباح يَحْمَدُ القومُ
السُّرَى»^(٢).

حدّثنا حسين بن حسن قال: أخذ الفضيل بن عياض بيدي ثم قال: يا
حسين، يقول الله: كَذَبَ من آدَعَى محبتي وإذا أَجَنَّهُ الليلُ نام عني، أليس
كلّ حبيبٍ يُحبّ خلوةً حبيبه؟ هاأنذا مُطَّلَعٌ على أَجْبَائِي، إذا أَجَنَّهُم الليلُ
جعلتُ أبصارهم في قلوبهم، ومثلتُ نفسي بين أعينهم، فخاطبوني على
المشاهدة وكلموني على الحضور.

الوليد بن مسلم قال: حدّثني عبد الرحمن بن يزيد قال: كنّا نُقاري^(٣)
عطاء الخراساني فكان يُحيي الليلَ صلاةً، فإذا مضى من الليل ثلثه أو أكثرُ
نادانا ونحنُ في فسطاطنا^(٤): يا عبدَ الرحمن بن يزيد، ويا يزيد بن يزيد، ويا

(١) الجُمّة بضم الجيم وفتح الميم مشدّدة: مجتمع شعر الرأس. ومُرَجَلَةٌ مسرّحة.

(٢) السُّرَى: السير ليلاً. وهذا مثل يُضْرَبُ للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. وأيضاً لما يُنال

بالمشقة ويوصل إليه بالتعب. راجع المنجد في اللغة والأعلام مادة (صباح).

(٣) نقاري: من قاراه مقارنة إذا دارسه أي شاركه في الدرس.

هشام بن الغازي، قوموا فتوضّأوا وصلّوا. فإنّ قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومن مُقطّعات الحديد؛ فالوَحَا الوحا ثم النجاء النجاء؛ ويُقبل على صلاتِهِ.

مالك بن مَعُول عن رجل من جُفَيْي^(١) عن السديّ عن أبي أراكة قال: صَلَّى عليّ الغداة ثم جلس حتى ارتفعت الشمس كأنّ عليه كآبةً، ثم قال: والله، لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يُشبههم، والله إن كانوا ليُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً صُفْراً، بين أعينهم مثل رُكْبِ المِعْزَى، قد باتوا يَتَلَوْنَ كتابَ الله، يراوِحون بين أقدامهم وجباههم؛ إذا ذكروا الله مادوا كما يَمِيدُ الشجر في يوم ريحٍ، وأنهملت أعينهم حتى تُبَلَّ ثيابهم، وكأنهم، والله، باتوا غافلين. يريد أنهم يستقلّون ذلك.

المحاربيّ عن الإفريقيّ قال: حدّثنا أبو عَلْقَمَةَ عن أبي هريرة قال: إنّ أهل السماء لَيَرَوْنَ بيوتَ أهلِ الذكر تُضيءُ لهم كما تضيء الكواكبُ لأهل الأرض.

يَعْلَى بن عُبَيْد عن مُحَمَّد بن عَوْن عن إبراهيم بن عيسى عن عبد الله بن عيسى قال: كونوا بنا بيع العلم، مفاتيح الهدى، أحلاس^(٢) البيوت، جُدّد القلوب، خُلِقَان الثياب، سُرُج الليل، تُعَرَفُوا في أهل السماء، وتَخَفُوا في أهل الأرض.

(١) هو جُفَيْي بن سعد العشيرة بن مالك بن أد بن كهلان بن سَبَأ، من كندة ينسب إليه أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور. راجع جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٧ و ٤٠٩ - ٤١٠.

(٢) الأَحْلَاس: ج جلس بكسر الحاء وسكون اللام وهو من يلزم البيت ولا يبرحه، ومنه الحديث الشريف: «كونوا أحلاس بيوتكم» أي ألزموها.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الزُّهْرَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ الْمَغِيرَةِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: فِي الرَّجُلِ يَرَى الضُّوءَ بِاللَّيْلِ؛ قَالَ: هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَوْ كَانَ هَذَا فَضْلًا لَأَوْتِرَ بِهِ أَهْلُ بَدْرٍ.

الموت

حَدَّثَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَيْسَى بْنُ مِيمُونٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَأَدَمْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ؛ قَالَ: مَا تَنْظُرُ يَا مُحَمَّدُ؟ قُلْتُ: أَنْظُرُ إِلَى مَا أَبْيَضَ مِنْ شَعْرِكَ، وَنَحَلَ مِنْ جِسْمِكَ، وَتَغَيَّرَ مِنْ لَوْنِكَ؛ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي فِي الْقَبْرِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ سَأَلْتُ حَدِثَائِي عَلَى وَجْهَتِي، وَسَأَلَ مِنْخَرَايَ صَدِيدًا وَدُودًا، لَكُنْتُ أَشَدَّ نَكْرَةً^(١).

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: دَخَلْتُ بَعْضَ الْجَبَابِينِ^(٢)، فَإِذَا أَنَا بِجَارِيَةٍ مَا أَحْسَبُهَا أَتَتْ عَلَيْهَا عَشْرُ سَنِينَ، وَهِيَ تَقُولُ:

عَدِمْتُ الْحَيَاةَ وَلَا نِلْتُهَا إِذَا كُنْتُ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْحَدُوكَا
وَكَيْفَ أَذُوقُ لَذِيذَ الْكَرَى وَأَنْتَ يُمْنَاكَ قَدْ وَسَدُوكَا

قَالَ الْأَزْدِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ دَاوُدَ الطَّائِيَّ مَرَّ بِأَمْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ وَهِيَ تَقُولُ:

يَا أَخَاهُ! لَيْتَ شَعْرِي:

بِأَيِّ حَدِيثِكَ تَبْدَى الْبَلَى وَأَيُّ عَيْنِيكَ إِذَا سَالَا

فَصِيقَ مَكَانِهِ ثُمَّ تَعَبَّدَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مَرْزُوقٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَعْلَمِ قَالَ:

(١) النِّكَرَةُ (يفتح النون والكاف والراء): اسم من الإنكار.

(٢) الجبابين: ج جَبَانَةٌ وهي المقبرة.

حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار أنه قال : [مقارب]

أتيت القبور فنادَ يُتْهَدُ من أين المعظمُ والمُحتَقَرُ؟
وأين المُدِلُّ بسلطانهِ؟ وأين المُزَكِّي إذا ما أفتخرُ؟

قال : فنوديت من بينها ولا أرى أحداً : [مقارب]

تفانوا جميعاً فما مُخِيرُ وماتوا جميعاً وماتَ الخَبِرُ
تراوَحُ وتغدو بناتُ الثرى^(١) فتَمَحُو محاسنَ تلك الصُورُ
فيا سائلي عن أناسٍ مَضَوْا أما لك فيما ترى مُعْتَبَرُ ؟
قال : فرجعتُ وأنا أبكي .

بلغني أنه قرىء على قبرٍ بالشام : [بسيط]

باتوا على قُلُلٍ^(٢) الأجيال تحرُسُهُمُ غُلِبَ الرجال فلم تنفعهُمُ القُلُلُ
وَأَسْتَنْزِلُوا بعد عِزٍّ من معاقلِهِمُ فَأَسْكِنُوا حُفْرَةً يا بَشَ ما نَزَلُوا
نادَاهُم وصارخٌ من بعد ما دُفِنُوا أين الأسرَةُ والْتِيجَانُ والحُلُلُ؟
أين الوجوه التي كانت مُحَجَّبَةً من دونها تُضْرَبُ الأستارُ والِكِلُّ^(٣) ؟
فأفصحَ القبرُ عَنْهُم حين ساء لَهُمُ تلك الوجوه عليها الدودُ تَقْتَسِلُ
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نَعِمُوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أَكَلُوا

وقال آخر :

رُبَّ قوم عَبَرُوا من عيشِهِمُ في نعيمٍ وسرورٍ وَغَدَقُ
سَكَتَ الدهرُ زمانا عَنْهُمُ ثم أبكاهُم دماً حين نَطَقُ ،

(١) بنات الثرى : الدود .

(٢) القُلُلُ : ج قُلَّة وهي أعلى الجبل .

(٣) الكِلُّ : ج كَلَّة وهي الستر الرقيق وغشاء دقيق يُخاط كالبيت يُتَوَقَّى به من البعوض ويعرف عند العامة بالناموسية .

نزل النعمان ومعه عدي بن زيد في ظل شجرة عظيمة ليلهُوا؛ فقال له
عدي بن زيد: أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: لا؛ قال تقول: [رمل]

رُبَّ شَرِبٍ^(١) قد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزلالِ
ثم أضَحَوْا لِعَبِّ الدهرِ بهم وكذلك الدهرُ حالاً بعد حالٍ

وقال إبراهيم بن المهدي^(٢): [بسيط]

بِاللهِ رَبِّكَ كم يَتِيَّ مررتَ به قد كان يُعَمِّرُ بالذَّاتِ والطَّرَبِ
طارَتْ عُقَابُ المنايا في سقائفه فصار من بعدها للويلِ والحَرَبِ^(٣)

أُتشدنا أبو عبد الرحمن صاحب الأخفش عن الأخفش للخليل بن أحمد
العروضي: [كامل]

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَقَضْرُكَ الموتُ لا مَزْحَلٌ عنه ولا فَوْتُ^(٤)
بَيْنَا غِنَى بَيْتٍ وبَهْجَتُهُ زال الغنى وتقوَّضَ البيتُ

حدَّثني يزداد بن أسد عن الطَّنَافِسي قال: حدَّثنا أبو محمد قال: كان
مالك بن دينار يخرج إلى القبور كلِّ خميس على جِمارٍ قوطرانيٍّ ويقول:

[وافر]

ألا حَيَّ القبورَ ومن بِهِنَّ وجوهُ في القبورِ أَجِبَهُنَّ

(١) الشَّرِبُ: ج شارب، والمقصود هنا شارب الخمر.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٢٩ من هذا الجزء، كما ورد أربعة أبيات في نفس الصفحة المذكورة من الجزء المذكور تنتمي إلى نفس القصيدة التي ينسب إليها هذان البيتان، كذلك وردا البيتان المذكوران في البيان والتبيين (ج ٣ ص ٤٧٨) مع اختلاف في الكلمات.

(٣) الحَرَبُ: السُّلْبُ، يقال: حَرَبٌ يَحْرُبُهُ حَرَبٌ: أخذ ماله أي سلبه وتركه بلا شيء.

(٤) قَضْرُكَ الموتُ: قُصَارُكَ، والقُصَارَى: الجهد والغاية. لا مَزْحَلٌ عنه: لا مفر؛ يقال: لك من هذا الأمر مَزْحَلٌ: لك مُتَدَحٍّ وَمُنْدَوِّحُه أي سعة وفُسحة.

فلو أن القبور سمعن صوتي إذا لأجبنني من وجديهنه
ولكن القبور صمتن عني فأبث بحسرة من عنديهنه
ثم يبكي وبكي .

قال معاوية بن أبي سفيان لعبيد بن شربة الجرهمي : أخبرني بأعجب شيء رأيته في الجاهلية ؛ فقال : إني نزلت بحي من قضاة فخرجوا بجنائز رجل من عذرة يقال له حريث وخرجت معهم ، حتى إذا واروه في حفرة أنتبذت جانباً عن القوم وعيناي تذرفان ثم تمثلت بأبيات شعر كنت أروها قبل ذلك بزمان طويل :

تجري أمور ولا تدري أوائلها خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فأستقدر الله خيراً وارضى به فيبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً إذ صار في الرمس^(١) تعفوه الأعاصير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه وذو قرابته في الحي مسرور

قال : وإلى جانبي رجل يسمع ما أقول ، فقال لي : يا عبد الله ، هل لك علم بقائل هذه الأبيات ؟ قلت : لا والله ؛ إلا أنني أروها منذ زمان ؛ فقال : والذي تحلف به إن قائلها لصاحبنا الذي دفناه آنفاً ، وهذا الذي ترى ذو قرابته أسر الناس بموته ، وإنك لغريب وتبكي عليه كما وصفت ؛ فعجبت لما ذكره في شعره وما صار إليه من أمره وقوله ، كأنه ينظر إلى مكاني من جنازته ، فقلت : «إن البلاء موكل بالقول» ؛ فذهبت مثلاً .

قال أعرابي : خير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحبت لتزوله الموت

(١) الرمس : القبر .

وقال أبو زُبَيْد^(١):

[خفيف]

يَمْلِكُ الْمَرْءُ بِالرَّجَاءِ وَيُضْحِي
غَرَضًا لِلْمُنُونِ نَصَبَ الْعُودِ
كُلَّ يَوْمٍ تَرْمِيهِ مِنْهَا بَرَشَقٍ
فَمَصِيبٌ أَوْصَافٌ غَيْرَ بَعِيدٍ^(٢)

وقال أبو العتاهية:

[مجزوء الكامل]

وَعَظَّمْتَكَ إِجْدَاثُ صُمْتُ
وَنَعَتُكَ أَزْمَنَةُ خُفْتُ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجِهِ
تَبْلَى وَعَنْ صُورِ شُتْتُ
وَأَرَنْتُكَ قَبْرَكَ فِي الْقَبْرِ
رُ وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تَمُتْ

وقال أعرابي: أَبْعَدَ سَفَرٍ أَوَّلُ مَنْقَلَةٍ^(٣) مِنْهُ الْمَوْتُ. وقيل لأعرابي: مَاتَ
فَلَانٌ أَصَحَّ مَا كَانَ؛ فَقَالَ: أَوْ صَحِيحٌ مِنَ الْمَوْتِ فِي عُقْبِهِ؟ وقال بعض

المحدثين:

[سريع]

اسْمَعْ فَقَدْ أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
إِنْ لَمْ تَبَادُرْ فَهُوَ الْفَوْتُ
بَلْ كُلُّ إِذَا شَتَّتَ وَعَشَّ نَاعِمًا
آخِرُ هَذَا كُلُّهُ الْمَوْتُ

وكان صالح المري يقول في قصصه:

[متقارب]

مُؤْمَلٌ دُنْيَا لِيَتَبَقَى لَهُ
فَمَاتَ الْمُؤْمَلُ قَبْلَ الْأَمَلِ
وَبَاتَ يُرَوِّي أَصُولَ الْفَسِيلِ^(٤)
فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلُ

وقال مسلم بن الوليد:

[رمل]

(١) أبو زبيد هو المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، عاش زمنًا في الجاهلية وأدرك الإسلام ولم
يسلم. استعمله عمر على صدقات قومه. قال البغدادي: ولم يستعمل نصرانياً غيره. توفي
نحو ٦٢ هـ. الأعلام ج ٧ ص ٢٩٣.

(٢) الرَشَق: الشوط من الرمي. وصاف السَّهْمُ عن الهدف: عَدَلَ عَنْهُ وَلَمْ يُصِبْهُ.

(٣) الْمَنْقَلَةُ: المرحلة من مراحل السفر.

(٤) الفسيل: صغار النخل.

كم رأينا من أناسٍ هلكوا وبكى أحبائهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم وودهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوكٍ سُوقَةً ورأينا سُوقَةً قد ملكوا
قلب الدهر عليهم وركا فاستداروا حيث دار الفلكُ

حدثني أبي عن أبي العتاهية أنه قرىء له بيتان على جدارٍ من جُدُر
كنيسة القسطنطينية: [منسرح]

ما اختلف الليل والنهارُ ولا دارت نجومُ السماء في الفلكِ
إلا بنقلِ السلطانِ عن ملكٍ كان يحبُّ الدنيا إلى ملكٍ
وقال آخر:

[منسرح]

ما أنزل الموت حقَّ منزله من عدَّ يوماً لم يأت من أجله
والصدق والصبرُ يلغان بمن كانا قرينيه منتهى أمله
عليك صدق اللسان مجتهدا فإنَّ جُلَّ الهلاك في زلله

وقال الطرمّاح^(١):

[طويل]

فيا ربَّ لا تجعل وفاتي إن أتت على شرجع^(٢) يُعلَى بُرُكنِ^(٣) المطارفِ
ولكن أجزّ يومي شهيداً وعُصبةً يصابون في فجٍّ من الأرض خائف^(٤)

(١) هو الطرمّاح بن حكيم بن الحكم، من طيء، وشاعر إسلامي فحل. ولد ونشأ في الشام،
وأنقل إلى الكوفة. توفي نحو ١٢٥ هـ. المختلف والمؤتلف ص ١٤٨ والأعلام ج ٣ ص
٢٢٥. ولقد ورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٥) بيتان إلى جانب هذه الأبيات الثلاثة ولكن
بأختلاف بعض الكلمات عما هنا.

(٢) الشرجع: النعش.

(٣) في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٥): «بخضر».

(٤) ورد صدر هذا البيت في نفس الصفحة من المصدر السابق هكذا:

ولكن شهيداً ثاوياً في عصابة.

عصائبُ من شَتَّى يُولَّفُ بينهمُ هُدَى اللّهُ نَزَّالُونَ عِنْدَ الْمَوَاقِفِ
 إِذَا فَارَقُوا دُنْيَاهُمْو فَارَقُوا الْأَذَى وَصَارُوا إِلَى ^(١) مَوْعُودِهَا فِي الْمَصَاحِفِ
 فَأَقْتُلْ قَعَصاً ثُمَّ يُرْمَى بِأَعْظَمِي كَضَغَتْ الْخَلَا بَيْنَ الرِّيحِ الْعَوَاصِفِ ^(٢)
 وَيُصْبِحَ لَحْمِي بَطْنِ طَيْرٍ ^(٣) مَقِيلُهُ دُورِينَ السَّمَاءِ فِي نَسْرِ عَوَائِفِ ^(٤)
 وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ قَالَ: اتَّخَذَ نُوحٌ بَيْتاً مِنْ خُصٍّ ^(٥)، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ بَنَيْتَ
 بَيْتاً؟ فَقَالَ: هَذَا لِمَنْ يَمُوتُ كَثِيرٌ.

بلغني عن إسماعيل بن عيَّاش عن شُرَحْبِيلِ بْنِ مُسْلِمٍ أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ كَانَ
 إِذَا رَأَى جَنَازَةً قَالَ: إِغْدِي فَإِنَّا رَائِحُونَ، أَوْ قَالَ: رُوحِي فَإِنَّا غَادُونَ. وَهَذَا مِثْلُ
 قَوْلِ لَيْلٍ ^(٦):
 [طويل]

وَإِنَّا وَإِخْوَانُنَا قَدْ تَتَابَعُوا لِكَالْمَغْتَدِي وَالرَّائِحِ الْمَتَهَجِّرِ

بلغني عن وَكِيعٍ عَنْ شَرِيكَ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ هَلَالِ بْنِ إِسَافٍ قَالَ: مَا مِنْ

(١) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ وَالصَّفْحَةِ: «إِلَى مَوْعُودِ مَا فِي».

(٢) وَرَدَ عَجَزَ هَذَا الْبَيْتِ فِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ مِنَ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ هَكَذَا:

مُفَرَّقَةً أَوْصَالُهَا فِي التَّنَائِفِ

وَالْتَنَائِفُ: جَ تَنَوُّفٌ وَهِيَ الْمَفَازَةُ. وَمَاتَ قَعَصاً: أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ أَوْ رَجْفَةٌ فَمَاتَ مَكَانَهُ.

وَالضَّغْتُ: قَبْضَةٌ حَشِيْشٌ مُخْتَلِطَةٌ الرُّطْبِ بِالْيَابِسِ.

(٣) فِي نَفْسِ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ وَالصَّفْحَةِ: «بَطْنِ نَسْرِ».

(٤) وَرَدَ عَجَزَ هَذَا الْبَيْتِ فِي نَفْسِ الصَّفْحَةِ مِنَ الْمَصْدَرِ السَّابِقِ هَكَذَا:

بَجَوْ السَّمَاءِ فِي نَسْرِ عَوَاكِفِ

وَالْعَوَاكِفُ مِنَ الطَّيْرِ: الَّتِي تَسْتَدِيرُ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ الْمَاءِ أَوْ الْجَيْفِ أَوِ الَّتِي تَحُومُ عَلَيْهِ

تَتَرَدَّدُ وَلَا تَمْضِي تَرِيدُ الْوَقْعَ، مُفْرَدُهَا عَوْفٌ.

(٥) الْخُصُّ: الْقَصَبُ؛ وَيُقَالُ الْبَيْتُ مِنَ الْقَصَبِ كَيْتٌ دُودُ الْقَرِّ أَوِ الْبَيْتُ يُسَقَّفُ بِخَشْبَةِ، وَالْجَمْعُ

خِصَاصٌ وَخُصُوصٌ.

(٦) تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ فِي الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ مِنْ ص ١٤٥ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ. كَمَا سَيَذْكَرُ

بَيْتَهُ فِي ص ٦١ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ.

مولود يولد إلا وفي سَرَّتِهِ من تُرْبَةِ الأرض التي يموت فيها. قال الأصمعي:
أَوَّلَ شعر قيل في ذَمِّ الدنيا قول ابن خَدَّاق^(١):
[بسيط]

هل للفتى من بنات الدهر^(٢) من راقى أم هل له من جَمَامِ الموت من وافي؟
قد رَجَلوني وما رُجِّلْتُ من شَعَثٍ وألبسوني ثياباً غيرَ أخلاق^(٣)
وطيَّسوني وقالوا إيما رجلٍ وأدرجونني كَأَنِّي طيٌّ مخراق^(٤)
هُوْنٌ عليك ولا تُولَعُ بإشفاقٍ فإنما مألنا للوارث الباقي

محمد بن فضيل عن عُبيد الله بن عُمَيْر قال: جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال: يا نبيَّ الله، مالي لا أحبُّ الموت؟ فقال له: «هل لك مال؟» قال: نعم؛ قال: «قدَّمه بين يديك»؛ قال: لا أُطِيقُ ذلك؛ قال: فقال النبيُّ عليه السلام: «إِنَّ المرءَ مع ماله إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ وَإِنْ أَخَّرَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ».

المحاربي عن عبد الملك بن عُمَيْر قال: قيل للربيع بن خَثِيم في مرضه: ألا ندعوك طبيباً؟ قال: أنظروني؛ ثم فكر فقال: ﴿وَعَاداً وَتُمُوداً وَأَصْحَابَ الرُّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾^(٥) قد كانت فيهم أطباء، فما أرى المداوي بقي ولا المداوي؛ هلك الناعثُ والمنعوثُ له، لا تدعوا لي طبيباً.

(١) لم أقف على ترجمة له، ولكن ورد اسمه في لسان العرب مادة (خذق) دون أن يترجم له.

(٢) بنات الدهر: شدائده.

(٣) رَجَلوني: سَرَحُوا شعري. والشَعَثُ: الشعر الأشعث أي المتلبَّد. وثياب غير أخلاق: ثياب جديدة؛ يقال: ثوبٌ آخرقٌ كما يقال: ثيابٌ أخلاقٌ أي بالية، من خَلِقَ الثوبَ وخلق: بلي.

(٤) المِخْرَاقُ: المنديل يُلَفُّ لِيُضْرَبَ بِهِ، والجمع مخاريق.

(٥) سورة الفرقان ٢٥، الآية رقم ٣٨. وعاد قوم هود. وتمود قوم صالح. وأصحاب الرُّسِّ: اسم بثر وأصحابه قوم شعيب كانوا قعوداً حولها فأنهارت بهم وبمنازلهم. وقرونًا: أقواماً. وبين ذلك: كثيراً؛ أي بين عاد وأصحاب الرس، والمعنى: أهلكنا من الأمم أضعاف من ذكرنا؛ لأنهم كذبوا الأنبياء والمرسلين. راجع التفسير المبين.

إسحاق بن سليمان عن أبي أحمد قال: كان عمر بن عبد العزيز ليس له هَجِيرِي^(١) إلا أن يقول:

[طويل]

تُسَرُّ بما يَبْلَى وتَفْرَحُ بالَمْنَى كما أَغْتَرَّ باللذاتِ في النومِ حالمُ
نهارُك، يا مغرورُ، سهوٌ وغَفْلَةٌ وليكُ نومٌ والردى لك لازمُ
وسَعْيُك فيما سوف تَكْرَهُ غِبَّةُ كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

كم من مستقبلٍ يوما ليس بمستكمله، ومنتظرٍ غدا ليس من أجله؛ لو رأيتم الأجل ومسيره، وبغضتم الأمل وغروره^(٢).
[كامل]

لا يلبث القُرْناءُ أن يَتَفَرَّقُوا ليلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونهارُ

يحيى بن آدم عن عبد الله بن المبارك عن عبد الوهاب بن وُرد عن سالم ابن بشير بن حَجَل عن أبي هريرة: أنه بكى في مرضه فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم ولكني أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وأني أُمِسْتُ في صُعودٍ مهبطه على جنةٍ أو نار، ولا أدري على أيِّهما يؤخذ بي!

أبو جَنَابٍ قال: لما أَحْتَضِرُ معاذُ قال لجاريته: ويحك! هل أصبحنا؟ قالت: لا؛ ثم تركها ساعةً ثم قال لها: أنظري! فقالت: نعم؛ فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار! ثم قال: مرحبا بالموت، مرحبا بزائر جاء على فاقة، لا أفلح مَنْ نَدِم! اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أُحِبُّ البقاء في الدنيا لَكْرِي^(٣) الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن كُنْتُ أُحِبُّ البقاء لمكابدة الليل الطويل ولظنما الهواجر في الحرِّ الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر

(١) الهَجِيرِي: الدأب والعادة.

(٢) هذا البيت لجبرير قاله في أمراته مع بيت آخر وردا في صحيفة ٣١٦ من هذا الجزء. والقُرْناء: ج قرين وهو الزوج.

(٣) كَرَى النهر يَكْرِيه: حفر فيه حفرة جديدة.

أبو اليَقْظَان قال: لما أَحْتَضِرَ عمرو بن العاص جعل يَدَه في موضع الغل من عنقه ثم قال: اللهم إني أَمَرْتُنا ففَرَطْنَا، وَنَهَيْتُنَا ففَرَكْنَا، اللهم إني لا يَسْعُنَا إِلَّا رَحْمَتُكَ؛ فلم يزل ذلك هَجِيرَاهُ حَتَّى قُبِضَ.

قيل لَأَزَادَ مَرْدُ بن الهَزْبِذ حين أَحْتَضِرَ؛ ما حَالُكَ؟ فقال: ما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد، وينزلُ حفرةً من الأرض مُوحِشَةً بلا مؤنس، وَيَقْدَمُ على ملكٍ جَبَّارٍ قد قَدَّمَ إليه العذرَ بلا حُجَّة!

حَدَّثَنِي عَبْدَةُ الصَّفَّارُ قال: حَدَّثَنِي الْعَلَاءُ بن الفضل قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ عن أَبِيهِ عن جَدِّهِ عن جَدِّ أَبِيهِ قال: سَمِعْتُ أُمِّيَّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ عند وفاته وَأُغْمِيَ عليه طويلاً ثم أَفَاقَ، ورفع رأسه إلى سَقَفِ البيت وقال: لَبَيْكُمَا لَبَيْكُمَا، ها أَنَا لَدَيْكُمَا، لا عَشِيرَتِي تَحْمِينِي، ولا مَالِي يَفِدِينِي، ثم أُغْمِيَ عليه طويلاً ثم أَفَاقَ فقال: [خفيف]

كُلُّ عَيْشٍ وَإِنْ تَطَاوَلَ دَهْرًا صَائِرٌ مَرَّةً إِلَى أَنْ يَزُولَا
لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُغُولَا
ثم فَاضَتْ نَفْسُهُ.

الحَكَمُ بن عَثْمَانَ قال: قال المنصور عند موته: اللهم إني كُنْتُ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَرْتَكَبْتُ الْأُمُورَ الْعِظَامَ جُرْأَةً مِنِّي عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أَطْعَمْتُكَ فِي أَحَبِّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، مَنَّا مِنْكَ لَا مَنَّا عَلَيْكَ. وَكَانَ سَبَبُ إِحْرَامِهِ مِنَ الْخَضْرَاءِ^(١) أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا نَائِمًا، فَأَتَاهُ آتٍ فِي مَنَامِهِ فقال: [طويل]

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَغَيْرِي مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ

(١) الخضرَاء: السماء.

وصار عميدُ القوم من بعد نعمةٍ إلى جَذث تُبْنَى عليه جنادُهُ
فلم يَبْقَ إلا رَسْمُهُ وحديثُهُ تُبْكِي عليه مُعُولَاتِ حلائِلُهُ

فأستيقظ مرعوباً ثم نام فأتاه لآتي فقال: [طويل]

أبا جعفرٍ، حانت وفأتك وأنقضتْ سنوكَ وأمرُ الله لا بدَّ واقعٍ
فهبل كاهنٌ أعددتَه أو منجمٌ أبا جعفرٍ عنك المنيةَ دافعٍ

فقال: يا ربيع، ائتني بطهوري، فقام وأغتسل وصلى ولبى وتجهَّز
للحجِّ، فلما صار في الثلث الأول اشتدَّت علتهُ، فجعل يقول: يا ربيع، أَلْقِنِي
في حرم الله، فمات بيثر ميمون^(١).

حدَّثني محمد بن داود عن سعيد بن نصير عن العباس بن طالب قال:
قال الربيع بن بزة: كنت بالشام فسمعتُ رجلاً وهو في الموت يقال له: قل لا
إله إلا الله، فقال: اشربْ وأسقني. ورأيت رجلاً بالأهواز قيل له: قل لا إله
إلا الله؛ فقال: ده يا دذه، وده دوازده^(٢). وقيل لرجل بالبصرة: قل لا إله إلا
الله؛ قال: [بسيط]

يا رَبَّ قائلَةٍ يوماً وقد لَعِبَتْ كيف الطريقُ إلى حَمَامٍ مِنجَابٍ^(٣)
حدَّثني أبو حاتم عن الأصمعي عن معمر عن أبيه قال: لَقْنُ مَيْتِكَ، فإذا
قاله فَدَعَهُ يتكلَّم بغيرها من أمر الدنيا ولا تُضِحِرْهُ.

(١) بيثر ميمون بيثر بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي.
(٢) هذه كلمات فارسية معنى الأولى منها: عشرة أحد عشر، ومعنى الثانية عشرة اثنا عشر. وهي
كلمات أجراها على لسانه هذيان الإحتضار.
(٣) حَمَامٌ مِنجَابٍ (بكسر الميم وسكون النون) ينسب إلى مِنجَابٍ بن راشد الضبي. وَلَعِبَتْ:
تعبت وأغيت أشدَّ الإعياء.

قال مالك بن ضيغم: لما احتضر أبي قلنا له: ألا تُوصي؟ قال: بلى، أوصيكم بما أوصى به إبراهيمُ بنه ويعقوبُ: ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١) وأوصيكم بصلة الرحم وحسن الجوار وفعل ما أستطعتم من المعروف، وأدفتوني مع المساكين.

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه: كيف تجدك؟ قال: في الموت؛ قال: لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، قال: وأنا والله لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب.

احتضر سيويه النحوي فوضع رأسه في حجر أخيه فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده، فأفاق من غشيته وقال: [طويل]

أَخْيَيْنَا كُنَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الْأَمَدِ الْأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَ؟

أبو أسامة عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال: قيل لهزم بن جبان: أوص؛ فقال: قد صدقتني نفسي في الحياة، ما لي شيء أوصي فيه، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل.

قال الشاعر: [منسرح]

مَا آرَتَدَّ طَرَفُ أَمْرِي بِلَحْظَتِهِ إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

وقال آخر: [بيسط]

المرء يشقى بما يسعى لوارثه وَالْقَبْرُ وَارِثُ مَا يَسْعَى لَهُ الرَّجُلُ

حدثني محمد بن عبيد عن معاوية عن عمرو عن أبي إسحاق عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: أوصى الربيع بن خيثم وأشهد على نفسه وكفى بالله

(١) سورة البقرة ٢، آية ١٣٢. ومعنى الآية: إن الله أعطاكم صفوة الأديان، وهو دين الإسلام فاثبتوا عليه حتى الموت.

شهيدا وجزاء لعباده الصالحين ومُثيباً: إني رَضِيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً
وبمحمدٍ رسولاً، وأوصي نفسي، ومن أطاعني أن يَعْبُدَ الله في العابدين
ويحمده في الحامدين وينصح لجماعة المسلمين؛ وأوصى أهله: أَلَّا تُشْعِرُوا
بي أحداً وسُلُونِي إلى رَبِّي سَلًّا.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ جَرِيرٍ
الْمَهَاجِرِيَّ يَقُولُ: لَمَّا مَاتَ ذَرُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ ذَرٍّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: الْآنَ يَضِيعُ الشَّيْخُ
(لأنه كان به باراً)؛ فَسَمِعَهَا الشَّيْخُ فَقَالَ: أَنِّي أَضِيعُ وَاللَّهِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؟
فَلَمَّا وَاوَاهَ التَّرَابَ وَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ وَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا ذَرًّا! مَا عَلَيْنَا بِعَدِّكَ مِنْ
خِصَاصَةٍ وَمَا بَنَا إِلَى أَحَدٍ مَعَ اللَّهِ حَاجَةٌ، وَمَا يَسْرُنِي أَنِّي كُنْتُ الْمَقْدَّمُ قَبْلَكَ،
وَلَوْلَا هَوْلُ الْمَطَّلَعِ لَتَمَنَيْتُ أَنْ أَكُونَ مَكَانَكَ، لَقَدْ شَغَلَنِي الْحُزْنُ لَكَ عَنِ
الْحُزَنِ عَلَيْكَ، فَيَا لَيْتَ شَعْرِي مَاذَا قُلْتَ وَمَا قِيلَ لَكَ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
السَّمَاءِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ حَقِّي فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَهُ، فَهَبْ حَقَّكَ فِيمَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ لَهُ. ثُمَّ قَالَ عِنْدَ أَنْصِرَافِهِ: مُضِينَا وَتَرْكُنَاكَ، وَلَوْ أَقَمْنَا مَا نَفَعْنَاكَ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُرَيْحُ بْنُ النُّعْمَانِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونِ عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي عَوْنٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَاللَّهِ لَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ
الرَّاسِيَاتِ مَا نَزَلَ بِأَبِي لَهَاضِهَا^(١)»، إِشْرَابُ النِّفَاقِ بِالْمَدِينَةِ وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ،
فَوَاللَّهِ مَا اخْتَلَفُوا فِي نَقْطَةِ إِلَّا طَارَ أَبِي بِحُظْهَا وَغَنَائِهَا فِي الْإِسْلَامِ». وَكَانَتْ مَعَ
هَذَا تَقُولُ: «مَنْ رَأَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ غَنَاءً لِلْإِسْلَامِ، كَانَ،
وَاللَّهِ، أَحْوَزِيًّا^(٢) نَسِيحَ وَحْدِهِ، قَدْ أَعَدَّ لِلْأُمُورِ أَقْرَانَهَا». وَقَالَتْ عِنْدَ قَبْرِهِ:

(١) لهاضها: كسرهما؛ يقال: هاض فلان العظم: كسره بعد الجبور، وهاض الطائر: سلح.

(٢) الأحوزي: الحسن السيادة للأُمور.

«رَحِمَكَ اللهُ يَا أَبَتِ! لَقَدْ قُتِمَ بِالْدِينِ حِينَ وَهِيَ شَعْبُهُ»^(١) وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ وَرَجَفَتْ جَوَانِبُهُ؛ انْقَبَضَتْ مِمَّا أَصْغَوْا إِلَيْهِ»^(٢)، وَشَمَّرَتْ^(٣) فِيمَا وَنُوا فِيهِ وَاسْتَخَفَّتْ مِنْ دُنْيَاكَ مَا اسْتَوْتُنُوا وَصَغَّرَتْ مِنْهَا مَا عَظَّمُوا وَرَعَيْتَ دِينَكَ فِيمَا أَغْفَلُوا، أَطَالُوا عِنَانَ الْأَمْنِ وَأَقْتَعَدَتْ مِطْيَى الْحَذَرِ، وَلَمْ تَهْضُمِ دِينَكَ وَلَمْ تَشْرِنْ غَدَاكَ فَفَازَ عِنْدَ الْمَسَاهِمَةِ قِدْحُكَ وَخَفَّ مِمَّا اسْتَوَزَرُوا ظَهْرُكَ». وَقَالَتْ أَيْضاً عِنْدَ قَبْرِهِ: «نَضَّرَ اللهُ وَجْهَكَ يَا أَبَتِ! فَلَقَدْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا، وَلِلْآخِرَةِ مَعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا؛ وَلَئِنْ كَانَ أَجَلُ الرِّزَايَا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، رُزُوكَ وَأَكْبَرَ الْمَصَائِبِ فَقَدْ كُنْتَ، إِنَّ كِتَابَ اللهِ لَيَعِدُّ بِجَمِيلِ الْعَزَاءِ عِنْدَ أَحْسَنِ الْعَوَظِ مِنْكَ، فَأَنَا أَتُنَجِّزُ مِنَ اللهِ مَوْعِدَهُ فَيْكَ بِالصَّبْرِ عَلَيْكَ، وَاسْتَعِضُّهُ مِنْكَ بِالِاسْتِغْفَارِ لَكَ؛ عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ، تَوَدِّعَ غَيْرَ قَالِيَةِ لِحْيَاتِكَ وَلَا زَارِيَةِ عَلَى الْقَضَاءِ فَيْكَ».

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عِنْدَ قَبْرِ أَخِيهِ الْحَسَنِ: «رَحِمَكَ اللهُ أَبَا مُحَمَّدٍ! إِنْ كُنْتُ لَتُبَاصِرُ الْحَقِّ مَظَانَّةً، وَتُؤَثِّرُ اللهُ عِنْدَ مَدَاحِضٍ»^(٤) الْبَاطِلُ فِي مَوَاطِنِ التَّقِيَّةِ بِحَسَنِ الرُّوِيَّةِ، وَتَسْتَشِفُّ جَلِيلَ مَعَاضِمِ الدُّنْيَا بِعَيْنٍ لَهَا حَاقِرَةٌ، وَتُفِيضُ عَلَيْهَا يَدًا ظَاهِرَةً الْأَطْرَافِ نَقِيَّةَ الْأَسْرَةِ»^(٥)، وَتَرْدَعُ بَادِرَةَ غَرْبِ أَعْدَائِكَ بِأَيْسَرِ الْمُؤُونَةِ عَلَيْكَ؛ وَلَا غَرَوَ وَأَنْتَ أَبْنُ سُلَالَةِ النَّبَوَّةِ وَرَضِيْعُ لِبَانِ الْحِكْمَةِ؛ فَيَالِي رَوْحٍ وَرِيحَانٍ وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ؛ أَعْظَمَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ الْأَجَرَ عَلَيْهِ، وَوَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ السَّلَوَةَ

(١) وَهِيَ وَوَهِيَ شَعْبُهُ: تَمَزَّقَ وَتَفَرَّقَ جَمْعُهُ.

(٢) أَصْغَوْا إِلَيْهِ: مَالُوا إِلَيْهِ.

(٣) شَمَّرَتْ: جَدَّتْ.

(٤) الْمَدَاحِضُ: ج. مَذْخَصَةٌ وَهِيَ الْمَزَلَّةُ؛ يُقَالُ: هَذَا مَذْخَصَةُ الْقَوْمِ أَيِ مَزَلَّتْهُمْ.

(٥) الْأَسْرَةُ: ج. بَرَارٍ وَهِيَ خُطُوطُ الْكَفِّ وَالْجَبْهَةِ.

وَحُسْنُ الْأَسَى ^(١) عَنْهُ.

حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّعِيدِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ أَنَّ
أَبْنَ السَّمَّاءِ قَالَ يَوْمَ مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِي فِي كَلَامٍ لَهُ: إِنْ دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ نَظَرَ
بِقَلْبِهِ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ، فَأَعَشَى بَصْرُ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ، فَكَانَ كَأَنَّهُ
لَا يَنْظُرُ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ، وَكَأَنَّكُمْ لَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَا إِلَيْهِ يَنْظُرُ، فَأَنْتُمْ مِنْهُ
تَعْجَبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ، فَلَمَّا رَأَى رَاغِبِينَ مَذْهُولِينَ مَغْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ
الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحَبِّهَا قُلُوبَكُمْ أَسْتَوْحِشُ مِنْكُمْ، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ
نَظَرْتُ إِلَى حَيٍّ وَسَطٍ أَمْوَاتٍ. يَا دَاوُدَ، مَا أَعْجَبَ شَأْنُكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ!
أَهْنَتْ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تَرِيدُ إِكْرَامَهَا، وَأَتَعَبْتَهَا، وَإِنَّمَا تَرِيدُ رَاحَتَهَا، أَخَشَنْتَ
الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تَرِيدُ طَيِّبَهُ وَأَخَشَنْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تَرِيدُ لَيِّنَهُ، ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ
أَنْ تَمُوتَ، وَقَبَرْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ، وَعَذَّبْتَهَا وَلَمَّا تُعَذَّبْ، وَأَغْنَيْتَهَا عَنِ الدُّنْيَا لِكَيْلَا
تُذَكَّرَ، رَغِبْتَ نَفْسَكَ عَنِ الدُّنْيَا فَلَمْ تَرَهَا لَكَ قُدْرًا إِلَى الْآخِرَةِ، فَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا
وَقَدْ ظَفِرْتَ بِمَا طَالَبْتَ؛ كَانَ سِيْمَاكَ فِي سِرِّكَ وَلَمْ يَكُنْ سِيْمَاكَ فِي عَلَانِيَتِكَ،
تَفَقَّهْتَ فِي دِينِكَ وَتَرَكْتَ النَّاسَ يُغْنُونَ، وَسَمِعْتَ الْحَدِيثَ وَتَرَكْتَهُمْ يُحَدِّثُونَ،
وَحَرِسْتَ عَنِ الْقَوْلِ وَتَرَكْتَهُمْ يَنْطِقُونَ، لَا تَحْسُدُ الْأَخْيَارَ، وَلَا تَعِيبُ الْأَشْرَارَ،
وَلَا تَقْبَلُ مِنَ السُّلْطَانِ عَطِيَّةً، وَلَا مِنْ الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً؛ آنَسُ مَا تَكُونُ إِذَا كُنْتَ
بِاللَّهِ خَالِيًا، وَأَوْحِشُ مَا تَكُونُ آنَسُ مَا يَكُونُ النَّاسُ؛ فَمَنْ سَمِعَ بِمِثْلِكَ وَصَبَرَ
صَبْرَكَ وَعَزَمَ عَزَمَكَ! لَا أَحْسَبُكَ إِلَّا وَقَدْ أَتَعَبْتَ الْعَابِدِينَ بِعَذَابِكَ، سَجَنْتَ نَفْسَكَ
فِي بَيْتِكَ فَلَا مُحَدِّثَ لَكَ وَلَا جَلِيسَ مَعَكَ وَلَا فَرَّاشَ تَحْتِكَ وَلَا سِتْرَ عَلَى بَابِكَ.
وَلَا قُلَّةً يُرَدُّ فِيهَا مَا وَكَّ وَلَا صَحْفَةً يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ، مِطْهَرْتُكَ قَلْبُكَ

(١) الْأَسَى: ج. أَسْوَةٌ وَهِيَ مَا يَأْتِي بِهِ الْحَزِينُ أَيْ يَتَغَزَّى.

وَقَضَعْتُكَ تَوْرُكًا^(١). داود، مَا كُنْتُ تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدَهُ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبَهُ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيِّنِهِ، بَلَى! وَلَكِنْ زَهَدْتُ فِيهِ لَمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ؛ فَمَا أَصْغَرَ مَا بَذَلْتُ، وَمَا أَحْقَرَ مَا تَرَكْتُ فِي جَنْبِ مَا أُمَلَّتْ، فَلَمَّا مِتَّ شَهَرَكَ رَبُّكَ بِمَوْتِكَ، وَالْبَسَكَ رِداءَ عَمَلِكَ، وَأَكْثَرَ تَبَعَكَ، فَلَوْ رَأَيْتَ مِنْ حَضْرِكَ عَرَفْتُ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ وَشَرَّفَكَ، فَلَتَتَكَلَّمُ الْيَوْمَ عَشِيرَتُكَ بِكُلِّ أَلْسِنَتِهَا، فَقَدْ أَوْضَحَ رَبُّكَ فَضْلَهَا بِكَ، وَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَدْعُ عَبْدًا إِلَى خَيْرٍ بِعَمَلِهِ إِلَّا حُسْنُ هَذَا النَّشْرِ مِنْ كَثْرَةِ هَذَا التَّبَعِ، لَقَدْ كَانَ حَقِيقًا بِالْإِجْتِهَادِ وَالْجَهْدِ لِمَنْ لَا يُضَيِّعُ مُطِيعًا وَلَا يَنْسِي صَنِيعًا شَاكِرًا وَمُثِيبًا.

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه فقال: اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه، فحقق رجائي وآمن خوفي.

مات ابنُ لَأَنَسَ بنِ مَالِكٍ فقال أَنَسٌ عند قبره: اللهم عبدك وولدُ عبدك وقد رُدَّ إليك، فَأَرَأْفَ بِهِ وَارْحَمْهُ، وَجَافِ الْأَرْضَ عَنْ بَدَنِهِ، وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ وَتَقَبَّلْهُ بِقَوْلٍ حَسَنٍ. ثم رجع فأكلَ وشربَ وأَذْهَنَ وَأَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ. وقال جرير في امرأته:

[كامل]

لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ^(٢)
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا وَالطَّيِّبُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ

وقفت أعرابية على قبر أبيها فقالت: والله ما كان مَالُكَ لِعِرْسِكَ، وَلَا هُمُكَ لِنَفْسِكَ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

[طويل]

رَحِيبُ الذَّرَاعِ بِالتِّي لَا تَسِينُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاقَ بِهَا دَرْعَا^(٣)

(١) التَّوْرُ: إناء صغير يُتَوَضَّأُ بِهِ أَوْ يُشْرَبُ فِيهِ.

(٢) ورد هذا البيت دون الآخر في صحيفة ٣٠٩ من هذا الجزء.

(٣) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٣) كما ورد بالتفصيل خبر هذه المرأة في نفس

حدَّثني محمد بن داود عن الصَّلْت بن مسعود قال: كان سفيان بن عُيينة يستحسن شعرَ عديٍّ بن زيد^(١): [خفيف]

أين أهل الديار من قومِ نوحٍ ثم عادٌ من بعدهم وتُمُودُ؟
بينما هم على الأسرَّة والأند حاط أفضت إلى التراب الخدودُ
ثم لم ينْقُصِ الحديثُ ولكن بعد ذال الوعدُ كلُّه والوعيدُ
وأطباءُ بعدهم لِحَقُّوهم ضلَّ عنهم سَعُوطُهُم واللُّدودُ^(٢)
وصحيحٌ أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموتِ ممن يعودُ

أخذه عليُّ بن الجهم^(٣) فقال: [كامل]
كم من عليلٍ قد تخطَّاه الردى فنجا ومات طيبه والعُودُ

حدَّثني عبدة بن عبد الله قال: أخبرنا عُبيد الله بن موسى قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالِد عن عبد الملك بن عُمَيْر عن رَبِيعِ بن جِرَاش قال: أتيتُ أهلي فقيل لي: مات أخوك، فوجدتُ أخي مُسَجًى عليه بثوب، فأنا عند رأسه أترحم عليه وأدعوله إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه فقال: السلام عليكم، فقلنا: وعليكَ السلام، سبحان الله! بعد الموت! فقال: إني تُلَقِّتُ بَرُوحَ وَرِيحانٍ وربٍّ غيرِ غضبان، وكساني ثياباً من سندسٍ واستَبْرَقَ^(٤)، وإني وجدتُ الأمرَ

= المصدر والصفحة.

(١) هو عديُّ بن الرُّفَاع، وقد تقدّمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٥٠ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) السَّعُوطُ: الدواء الذي يُصَبُّ في الأنف. واللُّدودُ: ما يُصَبُّ من الداء في أحد شَفْئِي الفم، والجمع أُلْدَةٌ.

(٣) تقدّمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ١٠١ من هذا الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٤) الاستَبْرَقُ: الديباج الغليظ أو ديباج يُعْمَل بالذهب أو ثياب حرير صفاقٌ نحو الديباج، معرَّب استَرَوْه.

أيسر مما تظنون ولا تتكلموا؛ إني استأذنتُ ربي أن أخبركم وأبشركم، احملوني إلى رسول الله، فقد عهد إلي ألا أبرح حتى ألقاه ثم طفيء^(١).

حدثني أبو سهل عن علي بن محمد عن إسحاق بن منصور عن عمارة ابن زاذان عن ثابت أن مُطَرِّفاً كان يغدو على دابته بين المقام فأغفى فإذا أهل القبور جلوس على أشفاء^(٢) قبورهم يقولون: هذا مُطَرِّفُ يروح إلى الجمعة؛ قلت: هل تعرفون يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، وما تقول الطير في جوف السماء، يقولون: سلام، يوم صالح.

حدثني محمد بن عبيد قال: حدثنا سُفيان بن عُيينة عن أبي الزبير عن جابر قال: لما أراد معاوية أن تجري العين التي حفرها - قال سُفيان: تُسمى عين أبي زياد - نادوا بالمدينة: من كان له قتل فليأت قتيله؛ قال جابر: فأتيناهم فأخرجناهم رطاباً يتشنون، وأصابَت المِسْحاة رجلاً رجلاً منهم فأنفطرت^(٣) دماً. قال أبو سعيد الخدري: لا ينكر بعد هذا منكراً أبداً.

حدثني محمد بن عبيد قال: حدثنا ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال: أهل القبور يتوكفون^(٤) الأخبار فإذا أتاهم الميتُ سأله: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم! فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، سلك به غير سبيلنا.

حدثني عبد الرحمن العبدي عن جعفر بن أبي جعفر قال: حدثنا أبو جعفر السائح عن الربيع بن صبيح قال: شهدتُ ثابتاً البُناني يوم مات وشهده

(١) طفيء: همد وسكن.

(٢) أشفاء: ج شفا وهو حرف كل شيء وحده.

(٣) انفطرت دماً: سالت.

(٤) يتوكفون الأخبار: ينتظرونها ويسألون عنها.

أهل البصرة، فدخلت قبره أنا وحميد الطويل وأبو جعفر حسن مما يلي رأسه فلما ذهبْتُ أسوي عليه اللينة سقطت من يدي فلم أر في اللحد أحداً، وأصغى إليّ حميد أن أختطف صاحبنا وضع الناس فسوينا على اللحد وحثونا التراب؛ فلم يكن لحميد همّة حتى أتى سليمان بن علي وهو أمير على البصرة فأخبره، فقال: ما ينكر لله قدرة! إلا أني أنكر أن يكون أحد من أهل زماننا يفعل هذا به، فهل علم به أحد سواك؟ قال: نعم، الربيع بن صبيح وحسن؛ قال: عدلان مريضان، فبعث أمناء جيرانه فنبشوا عنه فلم يجدوه في قبره.

وحديثي أيضاً عن أعرابية كان يقال لها أم غسان مكفوفة وكانت تعيش بمغزلها وتقول: الحمد لله على ما قضى وأرتضى، رضيت من الله ما رضي لي، وأستعين الله على بيت ضيق الفناء قليل الكواء^(١) وأستعين الله على ما يطالع من نواحيه. وماتت جارة لها فقيل لها: ما فعلت جارتك؟ فقالت:

[متقارب]

تَقَسَّم جاراتُها بَيْتَها وصارت إلى بيتها الأثلد^(٢)

وقالت يوماً: إن تقبل الله مني صلاة لم يعدّني، فقيل لها: كيف ذلك؟ قالت: لأن الله، عز وجل، لا يشي في رحمته وحلمه، قال: وكنت سمعت حديث معاذ «من كُتِبَتْ له حسنة دخل الجنة» ولم أدر ما تفسيره حتى سمعت أم غسان تقول هذا، فعرفت تأويله.

الكبير والمشيب

حدثني أبو الخطاب قال: حدثنا أبو داود عن عبد الجليل بن عطية عن

(١) الكواء (بضم الكاف وكسرهما): ح كوة وهي الخرق في الحائط.

(٢) الأثلد: القديم، وهو نقيض الطارف.

شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَمْ يَخْضِبْهَا أَوْ يَنْتِفِهَا».

أَبُو حَاتِمٍ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ شَيْخٍ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ قَالَ: مَرَرْتُ بِالْبَادِيَةِ وَإِذَا شَيْخٌ قَاعِدٌ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِ، وَإِذَا فِي الْقُبُورِ رِجَالٌ كَأَنَّهُمُ الرَّمَاخُ يَدْفِنُونَ رَجُلًا وَالشَّيْخُ يَقُولُ:

أُحْثُوا عَلَى الدَّيْسَمِ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى قَدِّمُوا أَبِي رَبُّكَ إِلَّا مَا تَرَى^(١)

فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ الْمَيِّتُ؟ فَقَالَ: ابْنِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ الَّذِينَ يَدْفِنُونَهُ؟ قَالَ: بَنُوهُ.

حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: دَخَلَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ الْمَسْجِدَ يُهَادِي^(٢) بَيْنَ اثْنَيْنِ مِنَ الْكَبَرِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ يَتَّهِمُهُ عَلَى مَوَدَّتِهِ: بَلَغْتَ مَا أَرَى يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! قَالَ: هُوَ مَا تَرَى فَلَا بَلَغْتَهُ. وَنَحْوَهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [مخلع البسيط]

يَا عَائِبَ الشَّيْبِ لَا بَلَغْتَهُ

وَيُقَالُ فِي الزُّبُورِ: «مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ أَشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ». وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَبَّانَ الْبُيْهَقِيُّ: لَا تَسْأَلْ نَفْسَكَ الْعَامَ مَا أَعْطَتْكَ فِي الْعَامِ الْمَاضِي.

رَأَى ضَرَارَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الضَّبِّيِّ لَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ ذِكْرًا قَدْ بَلَغُوا فَقَالَ: مَنْ سَرَّهُ بَنُوهُ سَاءَتْهُ نَفْسُهُ.

قال ابن أبي فتن: [بسيط]

(١) الدَّيْسَمُ: الثَّلَعْبُ أَوْ وَلَدُ الذَّنْبِ مِنَ الْكَلْبَةِ. وَفِي اللِّسَانِ مَادَّةُ (دَسَمَ) يَنْسَبُ ابْنُ مَنْظُورٍ هَذَا الْبَيْتَ لِابْنِ دَرِيدٍ عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي:

أَخْشَى عَلَى دَيْسَمٍ مِنْ بَرْدِ الثَّرَى أَبَى قِضَاءِ اللَّهِ إِلَّا مَا تَرَى
وَدَيْسَمٌ هُنَا أَسْمٌ.

(٢) يُهَادَى: يَمْشِي بَيْنَهُمَا مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا لَضَعْفِهِ.

من عاش أخلقت الأيام جدته وخانه الثقتان السَّمْع والبَصَرُ
قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها إِنَّ الشَّابَّ جُنُونٌ بُرْؤُهُ^(١) الْكِبَرُ

أبو عبيدة قال: قيل لشيخ: ما بقي منك؟ قال: يسبقني مَنْ بين يدي،
ويُدركني مَنْ خلفي، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملا،
وأسهر في الخلا، وإذا قمتُ قربت الأرض مني، وإذا قعدتُ تباعدت عني؛
قال الشاعر:

[بسيط]

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها إِنَّ الشَّابَّ جُنُونٌ بُرْؤُهُ الْكِبَرُ^(٢)

قال عبد الملك بن مروان للعريان^(٣) بن الهيثم: كيف تجدك؟^(٤) قال:
أجدني قد أبيض مني ما كنتُ أحبُّ أن يسودَّ وأسودَّ مني ما كنتُ أحبُّ أن
يبيضَّ وأشدَّ مني ما أحبُّ أن يلين ولان مني ما أحبُّ أن يشتدَّ وقال: [رجز]

سَلَنِي أَنْيْتُكَ بآيَاتِ الْكِبَرِ نَوْمُ الْعِشَاءِ وَسُعَالُ السَّحَرِ
وَقِلَّةُ النَّوْمِ إِذَا اللَّيْلُ أَعْتَكَّرَ وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ
وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيحُ النَّظَرِ وَتَرْكُ الْحَسَنَاءِ فِي قُبْلِ الطُّهْرِ^(٥)
وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا تُبْلَى الشَّجَرُ

[طويل]

وقال حميد بن ثور^(٦):

(١) بُرْؤُهُ: سفاؤه.

(٢) هو نفس بيت ابن أبي قُتَن السابق الذكر.

(٣) لم أقف للعريان على ترجمة.

(٤) أي كيف تجد نفسك.

(٥) التَّحْمِيحُ: تصغير العين لتمكينها من النظر أو إدامة النظر مع فتح العينين. والقُبْلُ: نقيض الدُّبُرِ، سَمِّيَ بِهِ لِأَن صَاحِبَهُ يَقَابِلُ بِهِ غَيْرَهُ. وَطُهْرُ: نقيض النجاسة؛ طَهَّرَتِ الْمَرْأَةُ وَطَهَّرَتْ: إنقطع دمها وأغتسلت من الحيض وغيره.

(٦) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٤ من ص ٨٢ من هذا الجزء، كما تقدم ذكر بيته الشعري في صحيفة ١٩١ من الجزء المذكور.

أرى بصري قد رايتني بعد صحة وحسبك داءً أن تصح وتسلما

وقال الكمي^(١):

[منسرح]

لا تبغيط المرء أن يقال له أمسى فلان لسنه حكما
إن سره طول عمره فلقد أضحى على الوجه طول ما سلما

وقال النير بن توب^(٢):

[طويل]

يؤد الفتى طول السلامة والغنى
كيف ترى طول السلامة يفعل؟

وقال آخر:

[كامل]

كانت قناتي لا تليق لغامز
فألانها الإصباح والإمساء
ودعوت ربّي بالسلامة جاهداً
ليُصحني فإذا السلامة داء^(٣)

وقال أبو العتاهية:

[رجز]

أسرع في نقص أمريء تمامه^(٤)

وقال عبد الحميد الكاتب^(٥):

[متقارب]

- (١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٣٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
- (٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٢٣٨ من الجزء الأول من هذا الكتاب.
- (٣) ورد هذان البيتان في العقد الفريد (ج ٣ ص ٥٨) ونسبهما المحقق لعمر بن قميته، معتمداً في ذلك على كتاب زهر الآداب. وقد ترجم له في المؤلف والمختلف ص ١٦٨ فقال: هو عمرو بن قميته بن ذريح بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، الشاعر المشهور. دخل بلد الروم مع امرئ القيس بن جحر فهلك فقبل له عمرو الضائع.
- (٤) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٥٨) أن هذا الشعر يروي أيضاً للقمامي.
- (٥) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، عالم بالأدب وأحد أئمة الكتاب عرف بالكاتب وضرب به المثل في البلاغة. إختص بمزوان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق. ويقال: «فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد وهو أول من أطلال الرسائل واستعمل التحييدات في فصول الكتب. قتل هو ومروان بن محمد على يد العباسيين سنة ١٣٢ هـ. راجع الأعلام ج ٣ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

ترحل ما ليس بالقافل وأعقب ما ليس بالآئل
 فلهفي من الخلف النازل ولهفي على السلف الراحل
 أبكي على ذا وأبكي لذا بكاء المولّهة الشاكل
 تبكي من ابن لها قاطع وتبكي على ابن لها واصل
 تقضت غوايات سكر الصبا وردّ الثقي عند الباطل

محمد بن سلام الجمحي عن عبد القاهر بن السري قال: كتب الحجاج
 إلى قتيبة بن مسلم: إني نظرت في سنك فوجدت لك لذتي^(١) وقد بلغت
 الخمسين وإنّ أمراً سار إلى منهل خمسين عاماً لقريب منه. فسمع به الحجاج
 ابن يوسف التيمي فقال:

إذا كانت السبعون سنك لم يكن لدائك إلا أن تموت طيباً
 وإنّ أمراً قد سار سبعين حجة إلى منهل من ورده لقريب
 إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
 إذا ما آنقضى القرن الذي أنت منهم وخلفت في قرن فانت غريب
 وقال لبيد^(٢):

أليس ورائي إن تراخت مئيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
 أخبر أخبار القرون التي مضت^(٣) أدب^(٤) كآني كلما قمت راکع
 وقال آخرون مثله:

حتني حانيات الدهر حتى كآني خائل يدنو لصيد

(١) لذة الرجل: يزيه وهو الذي ولّد معك.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ١٤٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب. وقال ابن عبد ربه في العقد (ج ٢ ص ٧٨) إن لبيد قال هذا الشعر عندما بلغ من العمر عشرين ومائة سنة.

(٣) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٧٨): «التي خلت».

(٤) في العقد الفريد (ج ٢ ص ٧٨): «أنوء».

وقيل لرجل من الحكماء: مالك تَدْمِنُ إِمساكَ العصا ولست بكبير ولا مريض؟ فقال: لأذكرَ أني مسافر؛ قال الشاعر:

[طويل]

حملتُ العصا الضعْفُ أوجبَ حملها عليّ ولا أني تَحَنُّيتُ من كبر
ولكنني ألزمتُ نفسي حملها لأعلمها أن المقيم على سَفَرٍ
ومرَّ شيخ من العرب بـغلامٍ فقال له الغلام: أَحَصَدْتَ^(١) يا عمّاه فقال: يا بني، وتُخَضَّرُونَ^(٢).

قال الحسنُ في موعظة له: يا معشر الشيوخ، الزرعُ إذا بلغ ما يُصْنَعُ به؟ قالوا: يُحْصَدُ قال: يا معشر الشباب، كم مِنْ زرعٍ لم يبلغ أدركته آفة، قال الشاعر:

[كامل]

الدَّهْرُ أبلاني وما أَبْلَيْتُهُ والدَّهْرُ غَيَّرني وما يَتَغَيَّرُ
والدَّهْرُ قَيَّدني بخيطٍ مُبْرَمٍ فمَشَيْتُ فيه وكلُّ يومٍ يَقْصُرُ

[طويل]

وقال عُمارة^(٣) بن عَقِيل:

وأدرَكْتُ مِلءَ الأرضِ ناسا فأصبحوا كأهل الدِّيارِ قَوْضُوا فتَحَمَّلُوا
وما نحن إلا رُفْقَةٌ قد تَرَحَّلْتُ وأخرى تُقْضِي حاجَها وتَرَحَّلُ^(٤)

ذكر أعرابيُّ الشَّيْبَ فقال: والله لقد كنتُ أنكرُ الشَّعْرَةَ البيضاءَ فقد صرْتُ أنكرُ السوداء، فإيا خيرَ بَدَلٍ ويا شرَّ مبدول. وقال بعض الشعراء: [خفيف]

(١) أَحَصَدْتَ: آن لك أن تحصد.

(٢) يُخَضَّرُونَ: تموتون؛ يقال: اختضر الشاب: مات في شبابه وريعانه كما يُخَضَّرُ العود. انظر لسان العرب مادة (خضر).

(٣) عُمارة بن عَقِيل اليربوعي شاعر فصيح، قدم من اليمامة فمدح خلفاء بني العباس ولا سيما المأمون، وبقي إلى أيام الواثق ومدحه. وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه.

توفي سنة ٢٣٩ هـ. راجع معجم الشعراء ص ٢٤٧ - ٢٤٨ والأعلام ج ٥ ص ٣٧.

(٤) ورد هذا الشعر في معجم الشعراء ص ٢٤٧ وجاء فيه: «ثم تَرَحَّلُ» بدل «وترحَّل».

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مَشْيَبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
وَكَذَاكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بؤْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَانَعُ الْأَجْسَادِ
طَالَ إِنكَارِي الْبَيَاضَ فَإِنْ عُدَّ مِرْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

رَأَى إِيَّاسُ بْنُ قَتَادَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ فِي لَحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَرَى الْمَوْتَ يَطْلُبُنِي
وَأُرَانِي لَا أَفُوتُهُ، أَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ فُجَاءَاتِ الْأُمُورِ، يَا بَنِي سَعْدِ، قَدْ وَهَبْتُ
لَكُمْ شَبَابِي فَهَبُوا لِي شَيْئِي، وَلَزِمَ بَيْتَهُ.

قال قيس بن عاصم: الشيب خطام^(١) المنيّة.

قال آخر: الشيب يريد الحمام.

قال آخر: الشيب تؤام الموت.

قال آخر: الشيب تاريخ الموت.

قال آخر: الشيب أول مراحل الموت.

قال آخر: الشيب تمهيد الحمام.

قال آخر: الشيب عنوان الكبير.

قال عبيد^(٢) بن الأبرص: [مخلع البسيط]

وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَنْ يَشِيبُ

ويقال: شَيْبَ الشَّعْرَ مَوْتُ الشَّعْرِ، وَمَوْتُ الشَّعْرِ عِلَّةُ مَوْتِ الْبَشَرِ. قال

الشاعر: [طويل]

وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ فَوَقَّرَنِي عَنْهُ الْمَشْيَبُ وَأَدْبَأُ
فَسَقِيّاً وَرَعِيّاً لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْمَشْيَبِ وَمَرْحَباً

(١) خطام المنيّة: جبل الموت.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ١ من ص ٧٢ من هذا الجزء.

وقال أعرابي - ويقال هي لأبي دُلف^(١) :- [بسيط]

في كل يوم من الأيام نابتة كأنما نبتت فيه على بصري
لئن قرضتُك بالمقراض عن بصري لما قرضتُك عن همِّي ولا فكري

وقال أعرابي : [طويل]

أرى الشَّيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائباً يدبُّ ديببَ الصبح في عَسَقِ الظُّلَمِ
هو السُّمُّ إلا أنه غيرُ مؤلمٍ ولم أرَ مثلَ الشَّيبِ سُمًّا بلا أَلَمِ

وقال آخر^(٢) : [كامل]

قَصَرَ الحَوَادِثُ^(٣) خطوهُ فتدَانِي وَحَنَيْنَ صَدَرَ^(٤) قَنَاتِهِ فَتَحَانِي
صَحِبَ الزَّمَانَ عَلَى آخْتِلَافِ فُنُونِهِ فَأَرَاهُ مِنْهُ شِدَّةً وَلَيَانَا
مَا بَالُ شَيْخٍ^(٥) قَدْ تَخَدَّدَ لَحْمُهُ أَنْضَى^(٦) ثَلَاثَ عَمَائِمِ الْوَانَا
سُودَاءَ دَاجِيَةٍ^(٧) وَسَحَقَ مُقَوِّفٍ وَأَجَدُّ أُخْرَى^(٨) بَعْدَ ذَاكَ هِجَانَا
ثُمَّ الْمَمَاتُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَكَأَنَّمَا يُعْنَى بِذَاكَ سِوَانَا^(٩)

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٦ من ص ١٩٣ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) ذكر ابن عبد ربه في العقد (ج ٣ ص ٥٩) أربعة أبيات من هذا الشعر.

(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «الليالي» بدل «الحوادث».

(٤) في نفس المصدر السابق والصفحة: «قائم صُلْبِهِ» بدل «صدر قناته».

(٥) في نفس المصدر السابق والصفحة: «يا من لشيخ» بدل «ما بال شيخ».

وتخدد لحمه : هزل ونقص.

(٦) في نفس المصدر السابق والصفحة: «أفنى» بدل «أنضى» وهما بمعنى واحد؛ أي أبلى وأخلق.

(٧) في نفس المصدر السابق والصفحة: «حالكة» بدل «داجية». والسَّحَقُ: الثوب البالي. والمُقَوِّف من البرود: ما فيه خطوط بيض يُشَبَّه به شعر الرأس حين يخالط سواده بياض الشيب أول ما يبدو.

(٨) في نفس المصدر السابق والصفحة: «لوناً» بدل «أخرى». والهيجان: الخالص البياض.

(٩) في نفس المصدر السابق والصفحة: ورد صدر هذا البيت هكذا:
والموت يأتي بعد ذلك كله.

[بسيط]

وقال آخر يذكر الشباب :

وكان كالميت لم يترك له عَقْبًا
وَصَلَ الْغَوَانِي وَعَابَ الشَّيْبَ مَنْ لَعِبَا

لما مضى ظاعناً^(١) عنا فودّعنا
عُدْنَا إِلَى حَالَةٍ لَا نَسْتَطِيعُ لَهَا

[مجزوء المتقارب]

وقال محمود الوراق^(٢) :

وَبُعْدِ فَوَاتِ الْأَمَلِ
بَعُقْبِ شَبَابٍ رَحَلَ
وَشَيْبُ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ
وَجَاءَ بِشِيرُ الْأَجَلِ
كَذَاكَ أَتَقَالُ الدُّوَلُ^(٣)

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ
وَوَافِدِ شَيْبٍ طَرَا^(٤)
شَبَابُ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ
طَوَاكَ بِشِيرُ الْبَقَا^(٥)
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِبًا

[طويل]

وقال أبو الأسود^(٦) يذمُّ الشباب :

وكان كجارٍ بَانَ يوماً فودّعَا
قتلتك علماً قبل أن تتصدّعَا
عليه فبُشَسَ الْخَلَّتَانِ هُمَا مَعَا
رَهِينَةً مَا أَجْنِي مِنَ الشَّرِّ أَجْمَعَا

غدا منك أسبابُ الشبابِ فأسرعا
فقلتُ له فاذْهَبْ ذَمِيمًا فليتنِي
جنيتُ عليّ الذَّنْبَ ثم خذلتني
وكنتُ سَرَابًا مَا ضَمَحَا^(٧) إِذْ تَرَكْتَنِي

[كامل]

وقال آخر :

اسْتَكْرَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الْمَشَيْبُ بِنَاقِصٍ عُمْرِي

(١) ظاعناً: سائراً؛ يقال: ظعن الرجل يَظْعُنُ: سار.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٨٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٣) طَرَا: أتى من مكان بعيد؛ قيل: أصله طَرَا بالهمزة.

(٤) طواك: جاوزك. والبقا: البقاء فحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(٥) وردت هذه الأبيات، خلا الأخير في العقد الفريد (ج ٣ ص ٤١ - ٤٢).

(٦) هو أبو الأسود الدؤلي وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٧ من هذا الجزء.

(٧) مَا ضَمَحَا: ما بَدَا وظهر.

وَتَنَفَّسْتُ بِي هِمَّةً وَصَلْتُ أَمَلِي بِكُلِّ رَفِيعَةٍ الذِّكْرِ

روى عبد الله بن حَفْص الطاجي عن زكريا بن يحيى بن نافع الأزدي
عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اخْضِبُوا بالسَّوَادِ، فإنه أنسُ
للنساء وهَيِّئِ للعدوِّ. قال عمرُ بن المبارك^(١) الخزاعي: [مجزوء الرمل]

مَنْ لَأَذْنِي بِمَلَامٍ	وَلِكَفِّي بِمُدَامٍ
دَقَّ عَظْمُ الْجَهْلِ مِنِّي	وَأَنْشَى سِنَّ عُرَامِي ^(٢)
وَتَمَشَّى الْفَدُّ مِنْ شَيْءٍ	بِي إِلَى الشَّيْبِ التَّوَامِ ^(٣)
نَظَّمَكِ الدَّرَّ إِلَى الدُّ	رَّةَ فِي سِلْكِ النِّظَامِ

وقال أبو العتاهية: [متقارب]

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّيَابِ الْمَشِيبُ	وَنَادَتْكَ بِأَسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ
فَكُنْ مُسْتَعْدًّا لِدَاعِي الْمَنُونِ	فَكُلُّ الَّذِي هُوَ آتٍ قَرِيبُ
وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضِ الطَّبِيبُ	فِعَاشُ الْمَرِيضِ وَمَاتِ الطَّبِيبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ يَتُوبُ	فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ؟

محمد بن سلام قال: سمعتُ يونس بن حبيب يقول: لا يَأْمَنُ مَنْ قَطَعَ
في خمسةِ دراهم خَيْرَ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُهُ هَكَذَا غَدًا.

الدنيا

حدَّثني أبو مسعود الدارمي قال: حدَّثني جَدِّي خِرَاشٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ

(١) لم أقف له على ترجمة.

(٢) العُرَامُ: الشَّدة والقوة.

(٣) الْفَدُّ: الْفَرْد. وَالتَّوَامُ: جِ تَوَامٍ، وَأَصْلُهُ الْمَوْلُودُ مَعَ غَيْرِهِ فِي بَطْنٍ، وَيَسْتَعَارُ لِلْمَزْدُوجَاتِ كَمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ.

مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ وَسَدَمَهُ^(١) نَزَعَ اللَّهُ الْغِنَى مِنْ قَلْبِهِ، وَصَيَّرَ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ أَصْبَحَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ وَسَدَمَهُ نَزَعَ اللَّهُ الْفَقْرَ مِنْ قَلْبِهِ وَصَيَّرَ الْغِنَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ».

حدَّثني محمد بن داود قال؛ حدَّثنا أبو الربيع عن حماد عن علي بن زيد عن الحسن أن النبي ﷺ قال للضحَّاك بن سفيان: «ما طَعَامُكَ؟» قال: «اللحمُ واللبنُ»، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: «ثم يصيرُ إلى ما قد عَلِمْتَ، قال: «فإن الله ضربَ ما يخرجُ من آبن آدم مثلاً للدُّنْيَا» قال: وكان بشيرُ بنُ كعبٍ يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه: انطلقوا حتى أريكم الدُّنْيَا، فيجي فيقفُ بهم على الشُّوقِ، وهي يومئذ مَرْبَلَةٌ، فيقول: انظروا إلى عَسَلِهِمْ وَسَمْنِهِمْ وإلى دَجَاجِهِمْ وبَطْنِهِمْ صار إلى ما تَرَوْنَ.

حدَّثني هارون بن موسى قال: حدَّثنا محمد بن سعيد القزويني عن عمر ابن أبي قيس عن هارون بن عنترة عن عمرو بن مرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٢) فقال: «إذا دخل النور القلبَ وأنفسحَ شُرحٌ لذلك الصدرُ»؛ قالوا: يا نبي الله، هل لذلك آيةٌ يُعرفُ بها؟ قال: «نعم الإنابةُ إلى دار الخلود والتَّجَافِي عن دار الغرور والاستعدادُ للموت قبل نُزول الموت».

بلغني عن العُتَيْبِيِّ عن حبيب العدوي عن وهب بن منبه قال: رأينا ورقةً يَهْفُو بها الريحُ فأرسلنا بعضَ الْفِتْيَانِ فأتانا بها فإذا فيها: الدنيا دارٌ لا يُسَلَّمُ منها

(١) السَّدَمُ: الولوج بالشيء.

(٢) سورة الأنعام ٦، آية ١٢٥. أي أن يقذف في قلبه نوراً فيفسح له ومن يهتدي إلى الإسلام يأخذ الله بيده.

إلا فيها، ما أخذ أهلها منها لها خرجوا منه ثم حوسبوا به، وما أخذ منها أهلها غيرها خرجوا منه ثم أقاموا فيه، وكأن قوماً من أهل الدنيا ليسوا من أهلها، هم فيها كمن ليس فيها، عملوا بما يُبصرون وبأدروا ما يحذرون، تتقلب أجسادهم بين ظهراني أهل الدنيا، وتتقلب قلوبهم بين ظهراني أهل الآخرة، يرون الناس يُعظمون وفاة أجسامهم وهم أشد تعظيماً لموت قلوب أحيائهم. فسألت عن الكلام فلم أجد من يعرفه.

وقال المسيح عليه السلام: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها»

وفي بعض الكتب: أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا «من خدمني فأخدميه، ومن خدمك فاستخدميه».

قال بعض العابدين يذكر الدنيا: [طويل]

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلة ما بعدها متحول^(١)
فساخط أمر لا يبدل غيره وراض بأمر غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه ومختلج^(٢) من دون ما كان يأمل

وقال آخر يذكر الدنيا: [بسيط]

حتوفها رصد وعيشها رنق وكثرها نكد وملئها دؤل^(٣)

وقال آخر^(٤): [طويل]

(١) وردت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٥).

(٢) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «ومخترم» بدل «ومختلج».

(٣) رصد؛ مترصدة مترقبة. ورنق: كدر.

(٤) أورد ابن عبد ربه هذا الشعر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٦) وقال: «وما سمعت من صفة الدنيا والسبب الذي يجبها الناس لأجله بأبلغ من قول القائل وذكر البيتين. والمعنى: يريد أن الناس بنو الدنيا وأنهم منها، ولهذا كانت محبة إليهم».

نُرَاعُ لذكر الموت ساعةً ذكره وتَعْتَرِضُ الدنيا فَنَلْهُو ونلعبُ^(١)
ونحن بنو الدنيا خُلِقْنَا لغيرها وما كُنْتَ منه فهو شيءٌ مُحَبَّبُ
وقال يحيى بن خالد: دخلنا في الدنيا دُخُولاً أخرجنا منها.

ذمُّ رجلٍ الدنيا عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال عليّ عليه السلام: الدنيا دارٌ صِدْقٍ لِمَن صَدَّقَهَا، ودارٌ نَجاةٍ لِمَن فَهِمَ عنها، ودارٌ غِنًى لِمَن تَزَوَّدَ منها، مَهْبطٌ وحي الله، ومُصَلَّى ملائكته، ومَسْجِدُ أنبيائه، ومَتَجَرُّ أوليائه، رَبُّحُوا منها الرحمةَ وأَحْتَسَبُوا فيها الجنةَ؛ فمن ذا يذمُّها وقد آذَنْتَ بينها ونادَتْ بفراقها وشَبَّهَتْ بسرورها السَّروَرَ وبيلائها البلاءَ ترغيباً وترهيباً؛ فيأَيُّها الدَّامُ الدنيا المَعْلَلُ نفسَه، متى خَدَعَتْكَ الدنيا أم متى آسَدَمَتْ^(٢) إليك؟ أَمِصَّارِعَ آبائك في البلى أم بِمَضاجِعِ أمهاتك في الثرى؟ كم مَرَضْتَ بيديك، وَعَلَلْتَ بِكَفَيْكَ، تَطَلَّبُ له الشفاء، وتَسْتوصِفُ له الأطباء، غداة لا يُغْنِي عنه دواؤك، ولا يَنْفَعُكَ بكاؤك.

كان إبراهيم^(٣) بن أدهم العجلي يقول:

[طويل]

نُرَقِّعُ دُنيانا بَتَمْزِيقِ دِينِنا فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نُرَقِّعُ^(٤)
قال أبو حازم: وما الدنيا! أمّا ما مضى فحُلُمٌ وأمّا ما بقي فأَمَانِيٌّ.
قال سفيان:

(١) ورد صدر هذا البيت في نفس المصدر السابق والصفحة هكذا:

نُرَاعُ بِذِكرِ الموت في حين ذِكرِهِ

(٢) اسْتَدَمَّتْ إليك: فعلت ما تَذمُّ عليه.

(٣) إبراهيم بن منصور التميمي البلخي زاهد مشهور، توفي سنة ١٦١ هـ. الأعلام ج ١

ص ٣١.

(٤) ورد هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٦).

أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من الأنبياء «اتَّخِذِ الدُّنْيَا ظَنُرًا»^(١) وَالْآخِرَةَ أُمًّا». قال الشعبي: «^(٢) ما أعلم لنا وللدنيا مثلاً إلا ما قال كثيرٌ. [طويل] أَسِيْبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةٌ إِنْ تَقَلَّتْ^(٣) قال بكر بن عبد الله: المستغني عن الدنيا بالدنيا كالْمَطْفِئِ النَّارَ بِالتُّبْنِ.

قال ابن مسعود: الدنيا كلها غمومٌ، فما كان فيها من سرورٍ فهو ربح. قال محمد بن الحنفية: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا. وقال بعضُ الحكماء: مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَثَلُ رَجُلٍ لَهُ ضَرَّتَانِ إِنْ أَرْضَى إِحْدَاهُمَا أَسْخَطَ الْآخَرَى.

قال سفيان: ترك لكم الملوكُ الحِكْمَةَ فَاتَرَكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا. وقال آخر: إِنْ الدُّنْيَا قَدْ أَسْتَوْدَقَتْ وَأَنْعَطَ النَّاسُ^(٤). قال وهيبُ بن الورد: مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا فَلْيَتَّهَبْ لِلذَّلِّ. قيل لمحمد بن واسع: إِنَّكَ لَتَرْضَى بِالذُّونِ؛ فقال: إِنَّمَا رَضِيَ بِالذُّونِ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا. قيل لعليِّ بن الحسين: مَنْ أَعْظَمُ النَّاسُ خَطَرًا؟ فقال: مَنْ لَمْ يَرَ الدُّنْيَا خَطَرًا لِنَفْسِهِ.

كان يقال: لَأَنْ تُطَلَّبَ الدُّنْيَا بِأَقْبَحِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا أَحْسَنُ مِنْ أَنْ تُطَلَّبَ بِأَحْسَنِ مَا تُطَلَّبُ بِهِ الْآخِرَةُ.

-
- (١) الظَّنُّ: العاطفة على ولد غيرها المُرْصِعة له من الناس والإبل.
 (٢) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٦): «وقال الشعبي: ما رأيت مثلاً ومَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَا قَالَ كَثِيرٌ غَزَّةً وَأُورِدَ الْبَيْتَ الْمَذْكُورَ.
 (٣) تَقَلَّتْ: تَبَغَضَتْ، وفيه ألفاظٌ من الخطاب إلى الغيبة.
 (٤) يقال: وَدَقَتِ الْفَرَسُ تَدِيقًا وَدَقًا وَأَسْتَوْدَقَتْ إِذَا طَلَبَتْ الْفَحْلَ. وَأَنْعَطَ النَّاسُ: قَامُوا وَأَنْتَشَرُوا؛ يقال: أَنْعَطَتِ الْمَرْأَةُ: شَبِقَتْ وَأَشْتَهَتْ أَنْ تَجَامَعَ.

قالت امرأة لبعليها ورائته مهموماً: مِمَّ هُمُكَ؟ أبالدنيا فقد فرغ الله منها أم بالآخرة فزادك الله همّاً!

الثوري قال: قال المسيح: «حُبُّ الدنيا أصلُ كُلِّ خطيئةٍ والمالُ فيها داءٌ كثيرٌ؛ قيل: ما دأؤه؟ قال: لا يَسْلُمُ صاحبه من الفخر والكبر؛ قيل: وإن سَلِمَ؟ قال: يَشْغَلُهُ إصلاحُهُ عن ذكر الله.»

بلغني عن محمد بن فضيل قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء قال: يَأْهَلُ جِمَصَ، مالي أراكم تَجْمَعُونَ كثيراً، وَتَبْنُونَ شَدِيداً، وَتَأْمَلُونَ بَعِيداً؟ إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ جَمَعُوا كَثِيراً وَبَنَوْا شَدِيداً وَأَمَلُوا بَعِيداً فَصَارَ جَمْعُهُمْ بُوراً وَصَارَتْ مَسَاكِنُهُمْ قُبُوراً وَأَمْلُهُمْ غُرُوراً. وفي رواية أخرى: يَأْهَلُ دِمَشْقَ، مَا لَكُمْ تَجْمَعُونَ مَا لَا تَأْكُلُونَ، وَتَبْنُونَ مَا لَا تَسْكُنُونَ، وَتَأْمَلُونَ مَا لَا تُدْرِكُونَ؟ أَلَا إِنْ عَادَا وَثَمُودَ كَانُوا قَدْ مَلَأُوا مَا بَيْنَ بُصْرَى وَعَدَنَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَنَعَمًا، فَمَنْ يَشْتَرِي مِنِّي مَا تَرَكُوا بِدَرَاهِمِينَ؟

بلغني^(١) عن داود بن المحبر عن عبد الواحد بن الخطاب قال: أَقْبَلْنَا قَافِلِينَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ نُرِيدُ الْبَصْرَةَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَجِمَصَ، سَمِعْنَا^(٢) صَائِحاً يَصِيحُ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الرَّمَالِ - سَمِعْتُهُ الْأَذَانُ وَلَمْ تَرَهُ الْعَيُونَ - يَقُولُ: يَا مُسْتَوْرُ يَا مُحَفُوظُ، اغْقِلْ^(٣) فِي سِتْرٍ مَنْ أَنْتَ! فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْقِلُ مَنْ أَنْتَ فِي سِتْرِهِ فَاتَّقِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا جَمَى اللَّهِ؛ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْقِلُ كَيْفَ تَتَّقِيهَا فَصَيِّرْهَا شَوْكاً ثُمَّ أَنْظِرْ أَيْنَ تَضَعُ قَدَمَيْكَ مِنْهَا!.

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٤) باختصار واختلاف عما هنا.

(٢) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «سمعنا صوتاً من تلك الجبال، تسمعه آذاننا ولا تُبْصَرُهُ أبصارنا».

(٣) في نفس المصدر السابق والصفحة: «انظر» بدل «اغْقِل».

قال المأمون^(١): لو سُئِلَت الدنيا عن نفسها ما أَحَسَّتْ أن تصفَ نفسها
صِفَةً أَبِي نُوَّاسٍ فِي هَذَا الْبَيْتِ:
[طويل]
إِذَا اخْتَبَرَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
قال المسيح عليه السلام: «أنا الذي كَفَأْتُ الدُّنْيَا عَلَى وَجْهَيْهَا، فَلَيْسَتْ
لِي زَوْجَةٌ تَمُوتُ وَلَا بَيْتٌ يَخْرُبُ».

قال أبو العتاهية:
[بسيط]
يَا مَنْ تَرَفَّعَ لِلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا لَيْسَ التَّرَفُّعُ رَفَعَ الطِّينَ بِالطِّينِ
إِذَا أَرَدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلَّهُمْ فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينٍ
وقال آخر وذكر الدنيا:
[مقارب]
إِذَا تَمَّ أَمْرُ دُنَا نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ
وقال آخر:
[سريع]
لَا تَبْكِ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا وَأَبْكِ لِيَوْمِ تَسْكُنُ الْحَافِرَةَ^(٢)
وَأَبْكِ إِذَا صِيحَ بِأَهْلِ الثَّرَى فَاجْتَمَعُوا فِي سَاحَةِ السَّاهِرَةِ^(٣)

(١) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «وقال هارون الرشيد: لو قيل للدنيا صفي لنا نفْسكِ، وكانت ممن ينطق، ما وصفت نفسها بأكثر من قول أبي نواس:
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
ومما النباس إلا هالك وأبن هالك وذو نسب في الهالكين عريتي
وفي ديوان أبي نواس (ص ٦٢١) تحت عنوان (في التراب): «إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا وَجَاءَ الْبَيْتُ
الثاني هكذا:

أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَأَبْنِ هَالِكٍ وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيَّتِي

(٢) الحافرة: الأرض التي تحفر فيها قبورهم، سمّاها بذلك والمراد المحفورة.
(٣) الساهرة: الأرض البيضاء، وقيل: اسم لجهم، وهذا أقرب لقول الله تعالى في سورة
النازعات ٧٩ الآية رقم ١٤ ﴿إِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي أنكروا جهنم فإذا هم منها في الأعماق.
راجع التفسير المبين لمحمد جواد مغنّية. وقال ابن منظور في لسان العرب مادة (سهر):
الساهرة هي الأرض التي لم تُوطأ، وقيل: هي أرض يجدها الله يوم القيامة.

وَيْلَكَ يَا دُنْيَا لَقَدْ قَصَّرْتَ آمَالَ مَنْ يَسْكُنُكَ الْآخِرَةَ

مقامات الزُّهَّاد عند الخلفاء والملوك

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

قام^(١) فقال: إِنَّهُ لَمَّا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوَصُولِ إِلَيْكَ، قُمْنَا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِظْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ عِنْدَ انْقِطَاعِ عُذْرِ الْكِتْمَانِ، وَلَا سِيَّما حَتَّى اتَّسَمَتْ بِمَيْسَمِ التَّوَاضُعِ، وَوَعَدَتْ اللَّهَ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِثَارَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهُ، فَجَمَعَنَا وَإِيَّاكَ مَشْهُدٌ مِنْ مَشَاهِدِ التَّمَحِيصِ لِيُتِمَّ مُؤَدِّيْنَا عَلَى مَوْعُودِ الْأَدَاءِ وَقَابِلُنَا عَلَى مَوْعُودِ الْقَبُولِ، أَوْ يَزِيدَنَا تَمَحِيصُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْتِلَافِ السَّرِّ وَالْعِلَانِيَةِ، وَيُحْلِلِنَا جِلِيَّةَ الْكَذَّابِينَ، فَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: مَنْ^(٢) حَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ الْعِلْمَ عَذَّبَهُ عَلَى الْجَهْلِ، وَأَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ وَأَدْبَرَ عَنْهُ، وَمَنْ أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْهِ عِلْمًا فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَقَدْ رَغِبَ عَنْ هَدْيَةِ اللَّهِ وَقَصَّرَ بِهَا، فَأَقْبَلَ مَا أَهْدَى اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ أَلْسِنَتِنَا قَبُولَ تَحْقِيقٍ وَعَمَلٍ لَا قَبُولَ سَمْعَةٍ وَرِيَاءٍ، فَإِنَّهُ لَا يَعْدَمُكَ مِنَّا إِعْلَامٌ لِمَا تَجَهَّلُ أَوْ مَوَاطِئُ عَلَى مَا تَعْلَمُ أَوْ تَذَكِيرٌ مِنْ غَفْلَةٍ؛ فَقَدْ وَطَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَزُولِهَا تَعْزِيَةً عَمَّا فَاتَ وَتَحْصِينًا مِنَ التَّمَادِي وَدَلَالَةً عَلَى الْمَخْرَجِ، فَقَالَ: ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ

(١) ورد خبر صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٨ - ١٥٩). أكثر اختصاراً عما هنا.

(٢) في المصدر السابق ص ١٥٨: «وقد جاء في الأثر: مَنْ حَجَبَ اللَّهُ... الخ» أي أن جملة «وقد جاء في الأثر» مزيدة.

عليهم^(١)؛ فأطاع الله على قلبك بما يُتَوَرَّه من إثارة الحقِّ ومُنابذة^(٢) الأهواء. ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

مقام رجل من الزهاد^(٣) بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف^(٤) ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ظهورَ البغي والفساد في الأرض، وما يحولُ بين الحقِّ وأهله من الطمع. فخرج المنصورُ فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعوه. فصلَّى الرجلُ ركعتين وأستلمَ الركنَ وأقبل مع الرسول فسلمَ عليه بالخلافة، فقال المنصورُ: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغي^(٥) والفساد في الأرض وما يحول بين الحقِّ وأهله من الطمع؟ فوالله لقد حَشَوْتُ مَسَامِعِي ما أَرْمَضَنِي^(٦)؛ قال^(٧): يا أمير المؤمنين، إِنْ أُمْنَتْنِي على نفسي أنبأتك بالأمر من أصولها، وإلا آحتجزتُ منك وأقتصرْتُ على نفسي ففيها^(٨) لي شاغلٌ، فقال: أنت آمنٌ

(١) سورة الأعراف ٧، الآية رقم ٢٠٠. وإما: فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزیدة. (وَيَتَرَعَّكُ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ): أي إِنْ يَصْرِفُكَ عما أمرت به صارفٌ (فأستعد بالله) وهذه جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك إنه سميع للقول عليهم بالفعل. وبمعنى آخر: إذا رأيت منكراً من سفيه، أو معصية من فاسق، وغضبتُ لله فلا يذهبن الغضب بحلمك، فأصبر وأستعد بالله وخاطبته بالحسنى عسى أن يستجيب لك. راجع تفسير الجلالين، والتفسير المبين.

(٢) منابذة الأهواء: تسكينها وركودها.

(٣) ورد في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٩): «مقام رجلٍ من العبَّاد عند المنصور» وقد ورد هذا الخبر باختلاف يسير عما هنا.

(٤) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «بينما المنصور في الطواف بالبيت ليلاً... الخ».

(٥) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٩): «تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض؟ وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع؟».

(٦) أَرْمَضَنِي: أوجعني وألمني.

(٧) في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٥٩): «فقال أُمْنَتْنِي يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمر... الخ».

(٨) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «فلي فيها شاغلٌ».

على نفسك فقل؛ فقال^(١): إِنَّ الذي دخله الطمعُ حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لَأَنْتَ؛ قال: ويحك وكيف يدخلني الطمعُ والصفراءُ والبيضاءُ في قبضتي والحلو والحامض عندي؟ قال: وهل دخل أحدٌ من الطمع ما دخلك؟ إِنَّ الله تبارك وتعالى أَسْرَعُكَ المسلمِينَ وأموالَهُم فَأَغْلَتْ أُمُورَهُم وَأَهْتَمَّتْ بِجَمْعِ أَمْوَالِهِم، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجصِّ والأجرِّ وأبواباً من الحديد وحجبةً معهم السلاحُ ثم سَجَنْتَ نَفْسَكَ فيها عنهم، وبعثتَ عُمَّالَكَ في جباية الأموال وجمعها وَقَوَّيْتَهُم بالرجال والسلاح والكرع^(٢)، وأمرتُ بآلٍ يدخلُ عليك من الناس إلا فلانٌ وفلانٌ نفرٌ سَمَّيْتَهُم، ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضعيف الفقير، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حقٌّ، فلما رآكَ هؤلاء النفر الذين أَسْتَخْلَصْتَهُم لنفسك وآثَرْتَهُم على رَعِيَّتِكَ وأمرتُ أَلَّا يُحْجَبُوا عنكَ، تَجَبَّى الأموال وتجمعُها ولا تَقْسِمُها قالوا: هذا قد خان الله فما بالنا لا نخونه وقد سجن لنا نفسَه؟ فَأَتَمَرُوا بآلٍ يصلُ إليك مِنْ علم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا، ولا يخرجُ لك عاملٌ فيخالف أمرَهُم إلا قصبوه^(٣) عندك ونَفْوه حتى تسقط منزله ويصغر قدره، فلما أُنْشِرَ ذَلِكَ عنكَ وعنهم، أعظمَهُم الناسُ وهابوهم، فكان أولُ مَنْ صانَعَهُم عُمَّالُكَ بالهدايا والأموال لِيَقْوُوا بها على ظلم رَعِيَّتِكَ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيّتك لينالوا به ظلمَ من دونهم، فَأَمْتَلَتْ بلادُ الله بالطمع بغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل فإن جاء مُتَظَلِّمٌ حِيلَ بينه وبين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيتَ عن ذلك، وأوقفتَ للناس رجلاً ينظر في مظالمهم فإن جاء ذلك الرجل

(١) في نفس الصفحة من المصدر السابق: «يا أمير المؤمنين: إن الذي دخله الطمع... الخ».

(٢) الكرام: الخيل.

(٣) قصبوه: عابوه وشتموه.

فبلغَ بطانتَكَ خبرُهُ سألوا صاحبَ المظالم ألا يرفعَ مَظْلَمَتَهُ إِلَيْكَ، فَإِنَّ المَظْلَمَ منه له بهم حُرْمَةٌ، فأجابهم خوفاً منهم؛ فلا يزال المظلومُ يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتلّ عليه، فإذا أُجْهِدَ وأُحْرَجَ وظَهَرَتْ، صَرَخَ بين يديكَ، فَضْرِبَ ضَرْباً مُبْرَحاً، ليكون نكالاً لغيره، وأنتَ تَنظُرُ فلا تُنْكِرُ، فما بقاء الإسلام على هذا؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصَّينِ فَقَدِمْتُهَا مَرَّةً وقد أُصِيبَ مَلِكُهَا بِسَمْعِهِ، فبكى يوماً بكاءً شديداً فحثه جلساؤه على الصبر فقال: أَمَا إِنِّي لست أبكي للبليَّةِ النازلة بي، ولكني أبكي لمظلومٍ بالباب يصرُخُ ولا أسمعُ صَوْتَهُ ثم قال: أَمَا إِذْ ذَهَبَ سَمْعِي فَإِنَّ بَصْرِي لَمْ يَذْهَبْ نَادُوا فِي النَّاسِ أَلَّا يَلْبَسَ ثَوْباً أَحْمَرَ إِلَّا مَظْلَمٌ، ثم كان يركب الفيل طرفيَّ نهاره، وينظر هل يرى مظلوماً. فهذا يا أمير المؤمنين مُشْرِكٌ بالله غلبت رَأْفَتُهُ بالمُشْرِكِينَ شَحَّ نَفْسُهُ، وأنتَ مؤمنٌ بالله ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رَأْفَتُكَ بالمسلمين على شَحِّ نَفْسِكَ! فَإِنْ كُنتَ إِنَّمَا تَجْمَعُ المَالَ لَوْلَدِكَ، فَقَدْ أَرَاكَ اللهَ عَبْرَا فِي الطِّفْلِ يَسْقُطُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ وَمَالُهُ عَلَى الأَرْضِ مَالٌ، وَمَا مِنْ مَالٍ إِلَّا وَدُونَهُ يَدُ شَحِيحَةٍ تَحْوِيهِ فَمَا يَزَالُ اللهُ يَلْطَفُ بِذَلِكَ الطِّفْلَ حَتَّى تَعْظُمَ رَغْبَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَسْتُ بِالَّذِي تُعْطِي بَلِ اللهُ يَعْطِي مِنْ يَشَاءُ مَا يَشَاءُ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا أَجْمَعُ المَالَ لِتَشْدِيدِ السُّلْطَانِ فَقَدْ أَرَاكَ اللهَ عَبْرَا فِي بَنِي أُمِيَّةٍ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا جَمَعُوا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَعَدُّوا مِنَ الرِّجَالِ وَالسِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ حَتَّى أَرَادَ اللهُ بِكُمْ مَا أَرَادَ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا أَجْمَعُ المَالَ لَطَلْبِ غَايَةٍ هِيَ أَجْسَمُ مِنَ الغَايَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا، فوالله ما فوق ما أنتَ فِيهِ إِلَّا مَازِلَةٌ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِخِلَافِ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ تُعَاقِبُ مِنْ عَصَاكَ بِأَشَدِّ مِنَ الْقَتْلِ؟ قَالَ المَنْصُورُ: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِالمَلِكِ الَّذِي خَوَّلَكَ مُلْكَ الدُّنْيَا وَهُوَ لَا يَعَاقِبُ مِنْ عَصَاهُ بِالْقَتْلِ؟ وَلَكِنْ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ الأَلِيمِ، قَدْ رَأَى مَا قَدْ عُقِدَ

عليه قلبك وعَمِلْتَه جوارحُك ونظرُك إليه بصرك واجترحتَه يدَاك ومشت إليه رجلاك، هل يُغْنِي عَنْكَ مَا شَحَحْتَ عَلَيْهِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا إِذَا أَنْتَزَعَهُ مِنْ يَدِكَ وَدَعَاكَ إِلَى الْحِسَابِ؟ فَبَكَى الْمَنْصُورُ وَقَالَ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُخْلَقْ! وَيَحْكُ! فَكَيْفَ أُحْتَالُ لِنَفْسِي؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ لِلنَّاسِ أَعْلَاماً يَفْزَعُونَ إِلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَيَرْضَوْنَ بِهِمْ فَأَجْعَلُهُمْ بَطَانَتَكَ يُرْشِدُوكَ، وَشَاوِرُهُمْ فِي أَمْرِكَ يُسَدِّدُوكَ، قَالَ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْهِمْ فَهَرَبُوا مِنِّي، قَالَ: خَافُوا أَنْ تَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقَتِكَ وَلَكِنْ أَفْتَحْ بَابَكَ وَسَهِّلْ حِجَابَكَ وَأَنْصُرِ الْمَظْلُومَ وَأَقْمَعَ الظَّالِمَ وَخُذِ الْفِيءَ وَالصَّدَقَاتِ مِمَّا حَلَّ وَطَابَ وَأَقْسِمَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ عَلَى أَهْلِهِ وَأَنَا الضَّامِنُ عَنْهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ وَيُسْعِدُوكَ عَلَى صَلَاحِ الْأُمَّةِ. وَجَاءَ الْمُؤَذِّنُونَ فَسَلَمُوا عَلَيْهِ فَضَلَّى وَعَادَ إِلَى مَجْلِسِهِ وَطُلِبَ الرَّجُلُ فَلَمْ يَوْجَدْ.

مقام آخر والمنصور يخطب

خَطَبَ الْمَنْصُورُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَضَى فِي كَلَامِهِ، فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى أَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَثَبَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَذْكَرُكَ مَنْ تَذَكَّرُ، فَقَالَ الْمَنْصُورُ: سَمِعْتُ لِمَنْ فَهِمَ عَنْ اللَّهِ وَذَكَرَهُ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّاراً عَصِيّاً وَأَنْ تَأْخُذَنِي الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ، وَأَنْتَ وَاللَّهُ أَيُّهَا الْقَاتِلُ مَا أَرَدْتَ بِهَا اللَّهُ وَلَكِنْ حَاوَلْتَ أَنْ يَقَالَ: قَامَ فَقَالَ فَعَوِّبَ فَصَبَرَ، وَأَهْوَنَ بِقَائِلِهَا لَوْ هَمَمْتُ، فَاهْتَبَلَهَا^(١) وَيَلِكْ إِذْ عَفُوْتُ؛ وَأَيَّاكُمْ مَعَشَرَ النَّاسِ وَأَخْتَهَا؛ فَإِنَّ الْمَوْعِظَةَ عَلَيْنَا نَزَلَتْ وَمِنْ عِنْدِنَا أَنْبِئْتُ فَرُدُّوا الْأَمْرَ إِلَى أَهْلِهِ يُصَدِّرُوهُ كَمَا أَوْرَدُوهُ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى خُطْبَتِهِ فَقَالَ: وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

(١) فَاهْتَبَلَهَا: أَيِ اغْتَنَمَهَا؛ وَالِاهْتَبَالُ هُوَ الْإِغْتِنَامُ وَانْتِهَازُ الْفُرْصَةِ.

مقام^(١) عمرو بن عُبيد بين يدي المنصور

قال للمنصور^(٢): إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فأشتر نفسك ببعضها، وأذكر ليلة تمخض عن يومٍ لا ليلة بعده؛ فوجم أبو جعفر من قوله؛ فقال له الربيع: يا عمرو، غممت أمير المؤمنين؛ فقال عمرو: إن هذا صحكك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه؛ قال أبو جعفر: فما أصنع؟ قد قلت لك: خاتمي في يديك فتعال وأصحابك فأكفني؛ قال عمرو: أدعنا بعدلك تسخ أنفسنا بعونك؛ ببابك ألف مظلمة أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق.

مقام^(٣) أعرابي بين يدي سليمان

قام فقال: إني مكلّمك يا أمير المؤمنين بكلام فيه بعض الغلظة فأحتمله إن كرهته، فإن وراءه ما تحبه إن قبلته؛ قال: هات يا أعرابي؛ قال: فلإني سأطلق لساني بما خرست عنه الألسن من عظمتك تأديةً لحق الله وحق إمامتك، إنه قد آكتفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربٌ للآخرة سلّمٌ للدنيا، فلا تأمنهم على ما آثمتك الله عليه، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعاً والأمة عسفاً وخسفاً، وأنت مسؤول عما آجترحوا وليسوا مسؤولين عما

(١) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٦٤ - ١٦٥) باختلاف كثير عما هنا، وإن كان يحمل هذا العنوان: «كلام عمرو بن عُبيد عند المنصور».

(٢) في نفس المصدر السابق ص ١٦٤: «قال: يا أمير المؤمنين، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فأشتر نفسك منه ببعضها». وهذه العبارة هي المطابقة فقط لما ورد في كتابنا؛ لأن ما جاء بعدها في العقد الفريد يختلف كثيراً عما هنا.

(٣) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٦٦) باختلاف يسير عن كتابنا.

أجترحت، فلا تُصْلِحْ دنياهم بفساد آخرتك، فإنَّ أعظم الناس غُبْنًا مَنْ باع آخرته بدنيا غيره. قال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سلَّلت لسانك، وهو أقطع سيفيك؛ فقال: أجل، لك لا عليك.

مقام أعرابي بين يدي هشام

قال: أتت على الناس سنون، أما الأولى فَلَحَتْ^(١) اللحم، وأما الثانية فأكلت الشحم، وأما الثالثة فهاضت^(٢) العظم، وعندكم فضول أموال، فإن كانت لله فاقسموها بين عباده؛ وإن كانت لهم فقيم تحظر عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا عليهم بها فإن الله يجزي المتصدقين؛ فأمر هشام بمال فقسم بين الناس وأمر للأعرابي بمال؛ فقال: أكل المسلم له مثل هذا؟ قالوا: لا ولا يقوم بذلك بيت مال المسلمين؛ قال: فلا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين.

مقام^(٣) الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكره^(٤) عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام قال: دخلت عليه فقال: ما الذي بطأ بك عني؟ قلت: يا أمير المؤمنين، وما الذي تريد مني؟ فقال: الاقتباس منك؛ قلت: انظر ما تقول، فإن مكحولاً حدثني عن عطية بن بشير^(٥) أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ بَلَغَهُ عَنِ اللَّهِ نَصِيحَةٌ فِي دِينِهِ فَهِيَ رَحْمَةٌ مِنْ

(١) لَحَتْ اللحم: من لَحُوْتُ الشجرة إذا أخذت لحاءها وهو قشرها.

(٢) هاض العظم يهضه هِضاً فأنهاض: كسره بعد الجبور فهو مهيض.

(٣) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٦٢ - ١٦٣).

(٤) في المصدر السابق ص ١٦٢: «قال الأوزاعي: دخلت عليه فقال لي: ما الذي بطأ بك عني؟

... الخ».

(٥) في المصدر السابق ص ١٦٢: «عطية بن بشر».

الله سَيِّقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا مِنْ اللَّهِ بِشُكْرِ وَإِلَّا كَانَتْ حَبَّةً مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِيَزْدَادَ إِثْمًا وَلِيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا، وَإِنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فَرَضِي فَلَهُ الرِّضَا، وَإِنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ، وَمَنْ كَرِهَهُ فَقَدْ كَرِهَ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ^(١)»، فَلَا تَجْهَلَنَّ؛ قَالَ: وَكَيْفَ أَجْهَلُ؟ قَالَ: تَسْمَعُ وَلَا تَعْمَلُ بِمَا تَسْمَعُ. قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: فَسَلُّ عَلَيَّ الرِّبْعَ السَّيْفَ وَقَالَ: تَقُولُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا! فَانْتَهَرَهُ الْمَنْصُورُ وَقَالَ: أَمْسِكْ. ثُمَّ كَلَّمَهُ الْأَوْزَاعِيُّ، وَكَانَ فِي كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: إِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ هَذِهِ الْخِلَافَةِ بِالَّذِي أَصْبَحْتَ بِهِ، وَاللَّهُ سَأِئِلُكَ عَنْ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا وَفَتِيلِهَا وَنَقِيرِهَا، وَلَقَدْ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ رُوَيْمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ رَاعٍ بَيْتٌ غَاشًا لِرِعْيَتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»، فَحَقِيقٌ عَلَى الْوَالِيِّ أَنْ يَكُونَ لِرِعْيَتِهِ نَازِلًا، وَلَمَّا اسْتَطَاعَ مِنْ عَوْرَاتِهِمْ سَائِرًا، وَبِالْقِسْطِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِمًا، لَا يَتَخَوَّفُ مُحْسِنُهُمْ مِنْهُ رَهَقًا وَلَا مُسِيئُهُمْ عَدَوَانًا؛ فَقَدْ كَانَتْ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَرِيدَةٌ يَسْتَاكُ بِهَا وَيَرْدَعُ عَنْهُ الْمُنَافِقِينَ؛ فَاتَاهُ جَبْرِيلُ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، مَا هَذِهِ الْجَرِيدَةُ بِيَدِكَ؟ إِقْذِفْهَا لَا تَمْلَأْ قُلُوبَهُمْ رُعبًا». فَكَيْفَ مَنْ سَفَكَ دِمَاءَهُمْ وَشَقَّقَ أَبْشَارَهُمْ وَأَنْهَبَ أَمْوَالَهُمْ؟ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الْمَغْفُورَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ دَعَا إِلَى الْقِصَاصِ مِنْ نَفْسِهِ بِخَدَشٍ خَدَشَهُ أَعْرَابِيًّا لَمْ يَتَعَمَّدَهُ، فَهَبَطَ جَبْرِيلُ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْكَ جَبَّارًا تَكْسِرُ قُرُونَهُ أَمْتًا». وَأَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا فِي يَدِكَ لَا يَعْدِلُ شَرْبَةً مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ وَلَا ثَمَرَةً مِنْ ثَمَارِهَا؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَابُ قَوْسٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ قُدَّةٌ^(٢) خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا». إِنَّ الدُّنْيَا تَنْقَطِعُ وَيَزُولُ نَعِيمُهَا، وَلَوْ بَقِيَ الْمَلِكُ لِمَنْ قَبْلَكَ

(١) إِلَى هَذَا يَتَّفِقُ الْمَقَامُ، مَعَ اخْتِلَافٍ بَسِيرٍ، مَعَ مَا جَاءَ فِي الْمَصْدَرِ السَّابِقِ، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ مُخْتَلَفٌ عَمَّا فِي الْعَقْدِ اخْتِلَافًا كَبِيرًا.

(٢) قَابُ الْقَوْسِ: مَا بَيْنَ مَقْبُضِهَا وَسَيْبَتِهَا، وَسَيْبَةُ الْقَوْسِ: مَا عُطِفَ مِنْ طَرَفِهَا، وَالْجَمْعُ سَيَّاتٌ. وَالْقُدَّةُ: رِيشُ السَّهْمِ.

لم يَصِلْ إِلَيْكَ. يا أمير المؤمنين، ولو أنَّ ثوباً من ثياب أهل النار عَلِقَ بين السماء والأرض لآذاهم فكيف مَنْ يَتَقَمَّصُهُ؟ ولو أنَّ ذُنُوباً^(١) من صديد أهل النار صُبَّ على ماء الأرض لآجَنَهُ^(٢) فكيف بمن يتجرَّعه؟ ولو أنَّ حَلَقَةً من سلاسل جهنم وُضِعَتْ على جبل لذاب، فكيف مَنْ سُلِكَ فيها وَيَرَدُّ فَضْلُهَا على عاتقه! وقد قال عمر بن الخطاب: «لَا يُقَوِّمُ أَمْرَ النَّاسِ إِلَّا حَصِيفُ الْعَقْدَةِ، بَعِيدُ الْعِزَّةِ، لَا يَطْلُعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ، وَلَا يُحِقُّ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ^(٣)، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ».

وأعلم أنَّ السلطان أربعة: أمير يَظْلِفُ^(٤) نفسه وعُمَّالَه، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاةٍ ويُدُّ الله بالرحمة على رأسه تُرْفَرُفُ؛ وأمير رَتَعَ ورَتَعَ عُمَّالَه. فذاك يَحْمِلُ أَثْقَالَه وَأَثْقَالاً مع أَثْقَالَه؛ وأمير يَظْلِفُ نفسه ويرتَع عُمَّالَه، فذاك الذي باع آخرته بدنياه غيره؛ وأمير يرتَع وَيَظْلِفُ عُمَّالَه، فذاك شرُّ الأكياس.

وأعلم يا أمير المؤمنين أنك قد أَبْتَلَيْتَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ عُرِضَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبِينِ أَنْ يَحْمِلَنَّهُ وَأَسْفَقْنَ مِنْهُ؛ وقد جاء عن جَدِّكَ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾^(٥): أَنَّ الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمُ، وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكُ، وقال: فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدي؟

(١) الذُّنُوبُ: الدُّلُؤُ التي دون المَلَك، تذكر وتؤنث.

(٢) آجَنَهُ: جمعه أجنأ أي متغير الطعم واللون.

(٣) لَا يُحِقُّ فِي الْحَقِّ عَلَى جِرَّةٍ: لَا يَنْطَوِي عَلَى حَقْدٍ وَذَغَلٍ؛ وأصل الإخناق: لحوق البطن بالصليب والتصاقه به. والجِصْرَةُ: ما يخرج البعير من جوفه ويمضغه. فكنى عمر بن الخطاب بعدم الإخناق على الجِرَّةِ عن عدم إضمار الحقد والغيرة.

(٤) يَظْلِفُ نَفْسَهُ: يَكْفُهَا.

(٥) سورة الكهف ١٨، الآية رقم ٤٩. أي أن كتاب الله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا إلّا عدّها وأثبتها، فتعجب المجرمون منه في ذلك. راجع التفسير المبين.

فَاعِذْكَ بِاللَّهِ أَنْ يُخَيِّلَ إِلَيْكَ أَنْ قَرَابَتِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْفَعُ مَعَ الْمَخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيَا صَفِيَّةَ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ وَيَا فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ إِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِمَارَةً؛ فَقَالَ: «أَيَّ عَمٍّ نَفْسُ تُحِبُّهَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحِبُّهَا»، نَظَرًا لِعَمِّهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَّ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا وَلَا غَنَاءٌ. هَذِهِ نَصِيحَتِي إِنْ قَبَلْتَهَا فَلِنَفْسِكَ عَمَلٌ، وَإِنْ رَدَدْتَهَا فَنَفْسِكَ بَخْسٌ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ؛ قَالَ بَلَى! نَقَبَلَهَا وَنَشْكُرُ عَلَيْهَا، وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ.

مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام

قال خالد: وفدتُ عليه فوجدته قد بدأ يشربُ الدُّهْنَ، وذلك في عام باكرٍ وَسَمِيهِ وَتَتَابَعَ وَلِيهِ^(١) وَأَخَذَتْ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا، فَهِيَ كَالزَّرَائِيِّ الْمَبْثُوثَةِ وَالْقُبَاطِيِّ^(٢) الْمَنْشُورَةِ، وَثَرَاهَا كَالْكَافُورِ لَوْ وُضِعَتْ بِهِ بَضْعَةٌ^(٣) وَلَمْ تُتَرَّبْ، وَقَدْ ضُرِبَتْ لَهُ سُرَادِقَاتُ جَبَرٍ^(٤) بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْيَمَنِ تَتْلَاءُ كَالْعَقِيَّانِ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَزَلْ وَاقِفًا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ كَالْمُسْتَنْطِقِ لِي؛ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَدَفَعَ عَنْكَ نَقْمَهُ؛ هَذَا مَقَامُ زَيْنَ اللَّهِ بِهِ ذِكْرِي وَأَطَابَ بِهِ نَشْرِي، إِذْ أَرَانِي وَجْهَ أَمِيرٍ

(١) الْوَسْمِيُّ: مَطَرُ الرَّبِيعِ الْأَوَّلِ سَمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَسِيمُ الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ. وَالْوَلِيُّ: الْمَطَرُ بَعْدَ الْوَسْمِيِّ.

(٢) الزَّرَائِيُّ: السُّطُّ الْمَلُونَةُ. وَالْقُبَاطِيُّ (يُضْمُ أَوَّلُهُ وَتَشْدِيدُ آخِرِهِ أَوْ يَفْتَحُ الْأَوَّلَ مَعَ تَخْفِيفِ الْآخِرِ): جُ قُبْطِيَّةٌ (يُضْمُ الْقَافَ) وَهِيَ ثِيَابٌ كَتَانَ بَيضَ رَقَاقٍ تَعْمَلُ فِي مِصْرَ.

(٣) الْبَضْعَةُ (يَفْتَحُ الْبَاءَ وَكَسَرَهَا): الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ.

(٤) الْجَبَرُ (يَكْسِرُ الْحَاءَ وَفَتْحُ الْبَاءِ): جُ جَبْرَةٌ وَهِيَ الْمَخِيطُ مِنَ الْبُرُودِ.

المؤمنين، ولا أرى لمقامي هذا شيئاً هو أفضل من أن أنبّه أمير المؤمنين لفضل
نعمة الله عليه ليحمّد الله علي ما أعطاه، ولا شيء أحضر من حديث أسلف
لملك من ملوك العجم إن أذن لي فيه حدّثته به؛ قال: هات؛ قلت: كان
رجل من ملوك الأعاجم جُمِعَ له فتّاء^(١) السنّ وصحّة الطّباع وسعة الملك وكثرة
المال، وذلك بالخوّزَنق^(٢)، فأشرف يوماً فنظر ما حوله فقال لمن حضره: هل
علمتم أحداً أوتي مثل الذي أوتيت؟ فقال رجل من بقايا حملة الحجة: إن
أذنت لي تكلمت؛ فقال: قل، فقال: أرايت ما جُمِعَ لك؟ شيء هو لك لم
يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار إليك وكذلك يزول
عنك؟ قال: لا! بل شيء كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليّ وكذلك يزول
عني؛ قال: فسررت بشيء تذهب لذته وتبقى تبعته، تكون فيه قليلاً وترتهن به
طويلاً؛ فبكى وقال: أين المهرب؟ قال: إلى أحد أمرين: إما أن تُقيم في
ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك وإما أن تلقى عليك أمساحاً^(٣) ثم تلحق بجبل تعبد فيه
ربك حتى يأتي عليك أجلك؛ قال: فمالي إذا أنا فعلت ذلك؟ قال: حياة لا تموت
وشباب لا يهرم وصحّة لا تسقم وملك جديد لا يبلى؛ فأتى جبلاً فكان فيه حتى
مات. وأنشده قول عديّ بن زيد:

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَزَنَقِ إِذَا أَصَدَّ بَحَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُّ لَكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّيْدِيرُ^(٤)

(١) الفتّاء: الشباب.

(٢) الخوّزَنق: قصر بالعراق بناه سِنَمَار على باب الحميرة للنعمان الأكبر ابن امرئ القيس ملك
الحيرة. انظر وفيات الأعيان (ج ٤ ص ٣١١).

(٣) الأمساح: ج منسج (بكسر الميم) وهو الكساء من شعر كثوب الرهبان.

(٤) مُعْرِضًا: من أعرض الشيء إذا ظهر وبرز. والسَّيْدِيرُ: قصر بناه الملك النعمان الأكبر ابن امرئ
القيس بن أوس، أحد عمالقة آل محرق أصحاب القصور الشامخة في العراق. وفيهم يقول
الأَسْوَدُ بن يَغْفَر (كامل).

فَارْعَوَى قَلْبَهُ فَقَالَ وَمَا غِبَ سَطَّةٌ حَيَّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

فبكى هشام وقام ودخل؛ فقال لي حاجبه: لقد كسبت نفسك شرّاً، دعاك أمير المؤمنين لِتُحَدِّثَهُ وتُلهِيَهُ وقد عَرَفْتَ عِلَّتَهُ فما زِدْتَ عَلَى أَنْ نَعَيْتَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ. فَأَقَمْتُ أَيَّاماً أَتَوَقَّعُ الشَّرَّ، ثُمَّ أَتَانِي حَاجِبُهُ فَقَالَ: قَدْ أَمَرَ لَكَ بِجَائِزَةٍ وَأَنْ لَكَ فِي الْإِنْصِرَافِ.

مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز

قال: إنما الدنيا سُوقٌ مِنَ الْأَسْوَاقِ، فَمِنْهَا خَرَجَ النَّاسُ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَبِمَا يَضُرُّهُمْ، وَكَمْ مِنْ قَوْمٍ قَدْ غَرَّهُمْ مِثْلُ الَّذِي أَصْبَحْنَا فِيهِ حَتَّى أَتَاهُمُ الْمَوْتُ فَاسْتَوْعَبَهُمْ فَخَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا مُرْمِلِينَ^(١) لَمْ يَأْخُذُوا لِمَا أَحْبَبُوا مِنَ الْآخِرَةِ عُدَّةً وَلَا لِمَا كَرِهُوا جُنَّةً^(٢)، وَأَقْتَسَمَ مَا جَمَعُوا مِنْ لَمْ يَحْمَدُهُمْ وَصَارُوا إِلَى مِنْ لَا يَعْدُرُهُمْ. فَانْظُرِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ، فَقَدِّمَهُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِ؛ وَانْظُرِ الَّذِي تَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ إِذَا قَدِمْتَ، فَأَتْبَعْ بِهِ الْبَدَلَ حَيْثُ يَجُوزُ الْبَدَلُ؛ وَلَا تَذْهَبَنَّ إِلَى سِلْعَةٍ قَدْ بَارَتْ عَلَى غَيْرِكَ تَرْجُو جَوَارَهَا عَنْكَ. يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، افْتَحِ الْأَبْوَابَ، وَسَهِّلِ الْحِجَابَ، وَأَنْصُرِ الْمَظْلُومَ.

= ماذا أُؤْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّرٍ، تَرَكَوا مَنَازِلَهُمْ، وَبَعْدَ إِيَادٍ؟
أَرْضُ الْخَوَزَنِيِّ وَالسُّدَيْرِ وَبَارِقٍ، وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِيْنْدَادٍ.
ولقد أورد ابن منظور هذين البيتين في لسان العرب مادة (برق) بعد أن قال: «وبارق: موضع قريب من الكوفة». وفي مادة (سدر) قال: «والسدير بناء، وهو بالفارسية سيهدلي أي ثلاث شعب أو ثلاث مداخلات». وأضاف قائلاً: «والسدير: نهر، ويقال: قصر، وهو معرب وأصله بالفارسية: سيه دله أي فيه قبابٌ مُدَاخِلَةٌ. وفي مادة (سند) قال ابن منظور أيضاً: «وسنداد: اسم نهر، ومنه قول الأسود بن يَغْفَر: والقصر ذي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِيْنْدَادٍ» راجع أيضاً محيط المحيط للبستاني مادة (سدر).

(١) مُرْمِلِينَ: مُهْرَوِلِينَ؛ يقال: رَمَلَ فُلَانٌ رَمَلًا وَرَمَلَانًا وَمَرْمَلًا: هَرَوَلَ.

(٢) الْجُنَّةُ: السُّتْرَةُ وَكُلُّ مَا وَقَى مِنْ سِلَاحٍ.

مقام الحسن عند عمر بن هبيرة

كَتَبَ أَبُو هُبَيْرَةَ إِلَى الْحَسَنِ وَأَبْنِ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيِّ فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَكْتُبُ إِلَيَّ فِي الْأَمْرِ، إِنْ فَعَلْتَهُ خَفْتُ عَلَى دِينِي، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْهُ خَفْتُ عَلَى نَفْسِي؛ فَقَالَ لَهُ أَبُو سِيرِينَ وَالشَّعْبِيُّ قَوْلًا رَقَقًا فِيهِ، وَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ: يَا بَنَ هُبَيْرَةَ، إِنْ اللَّهُ يَمْنَعُكَ مِنْ يَزِيدَ، وَإِنْ يَزِيدٌ لَا يَمْنَعُكَ مِنْ اللَّهِ. يَا بَنَ هُبَيْرَةَ، إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكًا فَيُنْزِلَكَ عَنْ سَرِيرِكَ إِلَى سَعَةِ قَصْرِكَ، ثُمَّ يَخْرِجُكَ مِنْ سَعَةِ قَصْرِكَ إِلَى ضَيْقِ قَبْرِكَ، ثُمَّ لَا يُنْجِيكَ إِلَّا عَمَلُكَ. يَا بَنَ هُبَيْرَةَ، إِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ؛ فَأَمْرٌ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأَمْرٌ لِأَبْنِ سِيرِينَ وَالشَّعْبِيِّ بِالْفَيْنِ؛ فَقَالَا: رَفَّقْنَا فَرَقَّقْ لَنَا.

باب من المواعظ

كلام للحسن

قَالَ فِي كَلَامٍ لَهُ: أَمْتُكُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَنْتُمْ آخِرُ أُمَّتِكُمْ، وَقَدْ أُسْرِعَ، بِخِيَارِكُمْ فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ! الْمَعَايِنَةُ؟ فَكُنْ قَدْ هِيَهَاتُ هِيَهَاتُ! ذَهَبَتِ الدُّنْيَا بِحَالٍ بِمَالِهَا، وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ أَطْوَقًا فِي أَعْنَاقِ بَنِي آدَمَ؛ فَيَا لَهَا مَوْعِظَةً لَوْ وَافَقَتْ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً! إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا أُمَّةَ بَعْدَ أُمَّتِكُمْ، وَلَا نَبِيَّ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ، وَلَا كِتَابَ بَعْدَ كِتَابِكُمْ؛ أَنْتُمْ تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقُكُمْ؛ وَإِنَّمَا يُتَنَظَّرُ بِأَوَّلِكُمْ أَنْ يَلْحَقَ آخِرُكُمْ. مَنْ رَأَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ رَأَاهُ غَادِيًا رَائِحًا لَمْ يَضَعْ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قِصْبَةً عَلَى قِصْبَةٍ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ فَشَمَّرَ إِلَيْهِ؛ فَالْوَحْيُ الْوَحْيُ (١)، وَالنَّجَاءُ النَّجَاءُ. عَلَامَ تَعْرِجُونَ؟ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كُلُّ يَوْمٍ تَرْدُلُونَ (٢). لَقَدْ

(١) الْوَحْيُ الْوَحْيُ: الْبَدَارُ الْبَدَارُ.

(٢) تَرْدُلُونَ: تَصِيرُونَ أَرْدَالًا (ج رَدَلٌ وَهُوَ الدُّوْنُ مِنَ النَّاسِ).

صَحَبْتُ أَقْوَاماً كَانَتْ صَحْبَتُهُمْ قَرَّةَ الْعَيْنِ وَجَلَاءَ الصَّدُورِ، وَكَانُوا مِنْ حَسَنَاتِهِمْ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ أَشْفَقَ مِنْكُمْ مَنْ سَيَّئَاتِكُمْ أَنْ تُعَذَّبُوا عَلَيْهَا، وَكَانُوا فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا أَزْهَدَ مِنْكُمْ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. إِنِّي أَسْمَعُ حَسِيساً^(١)، وَلَا أَرَى أَنْيساً؛ ذَهَبَ النَّاسُ، وَبَقِيَْتُ فِي النَّسَاسِ؛ لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغْتُمْ؛ تَهَادَيْتُمْ الْأَطْبَاقَ وَلَمْ تَهَادُوا النَّصَائِحَ. يَا بَنَ آدَمَ، إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَيْسَ بِالتَّحَلِّيِ وَلَا بِالْتَّمَنِ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَقَتْهُ الْأَعْمَالُ.

كلام لبعض الزُّهَّاد

لَا تَغْتَرَّنْ بِطُولِ السَّلَامَةِ مَعَ تَضْيِيعِ الشُّكْرِ، وَلَا تُعْمِلَنَّ نِعْمَةَ اللَّهِ فِي مَعْصِيَتِهِ؛ فَإِنَّ أَقْلَ مَا يَجِبُ لِمَهْدِيهَا أَلَّا تَجْعَلَهَا ذَرِيعَةً إِلَى مَخَالَفَتِهِ. وَأَسْتَدِعِ شَارِدَ النِّعَمِ بِالتَّوْبَةِ، وَأَسْتَدِمِ الرَّاهِنَ مِنْهَا بِكَرَمِ الْجَوَارِ، وَأَسْتَفْتِحِ بَابَ الْمَزِيدِ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ. أَوْ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْمُسْتَشْعَرَ لِدُلِّ الْخَطِيئَةِ الْمَخْرَجَ نَفْسَهُ مِنْ كُلْفِ الطَّاعَةِ نَظْفُ الثَّنَاءِ، زَمِيرُ^(٢) الْمَرْوَةِ، قَصِيُّ الْمَجْلِسِ، لَا يُشَاوِرُ وَهُوَ ذُو بَزْلَاءَ^(٣)، وَلَا يُصَدِّرُ وَهُوَ جَمِيلُ الرُّوَاءِ، غَامِضُ الشَّخْصِ ضَمِيلُ الصَّوْتِ نَزْرُ الْكَلَامِ يَتَوَقَّعُ الْإِسْكَاتَ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَهُوَ يَرَى فَضْلَ مَزِيَّتِهِ وَصَرِيحَ لُبِّهِ وَحَسَنَ تَفْضِيلِهِ، وَلَكِنْ قَطَعَهُ سُوءٌ مَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَلَوْ لَمْ تَطْلُعْ عَلَيْهِ عَيْنُونَ الْخَلِيقَةِ لَهَجَسَتْ الْعُقُولُ بِإِدْهَانِهِ^(٤). وَكَيْفَ يَمْتَنِعُ مِنْ سُقُوطِ الْقَدْرِ وَظَنِّ الْمُتَفَرِّسِ مَنْ عَرِّيَ مِنْ حِلْيَةِ التَّقْوَى وَسُلِبَ طِبَاعُ الْهُدَى؟ وَلَوْ لَمْ يَتَفَشَّ ثَوْبَ سَرِيرَتِهِ وَبَقِيحَ مَا أَجَنَّ مِنْ مَخَالَفَةِ رَبِّهِ لَقَطَعَهُ الْعِلْمُ بِقُبْحِهِ مَا قَارَفَ عَنْ أَقْتَدَارِ

(١) الحسيس: الصوت يُحَسُّ بِهِ.

(٢) نَظْفُ الثَّنَاءِ: قَلِيلُهُ. وَزَمِيرُ الْمَرْوَةِ: قَلِيلُهَا.

(٣) الْبَزْلَاءُ: الرَّأْيُ الْجَيِّدُ.

(٤) إِدْهَانُهُ: أَيُّ بِالمَصَانَعَةِ لَهُ.

ذَوِي الطهارة في الكلام وإدلال أهل البراءة في الندي.

كلام لغيلان

إن التراجع في المواعظ يُوشِكُ أن يذهبَ يومها ويأتي يومُ الصّاحّة^(١)،
كلُّ الخلقِ يومئذٍ مُصَيِّحٌ يستمعُ ما يُقالُ له ويُقضى عليه، وخشعتِ الأصواتُ
للرحمن فلا تسمعُ إلا همساً. فأصمتِ اليوم عما يُصمِتُك يومئذٍ، وتعلّم ذلك
حتى تعلّمه، وأبتغِه حتى تجده، وبادرْ قبل أن تفجأك دعوة الموت؛ فإنها عَنيفةٌ
إلا بمن رحم الله، فيُقَحِّمُكَ في دار تسمعُ فيها الأصوات بالحسرة والويل
والثبور، ثم لا يُقالون ولا يُستعتبون. إني رأيتُ قلوب العباد في الدنيا تخشعُ
لأيسر من هذا وتقسو عند هذا، فأنظر إلى نفسك أَعْبُدُ الله أنت أم عَدُوّه؟ فيا
رَبِّ مُتَعَبِّدٍ لله بلسانه، مُعَادٍ له بفعله ذلولٌ في الانسياق إلى عذاب السعير^(٢) في
أمنية أضغاث أحلامٍ يَغْبِرُها بالأمانى والظنون. فأعرِفْ نفسك وسلِّ عنها
الكتابَ المنيرَ، سُؤالَ مَنْ يُحِبُّ أن يعلم، وعِلْمَ مَنْ يَحِبُّ أن يعمل، فإنَّ
الربَّ جلَّ ثناؤه لا يعذر بالتعذير والتغدير، ولكن يعذرُ بالجدِّ والتشمير. اكْتَسَبَ
نصيحتي؛ فإنها كُسوّةٌ تقوى ودليلٌ على مفاتيح الخير، ولا تكن كعلماء زمن
الهُرج إن وعظُوا أنفوا، وإن وعظُوا عَنفُوا. والله المستعان.

كتاب رجل إلى بعض الزهاد

كتب إليه: إن لي نفساً تُحِبُّ الدَّعةَ، وقلباً يألف اللذاتِ، وهمةٌ تَسْتَقِيلُ
الطاعة؛ وقد وهَّمتُ نفسي الآفاتِ، وحَذَرْتُ قلبي الموتَ، وزجرتُ همَّتي عن

يومُ الصّاحّة: يوم القيامة.

السعير: النار ولهبا.

التقصير؛ فلم أَرْضَ ما رَجَعُ إِلَيَّ مِنْهُمْ، فَأَهْدِي لِي - رَحِمَكَ اللَّهُ - مَا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَا شَكُوتُ إِلَيْكَ؛ فَقَدْ خَفْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ الْإِسْتِعْدَادِ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ: كَثُرَ تَعَجُّبِي مِنْ قَلْبٍ يَأْلَفُ الذَّنْبَ، وَنَفْسٍ تَطْمِئِنُّ إِلَى الْبَقَاءِ، وَالسَّاعَاتُ تَنْقَلُبُ وَالْأَيَّامُ تَطْوِي أَعْمَارَنَا؛ فَكَيْفَ يَأْلَفُ قَلْبٌ مَا لَا بُدَّ لَهُ؟ وَكَيْفَ تَنَامُ عَيْنٌ لَا تَدْرِي؟ لَعَلَّهَا لَا تَطْرِفُ بَعْدَ رَقْدَتِهَا إِلَّا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ! وَالسَّلَامُ.

وكتب رجل من العباد إلى صديق له:

إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الْيَقِينِ مُتَّفِقِينَ، وَفِي الْعَمَلِ مُتَفَاوِتِينَ، وَرَأَيْتُ الْحِجَّةَ وَاجِبَةً، فَلَمْ أَرُ فِي يَقِينٍ قَصَرَ بِصَاحِبِهِ عَنْ عَمَلٍ حِجَّةً، وَلَا فِي عَمَلٍ كَانَ بِغَيْرِ يَقِينٍ مَنْفَعَةً؛ وَرَأَيْتُ مِنْ تَقْصِيرِ أَنْفُسِنَا فِي السَّعْيِ لِمَرْجُوٍّ مَا وَعَدَتْ وَالْهَرَبِ مِنْ مَخُوفٍ مَا حُذِّرَتْ، حَتَّى أَسْلَمَهَا ذَلِكَ إِلَيَّ أَنْ ضَعُفَتْ مِنْهَا النِّيَّةُ وَقَلَّ التَّحْفُظُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا السَّقَطُ^(١) وَالْإِغْفَالُ وَاسْتَعْلَتْ مِنْهَا الشَّهْوَةُ، وَدَعَاها ذَلِكَ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي فَضَائِحِ اللَّذَاتِ، وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ عَاقِبَتَهَا النَّدَمُ، وَثَمَرَتَهَا الْعُقُوبَةُ، وَمَصِيرُهَا إِلَى النَّارِ إِنْ لَمْ يَغْفُ اللَّهُ - عَجِبْتُ لِعَمَلِ أَمْرِيءٍ كَيْفَ لَا يَشِبُّهُ يَقِينُهُ، وَلَعَلِّمَ مَوْقِنٍ كَيْفَ لَا يَرْتَبِطُ رَجَاءُهُ وَخَوْفُهُ عَلَى رَبِّهِ، حَتَّى لَا تَكُونَ الرِّغْبَةُ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ وَالرَّهْبَةُ مِنْهُ إِلَّا لَهُ. وَزَادَنِي عَجَباً أَنَّنِي رَأَيْتُ طَالِبَ الدُّنْيَا أَجَدَّ مِنْ طَالِبِ الْآخِرَةِ، وَخَائِفُهَا أَتَعَبَ مِنْ خَائِفِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ يَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّهُ رُبٌّ مَطْلُوبٌ فِي الدُّنْيَا قَدْ صَارَ حِينَ نَيْلٍ حَتِفاً لَطَالِبِهِ، وَأَنَّهُ رُبٌّ مَخُوفٌ فِيهَا قَدْ لَحِقَ كَرهاً بِالْهَارِبِ مِنْهُ فَصَارَ حَظاً لَهُ، وَأَنَّ الْمَطْلُوبَ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهَا ضَعِيفٌ عَنْ نَفْسِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى رَبِّهِ مَمْلُوكٌ عَلَيْهِ مَالُهُ مَخْزُونَةٌ عَنْهُ قُدْرَتُهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّ جَمَاعَ مَا

(١) السَّقَطُ: الخطأ من القول والفعل.

يسعى له الطالب وَيَهْرُبُ منه الهاربُ أمران: أحدهما أجله، والآخر رزقه، وكلاهما بعينه شاهدٌ على أنه لا يملكه إلا الذي خلقه. فلم أدر حين صار هذا اليقين في موضع الإيمان يقيناً لا شك فيه، كيف صار في موضع العمل شبيهاً بالشك الذي لا يقين فيه! وكيف، حين اختلف في أمر الآخرة، لم يختلف في أمر الدنيا، فيكون خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه صبراً له على تجشُّم المكروه، وتجرعاً منه لُغْصَص الغيظ، واحتمالاً منه لفادح النَّصَب، وعملاً له بالسخرة، وتحفظاً من أن يُضْمِرَ له غش أو يَهْمَ له بخلاف؛ ولو فعل ذلك ما علمه منه حتى يَظْهَرَ له بقول أو فعل؛ ولو علمه منا قَدَر له على قطع أجل لم يَفَن رزقٍ لم ينفد؛ فإن ابتلي بالسَّخَط من سلطانه فكيف حزنه ووحشته، وإن أنس منه رِضاً عنه فكيف سُروره واختياله؟ فإن قارف ذنباً إليه فكيف تضعضُّعه واستخذاؤه^(١)؟ فإن ندبه لأمر فكيف خفَّته ونشاطه؟ وإن نهاه عنه فكيف حَذَره وأتاعظه؟ وهو يعلم أن خالفه ورازقه يعلم سرّه وجهره، ويراه في متقلبه ومثواه، ويُعاينه في فضائحه وعورته، فلم يَزْعُه عنها حياء منه ولا تقيّة له، قد أمره فلم يَأتمر، وزجره فلم يزدجر، وحذره فلم يحذر، ووعدته فلم يرغب، وأعطاه فلم يشكر، وستره فلم يزدد بالستر إلا تعرّضاً للفضائح، وكفاه فلم يقنع بالكفاية، وضمن له في رزقه ما هو في طلبه مُشْبِح^(٢)، ويَقْظُه من أجله لما هو عنه لاهٍ، وفرّغه من العمل لما هو عنه بغيره مشغول؛ فسبحان من وسّع ذلك حلمه وتغمّده من عباده عفوهُ؛ ولو شاء ما فعلوه: ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

فأجابه: إني رأيت الله تبارك وتعالى جعل اليقين بأعظم المواضع في

(١) استخذاؤه: خضوعه.

(٢) مُشْبِح: جاد في الأمر.

أمر الدنيا والدين، فهو غاية علم العالم وبصر البصير وفهم السامع، ليس كسائر الأشياء التي تدخلها الشبهات ويجرّحها الإغفال ويشوبها الوهن؛ وذلك أن الله تعالى جعل مغرسه القلب؛ وأغصانه العمل، وثمرته الثواب. وإنما جعل القلب لليقين مغرساً، لأنه جعل الخمس الجواب لعلم الأشياء كلها إلى القلب: السمع والبصر والمجسّة والمذاقة والاسترواح. فإذا صارت الأشياء إليه مميّز بينها العقل، ثم صارت بأجمعها إلى اليقين، فكان هو المثبت لها والموجّه كلّ واحدةٍ منهن جهتها. ولولا معرفة القلب بالعقل الذي جعله الله لذلك، لم يفرّق سمع بين صوتين مختلفين، ولا بصر بين صورتين متقاربتين، ولا مجسّة بين شيئين غير متشابهين. ولليقين بعد ذلك منزلة يُعرف بها حال الضارّ والنافع في العاقبة عند الله تعالى. فلما صار اليقين في التشبيه كالشجرة النابتة في القلب، أغصانها العمل وثمرتها الثواب، أخبر ذلك أنه قد تكون الشجرة نابتة الأصل بلا أغصان كما قد يكون اليقين نابتاً بلا عمل؛ وأنه كما لا تكون الأغصان نابتة بلا أصل، فكذلك لا يكون العمل نافعاً إلا بيقين؛ وكما أنه لا تخلف الثمرة في الطيب والكثرة إذا كان الأصل نابتاً والأغصان ملتفة، فكذلك يكون الثواب لمن صح يقينه وحسن عمله. وقد تعرض للأعمال عوارض من العِلل؛ منها الأمل المُبْطُل^(١)، والنفس الأمارّة بالسوء، والهوى المزيّن للباطل، والشيطان الجاري من آبن آدم مجرى الدم، يضررن بالعمل والثواب، ولا يبلغ ضررهن اليقين، فيكون ذلك كبعض ما يعرض للشجرة من عوارض الآفات فتذوي أغصانها وتثر ورقها وتمنع ثمرتها والأصل ثابت؛ فإذا تجلّت الآفة عادت إلى حال صلاحها. فإذا يُعجبك من عمل أمرى لا يشبه يقينه وأن يقينه لا يرتبط رجاءه وخوفه على ربه؟ فإنما العجب

(١) الأمل المُبْطُل: الأمل الضعيف؛ يقال: نُعِبَطه ونُبِطه: عَوَّقَه.

من خلاف ذلك! وَلَعَمْرِي لو أشبهَ عملُ امرئٍ يقينه فكان في خوفه ورجائه كالمعاین لما يُعاینه بقلبه من الوقوف بين يدي الله والنظر إلى ما وعد وأوعد، لكان ما يعتلج على قلبه من خطرات الخوف شاغلاً له عن الرجاء، حتى يأتي على نفسه أول لحظة ينظر بها إلى النار خوفاً لها أو إلى الجنة أسفاً عليها إذا حُرِمَها، وإذا لكان الموقن بالبعث بقلبه كالمعاین له يوم القيامة. وكيف يستطيع من كان كذلك أن يعقل فضلاً عن أن يعمل؟ وأما قولك: «كيف لم يكن خائف الآخرة لربه كخائف الدنيا لسلطانه؟»، فإن الله عز وجل خلق الإنسان ضعيفاً وجعله عجباً، فهو لضعفه موكل بخوف الأقرب فالأقرب مما يكره، وهو بعجلته موكل بحبِّ الأعجل فالأعجل مما يشتهي؛ وزاده حرصاً على المخلص من المكروه وطلباً للمحبوب حاجته إلى الاستمتاع بمتاع الدنيا الذي لولا ما طُبِعَ عليه القلب من حبه وسهّل على المخلوقين من طلبه، لما أنتفع بالدنيا مُتَنَفِّع ولا عاش فيها عاش. ومع ذلك إن مكاره الدنيا ومحابها عند ابن آدم على وجهين، إما المكروه فيقول فيه: عسى أن أكون أبتليتُ به لذنْبِ سلف مني، وإما المحبوب فيقول فيه: عسى أن أكون رُزِقْتُه بحسنةٍ كانت مني فهو ثوابٌ عَجَلٌ؛ وهو مع هذا يعلم أن حلوم المخلوقين إلى الضيق، وأن قلوب أكثر مُسَلِّطِيهِم إلى القسوة، وأن العيب عنهم مستور، فليس يلتمس ملتسمهم إلا علم الظاهر ولا يضع إلا به، ولا يلتفت من امرئٍ إلى صلاح سريره دون صلاح علانيته. ومن طباع الإنسان اللؤم، فليس يَرْضَى إذا خِيفَ إلا بأن يُذَلَّ، ولا إذا رُجِيَ إلا بأن يُتَعَبَ، ولا إذا غَضِبَ إلا بأن يُخْضَعَ له، ولا إذا أمر إلا بأن يُنْفَذَ أمره، ولا ينتفع المتشفع بإحسانه عنده إذا أساء ولا المطيع بكثرة طاعته في المعصية الواحدة إذا عصى، ولا يرى الثواب لازماً له ولا العقاب محجوراً عليه، فإن عاقب لم يستبِق، وإن غَضِبَ

لم يَثْبُتْ ، وإنْ أساءَ لم يَعْتَذِرْ، وإنْ أذنبَ إليه مذنَّبٌ لم يَغْفِرْ؛ واللطيفُ
الخبيرُ يعلمُ السريرةَ فيَغْفِرُ بها العلانيةَ، ويمحو بالحسنةَ عشراً من السيئاتِ،
ويصفحُ بتوبةِ الساعةِ عن ذنوبِ مائةِ عامٍ، إنْ دُعِيَ أجابَ، وإنْ اسْتَغْفِرَ غَفَرَ،
وإنْ أُطِيعَ شكرَ، وإنْ عُصِيَ عَفَا، ومن وراءِ عبده بعدَ هذا كله ثلاثٌ : رحمتهُ
التي وسعت كلَّ شيءٍ، وشهادةُ الحقِّ التي لا يزكو إلا بها عملٌ، وشفاعةُ النبيِّ
ﷺ؛ وهذا كله مثبتٌ لليقينِ باسطٌ للأملِ مُبْطِئٌ عن العملِ إلا مَنْ شاءَ الله
وَقَلِيلٌ ما هُمْ فلا تَحْمِلْ نَظْفَ^(١) عملِكَ على صحةِ يقينِكَ فتوهنَ إيمانُكَ، ولا
تُرَخِّصْ لنفسِكَ في مُقارفةِ الذنوبِ، فيكونَ يقينُكَ خصماً لك وُحْجَةً عليك؛
وكَذَّبَ أَمَلُكَ وجاهدْ شهوتَكَ، فإنهما داءاك المخوفان على دينِكَ الْمُعْتَوْنَانِ^(٢)
على هَلَكَتِكَ. وأسألُ اللهَ الغنيمةَ لنا ولك.

موعظة مستعملة

وكيع عن مسعر عن زيد العمي عن عون بن عبد الله قال: كان أهل
الخير يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات: مَنْ مَلَّ^(٣) لآخرته كفاه الله
أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن
أصلح سريره أصلح الله له علانيته.

موعظة لعمر بن عتبة

العتبي عن أبيه عن أبي خالد عن أبيه عن عمرو بن عتبة قال:

(١) النَّظْفُ: العيب والشر والفساد.

(٢) الْمُعْتَوْنَانِ: المتعاونان.

(٣) مَلَّ يَمَلُّ: أخذ الجَلَّةَ وهي الشريعة والدين.

كان أبونا لا يرفعُ المواعظَ عن أسماعنا، أراد مرةً سفرًا فقال: يا بني تألفوا النعم بحسن مُجاورتها، وآلتمسوا المزيدَ فيها بالشكر عليها، وأعلموا أنَّ النفوسَ أقبَلُ شيءٍ، لما أُعطيَتْ وأعطى شيءٌ، لما سُئِلَتْ، فأحملوها على مطيَّةٍ لا تُبْطِئُ إذا رُكِبَتْ، ولا تُسَبِّقُ وإنْ تُقَدِّمَتْ، عليها نجا مَنْ هرب من النار، وأدرك من سابقٍ إلى الجنة؛ فقال الأصاغرُ: يا أبانا، ما هذه المطيَّةُ؟ قال: التوبة.

صفات الزُّهَّاد

حدَّثني عبد الرحمن العبدِيُّ عن يحيى بن سعد السعديّ قال: سأل الحواريُّون عيسى عليه السلام فقالوا: يا رُوحَ الله، مَنْ أولياءُ الله؟ قال: هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حينَ نظر الناسُ إلى ظاهرها، وإلى آجل الدنيا حينَ نظر الناسُ إلى عاجلها، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُمِيتَهُم وتركوا منها ما علموا أن سِيرَتَهُم، فصار استكثارُهم منها استقلاًلاً، وفرحُهم بما أصابوا منها حزناً، فما عارضَهُم من نائلها رفضوه وما عارضَهُم من ربيعها بغير الحقِّ وضَعَوْه، فهم أعداءُ ما نالهم الناسُ وسلَّم ما عادُوا، خَلَقَتْ^(١) الدنيا عندهم فليسوا يَعْمُرُونَهَا، وماتت في قُلُوبِهِم فليسوا يُحِبُّونَهَا، يَهْدِمُونَهَا وَيَبْنُونَهَا بها آخرتَهُم، ويبيعونها ويشترُون بها ما يبقى لهم؛ ونظروا إلى أهلها صَرَغَى قد خلت منهم المَثَلاتُ^(٢) فأَحْيَوْا ذَكَرَ الموتِ وأمَاتُوا ذَكَرَ الحياةِ، بهم نطق الكتابُ وبه نطقوا، وبهم عُلِمَ الكتبُ وبه عَمِلُوا، لا يرون نائلاً مع ما نالوا ولا أمناً دون ما يرجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

(١) خَلَقَتْ الدنيا (بضم اللام وفتحها): بليت.

(٢) المَثَلاتُ: ج مَثَلَة (بفتح الميم وضم الناء) وهي العقوبة، وعَبْرٌ يَعْتَبَرُ بها.

وحَدَّثَنِي أَيْضاً عَنْ أَنَسِ بْنِ مَصْلُوحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْمَصْبِيِّ :

إِنْ قَوْمًا دَخَلُوا عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَعُودُونَهُ فِي مَرَضٍ، فَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ ذَابِلٌ نَاحِلٌ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا فَتَى، مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا أَرَى؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَمْرَاضٌ وَأَسْقَامٌ، فَقَالَ عُمَرُ: لَتَصَدَّقَنِي؛ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ذُقْتُ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا فَوَجَدْتُهَا مَرَّةً فَصَغُرَ فِي عَيْنِي زَهْرَتُهَا وَحَلَاوَتُهَا، وَأَسْتَوَى عِنْدِي حَجَرُهَا وَذَهَبُهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَإِلَى النَّاسِ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى النَّارِ، فَأَظْمَأْتُ لَذَلِكَ نَهَارِي وَأَسْهَرْتُ لَهُ لَيْلِي، وَقَلِيلٌ حَقِيرٌ كُلُّ مَا أَنَا فِيهِ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ وَجَنْبِ عِقَابِهِ.

بَلَغَنِي عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ سَلِيمَانَ عَنْ أَخِيهِ عَنِ الْفَيَاضِ عَنْ زَيْدِ بْنِ يَامِيٍّ^(١) عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ:

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ».

وَعَنْ وَكَيْعٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَنبَهٍ عَنْ أَوْفَى بْنِ دَلْهِمٍ قَالَ:

قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ تُعْرِفُوا بِهِ وَأَعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ يُنْكِرُ فِيهِ الْحَقَّ تِسْعَةَ أَعْشِرَ أَهْئِهِمْ^(٢) لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ نَوْمَةٍ؛ يَعْنِي الْمَيِّتَ الذَّكْرَ، أُولَئِكَ أَئِمَّةُ الْهُدَى وَمَصَابِيحُ الْعِلْمِ لَيْسُوا بِالْعُجْلِ الْمَذَابِيحِ الْبُذُرِ^(٣). وَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا: إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَرْتَحَلَتْ

(١) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ١٧٩ من هذا الجزء.

(٢) ج عشير وهو جزء من عشرة كالعشر.

(٣) المذابيح: ج مذبايع وهو الذي لا يكتُم السر. والبذر: ج بذور (بفتح الباء وضم الذال) وهو النمام ومن لا يستطيع كتم السر فيفضيه بين الناس.

مُدِيرَةً وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ آرْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكَوْنُوا مِنْ
أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، أَلَا إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا آتَخَذُوا
الْأَرْضَ بَسَاطَةً وَالتَّرَابَ فِرَاشاً وَالْمَاءَ طِيباً. أَلَا مَنْ أَشْتَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنْ
الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْحُرْمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ
عَلَيْهِ الْمَصِيبَاتُ. أَلَا إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً كَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ مَخْلُودِينَ وَأَهْلَ
النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ، شُرُورَهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مُحْزُونَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ،
وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَلِيلَةً لِعَقْبَى رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ؛ أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَافُوا
أَقْدَامَهُمْ، تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خَدُودِهِمْ، يَجْأُرُونَ إِلَى اللَّهِ: رَبَّنَا رَبَّنَا يَطْلُبُونَ
فَكَأَنَّ رِقَابَهُمْ؛ وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءَ بَرَّةٍ أَتَقِيَاءُ كَأَنَّهُمُ الْقِدَاحُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
النَّاظِرُ فَيَقُولُ: مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: خُولُطُوا، وَلَقَدْ خَالَطَ
الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ رَاهَوِيَّةٍ أَنَّ عَوْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ كَانَ
يَقُولُ: يَا بُنَيَّ مِمَّنْ نَأَى بِهِ عَمَّنْ نَأَى عَنْهُ يَقِينٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدَنَا بِهِ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ
رَحِمَةٌ، لَيْسَ نَأْيُهُ تَكْبَرًا وَلَا عَظَمَةٌ، وَلَا دَنْوَةٌ بِخُدْعٍ وَلَا خِلَافَةٍ، يَقْتَدِي بِمَنْ
قَبْلَهُ، وَهُوَ إِمَامٌ مَنْ بَعْدَهُ، لَا يَعَجَلُ فِيمَنْ رَابَهُ^(١) وَيَعْفُو إِذَا تَبَيَّنَ لَهُ، يَنْقُصُ فِي
الَّذِي لَهُ وَيَزِيدُ فِي الَّذِي عَلَيْهِ، لَا يَعِزُّبُ حِلْمُهُ وَلَا يَحْضُرُ جَهْلُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ
مَأْمُولٌ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ رُجِيَ خَافَ مَا يَقُولُونَ وَأَسْتَغْفَرَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ، إِنْ
عَصَتْهُ نَفْسُهُ فِيمَا كَرِهَتْ لَمْ يُطْعَمْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ، يَصُمْتُ لَيْسَلَمْ وَيَخْلُو لِيَغْنَمَ
وَيَنْطِقُ لِيَفْهَمَ وَيُخَالِطُ لِيَعْلَمَ. وَلَا تَكُنْ يَا بُنَيَّ مِمَّنْ يُعْجَبُ بِالْيَقِينِ مِنْ نَفْسِهِ
فِيمَا ذَهَبَ وَيَنْسَى الْيَقِينَ فِيمَا رَجَا وَطَلَبَ، يَقُولُ فِيمَا ذَهَبَ: لَوْ قُدِّرَ شَيْءُ
كَانَ، وَيَقُولُ فِيمَا بَقِيَ: ابْتَغِ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ؛ تَغْلِبْهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا

(١) رَابَهُ: شَكَّكَ وَأَوْجَبَ الرِّيبَةَ عِنْدَهُ.

على ما يستيقن، طال عليه الأمل ففتر، وطال عليه الأمد فأعتر؛ وأعذر إليه فيما عُمِّرَ وليس فيما عُمِّرَ بِمُعْذِرٍ^(١)، عُمِّرَ فيما يتذكر فيه من تذكر، فهو من الذنب والنعمة مُوقِرٌ، إِنْ أُعْطِيَ لم يشكر، وَإِنْ مُنِعَ لم يَعْذِرْ، يُحِبُّ الصالحين ولا يعمل عملهم وَيُبْغِضُ المسيئين وهو أحدهم، يرجو الأجر في البغض على ظنه ولا يخشى اليقين من نفسه، يخشى الخلق في ربه ولا يخشى الرب في خلقه، يَعُوذُ بالله ممن هو فوقه، ولا يريد أن يُعِيدَ اللَّهُ منه مَنْ هو تحته، يخاف على غيره بأدنى من ذنبه ويرجو لنفسه بأيسر من عمله، يُبْصِرُ العورة من غيره وَيُغْفِلُهَا من نفسه، إِنْ صَلَّى اعْتَرَضَ^(٢)، وَإِنْ رَكَعَ رَبَضَ، وَإِنْ سَجَدَ نَقَرَ، وَإِنْ جَلَسَ شَعَرَ، وَإِنْ سَأَلَ الحَفَّ، وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ، وَإِنْ حَدَّثَ أَخْلَفَ^(٣). وَإِنْ وُعِظَ كَلَحَ^(٤)، وَإِنْ مُدِّحَ فَرِحَ، يَحْسُدُ أَنْ يُفْضَلَ، وَيَزْهَدُ أَنْ يُفْضَلَ، إِنْ أُفِضَ فِي الْخَيْرِ بَرِمَ^(٥) وَضَعُفَ وَأَسْتَسْلَمَ وَقَالَ: الصَّمْتُ حُكْمٌ^(٦)، وهذا ما ليس لي به عِلْمٌ؛ وَإِنْ أُفِضَ فِي الشَّرِّ قَالَ: يُحْسَبُ بِي عِيٌّ، فَتَكَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَرَاوِي^(٧) والنعام وبين الخال والعَمِّ ولائِمٌ ما لا يتلاءم؛ يتعلَّمُ للمراء، ويتفَقَّهُ للرِياء، ويبادِرُ ما يَفْنَى، ويُواكِلُ ما يَبْقَى.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْخُوَارَزْمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الرَّبِيعِ الْأَعْرَجَ عَمْرُو بْنَ سُلَيْمَانَ يَقُولُ:

(١) أَعْذَرَ إِلَيْهِ: أَيِ أَعْذَرَ اللَّهُ؛ يَقَالُ: أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى مَنْ بَلَغَ السِّتِينَ مِنَ الْعُمُرِ، أَيِ لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَوْضِعٌ لِلْإِعْتِذَارِ حَيْثُ أَمَلُهُ طَوِيلٌ هَذِهِ الْمُدَّةُ. وَيَقَالُ: مَا أَعْذَرَ فَلَانٌ أَيِ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ.

(٢) إِعْتَرَضَ: تَكَلَّفَ؛ يَقَالُ: اعْتَرَضَ فَلَانٌ الشَّيْءَ: تَكَلَّفَهُ.

(٣) الْإِخْلَافُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَالْكَذْبِ فِي الْمَاضِي، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ شَيْئاً وَلَا يَفْعَلَهُ.

(٤) كَلَحَ: كَثُرَ فِي عْيُوسٍ.

(٥) بَرِمَ: سَيِّمَ وَضَجَرَ.

(٦) حُكْمٌ: حِكْمَةٌ.

(٧) الْأَرَاوِيُّ: جُ أَرَوِيَّةٌ (بِضْمِ الْهَمْزَةِ وَكُسْرُهَا) وَهِيَ أَنْثَى الْوَعُولِ.

قال الحسن بن علي: ألا أخبركم عن صديق كان لي من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يتشهى ما لا يحل ولا يكثر إذا وجد، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يداً إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشكى ولا يتبرم، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بد القائلين، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجِدُّ فهو الليث عادياً، كان إذا جامع العلماء على أن يسمع أحرص منه على أن يقول، كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، كان لا يقول ما يفعل ويفعل ما لا يقول، كان إذا عرّض له أمران لا يدري أيهما أقرب إلى الحق نظر أقربهما من هواه فخالفه، كان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في مثله. زادني غيره: كان لا يقول حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً.

وفي كلام علي رضي الله عنه لكميل حين ذكر حُجَجَ الله في الأرض فقال: هَجَمَ بهم العلم على حقائق الأمور، فباشروا رُوحَ اليقين، وأستلنوا ما استوعر المُتَرَفُونَ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى؛ هاه^(١) شوقاً إلى رؤيتهم.

قال رجل ليونس بن عُبيد: تَعْلَمُ أحداً يعمل بعمل الحسن؟ قال: والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله! قيل: فصفه لنا؛ قال: كان إذا أقبل فكانه أقبل من دَفْنِ حَمِيمه، وإذا جلس فكانه أسيرُ أميرٍ بضرب عنقه، وإذا ذُكرت النارُ فكانها لم تُخلَقْ إلّا له.

حدّثنا حسين بن حسن المروزي قال: حدّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا معمر عن الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: ما مثلُ قراء هذا الزمان

(١) هاه: كلمة تقال للتوجع، والهاء الأولى مبدلة من همزة «آه»، وبذلك تكون اسم فعل مضارع بمعنى أتوجع.

إِلَّا كَمَثَلِ غَنَمٍ ضَوَاتٍ^(١) ذَاتِ صُوفٍ عَجَافٍ أَكَلَتْ مِنَ الْحَمَضِ^(٢) وَشَرِبَتْ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى أَنْتَفَخَتْ خَوَاصِرَهَا، فَمَرَّتْ بِرَجُلٍ فَأَعَجَبَتْهُ، فَقَامَ إِلَيْهَا فَعَبَّطَ مِنْهَا شَاةً فَإِذَا هِيَ لَا تُنْقِي^(٣)، ثُمَّ عَبَّطَ أُخْرَى فَإِذَا هِيَ كَذَلِكَ، فَقَالَ: أَفَّ لَكَ، سَائِرِ الْيَوْمِ.

حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ الْمُخْتَارِ عَنِ الْجِسْنِ قَالَ: إِذَا شَتَّ لَقَيْتَهُ أَيْبَضَ بَضًّا^(٤) حَدِيدَ النَّظَرِ مَيَّتَ الْقَلْبَ وَالْعَمَلَ، أَنْتَ أَبْصُرُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ؛ تَرَى أَبْدَانًا وَلَا قُلُوبَ، وَتَسْمَعُ الصَّوْتَ وَلَا أُنْسَ، أَخْصَبُ أَلْسِنَةً وَأَجْدُبُ قُلُوبَ.

حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ وَكِيعٍ قَالَ:

قَالَ سُفْيَانُ: الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا قَصْرُ الْأَمَلِ، لَيْسَ بِأَكْلِ الْغَلِيظِ وَلَا بُسِّ الْغَلِيظِ. قَالَ: وَقَالَ يُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا فِي تَرْكِ الدُّنْيَا مِثْلُ أَبِي ذَرٍّ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَسَلْمَانَ، مَا قَلْنَا لَهُ: إِنَّكَ زَاهِدٌ، لِأَنَّ الزَّهْدَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى تَرْكِ الْحَلَالِ الْمَحْضِ، وَالْحَلَالِ الْمَحْضِ لَا نَعْرِفُهُ الْيَوْمَ، وَإِنَّمَا الدُّنْيَا حَلَالٌ وَحَرَامٌ وَشُبُهَاتٌ؛ فَالْحَلَالُ حَسَابٌ، وَالْحَرَامُ عَذَابٌ، وَالشُّبُهَاتُ عِتَابٌ؛ فَانْزِلِ الدُّنْيَا مِنْزَلَةَ الْمَيِّتَةِ خُذْ مِنْهَا مَا يُقِيمُكَ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ حَلَالًا كُنْتَ زَاهِدًا فِيهَا،

(١) الغنم الضوَات: الضعيفة، ومفردها ضائن وضائنة.

(٢) الحَمَضُ: مَا مَلَحَ وَأَمُرٌ مِنَ النَّبَاتِ.

(٣) عَبَّطَ الذَّبِيحَةَ يَعْبِطُهَا عَبْطًا: نَحَرَهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَهِيَ سَمِينَةٌ فَتِيَّةٌ. وَلَا تُنْقِي: لَيْسَ لَهَا يَقِي لَضَعْفِهَا وَهَزَالِهَا، وَالْيَقِي: الْمَخ. وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثُ أَبِي وَائِلٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةَ (نَقَا): «فَعَبَّطَ مِنْهَا شَاةً فَإِذَا هِيَ لَا تُنْقِي».

(٤) لَمْ يَتَقَدَّمْ مَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ مَرَجَعًا لِلضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ «لَقَيْتَهُ» وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةَ (بَضَّنَ): وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ: «تَلَقَّى أَحَدَهُمْ أَيْبَضَ بَضًّا» وَالْبَضُّ: مِنَ الْبَضَاضَةِ وَهِيَ رَقَّةُ اللَّوْنِ وَصَفَاؤُهُ الَّذِي يُوْثِّرُ فِيهِ أَدْنَى شَيْءٍ.

وإن كان حراماً لم تكن أخذت منها إلا ما يُقِيمُكَ كما يأخذ المضطرُّ من الميته، وإن كان عتابٌ كان العتابُ يسيراً. ومثله قولُ بعضهم: ليس الزهد بترك كلِّ الدنيا، ولكن الزهد التهاونُ بها وأخذُ البَلَاغِ منها. قال الله تعالى: ﴿وَشَرُّهُ بِشْمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(١)، فأخبر أنهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمناً.

قال أبو سليمان الداراني: الرضا عن الله والرحمةُ للخلق درجةُ المرسلين، وما تعرف الملائكةُ المقربون حدَّ الرضا. وقال: أرجو أن أكون قد نلتُ من الرضا طَرفاً، لو أنه تبارك وتعالى أدخلني النار كنتُ بذلك راضياً. قال: وليس الحمد له أن تحمده بلسانك وقلبك مُقتصرٌ على المصيبة، ولكن هو أن تحمده بلسانك وقلبك مسلماً راضٍ.

وقال أبو أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: بلغني في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢) أنه الذي يلقي ربُّه وليس فيه أحدٌ غيره؛ فبكى وقال: ما سمعتُ مذ ثلاثين سنة أحسنَ من هذا. وقال: كلَّ قلب فيه شِرْكٌ فهو ساقط. قال: وما في الأرض أحدٌ أجِدُّ له محبةً ولكن رحمة. وقال: ينبغي للخوف أن يكون أغلبَ على الرجاء، فإذا غلبَ الرجاء على الخوف فسَدَ القلبُ.

وقال الفضيل بن عياض: أصلُ الزهد الرضا عن الله.

(١) سورة يوسف ١٢، آية رقم ٢٠. وَشَرُّهُ: باعوه منهم، أي باعوا يوسف بثمن ناقص. والدراهم المعدودة تقدَّر بعشرين أو اثنين وعشرين وكانوا: أي إخوانه. ومن الزاهدين: أي جاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين. راجع التفسير المبين.

(٢) سورة الشعراء ٢٦، آية ٨٩. ومعنى الآية: لا دين ولا إيمان ولا أخلاق ولا إنسانية إلا بسلامة من الحقد والنفاق وكل دنيَّةٍ ورذيلة. المرجع السابق.

الحسين بن علي عن عبد الملك بن أبجر: أَنَّ رجلاً يُكنى أبا سعيد كان يقول: والله ما رأيتُ قُرَاءَ زمان قطُّ أغلظَ رقاباً ولا أدقَّ ثياباً ولا آكلَ لُمخَ العيش منكم.

أبو أسامة عن حمّاد بن زيد عن إسحاق بن سويد قال.

قال مطرف: انظروا قوماً إذا ذُكروا بالقراءة فلا تكونوا منهم، وقوماً إذا ذُكروا بالفُجور فلا تكونوا منهم، كونوا بين هؤلاء وبين هؤلاء.

أوصى ابن مُحَيْرِيز رجلاً فقال: إِنْ آسَطَعْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَلَا تُعْرِفَ وَتَسْأَلَ وَلَا تُسْأَلَ وَتَمْشِيَ وَلَا يُمَشَّى إِلَيْكَ، فافعل.

قال أيوب: ما أَحَبَّ الله عبداً إلا أَحَبَّ أَلَّا يُشْعَرَ به.

إسحاق بن سليمان عن جرير بن عثمان قال: جاء شُرَيْح بن عبيد إلى أبي عائذ الأزدي فقال: يا أبا عبد الله، لو أُحْيِيتَ سَنَةً قَدْ تَرَكَهَا النَّاسُ: إِرْخَاءَ طَرْفِ الْعِمَامَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ! قال: يا بن أخي، ما كَانَ أَحْسَنَهَا! تَرَكَهَا النَّاسُ فَتَرَكْنَاهَا، مَا أَحَبُّ أَنْ أُعْرِفَ فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ.

كلام من كلام الزُّهَاد

حدَّثنا حسين بن حسن المروزي قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا عبد الله بن عبد العزيز قال:

قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل: يا فلان، هل أنت على حالٍ أنت فيها مستعدٌّ للموت؟ قال: لا؛ قال: فهل أنت مُجْمِعٌ^(١) على التحوّل إلى حال ترضى بها؟ قال: ما شَخَّصْتُ نَفْسِي لذلك؛ قال: فهل بعد

(١) مُجْمِعٌ: عازم.

الموت دارٌ فيها مُسْتَعْتَبٌ؟^(١) قال: لا؛ قال: فهل تأمنُ الموت أن يأتِكَ؟ قال: لا؛ قال فهل رضي بمثل هذا الحال عاقل؟.

حدثنا حسين قال: حدثنا عبد الله بن مبارك قال: حدَّثني غير واحد عن معاوية بن قُرة قال:

قال أبو الدرداء: أضحكني ثلاثٌ وأبكاني ثلاثٌ: أضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملء فيه ولا يدري أراضٍ الله عنه أم سخطٌ عليه. وأبكاني فراق الأحبة: محمدٌ وجزبه، وهولُ المُطْلَع، والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السرائر، ثم لا أدري إلى الجنة أو إلى النار.

كان عبد الله بن ثعلبة الحنفي يقول: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من القَصَارِ^(٢). قال: وقال الفضيل: أصلُ الزهد الرضا عن الله، وقال: ألا تراه كيف يزويها عنه ويُمَرِّمُها^(٣) عليه بالعُري مرةً وبالْجُوع مرةً وبالحاجة مرةً، كما تصنع الوالدةُ الشفيقةُ بولدها: تسقيه مرّةً صَبْرًا^(٤) ومرّةً حُضْضًا^(٥)، وإنما تريد بذلك ما هو خير له.

وقال السري: ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك. أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء: أمّا زهدك في الدنيا فتعجّلْكَ الراحة لنفسك، وأمّا انقطاعك إليّ فتعزّزْكَ بي، ولكن هل عادت لي عدوّاً أو واليت لي وليّاً؟

(١) المُسْتَعْتَبُ: الطلب إلى المسيء أن يرجع عن إساءته.

(٢) القَصَارُ: مُحَوَّرُ الثياب، سمي بذلك لأنه يدقّها بالقَصْرَةِ (بفتح القاف والصاد والراء) التي هي قطعة من الخشب.

(٣) يُمَرِّمُها: يجيزها ويعديها.

(٤) الصَّبْرُ: عصارة شجر مرّ.

(٥) الحُضْضُ (بضم الحاء وضم ثانيه أو فتحه): دواء يُتخذ من أبوال الإبل.

قال مالك بن دينار: بلغنا أن جبراً من أحبار بني إسرائيل كان يغشاه الرجال والنساء، فغمز بعض بنيه النساء، فرأهم فقال: مهلاً يا بني مهلاً! قال: فسقط عن سريره فأنقطع نخاعه^(١) وأسقطت امرأته وقُتل بنوه في الجيوش. وقيل له: ما يكون من جنسك جبراً أبداً، ما كان غضبك لي إلا أن قلت يا بني مهلاً يا بني مهلاً.

ضمرة بن ربيعة قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ارض بالله صاحباً ودع الناس جانباً.

كان بشر بن الحارث يقول: أربعة رفعهم الله بغير كبير عمل في الظاهر إلا يطيب المطعم: إبراهيم بن أدهم وسالم الخواص ووهيب المكي ويوسف ابن أسباط.

وجدثني أبو حاتم أو غيره عن العنبي قال: سمعت ابن عيينة يقول: أربع ليس عليك في واحدةٍ منهن حساب: سدُّ الجوعة، وبردُ العطشة، وستر العورة، والاستكنان؛ ثم تلا: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾^(٢).

بلغني عن يعلى عن سُفيان: قال علي عليه السلام لرجل: كيف أنتم؟ قال: نرجو ونخاف؛ قال: من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه، ما أدري ما خوف رجلٍ عرّضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف؟ وما أدري ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو؟.

بلغني عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: إن كان

(١) النخاع: الخيط الأبيض في جوف الفقار ينحدر من الدماغ وتشعب منه شعب في الجسم.

(٢) سورة طه ٢٠، الأيتان ١١٨ و ١١٩. ولا تظمأ: لا تعطش. ولا تصحى: لا يحصل لك حرّ شمس الضحى لانتفاء الشمس في الجنة. التفسير المبين.

الفضل في الجماعة فإن السلامة في العزلة. وبلغ الفضيل هذا فقال: سمعتم كلاماً أحسن منه!

قال. آبن المبارك: رَكِبْتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثي السفينة فقلتُ: بأيّ شيء أستخرج منه الكلام؟ فقلت: ما تقول في الصوم في السفر؟ فقال: إنما هي المبادرة؛ فجاءني والله بفتوى غير فتوى إبراهيم والشَّعْبِيّ.

حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن الأصمعيّ قال: قيل لأبي حازم: ما مالك؟ فقال: الثقة بما في يد الله واليأس مما في أيدي الناس. وقال أبو حازم: إنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهلٌ قبلكم، فأثّر نفسك أيها المرء بالنصيحة على ولدك، وأعلم إنما تُخلف مالك في يد أحد رجلين: عامل فيه بمعصية الله فتشقى بما جمعت له، وعامل فيه بطاعة الله فتسعد بما شقيت له؛ فأرجُ لمن قدّمت منهم رحمة الله، وثقُ لمن خلّقت منهم برزق الله.

وقال أبو حازم: إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يُغنيك.

ونظروا أبو حازم إلى الفاكهة في السوق فقال: موعذك الجنة. ومروا بالجزارين فقال له رجل منهم: يا أبا حازم، هذا سمينٌ فأشتر منه؛ قال: ليس عندي ثمنه؛ قال: أنا أنظرك؛ ففكر ساعة ثم قال: أنا أنظر نفسي.

قال سُفيان: حَلَفَ أبو حازم لجلسائه: إني لأرضى أن يبقى أحدكم على دينه كما يبقى على نَعْلِهِ.

حدّثني محمد بن زياد الزياتي قال: حدّثنا عيسى بن يونس عن عبد الله ابن سعيده بن أبي هند عن أبيه عن آبن عَبَّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نعمتان مغبُونٌ فيهما كثيرٌ من الناس».

حدَّثني محمد بن عبيد قال: حدَّثنا أبو ربيعة فهد بن عون عن حماد بن سلمة عن يعقوب قال: سمعتُ الحسن يقول: ابن آدم، إنما أنت عددٌ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضُك.

وروى عبد الله بن بكر بن حبيب السَّهْمِيُّ عن الحسن بن ذَكْوَان رَفَعَ الحديثَ إلى النبي ﷺ قال: «أوصاني ربي بتسع خصالٍ وإني مُوصيكم بها: بالإخلاص في السرِّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني وأعطي من حرمني، وأن يكون صمتي تفكراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عبراً».

مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن حميد قال: كان ابن عمر يقول: البرُّ شيء هينٌ: وجهٌ طليقٌ وكلامٌ لينٌ.

جعفر بن سليمان قال: سمعتُ مالكا يقول: اتَّقُوا السَّحَّارَةَ، فإنها تسحرُ قلوبَ العلماء. قال: وسمعتُه يقول: ودِدْتُ أنْ رزقي في حصاة أمصها حتى أموت، ولقد آخلفتُ إلى الخلاء حتى استحيتُ من ربي.

بشر بن مُصلح عن أبي سعيد المصيصي عن أسد بن موسى قال: في الجُوع ثلاثٌ خلال: حياةُ القلب، ومَذَلَّةُ النفس، ويُورث العقلَ الدقيق السماوي.

سالم بن سالم البلخي عن السري بن يحيى قال: كان الحسن إذا عاد مريضاً لم ينتفع به يوماً وليلة، وإذا شيع جنازةً لم ينتفع به أهله وولده وإخوانه ثلاثاً.

خلف بن تميم قال: قال رجل لإبراهيم بن أدهم: يا أبا إسحاق، أحب أن تقبل مني هذه الجبة كسوة؟ قال إبراهيم: إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن

كُنْتُ فَقِيرًا لَمْ أَقْبَلْهَا؛ قَالَ: فَإِنِّي غَنِيٌّ؛ قَالَ: كَمْ عِنْدَكَ؟ قَالَ: أَلْفَانِ؛ قَالَ: فَيُسْرُكَ أَنْ تَكُونَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: أَنْتَ فَقِيرٌ، لَا أَقْبَلْهَا.

قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: دَخَلْتُ أَنَا وَيَحْيَى بْنُ سَلِيمَانَ عَلَى الْفُضَيْلِ نَعُوذُهُ؛ فَقَالَ: زَوَجَكَ وَخَوَّلَكَ وَصَرَفَ وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَشْغَلُكَ عَنْهُ مَنْ أَنْتَ وَمَا أَنْتَ! ثُمَّ شَهَقَ شَهَقَةً، وَأَضْجَعَهُ رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ وَغَطَّى عَلَيْهِ ثَوْبًا وَهُوَ لَا يَعْقِلُ، وَنَزَلْنَا.

بَكَارَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ:

قَالَ أَبُو حَازِمٍ: السَّرُّ أَمْلَكُ بِالْعَلَانِيَةِ مِنَ الْعَلَانِيَةِ بِالسَّرِّ، وَالْفِعْلُ أَمْلَكُ بِالْقَوْلِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْفِعْلِ، فَإِذَا كُنْتَ فِي زَمَانٍ يُرْضَى فِيهِ مِنَ الْفِعْلِ بِالْقَوْلِ وَمِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ، فَأَنْتَ فِي شَرِّ زَمَانٍ وَشَرِّ أَنْاسٍ.

ابْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي سَلِيمَانَ أَمْرَاتِي وَالشَّغْلَ بِهَا، فَقَالَ: إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ مِنْ قَلْبِكَ أَنْكَ تُرِيدُ الْفَرَاغَ لَهُ فَرَّغْكَ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الرَّاحَةَ مِنْهَا لَتَسْتَبْدِلَ بِهَا، فَهَذِهِ حِمَاقَةٌ. قَالَ: وَرَأَيْتُهُ حِينَ أَرَادَ الْإِحْرَامَ فَلَمْ يُلَبَّ حَتَّى سَبَرْنَا مَلِيًّا وَأَخَذَهُ كَالْغَشِيِّ وَجَعَلَ رَأْسَهُ عِنْدَ رُكْبَتِهِ فَجَعَلَ مَحْمِلُهُ يَخْفُفُ وَمَحْمِلِي يَثْقُلُ حَتَّى سَبَرْنَا هَوِيًّا^(١)، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ، بَلَّغْنِي أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَا مُوسَى مَرَّ ظَلَمَةٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَقُولُوا مِنْ ذِكْرِي» فَإِنِّي أَذْكَرُ مَنْ ذَكَرَنِي مِنْهُمْ بَلْعَنَةً حَتَّى يَسْكُتَ». وَيَحْكُ يَا أَحْمَدُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ مِنْ حَجٍّ مِنْ غَيْرِ جِلَّةٍ ثُمَّ لَبَّى، قَالَ لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ حَتَّى تَرَدَّ مَا فِي يَدَيْكَ؛ فَمَا يُؤْمِنُنَا أَنْ يَقَالَ لَنَا ذَلِكَ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو سَلِيمَانَ:

(١) هَوِيًّا: سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ.

يجيشك وأنت في شيء من الخير فيشير لك إلى شيء من الخير دونه ليربح عليك شعييرة؛ يعني إبليس.

قال المسيح لأصحابه: بحق أقول لكم، إن من طلب الفردوس فخير الشعير له والنوم في المزابل مع الكلاب كثير.

مسلم بن إبراهيم عن عمرو بن حمزة عن داود بن أبي هند عن مكحول قال: كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط من سقط وكنا فيمن بقي، ثم كنا مراضع^(١) فهللك منا من هلك وبقي من بقي، وكنا أيفاعاً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شباناً، وذكر مثل ذلك، ثم صرنا شيوخاً لا أبا لك فما نتظر وما نريد! وهل بقيت حالة نتقل إليها.

قال: وقال مكحول: الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يحزن ولا يغتم، فيأتيه الله برزقه من قبل سُرته، وغذاؤه في بطن أمه في دم حيضها، فمن ثم لا تحيض الحامل، فإذا سقط استهل استهلاله إنكاراً لمكانه، وقطعت سُرته وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتناوله بكفه، حتى إذا اشتد وعقل قال: أين لي بالرزق؟ يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي جبرها تُرزق حتى إذا عقلت وشببت قلت: هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق؟ ثم قرأ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَرْزَأُ﴾^(٢).

عبد الملك بن عبد العزيز قال: كان محمد بن النضر الحارثي إذا لم يكن في صلاة استقبال القبلة، فقعدنا إليه بعد العصر فقال: بلغني أنه من

(١) مراضع: ج مراضع (بفتح الصاد) وهو الرضيع.

(٢) سورة الرعد ١٣، آية ٨. والمعنى: إن الله يعلم ما تحمل كل أنثى من ذكر أو أنثى وما تنقص الأرحام عن مدة الحمل بحيث تلد أو تسقط لأقل من تسعة أشهر، وما تزداد عن التسعة. ولقد اتفقت المذاهب الإسلامية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأختلفوا في أقصاها. راجع التفسير المبين.

قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ألف مرة في دُبُر صلاة العصر، رُفِع له عملٌ نبيٍّ؛ ثم قال: قد أكثرت الكلام.

وقال سعيد بن عمر الكِنْدِيُّ: دخل رجلٌ على داود وهو يأكل خبزاً يابساً قد بلّه في الماء بِمَلَحٍ جَرِيشٍ^(١)، فقال له: كيف تشتهي هذا؟ قال: أدعُه حتّى أشتهيه. ونحو هذا قول هشام بن محمد الملك لسالم: ما أَدُمُكَ^(٢)؟ قال: الزيت؛ قال: أما تَأْجِمُهُ^(٣)؟ قال: إذا أَجَمْتُهُ تركتُه حتّى أشتهيه. قال: وكان ماء داود في دَنٍّ مُقَيَّرٍ^(٤) في الصَّيْفِ والشتاء، فقال له بعض أصحابه: لو بَرَدَتْ الماء! فقال داود: إذا أَصَبْتَ في مثل هذا اليوم ماءً بارداً فمتى تُحِبُّ الموت؟.

سعيد بن عمرو عن رجل قال: قال محمد بن واسع: لو كان للذنوب رِيحٌ ما جلس إليّ منكم آثنان. وقال محمد بن واسع: لا يَطِيبُ الْمَالُ إلا من أربع: سهم في فَيء المسلمين، أو عطية عن ظَهْر يَدٍ، أو إرثٌ بكتاب الله، أو تجارة من حلال؛ ولا يُقْتَلُ مسلم إلا بهذه الخِصَال: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قَتَلَ فيُقْتَل، أو حارب الله ورسوله وقَطَعَ الطريق.

قال سليمان بن المُغِير: سمعتُ ثابتاً يقول: واللّهِ لَحَمْلُ الْكَارَاتِ أهونٌ من العبادة. قال: ولا يُسَمَّى الرجلُ عابداً وإن كانت فيه خَصْلَةٌ من كلِّ خيرٍ حتّى يكون فيه الصومُ والصلاة، فإنهما من لحمه ودمه.

(١) مَلَحٌ جَرِيشٌ: ملح لم يُطَبِّبَ.

(٢) الْأَدَمُ: ما يُؤْكَلُ بالخبز أي الشيء كان؛ يقال: أَدَمَ الْخَبْزُ بِأَدَمِهِ أَدَمًا: خلطه بالأدم (بضم الهمزة وسكون الدال).

(٣) تَأْجِمُهُ: تكرهه وتملّه.

(٤) مُقَيَّرٌ: مَطْلِيٌّ بالقار وهو شيء أسود تَطْلَى به السفن، وقيل هو الزفت.

أبو نعيم عن الأعمش عن يزيد بن حيان قال: كان عيسى بن عُبَبة يسجد حتى أن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن، ما يحسبنه إلا جرم حائط.

حدثني محمد بن داود عن عبد الصمد بن يزيد قال: شكا أهل مكة إلى الفضيل القحط؛ فقال: أمدبراً غير الله تريدون؟ قال: وسمعتة يقول: استخبروا الله ولا تحذروا عليه، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان هلاكه فيه! أما رأيتموه سأل ربه طرسوس^(١) فأعطيتها فأسير فصار نصرانياً؟.

وحدثني أيضاً عن سعيد بن نصير قال: قال وكيع: أبو يونس، ومن أبو يونس؟ بكى حتى عمي، وطاف حتى أقعد، وصلى حتى حذب.

حدثني محمد بن عبيد قال: محمد بن عبد الله الأنصاري عن بهز بن حكيم قال: صلى بنا زُرارة بن أوفى الغداة، فقرأ الإمام: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾^(٢)، فخر مغشياً عليه، فحملناه ميتاً.

ابن أبي الحواري قال: سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول: الصلاة تبلِّغك نصف الطريق، والصوم يبلِّغك باب الملك، والصدقة تُدخلك عليه.

ذكر أبو حنيفة رحمه الله أيوب فقال: رحمه الله - ثلاثاً - لقد قَدِمَ المدينة

(١) طرسوس (بفتح الطاء والراء وضم السين وسكون الواو) بلد بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وكان الزهاد والصالحون يقصدونه لأنه من ثغور المسلمين، استولى عليه ملك الروم سنة ٣٥٤ هـ وتنصّر وقتل بعض المسلمين وقصد بعضهم بلاد الإسلام. راجع معجم البلدان. وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١ ص ٦٨ - ٦٩): طرسوس مدينة في الثغور الرومية عند المصيصة وأذنة، وبها قبر المأمون بن هارون الرشيد. وقد تقدم الحديث عن المصيصة في الحاشية رقم ٢ من ص ٢١٩ من الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٢) سورة المذثر ٧٤، الآيات رقم ٨ و ٩ و ١٠. ومعنى الآيات: إذا نفخ في الصور وخرج الأموات من القبور سيكون وقت النقر يوماً عسيراً على الطغاة والعصاة. راجع التفسير المبين.

مرّة وأنا بها، فقلتُ: لأفُعدنّ له، لعلّي أتعلّق عليه بسُقطة، فقام من القبر مقاماً ما ذكرته قطّ إلا أقشعرّ جلدي.

روى ابنُ عيَّاش عن سعيد بن أبي عروبة قال: حجّ الحجاج فتزل بعضُ المياه ودعا بالغداء، فقال لحاجبه: انظر من يتغذى معي وأسأله عن بعض الأمر؛ فنظر الحاجب فإذا هو بأعرابيٍّ بين شملتين من شعرٍ نائم، فضربه برجله وقال: اتت الأميرَ فأتاه؛ فقال له الحجاج: اغسلْ يدك وتغدّ معي؛ قال: إنه دعاني مَنْ هو خيرٌ منك فأجبته؛ فقال له الحجاج: من الذي دعاكَ؟ قال: اللهُ تعالى دعاني إلى الصوم فصُمتُ؛ قال: في هذا اليوم الحارّ؟ قال: نعم، صُمتُ ليومٍ أحرَّ منه؛ قال: فأفطر وتصوم غداً؛ قال: إنْ ضمنتُ لي البقاء إلى غد؛ قال: ليس ذاك إليّ؛ قال: فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه؛ قال: إنه طعامٌ طيّب؛ قال: إنك لم تُطَيِّبه ولا الخباز، ولكن طَيِّبته العافية.

ونحو هذا حدّث الأصمعيّ عن شبيب بن شيبه قال: كنّا في طريق مكة فجاء أعرابيٌّ في يومٍ صائفٍ شديدٍ الحرِّ ومعه جاريةٌ سوداء وصحيفةٌ، فقال: أفيكم كاتب؟ قلنا: نعم؛ وحضر غداؤنا فقلنا: لو دخلتْ أصبت من الطعام! قال: إني صائم؛ قلنا: في الحرِّ وشِدّته وجَفَاء البادية؟ فقال: إن الدنيا كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، ولا أحبُّ أنْ أغبَنَ أيّامي، ثم نبذ إلينا الصحيفة، وقال: اكْتُبْ ولا تزيدنْ على ما أقول حرفاً: هذا ما أعتق عبدُ الله ابنُ عَقِيل الكلابيّ، أعتق جاريةً له سوداء يقال لها لؤلؤة، ابتغاء وجه الله تعالى وجوازِ العقبة، وإنه لا سبيلَ له عليها إلا سبيلَ الولاء، المِنَّةُ لله عليها وعليه واحدة. قال الأصمعيّ: فحدّثتُ بها الرشيدَ، فأمر أن يُعتَقَ عنه ألفُ نَسَمَةٍ أو مائةُ نَسَمَةٍ، ويُكْتَبَ لهم هذا الكتاب.

قال خالد بن صفوان: بَتُّ أَتَمَنَى ليلتي كلَّها، فكَبَسْتُ البحر الأخضرَ بالذهب الأحمر، فإذا الذي يَكْفِينِي من ذاك رَغِيفان وكُوزان وطِمْران! رأى رجلٌ رجلاً من وَلَدِ مُعاوية يَعْمَلُ على بَعِيرٍ له، فقال: هذا بعد ما كنتم فيه من الدنيا! فقال: رحمك الله، ما فَقَدْنَا إلا الفضولَ.

سمعتُ بعضَ العبادِ يقول: علامةُ التَّوبَةِ الخروجُ من الجهل، والنَّدَمُ على الذنب، والتَّجَافِي عن الشهوة، واعتقادُ مَقَتِ نَفْسِكَ المَسْئُولَةِ، وإخراجُ المَظْلَمَةِ، وإصلاحُ الكَسْرَةِ، وتركُ الكذب، وقطْعُ الغيبة، والانتهاؤُ عن خِذْنِ^(١) السَّوْءِ.

لَقِيَ زَاهِدٌ زَاهِداً فقال له: يا أخي، إني لأُحِبُّكَ في الله؛ قال الآخر: لو عَلِمْتُ مَنِّي ما أَعْلَمُ من نَفْسِي لأُبْغِضْتَنِي في الله؛ قال له الأول: لو عَلِمْتُ منك ما تَعْلَمُ من نَفْسِكَ، لكان لي فيما أَعْلَمُ من نَفْسِي شُغْلٌ عن بُغْضِكَ.

كان الثَّوْرِيُّ مُسْتَخْفِياً بِالْبَصْرَةِ، فورد عليه كِتَابٌ من أهله، وفيه: قد بَلَغَ بنا الجَهْدُ إلى أن نأخُذَ النَّوْىَ فنَرُضُّهُ ثم نخلِطُهُ مع التَّيْنِ فنأْكُلُهُ؛ فحرَّكَ ذلك من قلبه، ورَمَى بالكتاب إلى أخ له؛ فقرأه فدمَعَتْ عَيْنُهُ، ثم قال: يا أبا عبد الله، لو أَنَّكَ حَدَّثْتَ النَّاسَ أَتَّسَعْتَ وَأَتَّسَعَ هَؤُلَاءِ! فأطرقَ مَلِيّاً ثم رفع رأسه وقال: اسمعُ حديثاً أَحَدْتُكَ به ثم لا أَكَلِّمُكَ بعده سنة؛ رُئِيَ نَوْرٌ في الجَنَّةِ تَجَدَّدَ، فَقِيلَ: ما هذا النور؟ فَقِيلَ: حَوْرَاءُ ضَحِكَتْ في وجه زوجها فَبَدَتْ ثَنَائِها؛ فَتَرَى لي أن أَغَرَّرَ بِتلك وَأَصِيرَ إلى ما تقول!.

أراد قومٌ سفراً فحادوا عن الطريق وأنتهوا إلى راهبٍ منفردٍ في ناحية،

(١) الخِذْنُ: المصاحب والرفيق. والسَّوْءُ: الشيء المنكر؛ يقال: رجلٌ سوء، وقال الأخفش: ولا يقال: الرجلُ السَّوْءُ.

فنادَوْه فأشرف عليهم، فقالوا: إنا قد ضَلَلْنَا فكيف الطريق؟ قال لهم: ها هنا، وأوماً إلى السماء، فعلموا الذي أراد، فقالوا: إنا سائلوك، أفتُجيبنا أنت؟ قال: سلوا ولا تُكثروا، فإنَّ النهارَ لن يرجعَ والعُمُرُ لن يعودَ والطالبُ حيثُ في طلبه ذو أجتهد؛ قالوا: ما الخلقُ عليه غداً عندَ مليكهم؟ فقال: على نياتهم؛ فقالوا: فالآمَ الموئِّلُ؟ قال: إلى المُقَدَّم؛ قالوا: أوْصِنَا؛ قال: تَزَوَّدُوا على قدر سفركم، فإنَّ خيرَ الزادِ ما بَلَغَ المَحَلَّ؛ ثم أرشدهم إلى المَحَجَّةِ وأنقَمع^(١).

وقال آخر: قلت لراهب: عِظْني عِظَةً نافعة؛ فقال: جميعُ المواعظ منتظمةٌ في حرف واحد؛ قلت: ما هو؟ قال: تُجِيعُ على طاعته، فإذا أنت قد حَوِيتَ المواعظ والأذكار.

الأصمعيّ: قيل لأعرابيٍّ معه ماشيةٌ: لمن هذه الماشية؟ قال: لله عندي.

كان ابن السماك يقول في كلامه: لقد أهملكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون؟.

قال بكر بن عبد الله: اجتهدوا في العمل، فإنَّ قَصْرَ بكم ضعفُ فكُفُوا عن المعاصي.

كان مالك بن دينار يقول في قَصَصِهِ: ما أَشَدَّ فِطَامَ الكبير^(٢)!

[كامل] وَيُنْشَد:

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بعد ما هَرِمَتْ ومن العناءِ رياضةُ الهَرِمِ^(٣)

(١) انقَمع المَرءُ: جلس وحده.

(٢) ورد هذا القول في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٨٥).

(٣) العِرْسُ: الزوجة. وقد ذكر ابن عبد ربه هذا البيت في العقد الفريد (ج ٣ ص ٩٧) بعد أن قال: «قالوا: ما أَشَدَّ فِطَامَ الكبير... وقالوا من العناءِ رياضةُ الهَرِمِ. قال الشاعر». وأورد =

كان أعرابي يسرق الإبل يُسمَّى يزيد، ثم تاب وقال: [طويل]

أَلَا قُلْ لِرُعْيَانِ الْمَخَائِضِ^(١) أَهْمِلُوا فقد تاب، مما تعلمون، يزيدُ
وإنَّ أَمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ^(٢)

وقال نصيح الأسدي: [طويل]

كفى نَظْفًا^(٣) بِالْمَرْءِ يَا أُمَّ صَالِح ركوبُ المعاصي عامداً واحتقارها

كان خالد بن معدان^(٤) يقول: [طويل]

إذا أنتَ لم تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِداً نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ
قال منصور بن عمار: ما أرى إساءةً تكبرُ عن عفو الله فلا تأيس، ربما
أخذ الله على الصغير فلا تأمن.

وروى وكيع عن إبراهيم بن إسماعيل عن عتيبة بن سميعة عن مسيكة
عن عائشة رضي الله عنها أنها أتت رسول الله ﷺ بصحفة فيها خبز شعير

= البيت المذكور أعلاه. ولقد سبقه إلى هذا المعنى أحد الشعراء (طويل).
إذا المرءُ أَعْيَنَهُ المَرْوَةَ نَاشِئاً قَمَطَ لَهَا كَهلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ
انظر العقد الفريد (ج ٢ ص ٤٣٥).

- (١) المخائض: الإبل التي تخوض في الماء، أي تمشي فيه.
- (٢) قائل هذين البيتين هو يزيد بن الصَّقِيلِ الْعُقَيْلِي، أحد اللصوص المشهورة بالبادية، وكان قد تاب. ولقد ذكر ابن منظور هذين البيتين في لسان العرب مادة (بعر) وقال: أَلَا قُلْ لِرُعْيَانِ الْأَبَاعِرِ... الخ والأباعر: جمع أَبْعَرَةٍ، وأبعر ج بعير وهو الجمل البازل. وأضاف ابن منظور قائلاً: البيت الثاني كثيراً ما يتمثل به الناس ولا يعرفون قائله، وكان سبب توبة يزيد هذا أن عثمان بن عفان وجه إلى الشام جيشاً غازياً، وكان يزيد في بعض بوادي الحجاز يسرق الشاة والبعير وإذا طُلب لم يوجد، فلما أبصر الجيش متوجهاً إلى الغزو أخلص التوبة وسار معهم.
- (٣) النَّظْفُ: العيب.
- (٤) خالد بن معدان الكلاعي تابعي، أصله من اليمن، تولَّى شرطة يزيد بن معاوية. اشتهر بالعبادة وتوفي سنة ١٠٤ هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٩٩.

وقطعة من الكرّش، فقالت: يا رسول الله، ذَبَحْنَا اليوم شاةً فما أَمْسَكْنَا منها إلا هذا؛ قال: بل كُلْها أَمْسَكْتُمْ إلا هذا.

استقبل عامر بن عبد قيس رجلاً في يوم حَلَبَة، فقال: من سَبَقَ يا شيخ؟ فقال: المَقْرَبُونَ. وأُتِيَ به عثمان أَعْبَد في دهليزه، فلما خرج رأى شيخاً ثَطَّ^(١) في عباءة، فأنكر مكانه، فقال: يا أعرابي، أين ربُّك؟ قال: بِالْمِرْصَادِ.

قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما بَالُنَا نَكْرَهُ الموت؟ قال: لَأَنْكُمْ عَمَّرْتُمُ الدُّنْيَا وَأَخْرَبْتُمُ الْآخِرَةَ، فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنَ الْعُمَرَانِ إِلَى الْخِرَابِ.

قال الحسن نِعَمُ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكِرَ إِلَّا مَا أَعَانَ عَلَيْهِ، وَذُنُوبُ ابْنِ آدَمَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُسَلَّمَ مِنْهَا إِلَّا مَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ.

وقال الحسن: تَتَفَقَّ دِينَكَ فِي شَهْوَتِكَ سَرَفًا، وَتَمْنَعُ فِي حَقِّ اللَّهِ دَرَهْمًا، سَتَعْلَمُ يَا لُكْعُ^(٢).

خرج المسيح من بيت مُوسَى، فقبل له: يا رُوحَ اللَّهِ، ما تَصْنَعُ عند هذه؟ فقال: إِنَّمَا يَأْتِي الطَّيِّبُ إِلَى الْمَرَضَى. وَمرَّ بِقَوْمٍ شَتَمُوهُ فَقَالَ خَيْرًا، وَمرَّ بِآخَرِينَ شَتَمُوهُ فَقَالَ خَيْرًا؛ فقال رجل من الحواريين: كَلِمَا زَادُوكَ شَرًّا زِدْتَ خَيْرًا، كَأَنَّكَ تُغْرِيهِمُ بِنَفْسِكَ! فقال: كُلُّ إِنْسَانٍ يُعْطِي مِمَّا عِنْدَهُ.

أخبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين؛ فقال سليمان: فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ؟ قال: قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

(١) الثَّطَّ: الإفراط في الحمق.

(٢) يَا لُكْعُ: يَا لَيْتِيْمٌ، وَلِنَدَاءِ الْإِنْسَانِ نَقُولُ: يَا ذَوِي لُكْعٍ إِذَا لَا يَصْرِفُ فِي الْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنِ الْكُفِّ.

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعب: عِظْنِي: فقال: لا أَرْضَى نفسي لك، إني لأُصَلِّي بين الغني والفقير، فأَمِيل على الفقير وأُوسِّع للغني. نظرتُ امرأةً إلى أخرى وحولها عشرةٌ من وَلَدِها كأنهم الصقور، فقالت: لقد وَلَدْتُ أُمَّكم حزناً طويلاً.

أُحْضِرُ فِتًى كان فيه زهوٌ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فإذا أبواه يَبْكِيان، فقال لهما: ما يُبْكِيكما؟ قالا: الخوفُ عليك لِإِسْرَافِكَ على نفسك؛ فقال: لا تَبْكِيَا، فوالله ما يَسُرُّني أن الذي بيد الله من الرحمة بأيديكما.

قال علي بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: يا أبن آدم، لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الذي لم يَأْتِ على يَوْمِكَ الذي أنت فيه، فإنَّ يَكُ من أَجْلِكَ يَأْتِ فيه رِزْقُكَ، وأَعْلَمُ أَنَّكَ لا تَكْسِبُ من المَالِ شَيْئاً فوق قُوَّتِكَ إلا كُنْتَ فيه خازِناً لغيرِكَ. قال النابغةُ في نحوه:

[وافر]

وَلَسْتُ بِحَابِسٍ لِعَدِ طَعَامٍ جَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ

تذاكر حُذَيْفَةُ وَسَلْمَانُ أَمْرَ الدُّنْيَا، فقال سَلْمَانُ: ومن أعجب ما تذاكَرْنَا صَعُودَ غُنَيْمَاتِ الْغَامِديِّ^(١) سَرِيرَ كِسْرَى، وكان أعرابيٌّ من غامدٍ يَرْعَى شُؤْبَهَاتٍ^(٢) له، فإذا كان اللَّيْلُ صَيَّرَهَا إلى عَرِصَةِ إِيوان كِسْرَى، وفي العَرِصَةِ سَرِيرٌ رُخَامٍ كان يجلس عليه كِسْرَى، فَتَصْعَدُ غُنَيْمَاتُ الْغَامِديِّ إلى ذلك السَرِيرِ.

دخل أبو حازم المسجد فَوَسَّوسَ إليه الشَّيْطَانُ: إِنَّكَ قد أَجْدَثْتَ بعد

(١) نسبة إلى قبيلة غامد ابن عبد الله بن كعب بن الحارث بن كعب. أنظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٧٧.

(٢) الشُّؤْبَهَاتُ: ج شُؤْبَةٍ، وهي تصغير شُؤْهَةٍ (بفتح الشين والواو والهاء) والشُّؤْهَةُ والشَّاهَةُ هي الشَّاةُ.

وَضُوبُوكَ، فقال: وقد بَلَغَ هذا من نصحك!

قال الزبير: يكفيني^(١) من خَضَمِكُمُ الْقَضْمُ، ومن نَصَّكُمُ الْعَنْقُ. قال رجلٌ
لَأُمِّ الدَّرْدَاءِ: إني لأجد في قلبي داءً لا أجد له دواءً، أجد قَسْوَةً شديدةً وأملًا
بعيداً؛ قال: اطلع في القبور وأشهد الموتى.

قيل للربيع بن خَيْثَمٍ: لو أرختَ نفسك! قال: راحتها أريد.

قال رجل من الصالحين: لو أنزل الله كتاباً أنه معذَّبُ رجلاً واحداً
لخِفْتُ أن أكونه، أو أنه راحمٌ رجلاً واحداً لرجوتُ أن أكونه، أو أنه مُعَذِّبٌ لا
محالة ما أزددتُ إلا اجتهداً لثلاث أرجع على نفسي بلائمة.

أثنى قومٌ على عوف بن أبي جميلة، فقال لهم: دَعُونَا من الثناء،
وأمِدُّونَا بالدعاء.

قيل لبعض العباد: مَنْ شَرُّ الناس؟ قال: من لا يُبالي أن يراه الناسُ
مسيئاً.

قال المسور بن مخرمة: لقد وارت الأرض أقواماً لو رأوني معكم
لاستحييتُ منهم.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْلِكُ والنجاة معه؛
قيل: وما هي؟ قال: الإستغفار.

كان فتى يُجالس سُفيان الثوري ولا يتكلم، وكان سُفيان يحب أن يتكلم
ليسمع كلامه، فمرَّ به يوماً فقال له: يا فتى، إنَّ من كان قبلنا مرّوا على خيل

(١) الْقَضْمُ: الأكل بأقصى الأضراس. وَالْقَضْمُ: الأكل بأطراف الأسنان. وَالْعَنْقُ (يفتح العين والنون معاً): سَيْرٌ فسيحٌ واسعٌ للإبل والذابة، وهو أَسَمٌ من الإغشاق؛ يقال: عانقتِ الإبل: سارت العنق.

وَبَقِينَا عَلَى حَمِيرِ دَبْرَةٍ؛ فَقَالَ الْفَتَى: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، إِنَّ كُنَّا عَلَى الطَّرِيقِ فَمَا أَسْرَعَ لِحُقُوقِنَا بِالْقَوْمِ!.

قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ خَفَقَ النِّعَالُ خَلْفَ الرِّجَالِ قَلَّ مَا تَلَبَّثَ الْحَقِيقِيُّ. وَذَكَرَ عَنْهُ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الصُّوفَ، فَقَالَ: مَا لَهُمْ تَفَاقَدُوا^(١)! - ثَلَاثًا - أَكْتَنُوا الْكِبَرَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَظْهَرُوا التَّوَاضُّعَ فِي لِبَاسِهِمْ، وَاللَّهُ لِأَحَدِهِمْ أَشَدُّ عُجْبًا بِكَسَائِهِ مِنْ صَاحِبِ الْمِطْرَفِ بِمِطْرَفِهِ. وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَوَجَدَ عَنْده رِيحَ قَذِرٍ حَظِيَّةٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّ قِذْرَكَ لَطِيَّةٌ؛ قَالَ: نَعَمْ لَا رَغِيْفِي مَالِكَ وَصَحْنَاهُ فَرَقْدَ.

طَلِبَ أَبُو قِلَابَةَ لِلْقَضَاءِ فَلَحِقَ بِالشَّامِ هَرَبًا، فَأَقَامَ حِينًا ثُمَّ قَدِمَ الْبَصْرَةَ؛ قَالَ أَيُّوبُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: لَوْ أَنَّكَ وَلِيتَ الْقَضَاءَ وَعَدَلْتَ بَيْنَ النَّاسِ رَجَوْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ أَجْرًا؛ قَالَ لِي: يَا أَيُّوبُ، إِذَا وَقَعَ السَّابِحُ فِي الْبَحْرِ فَكَمْ عَسَى أَنْ يَسْبَحَ؟.

قَالَتْ أَمْرَأَةُ أَبِي حَازِمٍ يَوْمًا لَهُ: يَا أَبَا حَازِمٍ، هَذَا الشِّتَاءُ قَدْ هَجَمَ وَلَا بَدَّ لَنَا مِمَّا يُصْلِحُنَا فِيهِ، فَذَكَرْتُ الثِّيَابَ وَالطَّعَامَ وَالْحَطَبَ؛ فَقَالَ: مِنْ هَذَا كُلِّهِ بُدٌّ، وَلَكِنْ خُذِي مَا لَا بَدَّ مِنْهُ: الْمَوْتُ ثُمَّ الْبَعْثُ ثُمَّ الْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ.

قَالَ أَبُو الْعَتَّاهِيَّةَ: [مَجْزُوءُ الرَّمْلِ]

أَطِيعِ اللَّهَ بِجُهِدِكَ عَامِدًا أَوْ دُونَ جُهِدِكَ
أَعْطِ مُؤْلَاكَ كَمَا تَطُ لَبَّ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ

وَقَالَ أَيْضًا: [بَسِيطَ]

(١) تَفَاقَدُوا: دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَفْقَدَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

أرى أناساً بأدنى الدِّين قد قَنِعُوا ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدُّونِ
فأستغنٍ بالدِّين عن دُنْيا الملوك كما آسَ ستغنَى الملوكُ بدُنْياهم عن الدِّينِ

[منسرح]

وقال محمد بن حازم^(١):

ما الفقرُ عارٌ ولا الغنى شرفٌ ولا سَخاءٌ في طاعةٍ سَرَفٌ
ما لك إلا شيءٌ تُقدِّمه وكلُّ شيءٍ أَخَّرْتَه تَلَفٌ
تَرْكُكَ مالاً لو ارثَ يَتَهَنَّدُ نَهْهَ وتَضَلَّى بحرَّه أَسَفٌ

[طويل]

وقال أبو العتاهية:

ألا إنما التَّقوى هي العِزُّ والكَرَمُ وَحُبُّكَ للدُّنيا هو الدُّلُّ والنَّدَمُ
وليس على عبدٍ تَقِيٍّ نَقِصَةٌ إِذَا صَحَّحَ التَّقوى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ

قال علي بن الحسين: الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين.

قيل لابن سيرين: ما أشدَّ الورع! قال: ما أيسره! إذا شككت في شيء فدعه.

قال رجل لحذيفة: أخشى أن أكون منافقاً؛ فقال لو كنت منافقاً لم تخش.

[كامل]

وقال محمود^(٢) الوراق:

ياناظراً^(٣) يرئوبعيني راقداً ومُشاهداً للأمر غير مُشاهِدِ
تَصِلُ الذُّنوبُ إلى الذُّنوبِ وتَرْتَجِي دَرَكَ الْجَنانِ بها وَقُورَ العابِدِ
وَنَسِيتُ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمَ منها إلى الدُّنيا بذَنْبٍ واحدٍ

(١) هو محمد بن حازن الباهلي، وقد تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٢ من ص ٢٤٦ من الجزء

الأول من هذا الكتاب كما وردت هذه الأبيات في نفس الصفحة من الجزء المذكور.

(٢) تقدمت ترجمته في الحاشية رقم ٣ من ص ٨٤ من الجزء الأول من هذا الكتاب. وقد وردت

آياته هذه في العقد الفريد (ج ٣ ص ١٧٩) وفي الكامل للمبرد (ج ١ ص ٢٣٥).

(٣) في المصدر السابق وفي نفس الصفحة «يا غافلاً ترنو... الخ».

وقال وَضَّاحٌ^(١) اليمَن:

[منسرح]

مَالِكْ، وَضَّاحٌ، دَائِمَ الْغَزَلِ أَلَسْتُ تَخْشَى تَقَارُبَ الْأَجَلِ
يَا مَوْتُ، مَا إِنْ تَزَالُ مُعْتَرِضاً لِأَمَلٍ دُونَ مُنْتَهَى الْأَمَلِ
تَنَالُ كَفَاكَ كُلَّ مُسْهِلَةٍ وَخَوْثَ بَحْرِ وَمَعْقِلَ الْوَعْلِ
صَلُّ لَدَى الْعَرْشِ وَأَتَّخِذْ قَدَمًا تُنْجِيكَ بَعْدَ الْعِثَارِ وَالزَّلَلِ

قيل ليوסף عليه السلام: مالك تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ قال:
أخاف أن أشيع فأنسى الجائع.

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ^(٢):

[منسرح]

هُمَا طَرِيقَانِ فَائِزٌ دَخَلَ الْـ جَنَّةَ حَفَّتْ بِهِ حَدَائِقُهَا
وَفِرْقَةٌ فِي الْجَحِيمِ مَعَ فِرْقِ الشُّـ يَطَانُ يَشْقَى بِهَا مُرَافِقُهَا
تَعْرِفُ هَذَا الْقُلُوبُ حَقًّا إِذَا هَمَّتْ بِخَيْرٍ فَمَا عَوَائِقُهَا
وَصَدَّهَا لِلشَّقَاءِ عَنْ طَلَبِ الْـ جَنَّةِ دُنْيَا وَاللَّهُ مَا حَقُّهَا
عَبْدٌ دَعَا نَفْسَهُ فَعَاتَبَهَا يَعْلَمُ أَنَّ الْبَصِيرَ رَامِقُهَا
إِقْتَرَبَ الْوَعْدُ وَالْقُلُوبُ إِلَى الْـ أَلْهُو وَحُبِّ الْحَيَاةِ سَائِقُهَا
مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الْبَقَاءِ وَأَنَّ تَحْيَا قَلِيلًا وَالْمَوْتُ لَاحِقُهَا

(١) وضاح اليمَن هو عبد الرحمن بن إسماعيل الحميري الخولاني. قيل: إنه من الفرَس الذين قدموا اليمَن. وكان يهرى امرأة من اليمَن أسمها روضة وكان يشبب بها في شعره، إذ المعروف عنه أنه رقيق الغزل عجب النسيب. لما استأذنت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجها الخليفة الوليد بن عبد الملك في الحجَّ أذن لها، وهناك وقعت عينها على وضاح اليمَن فهويته وأنفذت إلى كثير عزة ووضاح اليمَن أن يقولاً فيها شعراً، فكره ذلك كثيراً. وأما وضاح اليمَن فإنه صرَّح ببلوغ ذلك الوليد فقتله سنة ٩٠هـ. راجع في ذلك فوات الوفيات (ج ٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٣) والأعلام ج ٣ ص ٢٩٩.

(٢) أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِي شاعر جاهلي حكيم ومن أهل الطائف شعره من الطبقة الأولى.. توفي سنة ٥هـ. الأعلام ج ٢ ص ٢٣.

أَمَامَهَا قَائِدٌ إِلَيْهِ وَيَخُذُ لَدُوهَا حَثِيثاً إِلَيْهِ سَائِقُهَا
قَدْ أَيْقَنْتَ أَنَّهَا تَصِيرُ كَمَا كَانَ يَرَاهَا بِالْأَمْسِ خَالِقُهَا
وَأَنَّ مَا جُمِعَتْ وَأَعْجِبَهَا مِنْ عَيْشَةٍ مُرَّةٍ مُفَارِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً^(١) يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسُ وَالْمَرْءِ ذَائِقُهَا

قال بعض الزهاد: إِنَّ صفاء الزهد في الدنيا وكمالها ألا تأخذ من الدنيا شيئاً ولا تتركه إلا لله، فإذا كنت كذلك كان أَخْذُكَ تَرْكاً ومعامَلُكَ لله فيها رِبْحاً، وَإِنَّ صفاء الرغبة في الدنيا وكمالها ألا تأخذ منها شيئاً ولا تتركه إلا لها، فإذا كنت كذلك كان تَرْكُكَ أَخْذاً وفوتُ ما فات عليك منها حسرةً.

حَبَسَ بعضُ الملوك رجلاً ثم غَفَلَ عنه إلى أن مَضَى عليه زمان؛ فقال للموَكَّل به: قل له: إِنَّ كُلَّ يومٍ يَمْضِي من نعيمك يَمْضِي من بُؤْسِي، والأمرُ قَرِيبٌ وَالْحَكْمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ. والسلام.

جاء في آخر النسخة الفتوغرافية ما نصه:

تم كتاب الزهد، وهو الكتاب السادس من عيون الأخبار لابن قتيبة رحمه الله، ويتلوه في الكتاب السابع كتاب الإخوان. والحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمد النبي وآله أجمعين.

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى إبراهيم بن عمر بن محمد بن علي الواعظ الجزري، وذلك في شهور سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

يوجد في النسخة الفتوغرافية عقب هذا الكتاب (كتاب الزهد) بعض قطع شعرية ونثرية في نحو ست صفحات منقول جلها عن العقد، وليست من تأليف ابن قتيبة.

(١) يقال: مات عَبْطَةً إذا مات شاباً صحيحاً.

مصادر الكتاب ومراجعته

- ١ - الأعلام (١ - ٧) للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، طبعة خامسة.
- ٢ - الأغاني (١ - ٢٢) للأصفهاني، طبعة بولاق وطبعة القاهرة ١٩٢٧ - ١٩٥٤.
- ٣ - أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت ١٩٧٩.
- ٤ - أدب الدنيا والدين، ط. بولاق.
- ٥ - البيان والتبيين (١ - ٣) للجاحظ، دار صعب - بيروت ١٩٦٨.
- ٦ - بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي.
- ٧ - التفسير المبين لمحمد جواد معنيه، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٧٨.
- ٨ - تفسير الجلالين، دار الفكر؛ بيروت.
- ٩ - تهذيب الأسماء واللغات لابن شرف النووي، الجزء الأول من القسم الثاني، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠ - تاج العروس، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦ هـ.
- ١١ - جهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.
- ١٢ - جذوة المقتبس للحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.
- ١٣ - ديوان حسان بن ثابت.

- ١٤ - ديوان أبي تمام (١ - ٤) شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ١٩٦٤ - ١٩٦٥.
- ١٥ - ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ١٦ - ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط. الثالثة.
- ١٧ - ديوان الفرزدق، طبع باريس سنة ١٨٧٠.
- ١٨ - ديوان أبي العتاهية، طبع بيروت.
- ١٩ - ديوان الخطيئة، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه، القاهرة ١٩٥٨.
- ٢٠ - ديوان جرير (١ - ٢) تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر ١٩٧١.
- ٢١ - ديوان الحماسة لأبي تمام، تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد صالح، دار الرشيد العراق ١٩٨٠.
- ٢٢ - دائرة المعارف (١ - ١١) لفؤاد أفرام البستاني، مطبعة المعارف، بيروت ١٨٧٦ - ١٩٠٠.
- ٢٣ - ذيل الإمالي والنوادر لأبي علي القالي، دار الآفاق الجديدة؛ بيروت.
- ٢٤ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ألفه اليتفاشي وهذب ابن منظور، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠.
- ٢٥ - الشعر والشعراء (١ - ٢) لابن قتيبة، دار الثقافة - بيروت، ط. ثانية ١٩٦٩.
- ٢٦ - العقد الفريد (١ - ٧) لابن عبد ربه، شرح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩ - ١٩٦٥.
- ٢٧ - العمدة لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢.

- ٢٨ - في أدب الفرس وحضارتهم للدكتور محمد عبد السلام كفاي، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٠.
- ٢٩ - فجر الإسلام لأحمد أمين، دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة العاشرة ١٩٦٩.
- ٣٠ - فترات الوفيات (١ - ٥) للكتبي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٣ - ١٩٧٤.
- ٣١ - قرآن كريم، دار الفكر - بيروت ١٩٨٣.
- ٣٢ - كتاب الفهرست للنديم، تحقيق رضا - تجدد طهران ١٩٧١.
- ٣٣ - الكامل في التاريخ (١ - ١٣) لابن الأثير، دار صادر ١٩٦٥ - ١٩٦٧.
- ٣٤ - الكامل في اللغة والأدب (١ - ٢) للمبرّد، مكتبة المعارف - بيروت.
- ٣٥ - كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، طبعة الأستانة، ١٣١٩ هـ.
- ٣٦ - كتاب شرح شواهد التلخيص المسمى معاهد التنصيص لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي، وبهامشه كتاب بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي، مجلد في جزأين، مطبعة بولاق ١٢٧٤ هـ.
- ٣٧ - كتاب الأمالي (١ - ٢) لأبي علي القالي، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٥٣ - ١٩٥٤.
- ٣٨ - لسان العرب (١ - ١٥) لابن منظور، دار صادر - بيروت.
- ٣٩ - محيط المحيط لبطرس البستاني، مكتبة لبنان، ١٩٧٧.
- ٤٠ - معجم ما استعجم لأبي عبيد الله البكري، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥.
- ٤١ - المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت ١٩٧٨.
- ٤٢ - معجم البلدان (١ - ٥) لياقوت الحموي، طبع أوروبا.
- ٤٣ - معجم الشعراء للمرزباني ومعه المؤلف والمختلف للأمدي، تصحيح الدكتور ف. كرنكو، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٩٨٢.
- ٤٤ - معجم شعراء الحماسة للدكتور عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الرياض دار المريخ ١٤٠٢ هـ.

- ٤٥ - مجمع الأمثال (١ - ٢) للميداني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥.
- ٤٦ - مفاتيح العلوم للخوارزمي. طبعة أوروبا.
- ٤٧ - الملل والنحل للشهرستاني، طبع ليسج.
- ٤٨ - نهاية الأرب للنويري، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب بمصر،
- ٤٩ - نهج البلاغة للإمام علي، أربعة أجزاء في مجلد واحد، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة - بيروت.
- ٥٠ - وفيات الأعيان (١ - ٨) لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت ١٩٧٧ - ١٩٧٨.
- ٥١ - البخلاء للجاحظ، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف بمصر.
- ٥٢ - كتاب الحيوان (١ - ٧) للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار التراث العربي - بيروت.
- ٥٣ - دائرة المعارف الإسلامية.
- ٥٤ - تاريخ الأدب العربي لبروكلمان.
- ٥٥ - أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق وشرح محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٣.
- ٥٦ - كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي.

فهرس

الجزء الثاني من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة

كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة

٣	تشابه الناس في الطبائع وذمهم
٧	رجوع المتخلق إلى طبعه
١٠	باب الشيء يفرط فينتقل إلى غير طبعه
١١	باب الحسد
١٦	باب الغيبة والعيوب
٢٥	باب السعاية
٣٠	باب الكذب والقحة
٣٧	باب سوء الخلق وسوء الجوار والسباب والشر
٤٥	باب الحمق
٧٣	طبايع الإنسان
٨٢	ما نقص خلقه من الحيوان
٨٢	المشتركات من الحيوان
٨٣	المتعاديات
٨٤	الأمثال المضروبة بالطبايع
٨٦	الأنعام
٩٢	السباع وما شاكلها
٩٦	الذئب

٩٧	الفيل
٩٨	الفهد
٩٨	الأرنب
٩٨	القرود والدب
٩٩	مصايد السباع العادية
٩٩	النعام
١٠٤	الطير
١٠٨	البيض
١٠٨	الخفافش
١٠٩	الخطاف والزرزور
١٠٩	العقاب والحدأة
١١٠	الغراب
١١٠	القطا
١١٠	باب مصايد الطير
١١١	الحشرات
١٢١	النبات
١٢٤	الحجارة
١٢٥	الجن

كتاب العلم والبيان

١٣٣	العلم
١٤٦	الكتب والحفظ
١٤٧	القرآن
١٤٩	الحديث
١٥٦	الأهواء والكلام في الدين
١٦٨	الرد على الملحدين
١٧١	الإعراب واللحن
١٧٦	التشادق والغريب

١٨٢	وصايا المعلمين
١٨٤	البيان
١٩٦	الإستدلال بالعين والإشارة والنصبه
١٩٨	الشعر
٢٠١	حسن التشبيه في الشعر
٢٠٧	الآيات التي لا مثل لها
٢١٤	التلطف في الكلام والجواب وحسن التعريض
٢٣٥	مقطعات ألفاظ تقع في الكتاب والكلام
٢٤٥	ألفاظ تقع في كتب الأمان
٢٤٦	ألفاظ تقع في كتب العهود
٢٥١	الخطب
٢٥٢	خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٥٣	خطبة لأبي بكر أيضاً
٢٥٤	خطبة أبي بكر رضي الله عنه يوم سقيفة بني ساعدة
٢٥٤	خطبة لأبي بكر رضي الله عنه
٢٥٥	خطبة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه
٢٥٥	خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه
٢٥٦	خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
٢٥٦	خطبة أيضاً لعلي رضي الله عنه
٢٥٩	خطبة لمعاوية رحمه الله
٢٦٠	خطبة ليزيد بن معاوية بعد موت معاوية
٢٦٠	خطبة لعتبة بن أبي سفيان
٢٦١	خطبة لعتبة أيضاً
٢٦٢	خطبة لعبد الله بن الزبير
٢٦٣	خطبة زياد البتراء
٢٦٥	خطبة للحجاج حين دخل البصرة
٢٦٧	خطبة أخرى للحجاج حين أراد الحج

٢٦٧	خطبة للحجاج أيضاً
٢٦٨	خطبة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله
٢٦٨	خطبة لخالد بن عبد الله يوم عيد
٢٦٩	خطبة للحجاج
٢٦٩	خطبة سليمان بن عبد الملك
٢٧٠	خطبة يزيد بن الوليد بعد قتله الوليد
٢٧١	خطبة أبي حمزة الخارجي
٢٧٢	خطبة لقطري الخارجي
٢٧٣	وفي خطبة ليوسف بن عمر
٢٧٣	وفي خطبة للحجاج
٢٧٤	خطبة للمنصور
٢٧٤	خطبة لداود بن علي
٢٧٥	خطبة لداود بن علي أيضاً
٢٧٥	خطبة لأعرابي
٢٧٦	خطبة المأمون يوم الجمعة
٢٧٧	وفي خطبة المأمون يوم الأضحى بعد التكبير الأول
٢٧٨	وفي خطبة المأمون يوم الفطر بعد التكبير الأول
٢٧٩	كلام من أرتج عليه
٢٨٢	المنابر

كتاب الزهد

٢٨٧	ما أوحى الله جل وعز إلى أنبيائه عليهم السلام
٣٠٣	الدعاء
٣٠٣	المناجاة
٣١٧	باب البكاء
٣٢٢	التهجد
٣٢٦	الموت
٣٤٤	الكبر والمشيب

٣٥٣ الدنيا
	مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك
٣٦٠ مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي
٣٦١ مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور
٣٦٢ مقام آخر والمنصور يخطب
٣٦٥ مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور
٣٦٥ مقام أعرابي بين يدي سليمان
٣٦٦ مقام أعرابي بين يدي هشام
٣٦٦ مقام الأوزاعي بين يدي المنصور
٣٦٩ مقام خالد بن صفوان بين يدي هشام
٣٧١ مقام محمد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبد العزيز
٣٧٢ مقام الحسن عند عمر بن هبيرة
	باب من المواعظ
٣٧٢ كلام للحسن
٣٧٣ كلام لبعض الزهاد
٣٧٤ كلام لغيلان
٣٧٤ كتاب رجل إلى بعض الزهاد
٣٧٥ وكتب رجل من العباد إلى صديق له، وجواب صديقه عليه
٣٧٩ موعظة مستعملة
٣٧٩ موعظة لعمر بن عتبة
٣٨٠ صفات الزهاد
٣٨٧ كلام من كلام الزهاد